COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0045915032

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السادس والعشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

BP
130.4
.T28
v.26-28

فهارس الجزء السادس والعشرين

من

جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الأحقاف	
١	حمٓ .	١
٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	١
٣	ما خلقنا السموات والأرض . . .	١
٤	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله . . .	١
٥	ومن أضل ممن يدعو من دون الله . . .	٤
٦	وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء	٤
٧	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . . .	٤
٨	أم يقولون افتراه . . .	٥
٩	قل : ما كنت بدعا من الرسُل . . .	٥
١٠	قل أرأيتم إن كان من عند الله . . .	٨
١١	وقال الذين كفروا للذين آمنوا . . .	١٢
١٢	ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة . . .	١٣
١٣	إن الذين قالوا ربنا الله . . .	١٤
١٤	أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها . . .	١٤
١٥	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا . . .	١٥
١٦	أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا...	١٧
١٧	والذى قال لوالديه : أف لكما . . .	١٩
١٨	أولئك الذين حق عليهم القول . . .	٢٠
١٩	ولكل درجات مما عملوا . . .	٢٠
٢٠	ويوم يُعْرض الذين كفروا على النار ...	٢٠
٢١	واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه . . .	٢٢
٢٢	قالوا أجئتنا لتأفِكنا عن آلهتنا . . .	٢٤
٢٣	قال : إنما العلم عند الله . . .	٢٥
٢٤	فلما رأوه عارضا مستقبلَ أوديتهم . . .	٢٥
٢٥	تدمِّر كل شىء بأمر ربها . . .	٢٦
٢٦	ولقد مكنا هم فيما إن مكناكم فيه . . .	٢٨
٢٧	ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى . . .	٢٨
٢٨	فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله ...	٢٨
٢٩	وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن . . .	٣٠
٣٠	قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتابا . . .	٣٤
٣١	يا قومنا أجيبوا داعىَ الله	٣٤
٣٢	ومن لا يجب داعىَ الله . . .	٣٤
٣٣	أولم يروا أن الله الذى خلق السموات ...	٣٥
٣٤	ويوم يُعرض الذين كفروا على النار ...	٣٦
٣٥	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل...	٣٧
	تفسير سورة محمد	
	صلى الله عليه وسلم	
١	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله . . .	٣٨
٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٣٨
٣	ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل . . .	٣٩
٤	فإذا لقيتم الذين كفروا فَضَرْب الرقاب ...	٤٠
٥	سيهديهمْ ويصلِحُ بالهم .	٤٤
٦	ويُدْخِلهم الجنة عرّفها لهم .	٤٤
٧	يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله . . .	٤٤
٨	والذين كفروا فتعسا لهم . . .	٤٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩	ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله . . .	٤٥
١٠	أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا . . .	٤٦
١١	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . .	٤٧
١٢	إن الله يدخل الذين آمنوا	٤٧
١٣	وكأيِّن من قرية هى أشد قوّة . . .	٤٧
١٤	أفمن كان على بينة من ربه . . .	٤٨
١٥	مثل الجنة التى وُعد المتقون . . .	٤٨
١٦	ومنهم من يستمعُ إليك . . .	٥٠
١٧	والذين اهتدوا زادهم هُدى . . .	٥١
١٨	فهل ينظرون إلا الساعة . . .	٥١
١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله . . .	٥٣
٢٠	ويقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة . . .	٥٤
٢١	طاعة وقول معروف	٥٤
٢٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا . . .	٥٦
٢٣	أولئك الذين لعنهم الله . . .	٥٦
٢٤	أفلا يتدبّرون القرآن . . . ؟	٥٧
٢٥	إن الذين ارتدوا على أدبارهم . . .	٥٧
٢٦	ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا . . .	٥٩
٢٧	فكيف إذا توفتهم الملائكة . . .	٥٩
٢٨	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله . . .	٥٩
٢٩	أم حسب الذين فى قلوبهم مرض . . .	٦٠
٣٠	ولو نشاء لأريناكهم . . .	٦٠
٣١	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين . . .	٦١
٣٢	إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله . . .	٦١
٣٣	يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٦٢
٣٤	إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله . . .	٦٢
٣٥	فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم . . .	٦٣
٣٦	إنما الحياة الدنيا لعب ولهو . . .	٦٤
٣٧	إن يسألكموها فيُحْفكم تبخلوا . . .	٦٤
٣٨	هأنتم هؤلاء تدعوَن لتنفقوا . . .	٦٥

تفسير سورة الفتح

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	إنا فتحنا لك فتحا مبينا .	٦٧
٢	ليغفرَ لك الله ما تقدم من ذنبك . . .	٦٧
٣	وينصرَك الله نصرا عزيزا .	٦٧
٤	هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين . . .	٧١
٥	ليدخلَ المؤمنين والمؤمنات . . .	٧٢
٦	ويعذِّب المنافقين والمنافقات . . .	٧٣
٧	ولله جنود السموات والأرض . . .	٧٣
٨	إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . . .	٧٤
٩	لتؤمنوا بالله ورسوله	٧٤
١٠	إن الذين يبايعونك . . .	٧٥
١١	سيقول لك المخلّفون من الأعراب . . .	٧٦
١٢	بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول . . .	٧٨
١٣	ومن لم يؤمن بالله ورسوله . . .	٧٩
١٤	ولله ملك السموات والأرض . . .	٧٩
١٥	سيقول المخلفون إذا انطلقتم . . .	٧٩
١٦	قل للمخلفين من الأعراب ستدعون . . .	٨٢
١٧	ليس على الأعمى حرج	٨٤
١٨	لقد رضى الله عن المؤمنين . . .	٨٥
١٩	ومغانم كثيرة يأخذونها	٨٥
٢٠	وعدَكُمُ الله مغانم كثيرة تأخذونها . . .	٨٨
٢١	وأخرى لم تقدروا عليها . . .	٨٩
٢٢	ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار . . .	٩٢
٢٣	سنة الله التى قد خلت من قبل . . .	٩٢
٢٤	وهو الذى كفّ أيديهم عنكم . . .	٩٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	هم الذين كفروا . . .	٩٥
٢٦	إذ جعل فى قلوبهم الذين كفروا . . .	١٠٣
٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا . . .	١٠٦
٢٨	هو الذى أرسل رسوله بالهدى . . .	١٠٩
٢٩	محمد رسول الله والذين معه . . .	١٠٩

تفسير سورة الحجرات

١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا . . .	١١٦
٢	يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا . . .	١١٧
٣	إن الذين يغضّون أصواتهم . . .	١٢٠
٤	إن الذين ينادونك من وراء الحجرات . . .	١٢٠
٥	ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم . . .	١٢٠
٦	يا أيها الذين آمنوا : إن جاءكم . . .	١٢٣
٧	واعلموا أن فيكم رسول الله . . .	١٢٥
٨	فضلا من الله ونعمة . . .	١٢٥
٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . .	١٢٧
١٠	إنما المؤمنون إخوة . . .	١٣٠
١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم . . .	١٣٠
١٢	يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا . . .	١٣٤
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم . . .	١٣٨
١٤	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا . . .	١٤١
١٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله . . .	١٤٤
١٦	قل أتعلّمون الله بدينكم . . . ؟	١٤٤
١٧	يمنّون عليك أن أسلموا . . .	١٤٥
١٨	إن الله يعلم غيب السموات والأرض . . .	١٤٦

تفسير سورة ق

١	ق والقرآن المجيد .	١٤٦
٢	بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم . . .	١٤٦
٣	أإذا متنا وكنا ترابا . . .	١٤٨
٤	قد علمنا ما تنقص الأرض منهم . . .	١٤٨
٥	بل كذبوا بالحق لما جاءهم . . .	١٤٩
٦	أفلم ينظروا إلى السماء . . .	١٤٩
٧	والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى . . .	١٥١
٨	تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .	١٥١
٩	ونزلنا من السماء ماء مباركا . . .	١٥٢
١٠	والنخل باسقات لها طلع نضيد . . .	١٥٢
١١	رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا . . .	١٥٢
١٢	كذبت قبلهم قوم نوح	١٥٤
١٣	وعاد وفرعون وإخوان لوط .	١٥٤
١٤	وأصحاب الأيكة وقوم تبع . . .	١٥٤
١٥	أفعيينا بالخلق الأول . . . ؟	١٥٦
١٦	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس . . .	١٥٦
١٧	إذ يتلقى المتلقيان ، عن اليمين . . .	١٥٧
١٨	ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب . . .	١٥٧
١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق . . .	١٦٠
٢٠	ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد . . .	١٦٠
٢١	وجاءت كل نفس . . .	١٦١
٢٢	لقد كنت فى غفلة من هذا . . .	١٦١
٢٣	وقال قرينه هذا ما لدى عتيد . . .	١٦٤
٢٤	ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد . . .	١٦٤
٢٥	مناع للخير معتد مريب .	١٦٤
٢٦	الذى جعل مع الله إله آخر . . .	١٦٧
٢٧	قال قرينه ربنا ما أطغيته . . .	١٦٧
٢٨	قال لا تختصموا لدىّ . . .	١٦٧
٢٩	ما يبدل القول لدىّ . . .	١٦٨
٣٠	يوم نقول لجهنم هل امتلأت . . . ؟	١٦٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣١	وأُزلفت الجنة للمتقين . . .	١٧١
٣٢	هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ . . .	١٧١
٣٣	من خشِي الرحمن بالغيب . . .	١٧١
٣٤	أدخلوها بسلام آمنين .	١٧٣
٣٥	لهم ما يشاءون فيها . . .	١٧٣
٣٦	وكم أهلكنا قبلَهم من قَرْن . . .	١٧٣
٣٧	إن فى ذلك لذكرى لمن كان له . . .	١٧٧
٣٨	ولقد خلقنا السموات والأرض . . .	١٧٨
٣٩	فاصبر على ما يقولون . . .	١٧٩
٤٠	ومن الليل فسبحْه وأدبار السجود	١٧٩
٤١	واستمع يوم ينادِ المناد . . .	١٨٣
٤٢	يوم يسمعون الصيحة بالحق . . .	١٨٣
٤٣	إنا نحن نحيي ونميت . . .	١٨٤
٤٤	يوم تَشَقق الأرض عنهم سراعا . . .	١٨٤
٤٥	نحن أعلم بما يقولون . . .	١٨٤

تفسير سورة الذاريات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	والذاريات ذروا .	١٨٥
٢	فالحاملات وقْرا .	١٨٥
٣	فالجاريات يُسرا .	١٨٥
٤	فالمقسِّمات أمرا .	١٨٥
٥	إنما توعدون لصادق .	١٨٥
٦	وإن الدين لواقع .	١٨٥
٧	والسماء ذات الحُبك .	١٨٩
٨	إنكم لفى قول مختلف .	١٨٩
٩	يُؤْفَك عنه من أفك .	١٨٩
١٠	قُتِل الخرّاصون .	١٩١
١١	الذين هم فى غمرة ساهون .	١٩١
١٢	يسألون أيان يومُ الدين ؟ .	١٩١
١٣	يوم هم على النار يُفتنون .	١٩١
١٤	ذوقوا فتنتكم . . .	١٩٥
١٥	إن المتقين فى جنات وعيون .	١٩٥
١٦	آخذين ما آتاهم ربهم . . .	١٩٥
١٧	كانوا قليلا من الليل ما يهجعون .	١٩٦
١٨	وبالأسحار هم يستغفرون .	١٩٦
١٩	وفى أموالهم حق للسائل والمحروم . . .	١٩٦
٢٠	وفى الأرض آيات للموقنين .	٢٠٤
٢١	وفى أنفسكم أفلا تبصرون . . .	٢٠٤
٢٢	وفى السماء رزقكم وما توعدون .	٢٠٤
٢٣	فورب السماء والأرض . . .	٢٠٦
٢٤	هل أتاك حديث ضيف إبراهيم . . . ؟	٢٠٧
٢٥	إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما . . .	٢٠٧
٢٦	فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين .	٢٠٧
٢٧	فقربه إليهم قال ألا تأكلون ؟	٢٠٨
٢٨	فأوجس منهم خيفة . . .	٢٠٨
٢٩	فأقبلت امرأته فى صَرَّة . . .	٢٠٨

٣ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تفسير سورة الأحقاف

٢ تأويل قوله « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله . . . الآية » وأن شركهم لم يدل عليه عقل ولانقل .

٥ البدع والبديع بمعنى ، والشاهد عليه .

٩ تأويل قوله « قل أرأيتم إن كان » . . . الآية وأنها مما نزل بمكة ، ولم يقصد بها عبد الله ابن سَلام .

١٦ السنّ التى إذا وصل إليها الإنسان يقال فيه : بلغ أشدّه ، والسن التى إذا بلغها يقال : أعذر الله إليه .

٢١ تأويل قوله « ويوم يعرض الذين كفروا » ... الآية ، وما كان عليه الصحابة من ضيق ذات اليد .

٢٢ مساكن قوم عاد ، وذكر بعض أخبارهم .

٣٠ استماع الجن القرآن ، والسبب الذى من أجله جاءوا لاستماعه .

٣٧ تأويل قوله « فاصبر » . . . الآية ، وأولو العزم من الرسل ، ولم سموا بذلك ؟ .

٣٨ تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

٤٠ ما يجوز فى الأسير من الكفار من القتل والمنّ والفِداء ، وأن آية « فإذا لقيتم » غير منسوخة .

٤٨ ماقاله صلى الله عليه وسلم عند خروجه مهاجرا .

٤٨ الأنهار التى فى الجنة ، وذكر بعض صفاتها .

٥١ تأويل قوله « والذين اهتدوا » . . . الآية .

الصفحة

٥٢ الشواهد على جمع الأشراط .

٥٤ جواز الاستغفار للنبىّ صلى الله عليه وسلم .

٥٦ التولّى عن كتاب الله يستوجب الفساد فى الأرض وتقطيع الأرحام .

٦١ تأويل قوله « ولنبلونكم حتى نعلم » ... الآية ، ومعنى قوله « لن يضروا الله شيئا » .

٦٧ تفسير سورة الفتح

٦٨ معنى غفران الذنوب المتقدمة والمتأخرة لرسول الله .

٦٨ الوقت الذى نزلت فيه سورة الفتح .

٧٦ تأويل قوله « إن الذين يبايعونك » ... الآية ، وبيعة الحُدَيبية .

٧٧ مافعله رسول الله من استنفار الناس عند ذهابه إلى مكة معتمرا ، وقول المخلّفين .

٨٠ ما وعده الله أهل الحديبية من غنائم خَيبر .

٨٢ الذى دعا إلى محاربتهم .

٨٥ السبب الذى دعا إلى مبايعتهم .

٩٥ تأويل قوله « هم الذين كفروا » الآية .... والشروط التى عقدت فى صلح الحديبية .

١٠٧ الرؤيا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها وتحققت .

١٠٩ تأويل قوله « هو الذى أرسل » . . . الآية ، وصفات أصحاب الرسول المذكورة فى التوراة والإنجيل .

الصفحة

١١٦ تفسير سورة الحُجرات

١١٦ ما نُهِى عن التقدم فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١١٩ ما كانت تفعله الصحابة من إخفاء صوتهم عند رسول الله .

١٢١ ما كان يفعله بعض وفود الأعراب من مناداته من وراء حُجراته .

١٢٣ تأويل « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق » . . . الآية ، وما فعله بعضهم من كذبه على من توجّه إليهم .

١٢٧ ما يجب فعله عند انحراف طائفة عن العدل. وما حصل بين بعض من فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣٠ ما يحرم من هزء الناس وسخريتهم بعضهم ببعض.

١٣٤ تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن » . . . الآية وحرمة الظنون والغيبة.

١٤١ تأويل قوله « قالت الأعراب آمنا » ، وما كانت تقوله الأعراب فنُهوا عنه .

١٤٦ تفسير سورة قٓ

١٤٨ تأويل قوله « أئذا متنا وكنا ترابا » ، وما كان يقوله منكرو البعث ، وما ردّ الله به عليهم .

الصفحة

١٥٤ إسلام تُبّع ، واتباع قومه لغير دينه ، وتحاكمهم إلى النار .

١٥٨ ذكر مَلَكَى الإنسان ومكانهما منه .

١٦١ يحشر المرء ومعه سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه .

١٦٥ السبب فى أن العرب تخاطب الواحد بما يُخاطب به الاثنان ، والشواهد على ذلك .

١٦٨ تأويل قوله « ما يُبَدَّل القولُ لدىّ » . . . الآية ، وما تفعله جهنم بمن يدخلها ، وسؤالها أن تُملأ ، وما يفعله الله بها وبالجنة .

١٧٣ تأويل قوله « ادخلوها بسلام » . . . الآية ، بيان ما فى الجنة من الكرامة ، وذكر يوم المزيد .

١٧٩ تأويل قوله « فاصبر على ما يقولون » والخلاف فى المراد بأدبار السجود .

١٨٥ تفسير سورة الذاريات

١٨٩ والمراد بالحُبك : الخلق الحسن أو غير ذلك .

١٩٦ بيان العبادة التى يحصل بها قلة الهجوع فى الليل.

٢٠٠ معنى السائل والمحروم .

٢٠٧ تأويل قوله «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم؟» . . . الآية ، ووجه وصفهم بالمُكْرَمين .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
مُنتَهاها	٣٥
ب	
جُرْبِ	٢٠٧
تَطَيَّبِ	١٦٦
المُعَذَّبِ	١٦٦
بالإيابِ	١٧٦
طَرَبَا	١٣٩
كِلابَا	١٢٠
ت	
الحُجُرَاتُ	١٢١
سَرَيْتُ	١٤٣
ليتُ	١٤٣
ج	
مَرِيجُ	١٥٠
ح	
شَبِيحَا	١٦٥
د	
وأسْعُدِ	٦
زِيادا	٣٦
ر	
الخَبَرْ	١٥٨
الصَّدْرُ	١٦٠
مُهُورُ	٥٢
البُورِ	٧٨
غَدُورِ	١٥٨
دَمارَا	٢٦
قَفارَا	٣
فَزَارَه	١٥٣
ع	
تُصَارِعُ	١٣٠
قَعْقَعُوا	٢٠٦
بِبَدِيعِ	٦
مُمَنَّعا	١٦٥
ف	
قافْ	١٤٧
مُخْتَلِفُ	١٥٨
أَحْقَفَا	٢٣
ق	
بَرْقَا	١٦٦
ك	
الحُرَّاكُ	١٨٩
حِباكُ	١٨٩
ل	
الشُّعَلُ	٢٥
وتَوَكَّلا	٥٢
م	
يُكَشَّما	١٠٤
أكْرَمَا	٢٧
أَقْتَما	٢٢
ن	
دِينَا	١٨٤
مُعْلَمِينا	١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

حم (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٣)

قد تقدّم بيانُنا فى معنى قوله (حمٓ . تَنْزِيلُ الكِتابِ) بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (ما خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما إلاَّ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره : ما أحدثنا السموات والأرض، فأوجدناهما خلقا مصنوعا ، وما بينهما من أصناف العالم، إلا بالحقّ ، يعنى : إلا لإقامة الحقّ والعدل فى الخلق .

وقوله (وأجَلٍ مُسَمّى) يقول : وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده، يفنيه إذا هو بلغه ، ويعدمه بعد أن كان موجودا بإيجاده إياه .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم مُعْرضون ، لايتّعظون به ، ولا يتفكرون فيعتبرون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ، أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ؟ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ؟ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ، أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : أرأيتم أيها القوم الآلهةَ والأوثان التى تعبدون من دون الله ، أرونى أىّ شىء خلقوا من الأرض ، فإن ربى خلق الأرض كلها ، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا ، فيكون لكم بذلك فى عبادتكم إياها حجة ، فإن من حجتى على عبادتى إلهى ، وإفرادى له الألوهة ، أنه خلق الأرض ، فابتدعها من غير أصل .

وقوله (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَوَاتِ) يقول تعالى ذكره : أم لآلهتكم التى تعبدونها أيها الناس شرك مع الله فى السموات السبع ، فيكون لكم أيضا بذلك حجة فى عبادتكموها ، فإن من حجتى على إفرادى العبادة لربى ، أنه لاشريك له فى خلقها ، وأنه المنفرد بخلقها دون كلّ ما سواه .

وقوله (ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) يقول تعالى ذكره : بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذى أُنزل علىّ ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا ، أو أن لهم مع الله شركا فى السموات ، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها ، لأنها إذا صحّ لها ذلك صحت لها الشركة فى النِّعم التى أنتم فيها ، ووجب لها عليكم الشكر ، واستحقت منكم الخدمة ، لأن ذلك لايقدر أن يخلقه إلا إله .

وقوله (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (أَوْ أَثَارَةٍ) من علم بالألف ، بمعنى : أو ائتونى ببقية من علم . ورُوى عن أبى عبد الرحمن السلمىّ أنه كان يقرؤه (أَوْ أَثَرَةٍ) من علم ، بمعنى : أو خاصة من علم أوتيتموه ، وأوثرتم به على غيركم ، والقراءة التى لا أستجيز غيرها (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) بالألف ، لإجماع قرّاء الأمصار عليها .

واختلف أهل التأويل فى تأويلها ، فقال بعضهم : معناه : أو ائتونى بعلم بأن آلهتكم خلقت من الأرض شيئا ، وأن لها شركا فى السموات ، من قبل الخطّ الذى تخطونه فى الأرض ، فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن صفوان بن سليم ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : خط كان يخطه العرب فى الأرض .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : قال أبو بكر : يعنى ابن عياش : الخط : هو العِيافة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو خاصة من علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أو خاصة من علم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أى خاصة من علم .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنى أبى ، عن الحسين ، عن قتادة (أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : خاصة من علم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أوعلم تُثيرونه فتستخرجونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن فى قوله (أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال أثارة : شىء يستخرجونه فِطْرة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو تأثِرون ذلك علما عن أحد ممن قبلكم ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : أحد يأثِر علما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو ببينة من الأمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ببينة من الأمر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ببقية من علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : سُئل أبو بكر ، يعنى ابن عياش ، عن أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) قال : بقية من علم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : الأَثارة : البقية من علم ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وهى مصدر من قول القائل : أثر الشىء أثارة ، مثل سمج سماجة ، وقبح قباحة ، كما قال راعى الإبل :

وَذاتِ أَثارَةٍ أَكَلَتْ عَلَيْها[1]　　[نَبَاتاً فِى أَكِمَّتِهِ قَفَارَا]

يعنى : وذات بقية من شحم ، فأما من قرأه (أَوْ أَثَرَةٍ) فإنه جعله أثرة من الأثر ، كما قيل : قترة وغبرة .

(١) هذا بيت من قصيدة للراعى ، مدح بها سعد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، عدتها سبعة وخمسون بيتا . وقوله « ذات أثارة » أى رب ناقة ذات سمن . والأثارة ، بفتح الهمزة : شحم متصل بشحم آخر ، ويقال هى بقية من الشحم العتيق ، يقال سمنت الناقة على أثارة ، أى على بقية شحم . وأكمته : غلفه ، جمع كم ، وهو جمع كم بكسر الكاف ، وهو غطاء النور وغلافه . وقفارا : وقفارة : وصف للنبات : أى رعته خاليا لها من مزاحمة غيرها فى رعيه . وأصله من قولهم طعام قفار : أى أكل بلا إدام . (انظر خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٢٥١ . واستشهد بالبيت أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، الورقة ٢٢٢) عند قوله تعالى : أو أثارة من علم » أى بقية من شحم أكلت عليه . ومن قال « أثرة » فهو مصدر أثره يأثره : يذكره . وفى (اللسان : أثر) : وأثرة العلم وأثرته وأثارته ، بقية منه تؤثر فتذكر . وقال الزجاج أثارة : فى معنى علامة . ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم . ونسب البيت للشماخ .

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه (أَوْ أَثْرَةٍ) بسكون الثاء، مثل الرجْفَة والخَطْفة، وإذا وجه ذلك إلى ماقلنا فيه من أنه بقية من علم ، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط ، ومن علم استثير من كُتب الأوّلين ، ومن خاصة علم كانوا أُوثروا به . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر ، بأنه تأوّله أنه بمعنى الخط ، سنذكره إن شاء الله تعالى . فتأويل الكلام إذن : ائتونى أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب ، بتحقيق ماسألتكم تحقيقه من الحُجّة على دعواكم ماتدّعون لآلهتكم ، أو ببقية من علم يُوصَل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعواكم لها ما تدّعون ، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغن عن المدّعى شيئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ، وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وأىّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة (لايَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ) : يقول : لايُجيب دعاءه أبدا ، لأنها حَجَر أو خشب أو نحو ذلك .

وقوله (وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ) يقول تعالى ذكره : وآلهتهم التى يدعونهم عن دعائهم إياهم فى غفلة ، لأنها لاتسمع ولا تنطق ، ولا تعقل . وإنما عنى بوصفها بالغفلة ، تمثيلها بالإنسان الساهى عما يقال له ، إذ كانت لاتفهم مما يقال لها شيئا ، كما لايفهم الغافل عن الشىء ما غَفَل عنه . وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم ، وقُبح اختيارهم فى عبادتهم ، من لايعقل شيئا ولا يفهم ، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته ، ومن به استغاثتهم عند ما ينزل بهم من الحوائج والمصائب . وقيل : من لايستجيب له ، فأخرج ذكر الآلهة وهى جماد مخرج ذِكر بنى آدم ، ومن له الاختيار والتمييز ، إذ كانت قد مثلتها عَبَدَتها بالملوك والأمراء التى تخدم فى خدمتهم إياها ، فأجرى الكلام فى ذلك على نحو ما كان جاريا فيه عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب ، كانت هذه الآلهة التى يدعونها فى الدنيا لهم أعداء ، لأنهم يتبرّءون منهم (وكانُوا بعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ) يقول تعالى ذكره : وكانت آلهتهم التى يعبدونها فى الدنيا بعبادتهم جاحدين ، لأنهم يقولون يوم القيامة : ما أمرناهم بعبادتنا ، ولا شَعَرنا بعبادتهم إيانا ، تبرأنا إليك منهم يا ربنا .

وقوله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) يقول تعالى ذكره : وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا ، يعنى حججنا التى احتججناها عليهم ، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم (بيِّنات) يعنى واضحات نيرات (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله ، وكذّبوا رسوله للحقّ لما جاءهم من عند الله ، فأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم (هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا ، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين : يقول : يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ : إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ، كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)

يقول تعالى ذكره : أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش ، افترى محمد هذا القرآن ، فاختلقه وتخرّصه كذبا ، قل لهم يامحمد : إن افتريته وتخرّصته على الله كذبا (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي) يقول : فلا تغنون عنى من الله إن عاقبنى على افترائى إياه وتخرصى عليه شيئا ، ولا تقدرون أن تدفعوا عنى سُوءًا إن أصابنى به .

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) يقول : ربى أعلم من كلّ شىء سواه ، بما تقولون بينكم فى هذا القرآن ، والهاء من قوله (تُفِيضُونَ فِيهِ) من ذكر القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (تُفِيضُونَ فِيهِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) قال : تقولون .

وقوله (كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) يقول : كفى بالله شاهدا علىّ وعليكم ، بما تقولون من تكذيبكم لى ، فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم ، بأن لايعذبهم عليها بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك من قريش (مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ) يعنى : ماكنت أوّل رسل الله التى أرسلها إلى خلقه ، قد كان من قبلى له رسل كثيرة أُرسلت إلى أمم قبلكم ؛ يقال منه : هو بِدْع فى هذا الأمر ، وبديع فيه ، إذا كان فيه أوّل . ومن البدع قول عدىّ بن زيد :

فَلا أنا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِي رِجالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وأَسْعُدِ [١]

ومن البديع قول الأحوص :

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقُلْتُ انْظُرِينِي لَيسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بِبَدِيعِ [٢]

يعنى بأوّل ، يقال : هو بِدْع من قوم أبداع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) يقول : لست بأوّل الرسل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : يقول : ما كنت أوّل رسول أُرسل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : ما كنت أوّلهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا عبد الوهاب بن معاوية ، عن أبى هبيرة ، قال : سألت قتادة (قُلْ ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : أى قد كانت قبلى رسل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) يقول : أى إن الرسل قد كانت قبلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ) قال : قد كانت قبله رسل .

وقوله (وَما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : قل للمؤمنين بك ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ، وإلام نصير هنالك ؟ قالوا : ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم فى الآخرة ، فقيل له : (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ) ، وقال :

---

(١) البيت لعدى بن زيد (شعراء النصرانية ٤٦٥) وروايته فيه :

فلست بمن يخشى حوادث تعترى رجالا فبادوا بعد بؤس وأسعد

وليس فيه شاهد على هذه الرواية ؛ وقد استشهد به المؤلف على أنه يقال : هو بدع فى هذا الأمر ، على معنى ما كنت أول الناس فيه . وقول الله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » : معناه ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلى رسل كثير .

(٢) يقول الأحوص : فخرت على وانتسبت إلى آبائها . فقلت : كفى ، وليس جهلك على ببديع ولا غريب ، فقد عهدت مثله من أمثالك فى النساء . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٢ — ١) استشهد به على أن البديع بمعنى البدع ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » .

(لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ) فأنزل الله بعد هذا (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرىّ ، قالا : قال فى حمّ الأحقاف (وَما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ ، إنْ أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إلىَّ ، وَما أنا إلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) ، فنسختها الآية التى فى سورة الفتح (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ) . . . الآية ، فخرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية ، فبشرهم بأنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال له رجال من المؤمنين : هنيئا لك يا نبىّ الله ، قد علمنا مايُفعل بك ، فماذا يُفعل بنا ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فى سورة الأحزاب ، فقال (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا) . وقال (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وكان ذلكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيماً ، وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ) . . . الآية ، فبين الله ما يُفْعل به وبهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ) . ثم درى أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يُفْعل به ، يقول : (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ) قال : قد بين له أنه قد غُفِر من ذنبه ما تقدّم وما تأخر .

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوله للمشركين من قومه ، ويعلم أنه لايدرى إلام يصير أمره وأمرهم فى الدنيا ، أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم ، أو يؤمنوا به فيتبعوه ؟ وأمرهم إلى الهلاك ، كما أهلكت الأمم المكذّبة رسلها من قبلهم ، أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهذلىّ ، عن الحسن ، فى قوله (وَما أدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ) فقال : أما فى الآخرة فمعاذ الله ، قد علم أنه فى الجنة حين أخذ ميثاقه فى الرسل ، ولكن قال : وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا ، أُخْرَجُ كما أُخرجت الأنبياء قبلى ، أو أُقتل كما

قتلت الأنبياء من قبلى ، ولا أدرى ما يُفْعل بى ولا بكم . أمتى المكذبه أم أمتى المصدقة . أم أمتى المرمية بالحجارة من السماء قذفا ، أم تخسوف بها خسفا ، ثم أوحى إليه : (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) يقول : أحطت لك بالعرب أن لايقتلوك ، فعرف أنه لايُقتل ، ثم أنزل الله عزّ وجلّ : (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول : أشهد لك على نفسه ، أنه سيُظهر دينك على الأديان ، ثم قال له فى أمته : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فأخبره الله ما يصنع به ، وما يصنع بأمته.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما أدرى ما يُفْترض علىّ وعليكم ، أو ينزل من حكم ، وليس يعنى ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم غدا فى المعاد ، من ثواب الله من أطاعه ، وعقابه من كذّبه .

وقال آخرون : إنما أمر أن يقول هذا فى أمر كان ينتظره من قِبَل الله عزّ وجلّ فى غير الثواب والعقاب.

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل ، القول الذى قاله الحسن البصرىّ ، الذى رواه عنه أبو بكر الهُذَلىّ .

وإنما قلنا ذلك أوْلاها بالصواب ، لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية ، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ ، خطابا للمشركين ، وخبرا عنهم ، وتوبيخا لهم ، واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن هذه الآية أيضا ، سبيلها سبيل ماقبلها وما بعدها ، فى أنها احتجاج عليهم ، وتوبيخ لهم ، أو خبر عنهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فمحال أن يقال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين ما أدرى ما يُفعل بى ولا بكم فى الآخرة ، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ فى تنزيله ووحيه إليه متتابعة ، بأن المشركين فى النار مخلدون ، والمؤمنون به فى الجنان منعَّمون ، وبذلك يرهبهم مرّة ، ويرغبهم أخرى ، ولو قال لهم ذلك ، لقالوا له : فعلام نتبعك إذن وأنت لاتدرى إلى أىّ حال تصير غدا فى القيامة : إلى خفض ودعة ، أم إلى شدّة وعذاب ؛ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك ، وتصديقنا بما تدعونا إليه ، رغبة فى نعمة وكرامة نصيبها ، أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منه ، ولكن ذلك كما قال الحسن ، ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به ، وبمن كذّب بما جاء به من قومه وغيرهم .

وقوله (إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَىَّ) يقول تعالى ذكره : قل لهم ما أتبع فيما آمركم به ، وفيما أفعله من فعل إلا وحى الله الذى يوحيه إلىّ ، (وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : وما أنا لكم إلا نذير ، أنذركم عقاب الله على كفركم به (مبين) : يقول : قد أبان لكم إنذاره ، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم ، يقول : فكذلك أنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ، فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين (أرأيْتُمْ) أيها القوم (إنْ كانَ) هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللهِ) أنزله علىّ (وكَفَرْتُمْ) أنتم (بِهِ) يقول : وكذّبتم أنتم به .

وقوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وشهد شاهد من بنى إسرائيل ، وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله ، يعنى على مثل القرآن ، قالوا : ومثل القرآن الذى شهد عليه موسى بالتصديق التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق فى هذه الآية : (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ) فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة ، التوراة مثل القرآن ، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : سُئل داود ، عن قوله (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ) . . . الآية ، قال داود ، قال عامر ، قال مسروق : والله مانزلت فى عبدالله ابن سلام ، مانزلت إلا بمكة ، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه ، قال : فنزلت (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائيلَ على مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) قال : فالتوراة مثل القرآن ، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم ، وكفرتم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : أناس يزعمون أن شاهدا من بنى إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ؛ وقد أخبرنى مسروق أن آل حم ، إنما نزلت بمكة ، وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فقال : (أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) يعنى القرآن (وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائيل عَلى مِثْلِهِ) فآمن موسى ومحمد عليهما السلام على الفرقان .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، عن الشعبىّ ، قال : إن ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله : عبد الله بن سلام ، وأنا أعلم بذلك ، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة ، وقد أخبرنى مسروق أن ا ل حم إنما نزلت بمكة ، وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ، فقال : (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) يعنى الفرقان (وشهدشاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ) فمثل التوراة الفرقان ، التوراة شهد عليها موسى ، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلية ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، فى قوله (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) الآية ، قال : كان إسلام ابن سلام بالمدينة ، ونزلت هذه السورة بمكة ، إنما كانت خصومة بين محمد عليه السلام وبين قومه ، فقال : (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ

اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ على مِثْلِهِ) قال : التوراة مثل الفرقان ، وموسى مثل محمد ، فآمن به واستكبرتم ، ثم قال : آمن هذا الذى من بنى إسرائيل بنبيه وكتابه ، واستكبرتم أنتم ، فكذّبتم أنتم نبيكم وكتابكم ، (إنَّ اللهَ لا يَهْدِي) . . . إلى قوله (هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ) .

وقال آخرون : عنى بقوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) عبد الله بن سَلام ، قالوا ومعنى الكلام : وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق . قالوا : ومثل القرآن التوراة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف التِّنِّيسى ، قال : سمعت مالك بن أنس يحدّث عن أبى النضر ، عن عامر بن سعد بن أبى وقّاص ، عن أبيه ، قال : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سلام ؛ قال : وفيه نزلت (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) .

حدثنا الحسين بن علىّ الصُّدَائىّ ، قال : ثنا أبو داود الطيالسىّ ، قال : ثنا شعيب بن صفوان ، قال : ثنا عبد الملك بن عُمير : أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : قال عبد الله : أنزل فىّ (قُلْ أرَأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) . . . إلى قوله (فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) .

حدثنى علىّ بن سعيد بن مسروق الكندىّ ، قال : ثنا أبو محمد يحيى بن يَعْلَى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أخى عبد الله بن سَلام ، قال : قال عبد الله بن سَلام : نزلت فىّ (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ أرَأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) . . . الآية ، قال : كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنا نجده فى التوراة ، وكان أفضل رجل منهم ، وأعلمهم بالكتاب ، فخاصمت اليهودُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتَرْضَوْنَ أنْ يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ أتُؤْمِنُونَ ؟ قالوا : نعم ، فأرسل إلى عبد الله بن سلام ، فقال : أتَشْهَدُ أنّى رَسُولُ اللهِ مَكْتُوبا فِى التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ ، قال : نعم ، فأعرضت اليهود ، وأسلم عبدالله بن سلام ، فهو الذى قال الله جلّ ثناؤه (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) يقول : فآمن عبد الله ابن سلام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) قال : عبد الله بن سَلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أرَأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) . . الآية ، كنا نحدّث أنه عبد الله بن سَلام ، آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام ، وكان من أحبار اليهود .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَوْر ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) ؟ قال : هو عبد الله بن سلام .

حُدِّثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) الشاهد : عبد الله بن سلام ، وكان من الأحبار من علماء بنى إسرائيل ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود ، فأتوه ، فسألهم فقال : أتَعْلَمُونَ أنّى رَسُولُ اللهِ ، تَجِدُونَنِى مَكْتُوبا عِنْدَكُمْ فِى التَّوْرَاةِ ؟ قالوا : لانعلم ما تقول ، وإنا بما جئت به كافرون ، فقال : أىّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ عِنْدَكُمْ ؟ قالوا : عالمنا وخيرنا ، قال : أتَرْضَوْنَ بِهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ؟ قالوا : نعم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن سلام ، فجاءه ، فقال : ما شَهادَتُكَ يا بْنَ سَلامٍ ؟ قال : أشهد أنك رسول الله ، وأن كتابك جاء من عند الله ، فآمن وكفروا ، يقول الله تبارك وتعالى (فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أنه لما أراد عبد الله بن سَلام أن يُسْلم قال : يا رسول الله ، قد علمت اليهود أنى من علمائهم ، وأن أبى كان من علمائهم ، وإنى أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، فأرسل إلى فلان وفلان : ومن سماه من اليهود ، واخبأنى فى بيتك ، وسلهم عنى ، وعن أبى ، فإنهم سيحدّثونك أنى أعلمهم ، وأن أبى من أعلمهم ، وإنى سأخرج إليهم ، فأشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ ، قال : ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخبأه فى بيته وأرسل إلى اليهود ، فدخلوا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا أعلمنا نفسا . وأعلمنا أبا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيْتُمْ إنْ أسْلَمَ تُسْلِمُونَ ؟ قالوا لايُسْلِم ، ثلاث مِرار ، فدعاه فخرج ، ثم قال : أشهد أنك رسول الله ، وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم فى التوراة ، وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ . فقالت اليهود : ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سَلام . قال : فخرجوا كفارا ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ ، وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِى إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) قال : هذا عبد الله بن سَلام ، شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حقّ ، وهو فى التوراة حقّ ، فآمن واستكبرتم .

حدثنى أبو شرحبيل الحمصىّ ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعىّ ، قال : انطلق النبىّ صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة ، يومَ عيد لهم ، فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مَعْشَرَ اليَهُودِ ، أرُونِى اثْنَى عَشَرَ رَجُلاً يَشْهَدُونَ أنَّهُ لاإلَهَ إلا هُوَ ، وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ

الله ، يَحْبِطُ اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السماءِ الغَضَبَ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ ، قال : فأسكتوا ، فما أجابه منهم أحد ، ثم ثلَّث فلم يُجِبه أحد ، فانصرف وأنا معه ، حتى إذا كدنا أن نخرج ، نادى رجل من خَلْفنا : كما أنت يامحمد ، قال : فأقبل ، فقال ذلك الرجل : أيَّ رجل تُعْلِمونى فيكم يامعشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ، ولا أفقه منك ، ولا من أبيك ، ولا من جدّك قبل أبيك ، قال : فإنى أشهد بالله أنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، الذى تجدونه فى التوراة والأنجيل . قالوا : كذبت ، ثم ردّوا عليه قوله ، وقالوا له شرّا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَذَبْتُمْ لَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُمْ ، أمَّا آنِفا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ ما أثْنَيْتُمْ ، وأمَّا إذْ آمَنَ كَذَبْتُمُوهُ ، وَقُلْتُمْ ما قُلْتُمْ ، فَلَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُمْ ، قال : فخرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ، وعبد الله بن سَلَام ، فأنزل الله فيه : (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ) . . . الآية .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن الذى قاله مسروق فى تأويل ذلك ، أشبه بظاهر التنزيل ، لأن قوله (قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) ، فى سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركى قريش ، واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر ، فتُوجَّه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت ، ولادلّ على انصراف الكلام عن قَصَص الذين تقدّم الخبر عنهم معنى ، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن ذلك عُنِى به عبدُ الله بن سَلَام ، وعليه أكثر أهل التأويل ، وهم كانوا أعلم بمعانى القرآن ، والسبب الذى فيه نزل ، وما أريد به ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك ، وشهد عبد الله بن سلام ، وهو الشاهد من بنى إسرائيل على مثله ، يعنى على مثل القرآن ، وهو التوراة ، وذلك شهادته أن محمدا مكتوب فى التوراة أنه نبىّ ، تجده اليهود مكتوبا عندهم فى التوراة ، كما هو مكتوب فى القرآن أنه نبىّ .

وقوله (فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ) يقول : فآمن عبد الله بن سَلَام ، وصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، واستكبرتم أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشرَ اليهود (إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : إن الله لا يوفِّق لإصابة الحقّ ، وهَدْى الطريق المستقيم ، القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخطَ الله بكفرهم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ، وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ، للذين آمنوا به ، لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا ، ماسبقتمونا إلى التصديق به ، وهذا التأويل على مذهب

من تأوّل قوله (وشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ على مِثْلِهِ) أنه معنىّ به عبد الله بن سَلاَم ، فأما على تأويل من تأوّل أنه عنى به مشركو قريش ، فإنه ينبغى أن يوجّه تأويل قوله : (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرًا ما سَبَقُونا إلَيْهِ) أنه عُنِى به مشركو قريش ، وكذلك كان يتأوّله قتادة ، وفى تأويله إياه كذلك ، ترك منه تأويله ، قوله (وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ) أنه معنىّ به عبد الله بن سَلاَم .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرًا ما سَبَقُونا إلَيْهِ) قال : قال ذاك أناس من المشركين : نحن أعزّ ، ونحن ونحن ، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان ، فإن الله يختصّ برحمته من يشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرًا ما سَبَقُونا إلَيْهِ) قال : قد قال ذلك قائلون من الناس ، كانوا أعزّ منهم فى الجاهلية ، قالوا : والله لو كان هذا خيرا ، ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان ، ويختصّ الله برحمته من يشاء ، ويكرم الله برحمته من يشاء ، تبارك وتعالى .

وقوله (وَإذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ) يقول تعالى ذكره : وإذ لم يُبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى ، فيرشُدوا به الطريق المستقيم (فَسَيَقُولُونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ) يقول : فسيقولون هذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأوّلين قديمة ، كما قال جلّ ثناؤه مخبرا عنهم ، (وَقالُوا أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها ، فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ، لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ، وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومن قبل هذا الكتاب ، كتاب موسى ، وهو التوراة ، إماما لبنى إسرائيل ، يأتمون به ، ورحمة لهم أنزلناه عليهم . وخرج الكلام مَخْرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر ، اكتفاء بدلالة الكلام على تمامه ؛ وتمامه : (ومِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسَى إماماً ورَحْمَةً) أنزلناه عليه ، وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا .

اختلف فى تأويل ذلك ، وفى المعنى الناصب (لِسانًا عَرَبِيًّا) أهلُ العربية ، فقال بعض نحويّى البصرة : نصب اللسان والعربىّ ، لأنه من صفة الكتاب ، فانتصب على الحال ، أو على فعل مضمر ، كأنه قال : أعنى لسانا عربيا . قال : وقال بعضهم على (مصدق) جعل الكتاب مصدق اللسان ، فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال ، وجعله من صفة الكتاب ، ينبغى أن يكون تأويل الكلام : وهذا كتاب بلسان عربىّ

مصدّق التوراة كتابِ موسى ، بأن محمد لله رسول ، وأن ما جاء به من عند الله حقّ . وأما القول الثانى الذى حكيناه عن بعضهم ، أنه جعل الناصب للسان مصدّق ، فقول لامعنى له ، لأن ذلك يصير إذا يُؤَوّل كذلك، إلى أن الذى يصدق القرآن نفسه ، ولامعنى لأن يقال : وهذا كتاب يصدّق نفسه ، لأن اللسان العربىّ هو هذا الكتاب ، إلا أن يجعل اللسان العربىّ محمدا عليه السلام ، ويوجه تأويله إلى : وهذا كتاب، وهو القرآن يصدّق محمدا ، وهو اللسان العربىّ ، فيكون ذلك وجها من التأويل .

وقال بعض نحوِيّى الكوفة : قوله (لِسانا عَرَبِيًّا) من نعت الكتاب ، وإنما نُصب لأنه أريد به : وهذا كتاب يصدّق التوراة والإنجيل لسانا عربيا ، فخرج لسانا عربيا مِن يصدّق ، لأنه فعل ، كما تقول: مررت برجل يقوم محسنا، ومررت برجل قائم محسنا، قال: ولو رفع لسان عربىّ، جاز على النعت للكتاب .

وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود ، وهذا كتاب مصدّق لما بين يديه لسانا عربيا ، فعلى هذه القراءة يتوجه النصب فى قوله (لِسانا عَرَبِيًّا) من وجهين : أحدهما على ما بيَّنت من أن يكون اللسان خارجا من قوله (مُصَدِّقٌ) ، والآخر : أن يكون قطعا من الهاء التى فى بين يديه .

والصواب من القول فى ذلك عندى: أن يكون منصوبا على أنه حال مما فى مصدّق من ذكر الكتاب، لأن قوله (مُصَدِّقٌ) فعل ، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبىّ مرسل لسانا عربيا .

وقوله (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : لينذر هذا الكتاب الذى أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ، بعبادتهم غيره .

وقوله (وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) يقول: وهو بشرى للذين أطاعوا الله ، فأحسنوا فى إيمانهم وطاعتهم إياه فى الدنيا ، فحسن الجزاء من الله لهم فى الآخرة على طاعتهم إياه . وفى قوله (وَبُشْرَى) وجهان من الإعراب : الرفع على العطف على الكتاب بمعنى : وهذا كتاب مصدّق وبُشْرى للمحسنين ، والنصب على معنى : لينذِر الذين ظلموا ويبشر ، فإذا جعل مكان يبشر وبُشرى أو وبشارة، نصبت ، كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك، وقضاء لحقك ، بمعنى لأزورك وأكرمك ، وأقضى حقك، فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر .

واختلفت القرّاء فى قراءة (لِيُنْذِرَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز (لِتُنْذِرَ) بالتاء بمعنى : لتنذر أنت يامحمد ، وقرأته عامة قرّاء العراق بالياء بمعنى : لينذر الكتاب ، وبأىّ القراءتين قرأ ذلك القارئ فصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : (إنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ) الذى لاإله غيره (ثُمَّ اسْتَقامُوا) على تصديقهم

بذلك، فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله فى أمره ونهيه (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من فزع يوم القيامة وأهواله. (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم.

وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها (خالِدِينَ فِيها) يقول: ماكثين فيها أبدا (جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول: ثوابا منا لهم، آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة، التى كانوا فى الدنيا يعملونها.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا، وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا، حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ، وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ، إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ، وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن فى صحبته إياهما أيام حياتهما، والبرّ بهما فى حياتهما، وبعد مماتهما.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حُسْنا) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (حُسْنا) بضمّ الحاء، على التأويل الذى وصفت. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إحْسانا) بالألف، بمعنى: ووصيناه بالإحسان إليهما، وبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب، لتقارب معانى ذلك، واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى القراء.

وقوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها) يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا برّا بهما، لما كان منهما إليه حملا ووليدا وناشئا. ثم وصف جلّ ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه فى حال حمله ووضعه، ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) يعنى فى بطنها (كُرْها)، يعنى مشقة، (وَوَضَعَتْهُ كُرْها) يقول: وولدته كرها، يعنى مشقة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها) يقول: حملته مشقة، ووضعته مشقة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن، فى قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها) قالا: حملته فى مشقة، ووضعته فى مشقة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها) قال: مشقة عليها.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كُرْها) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (كَرْها) بفتح الكاف. وقرأته

عامة قرّاء الكوفة (كُرْها) بضمها ، وقد بيّنت اختلاف المختلفين فى ذلك قبل إذا فتح ، وإذا ضمّ فى سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا) يقول تعالى ذكره : وحمل أمه إياه جنينا فى بطنها ، وفصالها إياه من الرضاع ، وفطمها إياه ، شرب اللبن ثلاثون شهرا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَفِصَالُهُ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير الحسن البصرىّ : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ) بمعنى : فاصَلَتْه أمه فصالا ومفاصلة . وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرؤه : (وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ) بفتح الفاء بغير ألف ، بمعنى : وفصل أمه إياه .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وشذوذ ما خالفه .

وقوله (حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ) اختلف أهل التأويل فى مبلغ حدّ ذلك من السنين ، فقال بعضهم : هو ثلاث وثلاثون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أشدّه : ثلاث وثلاثون سنة ، واستواؤه أربعون سنة ، والعمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ) قال : ثلاثا وثلاثين .

وقال آخرون : هو بلوغ الحلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : الأشدّ : الحلم إذا كتبت له الحسنات ، وكتبت عليه السيئات .

وقد بيّنا فيما مضى الأشدّ جمع شدّ ، وأنه تناهى قوّته واستوائه . وإذا كان ذلك كذلك ، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم ، لأن المرء لا يبلغ فى حال حُلمه كمال قواه ، ونهاية شدّته ، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام ، فعطفت ببعض على بعض ، جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه ، كما قال جلّ ثناؤه : (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) ولا تكاد تقول : أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله ، ولا أخذت قليلا من مال أو كله ، ولكن تقول : أخذت عامة مالى أو كله ، فكذلك ذلك فى قوله (حتى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً) لاشكّ أن نسق

الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يُراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر، من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة .

وقوله (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسَتَّير عنه جهالة شبابه، وعرف الواجب لله من الحقّ فى برّ والديه .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) وقد مضى من سيئ عمله .

حدثنا ابن عبدالأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى) حتى بلغ (مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وقد مضى من سيئ عمله ما مضى .

وقوله (قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ) يقول تعالى ذكره : قال هذا الإنسان الذى هداه الله لرشده، وعرف حقّ الله عليه فيما ألزمه من برّ والديه (رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) يقول : أَغْرِنى بشكر نعمتك التى أنعمت علىّ فى تعريفك إياى توحيدك، وهدايتك لى للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك (وَعَلَى وَالِدَىَّ) من قبلى، وغير ذلك من نعمك علينا، وألهمنى ذلك . وأصله من وزعت الرجل على كذا : إذا دفعته عليه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك، ما حدثنى به يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) قال : اجعلنى أشكر نعمتك، وهذا الذى قاله ابن زيد فى قوله : (رَبِّ أَوْزِعْنِى) وإن كان يئول إليه معنى الكلمة، فليس بمعنى الإيزاع على الصحة .

وقوله (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) يقول تعالى ذكره : أوزعنى أن أعمل صالحا من الأعمال التى ترضاها، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى) يقول : وأصلح لى أمورى فى ذرّيتى الذين وهبتهم بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مَرْضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه ! جلّ ثناؤه بالبرّ بالآباء والأمهات والبنين والبنات . وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

وقوله (إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الإنسان : (إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ) يقول : تبت من ذنوبى التى سلفت منى فى سالف أيامى إليك . (وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ) : يقول : وإنى من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)

(١) لعله فوصاه .

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم ، هم الذين يُتقبل عنهم أحسنُ ماعملوا فى الدنيا من صالحات الأعمال ، فيجازيهم به ، ويثيبهم عليه (وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ) يقول : ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، فلا يعاقبهم عليها (فِي أَصْحابِ الجَنَّةِ) يقول : نفعل ذلك بهم فعلَنا مثل ذلك فى أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغِطْريف ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين ، قال : « يُؤْتَى بِحَسَناتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ ، فَيُقْتَصُّ بَعْضُها ببَعْضٍ ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَسَّعَ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ » ، قال : فدخلت على يزداد ، فحدّث بمثل هذا الحديث ، قال : قلت : فإن ذهبت الحسنة ؟ قال : (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : دعا أبو بكر عمر رضى الله عنهما ، فقال له : إنى أوصيك بوصية أن تحفظها : إن لله فى الليل حقا لايقبله بالنهار ، وبالنهار حقا لايقبله بالليل ، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدّى الفريضة ، إنه إنما ثقُلت موازين من ثقُلَت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحقّ فى الدنيا ، وثقُل ذلك عليهم ، وحُقّ لميزان لايوضع فيه إلا الحقّ أن يثقل ، وخفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة ، لاتباعهم الباطل فى الدنيا ، وخفته عليهم ، وحقّ لميزان لايوضع فيه إلا الباطل أن يخف ؛ ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، فيقول قائل : أين يبلغ عملى من عمل هؤلاء ، وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده ، ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسوإ أعمالهم ، حتى يقول قائل : أنا خير عملا من هؤلاء ، وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم ، ألم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الشدّة عند آية الرخاء ، وآية الرخاء عند آية الشدّة ، ليكون المؤمن راغبا راهبا ، لئلا يُلقِىَ بيده إلى التهلُكة ، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحقّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَنَتَجاوَزُ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (يُتَقَبَّلُ ، وَيُتَجاوَزُ) بضم الياء منهما ، على مالم يسمّ فاعله ، ورفع (أَحْسَنُ) . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (نَتَقَبَّلُ ، ونَتَجاوَزُ) بالنون وفتحها ، ونصب (أحسنَ) على معنى إخبار الله جل ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم ، وردّا للكلام على قوله (وَوَصَّيْنا الإنْسانَ) ، ونحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز ، وهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كانُوا يُوعَدُونَ) يقول : وعدهم الله هذا الوعد ، وَعْدَ الحقّ ، لاشك فيه أنه موف لهم به ، الذى كانوا إياه فى الدنيا يعدهم الله تعالى ، ونصب قوله (وَعْدَ الصِّدْقِ) لأنه مصدر خارج من قوله (يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا ، وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ) ، وإنما أخرج

من هذا الكلام مصدر وَعَدَ وَعْداً ، لأن قوله (يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ وَيَتَجاوَزُ) وعد من الله لهم ، فقال : وعد الصدق ، على ذلك المعنى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧)

وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر ، وبوالديه عاقّ ، وهما مجتهدان فى نصيحته ودعائه إلى الله ، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحقّ ، ونصيحتهما له إلا عتوّا وتمرّدا على الله ، وتماديا فى جهله ، يقول الله جلّ ثناؤه (وَالَّذِى قالَ لِوالِدَيْهِ) أن دعواه إلى الإيمان بالله ، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم ، ومجازاته إياهم بأعمالهم (أُفٍّ لَكُما) يقول : قذرا لكما ونتنا (أَتَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) يقول : أتعداننى أن أخرج من قبرى من بعد فنائى وبلائى فيه حيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَتَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) أن أُبعث بعد الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَتَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) قال : يعنى البعث بعد الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِى قال لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِى) . . . إلى آخر الآية ؛ قال : الذى قال هذا ابن لأبى بكر رضى الله عنه ، قال : (أَتَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) : أتعداننى أن أُبعث بعد الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَالَّذِى قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما أَتَعِدانِنِى أَنْ أُخْرَجَ) قال : هو الكافر الفاجر العاقّ لوالديه ، المكذب بالبعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا ، فقال : والذى قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما) . . . إلى قوله (أساطِيرُ الأَوَّلِينَ) .

وقوله (وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِى) يقول : أتعداننى أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلى ، فهلكوا ، فلم يَبْعث منهم أحدا ، ولو كنت مبعوثا بعد وفاتى كما تقولان ، لكان قد بُعث من هلك قبلى من القرون (وَهُما يَسْتَغِيثانِ اللهَ) يقول تعالى ذكره : ووالداه يستصرخان الله عليه ، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ، ويقرّ بالبعث ويقولان له : (وَيْلَكَ آمِنْ) ، أى صدّق بوعد الله ، وأقرّ أنك مبعوث من بعد وفاتك ، إن وعد الله الذى وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم ، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب ، لمجازاتهم بأعمالهم ، حقّ لاشكّ فيه ، فيقول عدوّ الله مجيبا لوالديه ، وردّا عليهما نصيحتهما ، وتكذيبا بوعد

الله : ما هذا الذى تقولان لى وتدعوانى إليه من التصديق بأنى مبعوث من بعد وفاتى من قبرى ، إلا ماسطره الأوّلون من الناس من الأباطيل ، فكتبوه ، فأصبتماه أنتما فصدّقتما .

القول فى تأويل قوله تعالى

أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ (١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم ، الذين وجب عليهم عذاب الله ، وحلّت بهم عقوبته وسخطه ، فيمن حلّ به عذاب الله ، على مثل الذى حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس ، الذين كذّبوا رسل الله ، وعتَوْا عن أمر ربهم .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ) يقول تعالى ذكره : إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : الجنّ لايموتون ، قال قتادة : فقلت (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) . . . الآية .

وقوله (وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) يقول تعالى ذكره : ولكلّ هؤلاء الفريقين : فريق الإيمان بالله واليوم الآخر ، والبرّ بالوالدين ، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر ، وعقوق الوالدين ، اللذين وصف صفتهم ربنا عزّ وجلّ فى هذه الآيات ، منازل ومراتب عند الله يوم القيامة ، مما عملوا ، يعنى من عملهم الذى عملوه فى الدنيا من صالح وحسن ، وسيئ يجازيهم الله به .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا) قال : دَرَج أهل النار يذهب سفالا ، ودَرَج أهل الجنة يذهب علوّا . (وَلِيُوَفِّيَهُمْ أعمالَهُمْ) : يقول جلّ ثناؤه : وليعطى جميعهم أجور أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، المحسن منهم بإحسانه ، ما وعد الله من الكرامة ، والمسىء منهم بإساءته ، ما أعدّه من الجزاء (وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) يقول : وجميعهم لايظلمون : لايجازَى المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه ، لاعلى ما لم يعمل ، ولا يحمل عليه ذنب غيره ، ولا يبخس المحسن منهم ثوابَ إحسانه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ : أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ، فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (عَلَى النَّارِ) يقال لهم : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ، وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) فيها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا على النَّارِ) قرأ يزيد حتى بلغ (وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) تعلمون . والله إن أقواما يَسْتَرْطون حسناتهم . استبقى رجل طيباته إن استطاع ، ولا قوّة إلا بالله . ذُكر أن عمر بن الخطاب كان يقول : لو شئت كنت أطيبكم طعاما ، وألينكم لباسا ، ولكنى أستبقى طيباتى . وذُكر لنا أنه لما قدم الشأم ، صُنِع له طعام لم ير قبله مثله ، قال : هذا لنا ، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟ قال خالد بن الوليد : لهم الجنة ، فاغرورقت عينا عمر ، وقال : لئن كان حظنا فى الحُطام ، وذهبوا - قال أبو جعفر : فيما أرى أنا - بالجنة ، لقد باينونا بونا بعيدا .

وذُكر لنا « أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصُّفة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين ، وهم يَرْقعون ثيابهم بالأَدَم ، ما يجدون لها رقاعا ، قال : أنتم اليوم خير ، أو يوم يغدو أحدكم فى حلة ، ويروح فى أُخرى ، ويغدى عليه بجفنة ، ويُراح عليه بأخرى ، ويستر بيته كما تستر الكعبة ، قالوا : نحن يومئذ خير ، قال : بل أنتم اليوم خير » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : حدثنا صاحب لنا عن أبى هريرة ، قال : « إنما كان طعامنا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم الأسودين : الماء ، والتمر ، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه ، ولا ندرى ما هى » .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى بردة بن عبد الله بن قيس الأشعرىّ ، عن أبيه ، قال : أى بنىّ لو شهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء ، حسبت أن ريحنا ريح الضأن ، إنما كان لباسنا الصوف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) . . . إلى آخر الآية ، ثم قرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ، وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ) ، وقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) ، وقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) . . . إلى آخر الآية ، وقال : هؤلاء الذين أذهبوا طيِّباتهم فى حياتهم الدنيا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أَذْهَبْتُمْ) بغير استفهام ، سوى أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأه بالاستفهام ، والعرب تستفهم بالتوبيخ ، وتترك الاستفهام فيه ، فتقول : أذهبت ففعلت كذا وكذا ، وذهبت ففعلت وفعلت . وأعجب القراءتين إلىّ ترك الاستفهام فيه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، ولأنه أفصح اللغتين .

وقوله (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا ، تجزون : أى تثابون عذاب الهُون ، يعنى عذاب الهوان ، وذلك عذاب النار الذى يهينهم .

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَذَابَ الْهُونِ) قال : الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يقول : بما كنتم تتكبرون فى الدنيا على ظهر الأرض على ربكم ، فتأبون أن تخلصوا له العبادة ، وأن تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحقّ ، أى بغير ما أباح لكم ربكم ، وأذن لكم به (وبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) يقول : بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصُونه .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد لقومك الرّادّين عليك ما جئتهم به من الحقّ هودا أخا عاد ، فإن الله بعثك إليهم كالذى بعثه إلى عاد ، فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذّبوا رسولنا هودا إليهم ، إذ أنذر قومه عادا بالأحقاف . والأحقاف : جمع حِقْف وهو من الرمل ما استطال ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وإياه عنى الأعشى :

فَبَاتَ إلى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ خَرِيقُ شَمَالٍ يَتْرُكُ الوَجْهَ أَقْتَمَا (١)

واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى به هذه الأحقاف ، فقال بعضهم : هى جبل بالشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ) قال : الأحقاف : جبل بالشام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ) : جبل يسمى الأحقاف .

وقال آخرون : بل هى واد بين عُمان ومَهْرة .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٩٥) وفى روايته : « يلوذ » فى موضع « فبات » ؛ من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى ، أو قيس بن معد يكرب . والضمير فى فبات راجع إلى الثور الوحشى الذى شبه به ناقته . فى أبيات سابقة . والأرطى : شجر ضخم ينبت فى الرمل ، واحدته : أرطاة . والحقف من الرمل : ما اعوج وانعطف . وجمعه : أحقاف . وهو موضع الشاهد فى البيت . والخريق : الريح الشديدة الهبوب . والشمال : ريح باردة تهب من ناحية الشام . يقول : يلجأ هذا الثور إلى أرطأة فى منعرج رمل ، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاء ، فتترك وجهه أغبر قاتما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال: فقال: الأحقاف الذى أنذر هود قومه، واد بين عمان ومهرة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت منازل عاد وجماعتهم، حيث بعث الله إليهم هودا الأحقاف: الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْت، فاليمن كله، وكانوا مع ذلك قد فَشَوْا فى الأرض كلها، قهروا أهلها بفضل قوّتهم التى آتاهم الله.

وقال آخرون: هى أرض.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأحقاف: الأرض.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال: حشاف أو كلمة تشبهها، قال أبو موسى: يقولون مستحشف.

حدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) حِشاف من حِسْمَى.

وقال آخرون: هى رمال مُشْرفة على البحر بالشِّحْر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) ذُكر لنا أن عادا كانوا حيًّا باليمن أهلَ رمل مشرفين على البحر، بأرض يقال لها الشِّحْر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال: بلَغَنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشِّحْر، مشرفين على البحر، وكانوا أهل رمل.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال، عن عمرو بن عبد الله، عن قتادة، أنه قال: كان مساكن عاد بالشِّحْر.

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة، كما قال العَجّاج:

بات إلى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا[1]

(١) لم أجد البيت فى ديوان العجاج المطبوع. والذى فى (اللسان: حقف): واحقوقف الرمل: إذا طال واعوج. واحقوقف الهلال: اعوج. وكل ما طال واعوج فقد احقوقف، كظهر البعير، وشخص القمر، قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفا فزلفا =

وكما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ) قال : الأحقاف : الرمل الذى يكون كهيئة الجبل، تدعوه العرب الحِقْف، ولا يكون أحقافا إلا من الرمل ، قال : وأخو عاد ، هود . وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم . وجائز أن يكون واديا بين عُمان وحَضْرَموت. وجائز أن يكون الشِّحْر ، وليس فى العلم به أداء فرض ، ولا فى الجهل به تضييع واجب ، وأين كان فصفته ما وصفنا ، من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة .

وقوله (وَقَدْ خَلَتَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) يقول تعالى ذكره : وقد مضت الرسل بانذار أممها (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) يعنى : من قبل هود ومن خلفه ، يعنى : ومن بعد هود . وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَقَدْ خَلَتَ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَمِنْ بَعْدِهِ : ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) يقول : لاتشركوا مع الله شيئا فى عبادتكم إياه ، ولكن أخلصوا له العبادة ، وأفردوا له الألوهة ، إنه لاإله غيره ، وكانوا فيما ذُكر أهلَ أوثان يعبدونها من دون الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَدْ خَلَتَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ) قال : لن يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله .

وقوله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه : إنى أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله فى يوم عظيم ، وذلك يوم يعظم هوله ، وهو يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : قالت عاد لهود ، إذ قال لهم لاتعبدوا إلا الله : إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم : أجئتنا ياهود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا ، إلى عبادة ماتدعونا إليه ، وإلى اتباعك على قولك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أجِئْتَنا لتأْفِكَنا عَن

= سماوة الهلال حتى احقوقفا

والمؤلف ساق هذا البيت شاهدا على أن الأحقاف : الرمال المستطيلة المشرفة ، كما قال العجاج : « بات . . . الخ » . وأصله من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٢) قال « إذ أنذر قومه بالأحقاف » : أحقاف الرمال . قال العجاج . . . البيت . أقول : ولست على يقين من صحة هذا الشاهد ، فإن أكثر ألفاظه من ألفاظ الشاهد الذى قبله ، فلعله اضطرب فى أفواه الرواة ، وتداخل مع سابقه .

آلهتنا) قال : لتزيلنا ، وقرأ (إنْ كادَ ليُضِلّنا عَنْ آلهتِنا لَوْلا أنْ صَبَرْنا عَلَيْها)، قال: تضلّنا وتزيلنا وتأفكنا (فأْتِنا بِمَا تَعِدُنا) من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة (إنْ كُنْتَ) من أهل الصدق فى قوله وعداته .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ :إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه عاد: (إنَّمَا العِلْمُ) بوقت مجىء ما أعِدُكم به من عذاب الله على كفركم به ، عند الله ، لاأعلم من ذلك إلا ما علمنى (وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ) يقول : وإنما أنا رسول إليكم من الله ، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلنى به من الرسالة (وَلَكِنِّى أرَاكُمْ قَوْما تَجْهَلُونَ) مواضع حظوظ أنفسكم ، فلا تعرفون ماعليها من المضرّة بعبادتكم غير الله ، وفى استعجال عذابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ، قَالُوا : هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءهم عذاب الله الذى استعجلوه ، فرأوه سحابا عارضا فى ناحية من نواحى السماء (مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ) والعرب تسمى السحاب الذى يُرَى فى بعض أقطار السماء عشيا ، ثم يصبح من الغد قد استوى ، وحبا بعضه إلى بعض عارضا ، وذلك لعرضه فى بعض أرجاء السماء حين نشأ ، كما قال الأعشى :

يا مَنْ يَرَى عارِضًا قَدْ بِتُّ أرْمُقُهُ كأنَّمَا البَرْقُ فى حافاتِهِ الشُّعَلُ[1]

(قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يَحْيَوْن به ، فقالوا : هذا الذى كان هودٌ يعدنا ، وهو الغيث .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا رأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ) . . . الآية ، وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا ، فلما رأوا العذاب مقبلا ، (قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) . وذُكر لنا أنهم قالوا : كذب هود كذب هود ؛ فلما خرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فشامه ، قال : (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أليمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ساق الله السحابة السوداء التى اختار قَيْلُ

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٧) وفى روايته : « أرقبه » فى موضع « أرمقه » ، وهما بمعنى أنظر إليه . والبيت الشاهد على أن معنى العارض السحاب المعترض فى السماء . قال فى (اللسان : عرض) والعارض : السحاب الذى يعترض فى أفق السماء . وفى التنزيل فى قصه قوم عاد : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا » أى قالوا : هذا الذى وعدنا به سحاب فيه الغيث . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (الورقة ٢٢٢) والعارض من السحاب : الذى يرى فى قطر من أقطار السماء من العشى ، ثم يصبح وقد حبا حتى استوى .

ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث ، فلما رأوها استبشروا ، (وقالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا) : يقول الله عزّ وجلّ : (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقوله (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه صلى الله عليه وسلم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب ، قد عرض لهم فى السماء : هذا عارض ممطرنا نحيا به ، ما هو بعارض غيث ، ولكنه عارض عذاب لكم ، بل هو ما استعجلتم به : أى هو العذاب الذى استعجلتم به ، فقلتم : (ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ، (رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ) . والريح مكرّرة على ما فى قوله (هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) كأنه قيل : بل هو ريح فيها عذاب أليم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : كان هود جلدا فى قومه ، وإنه كان قاعدا فى قومه ، فجاء سحاب مكفهرّ ، فـ (قالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) ، فقال : (بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ) قال : فجاءت ريح ، فجعلت تلقى الفسطاط ، وتجىء بالرجل الغائب فتلقيه .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال سليمان ، ثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها ، حتى تُرى كأنها جرادة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هى الريح إذا أثارت سحابا ، (قالُوا هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا) ، فقال نبيهم : بل ريح فيها عذاب أليم .

القول فى تأويل قوله تعالى

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٥)

وقوله (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) : يقول تعالى ذكره : تخرّب كلّ شىء ، وترمى بعضه على بعض فتهلكه ، كما قال جرير[1] :

وكانَ لَكُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارًا[1]

(١) البيت ليس لجرير كما ورد فى الأصل ، وإنما هو للفرزدق ، من قصيدة فى ديوانه يرد بها على جرير ويناقضه . وهى فى ديوانه (طبعة الصاوى ٤٤٢) ، وأول القصيدة :

جَرَّ المُخَزِّياتِ عَلَى كُلَيْبٍ جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذِّمارَا

وكانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارَا

أى جلب على قومه الدمار والخراب .

يعنى بقوله : دمرهم : ألقى بعضهم على بعض صَرْعَى هَلكَى .

وإنما عنى بقوله (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بأمْرِ رَبها) مما أرسلت بهلاكه ، لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمى هذا ، فنزع خاتمه » .

وقوله (فَأصْبَحُوا لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) يقول : فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفَنَوْا ، فلا يُرى فى بلادهم شىء إلا مساكنهم التى كانوا يسكنونها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فأصْبَحُوا لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (لاتُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) بالتاء نصبا ، بمعنى : فأصبحوا لاتَرَى أنت يامحمد إلا مساكنهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) بالياء فى « يُرى » ، ورفع المساكن ، بمعنى : ما وصفت قبلُ أنه لايرى فى بلادهم شىء إلا مساكنهم . وروى الحسن البصرىّ (لاتُرَى) بالتاء . وبأىّ القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرأ ذلك القارئ فمصيب ، وهو القراءة برفع المساكن إذا قُرئ قوله (يُرَى) بالياء وضمها وبنصب المساكن إذا قُرئ قوله (تَرَى) بالتاء وفتحها . وأما التى حُكيت عن الحسن ، فهى قبيحة فى العربية ، وإن كانت جائزة ، وإنما قبحت لأن العرب تُذَكِّرُ الأفعال التى قبلَ إلاّ وإن كانت الأسماء التى بعدها أسماء إناث ، فتقول : ما قام إلا أختك ، ما جاءنى إلا جاريتك ، ولا يكادون يقولون : ما جاءتنى إلا جاريتك ، وذلك أن المحذوف قبل إلا « أحد » أو شىء ، وأحد وشىء يُذَكِّرُ فعلهما العرب ، وإن عُنِى بهما المؤنث ، فتقول : إن جاءك منهنّ أحد فأكرمه ، ولا يقولون : إن جاءتك ، وكان الفرّاء يجيزها على الاستكراه ، ويذكر أن المفضل أنشده :

وَنارُنا لَمْ تُرَ نارًا مِثْلُها　　قَدْ عَلِمَتْ ذاكَ مَعَدّ أكْرَمَا[1]

فأنث فعل مثل ، لأنه للنار ، قال : وأجود الكلام أن تقول : ما رؤى مثلها .

وقوله (كَذَلكَ نَجْزِى القَوْمَ المُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب فى عاجل الدنيا ، فأهلكناهم بعذابنا ، كذلك نجزى القوم الكافرين بالله من خلقنا ، إذ تمادَوا فى غيهم ، وطَغَوا على ربهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٣) استشهد به عند قوله تعالى « فأصبحوا لاترى إلا مساكنهم » فقال إنها قرئت بالتاء أو بالياء مضمومة (مع بناء الفعل للمجهول) . ووصف القراءة بالتاء المضمومة بأن فيها قبحا ؛ قال : لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه ، فقالوا : لم يقم إلا جاريتك ، وما قام إلا جاريتك ، ولا يكادون يقولون : ما قامت إلا جاريتك ، وذلك أن المتروك (المستثنى منه) أحد أو شىء ، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلها مذكر ؛ ألا ترى أنك تقول إن قام أحد منهن فاضربه ، ولا تقول : إن قامت إلا مستكرها ، وهو على ذلك جائز ؛ قال : أنشدنى المفضل : « ونارنا . . . البيت » . فأنث فعل مثل ، لأنه للنار ، وأجود الكلام أن تقول : ما رؤى مثلها . قلت : وقوله « أكرما » نعت لنارا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً، فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ، إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ، وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكّنا أيها القوم، عادا الذين أهلكناهم بكفرهم، فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذى لم نعطكم منهم، من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدّة الأبدان. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنى أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) يقول: لم نمكنكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ): أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا) يسمعون به مواعظ ربهم، وأبصارا يبصرون بها حُجج الله، وأفئدة يعقلون بها ما يضرّهم وينفعهم (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أُعْطُوها له، ولم يُعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله، ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه (إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ) يقول: إذ كانوا يكذّبون بحجج الله وهم رُسله، وينكرون نبوّتهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول: وعاد عليهم ما استهزءوا به، ونزل بهم ما سخروا به، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش، يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، ما حلّ بعاد، وبادروا بالتوبة قبل النقمة.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ، وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره لكفار قريش، محذّرهم بأسه وسَطْوته، أن يَحِلّ بهم على كفرهم: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا)

أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم ، كحِجْر ثمود، وأرض سَدُومَ ومأربَ ونحوها ، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات ، وخرّبنا ديارها ، فجعلناها خاوية على عروشها .

وقوله (وَصَرَّفْنا الآياتِ) يقول : ووعظناهم بأنواع العظات، وذكّرناهم بضروب من الذِّكَر والحجج ، وبيَّنا لهم ذلك .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَصَرَّفْنا الآياتِ) قال بيَّناها (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يقول : ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين، من الكفر بالله وآياته، وفى الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو : فأَبَوا إلا الإقامة على كفرهم ، والتمادىَ فى غيهم ، فأهلكناهم ، فلن ينصرهم منا ناصر . يقول جلّ ثناؤه : فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم، أوثانُهم وآلهتُهم التى اتخذوا عبادتها قربانا يتقرّبون بها فيما زعموا إلى ربهم منا، إذ جاءهم بأسنا، فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم ، كما يزعمون، وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مُشركى قومه ، يقول لهم : لو كانت آلهتكم التى تعبدون من دون الله تغنى عنكم شيئا ، أو تنفعكم عند الله ، كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها لتقرّبكم إلى الله زلفى ، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التى أهلكتها بعبادتهم إياها ، فدفعت عنها العذاب إذا نزل ، أو لشفعت لهم عند ربهم ، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذى عليه أنتم ، ولكنها ضرّتهم ولم تنفعهم : يقول تعالى ذكره: بل ضَلُّوا عنهم : يقول : بل تركتهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، فأخذت غير طريقهم ، لأن عبدتها هلكت ، وكانت هى حجارة أو نُحاسا، فلم يصبها ما أصابهم ودَعَوْها ، فلم تجبهم، ولم تغثهم، وذلك ضلالها عنهم ، وذلك إفكهم ، يقول عزّ وجلّ هذه الآلهة التى ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله، عند نزول بأس الله بهم، وفى حال طمعهم فيها أن تغيثهم ، فخذلتهم ، هو إفكهم : يقول : هو كذبهم الذى كانوا يكذّبون ، ويقولون هؤلاء آلهتنا، (وما كانوا يفترون) : يقول: وهو الذى كانوا يفترون، فيقولون: هى تقرّبنا إلى الله زُلفى ، وهى شفعاؤنا عند الله . وأخرج الكلام مُخْرَج الفعل، والمعنىّ المفعول به ، فقيل : وذلك إفكهم ، والمعنىّ فيه : المأفوك به، لأن الإفك إنما هو فعل الآفك ، والآلهة مأفوك بها . وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل . قال : وكذلك قوله (وَما كانُوا يَفْتَرُونَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَذَلِكَ إفْكُهُمْ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار ، وذلك إفكهم بكسر الألف ، وسكون الفاء ، وضم الكاف ، بالمعنى الذى بيَّنا .

ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هُشيم ، عن عوف ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها وذلك (أَفَكَهُمْ) يعنى بفتح الألف والكاف، وقال : أضلهم . فمن قرأ القراءة الأولى التى عليها قرّاء الأمصار ، فالهاء والميم فى موضع خفض . ومن قرأ هذه القراءة التى ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم فى موضع نصب ، وذلك أن معنى الكلام على ذلك ، وذلك صَرْفهم عن الإيمان بالله .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : القراءة التى عليها قَرَأَة الأمصار ، لإجماع الحجة عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ : أَنصِتُوا۟ ، فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره مقرّعا كفار قريش، بكفرهم بما آمنت به الجنّ (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ) يامحمد (نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذى حدث من رَجْمهم بالشُّهُب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جُبير ، قال : «كانت الجنّ تستمع ، فلما رُجموا قالوا: إن هذا الذى حدث فى السماء ، لشىء حدث فى الأرض، فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبىّ صلى الله عله وسلم خارجا من سوق عُكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جُبير ، قال: «لما بُعِث النبىّ صلى الله عليه وسلم حُرِست السماء، فقال الشيطان: ما حُرِست إلا لأمر قد حدث فى الأرض، فبعث سراياه فى الأرض، فوجدوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قائما يصلى صلاة الفجر بأصحابه بنَخْلة ، وهو يقرأ ، فاستمعوا حتى إذا فرغ (وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) . . . إلى قوله (مُسْتَقِيمٍ)» .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، «قوله (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) ... إلى آخر الآية ، قال : لم تكن السماء تُحرَسُ فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حُرِست السماء حَرَسا شديدا ، ورُجمت الشياطين ، فأنكروا ذلك ، وقالوا: (لانَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حَدَث ، واجتمعت إليه الجنّ ، فقال : تفرّقوا فى الأرض، فأخبرونى ما هذا الخبر الذى حدث فى السماء ، وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين ، وهى أشراف الجنّ وساداتهم ، فبعثهم الله إلى تهامة فاندفعوا حتى بلغوا الوادى ، وادى نخلة ، فوجدوا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة ببطن نخلة ، فاستمعوا ؛ فلما سمعوه يتلو القرآن ، قالوا : أنصِتوا ، ولم يكن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن ؛ فلما قَضَى ولّوا إلى قومهم منذرين» .

واختلف أهل التأويل فى مبلغ عدد النفر الذين قال الله : (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) فقال بعضهم : كانوا سبعة نفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد ، قال : ثنا النضْر بن عربىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس

(وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) . . . الآية ، قال : كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسُلا إلى قومهم .

وقال آخرون : بل كانوا تسعة . نفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا تسعة نفر فيهم زَوْبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ بن حبيش ، قال : «أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة ، (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) قال : كانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة » .

وقوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ) يقول : فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل العلم فى صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتعرّفون الأمر الذى حدث من قبله ما حدث فى السماء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر بمكانهم ، كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبلُ .

وكما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) قال : ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءوا ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه فيهم ، وأخبر عنهم .

وقال آخرون : بل أُمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن ، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم ، وأمره بقراءة القرآن عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ) قال : «ذكر لنا أنهم صُرِفوا إليه من نِينَوَى ، قال : فإن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ ، فأيكم يتبعنى ؟ فأَطْرقوا ، ثم استتبعهم فأطْرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا ؛ فقال رجل : يا رسول الله ، إنك لذو بدئة [1] ، فاتبعه عبد الله بن مسعود ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحَجُون . قال : وخَطَّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خَطًّا ليثبته به ، قال : فجعلت تهوى بى وأرى أمثال النسور تمشى فى دُفوفها ، وسمعت لَغَطا شديدا ، حتى خفت على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تلا القرآن ؛ فلما رجع نبيّ الله قلت : يا نبيّ الله ، ما اللغَط الذى سمعتُ ؟ قال : اجتمعوا إلىّ فى قتيل كان بينهم ، فقُضِى بينهم بالحقّ » . ذُكر لنا أن ابن مسعود لما قَدِم الكوفة ، رأى شيوخا شُمطا من الزِّطّ ، فراعوه ، قال : مَنْ هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء نفر من الأعاجم ، قال : ما رأيت للذين قرأ عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم الإسلام من الجنّ شَبَهًا أدنى من هؤلاء .

(١) فى ابن كثير « لذوندبة » ، وكأن الرجل يتعجب من نشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسراعه لما ندب أصحابه إليه فأحجموا . ولعله مأخوذ من قولهم « رجل ندب » أى خفيف سريع فى الحاجة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ ، فخطّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطّا ، ثم قال له : لاتخرج منه ، ثم ذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الجنّ ، فقرأ عليهم القرآن ، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال : هل رأيت شيئا ؟ قال : سمعت لغطا شديدا ، قال : إن الجنّ تدارأت فى قتيل قُتل بينها ، فقُضِي بينهم بالحق ، وسألوه الزاد ، فقال : كل عظم لكم عرق ، وكل روث لكم خُضْرة ، قالوا : يارسول الله تقذّرها الناس علينا ، فنهى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بأحدهما » . فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزُّطّ ، وهم قوم طوال سود ، فأفزعوه ، فقال : أظَهَرُوا ؟ فقيل له : إن هؤلاء قوم من الزُّطّ ، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر . عن يحيى بن أبى كثير ، عن عبد الله بن عمرو بن غَيلانَ الثقفيّ ، أنه قال لابن مسعود : حُدِّثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجنّ ، قال : أجَل ، قال : فكيف كان ؟ فذكر الحديث كله . وذُكِر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خط عليه خطا وقال : لاتبرح منها ، فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذُعِر ثلاث مرّات ، حتى إذا كان قريبا من الصبح ، أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنِمْتَ ؟ قلت : لا والله ، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس ، حتى سمعتك تقرعهم بعصاك ، تقول : اجلسوا ، قال : لوخرجتَ لم آمن أن يختطفك بعضهم ، ثم قال : هل رأيت شيئا ؟ قال : نعم رأيت رجالا سودا مستشعرى ثياب بيض ، قال : أولئك جنّ نصيبين ، سألونى المتاع ، والمتاع الزاد ، فمتعتهم بكلّ عظم حائل ، أو بعرة أو رَوْثة ، فقلت : يارسول الله ، وما يغنى ذلك عنهم ؟ قال : إنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَظْما إلا وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَهُ يَوْمَ أُكِلَ ، وَلا رَوْثَةً إلا وَجَدُوا فيها حَبَّها يَوْمَ أُكِلَتْ ، فَلا يَسْتَنْقِيَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ إذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ بِعَظْمٍ وَلا بَعْرَةٍ وَلا رَوْثَةٍ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا أبو زُرْعة وهب بن راشد ، قال : قال يونس ، قال ابن شهاب : أخبرنى أبو عثمان بن شَبَّة الخزاعىّ ، وكان من أهل الشام ، أن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة : « مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أنْ يَحْضُرَ أمْرَ الجِنّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ ، فلم يحضر منهم أحد غيرى ، قال : فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، خطّ لى برجله خطّا ، ثم أمرنى أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فغشيته أسودة كبيرة ، حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قِطع السحاب ذاهبين ، حتى بقى منهم رهط ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر ، فانطلق متبرّزا ، ثم أتانى فقال : ما فَعَلَ الرَّهْطُ ؟ قلت : هم أولئك يا رسول الله ، فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة ، فأعطاهم إياه زادا ، ثم نَهَى أن يستطيب أحد بعظم أو روث » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبى عثمان بن شبة الخزاعىّ ، وكان من أهل الشأم « أن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله سواء ، إلا أنه قال : فأعطاهم رَوْثا أو عظما زادا ، ولم يذكر الجُمْجمة » .

حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبرنى يونس ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله : أن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بِتُّ اللَّيْلَةَ أقْرَأُ عَلَى الجِنّ رُبُعا بالحَجُونِ » .

واختلفوا فى الموضع الذى تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن ، فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحَجُون ، وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك .

وقال آخرون : قرأ عليهم بنخْلة ، وقد ذكرنا بعض من قال ذلك ، ونذكر من لم نذكره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا خلاد ، عن زهير بن معاوية ، عن جابر الجعفىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن النفر الذين أتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنّ نصيبين أتوه وهو بنخلة » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنّ) قال : لقيهم بنخلة ليلتئذ .

وقوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا) يقول تعالى ذكره : فلما حضروا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ، قال بعضهم لبعض : أنصتوا لنستمع القرآن .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا) قالوا : صَهْ .

قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ بن حُبَيْش ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا) قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا .

وقوله (فَلَمَّا قُضِيَ) يقول : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراءة وتلاوة القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَلَمَّا قُضِيَ) يقول : فلما فَرَغ من الصلاة (وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) . وقوله (وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) يقول : انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به .

وذُكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا إلى قومهم .

حدثنا بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، قال : ثنا النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وهذا القول خلاف القول الذى رُوى عنه أنه قال : لم يكن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن ، لأنه محال أن يرسلهم إلى آخرين إلا بعد علمه بمكانهم ، إلا أن يقال : لم يعلم

بمكانهم فى حال استماعهم للقرآن ، ثم علم بعدُ قبلَ انصرافهم إلى قومهم ، فأرسلهم رسلا حينئذ إلى قومهم ، وليس ذلك فى الخبر الذى رُوِى .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين صُرِفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنّ لقومهم ، لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا قَوْمَنا) من الجنّ (إنَّا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ) كتاب (مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : يصدّق ما قبله من كتب الله ، التى أنزلها على رُسُله[1] .

وقوله (يَهْدِى إلى الحَقِّ) يقول : يرشد إلى الصواب ، ويدلّ على ما فيه لله رضا (وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وإلى طريق لااعوجاج فيه ، وهو الإسلام .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : : ثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ (قالُوا يا قَوْمَنا إنَّا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ، مُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِى إلى الحَقِّ وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) فقال : ما أسرع ما عقل القوم ، ذُكر لنا أنهم صُرِفوا إليه من نينوى .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ : (يا قَوْمَنا) من الجنّ (أجِيبُوا داعِىَ اللهِ) قالوا : أجيبوا رسول الله محمدا إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله (وآمِنُوا بِهِ) يقول : وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه ، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به (يَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم ، فيسترها لكم ، ولا يفضحكم بها فى الآخرة ، بعقوبته إياكم عليها (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) يقول : وينقذكم من عذاب موجع ، إذا أنتم تبتم من ذنوبكم ، وأنبتم من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه .

وقوله (وَمَنْ لا يُجِبْ داعِىَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الأرْضِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم : ومن لايجب أيُّها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا ، وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء

(١) فى الأصل : رسوله ، ولعله تحريف من الناسخ .

إليه من توحيده ، والعمل بطاعته (فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ) يقول : فليس بمعجز ربه بهربه ، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه ، وتركه تصديقه ، وإن ذهب فى الأرض هاربا ، لأنه حيث كان ، فهو فى سلطانه وقبضته (وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ) يقول : وليس لمن لم يجب داعى الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله ، إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه .

وقوله (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : هؤلاء الذين لم يجيبوا داعى الله فيصدّقوا به ، وبما دعاهم إليه من توحيد الله ، والعمل بطاعته فى جَوْر عن قصد السبيل ، وأخذ على غير استقامة ، (مبين) : يقول : يبين لمن تأمله أنه ضلال ، وأخذ على غير قصد .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم ، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم ، القائلون لآبائهم وأمهاتهم ، أفّ لكما ، أتعدانني أن أُخْرَج ، وقد خلَت القرون من قبلى ، فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم ، فيروا ويعلموا أن الله الذى خلق السموات السبع والأرض ، فابتدعهنّ من غير شىء ، ولم يَعْيَ بانشائهنّ ، فيعجِز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ (بِقادِرٍ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) فيخرجهم من بعد بلائهم فى قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول الباء فى قوله (بِقادِرٍ) فقال بعض نحوىّ البصرة : هذه الباء كالباء فى قوله (كَفَى بالله) وهو مثل (تَنْبُتُ بالدُّهْنِ) . وقال بعض نحوىّ الكوفة : دخلت هذه الباء للم ؛ قال : والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها ، وتدخلها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك : ما أظنك بقائم ، وما أظنّ أنك بقائم ، وما كنتَ بقائم ، فإذا خلعت الباء نصبت الذى كانت تعمل فيه ، بما تعمل فيه من الفعل ، قال : ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفع ، لأنه خبر لأن ، قال : وأنشدنى بعضهم :

فَمَا رَجَعَتْ بخائِبَةٍ رِكابٌ حَكِيمُ بنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهاها (١)

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه نصب بالفعل لا بالباء ، يقاس على هذا ما أشبهه .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٣) قال : وقوله تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض بقادر » : دخلت الباء للم . والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها ، أو يدخلونها إذا وقع عليها فعل محتاج إلى اسمين مثل قولك : ما أظنك بقائم ، وما أظن أنك بقائم ، وما كنت بقائم ، فإذا خلعت الباء ، نصبت الذى كانت تعمل فيه بما تعمل فيه من الفعل . ولو ألقيت الباء من « قادر » فى هذا الموضع رفع ، لأنه خبر لأن ، وأنشدنى بعضهم : « فما رجعت بخائبة . . . البيت » . فأدخل الباء فى فعل لو ألقيت منه ، نصب بالفعل لا بالباء . يقاس على هذا ما أشبهه ؛ وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ « يقدر » مكان « بقادر » ، كما قرأ حمزة : « وما أنت بهادى العمى » ، وقراءة العوام : « بهاد العمى » . اهـ .

وقال بعض من أنكر قول البصرىّ الذى ذكرنا قوله : هذه الباء دخلت للجحد ، لأن المجحود فى المعنى وإن كان قد حال بينهما بأنّ (أَوَ لَمْ يَرَوْا أنَّ اللهَ قادِرٌ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) قال : فأنّ اسم يَرَوْا ، وما بعدها فى صلتها ، ولا تدخل فيه الباء ، ولكن معناه جحد ، فدخلت للمعنى .

وحُكى عن البصرىّ أنه كان يأبى إدخال إلاّ ، وأن النحويين من أهل الكوفة يجيزونه ، ويقولون : ما ظننت أن زيدا إلا قائما ، وما ظننت أن زيدا بعالم . وينشد :

وَلَسْتُ بِحالِفٍ لَوَلَدْتُ مِنْهُمْ عَلَى عَمِيَّةٍ إلاّ زِيادا[1]

قال : فأدخل إلا بعد جواب اليمين ، قال : فأما « كَفَى بِاللهِ » ، فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح ، وهى للتعجّب ، كما تقول لظَرُفَ بزيد . قال : وأما « تَنْبُتُ بالدُّهْن » فأجمعوا على أنها صلة . وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : دخلت الباء فى قوله (بِقادِرٍ) للجَحْد ، لما ذكرنا لقائلى ذلك من العلل.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِقادِرٍ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار ، عن أبى إسحاق والجَحْدرىّ والأعرج (بِقادِرٍ) وهى الصحيحة عندنا ، لإجماع قرّاء الأمصار عليها . وأما الآخرون الذين ذكرتهم فإنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يقرءون ذلك « يقدر » بالياء . وقد ذُكر أنه فى قراءة عبد الله بن مسعود « أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ » بغير باء ، ففى ذلك حجة لمن قرأه « بقادِرٍ » بالباء والألف . وقوله (بَلَى إنَّهُ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : بلى ، يقدر الذى خلق السموات والأرض على إحياء الموتى : أى الذى خلق ذلك على كلّ شىء شاء خلقه ، وأراد فعله ، ذو قدرة لا يعجزه شىء أراده ، ولا يعييه شىء أراد فعله ، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء ، لأن من عجز عن ذلك فضعيف ، فلا ينبغى أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ : أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا ، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويوم يعرض هؤلاء المكذّبون بالبعث ، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة ، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة ، على النار ، نار جهنم ، يقال لهم حينئذ : أليس هذا العذاب الذى تعذّبونه اليوم ، وقد كنتم تكذّبون به فى الدنيا بالحقّ ، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به ، كان فى الدنيا (قالُوا بَلَى وَرَبِّنا) يقول : فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك ، بأن يقولوا بلى هو الحقّ والله ؛ قال : (فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : فقال لهم المقرّر بذلك : فذوقوا عذاب النار الآن ، بما كنتم تجحدونه فى الدنيا ، وتنكرونه ، وتأبَون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به .

(١) هذا بيت لم ينسبه المؤلف ، ونقله عن بعض النحويين . وليس فى معانى القرآن للفراء . وهو موضع خلاف بين البصريين والكوفيين فالبصريون يأبون دخول (إلا) بعد جواب اليمين ، والكوفيون يجيزونه ، ويستشهدون بالبيت على ذلك ، كما قال المؤلف .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ، لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٣٥) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبته على المضىّ لما قلّده من عبْء الرسالة ، وثقل أحمال النبوّة صلى الله عليه وسلم ، وآمره بالائتساء فى العزم على النفوذ لذلك، بأولى العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره ، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد (فاصْبِرْ) يامحمد على ما أصابك فى الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار (كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ) على القيام بأمر الله ، والانتهاء إلى طاعته من رسله، الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدّة . وقيل : إن أولى العزم منهم ، كانوا الذين امتُحِنوا فى ذات الله فى الدنيا بالمِحَن ، فلم تزدهم المحن إلا جدّا فى أمر الله ، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ثوابة بن مسعود ، عن عطاء الخُراسانىّ ، أنه قال (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) ، كنا نحدّث أن إبراهيم كان منهم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) قال : كلّ الرسل كانوا أولى عزم، لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم ، فاصبر كما صبروا .

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) قال : سماه الله من شدّته العزم .

وقوله (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) يقول : ولا تستعجل عليهم بالعذاب ، يقول : لاتعجل بمسألتك ربك ذلك لهم، فإن ذلك نازل بهم لامحالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ، لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) يقول : كأنهم يوم يرون عذاب الله الذى يعدهم أنه منزله بهم ، لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار ، لأنه ينسيهم شدّةُ ما ينزل بهم من عذابه ، قدْرَ ما كانوا فى الدنيا لبثوا ، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور ، كما قال جلّ ثناؤه (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قالُوا لَبِثْنا يَوْما أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فاسأَلِ العادّينَ) .

وقوله (بَلاغٌ) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ ، بمعنى : ذلك بلاغ لهم فى الدنيا إلى أجلهم ، ثم حذفت ذلك لبث ، وهى مرادة فى الكلام اكتفاء بدلالة ماذكر من الكلام عليها . والآخر : أن يكون معناه : هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية ، إن فكّروا واعتبروا فتذكروا .

وقوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ) يقول تعالى ذكره : فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره ، وخرجوا عن طاعته وكفروا به . ومعنى الكلام : وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفاسِقُونَ) تعلّموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهره ، أومنافق صدّق بلسانه وخالف بعمله . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِى هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةً ، وَإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أَمْثالِها ، وأَيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، فإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ كانَ يَتْبَعُها ، وَيَمْحُوها اللهُ ، وَلا يَهْلِكُ إِلاَّ هالِكٌ » .

آخر تفسير سورة الأحقاف

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ، وَأَصْلَحَ بالَهُمْ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره ، وصدّوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته ، وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذى أراد من الإسلام والإقرار والتصديق . (أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ) يقول : جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد ، لأنها عملت فى سبيل الشيطان وهى على غير استقامة . (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين صدّقوا الله ، وعملوا بطاعته ، واتبعوا أمره ونهيه (وآمَنُوا بِما نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ) يقول : وصدّقوا بالكتاب الذى

أنزل الله على محمد (وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) يقول : محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال ، فلم يؤاخذهم به ، ولم يعاقبهم عليه (وأَصْلَحَ بَالَهُمْ) يقول : وأصلح شأنهم وحالهم فى الدنيا عند أوليائه ، وفى الآخرة ، بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم فى جنانه .

وذُكر أنه عُنِى بقوله (الَّذِينَ كَفَرُوا) . . . الآية أهل مكة ، (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الآية ، أهل المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، فى قوله (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : نزلت فى أهل مكة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال : الأنصار .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال : أمرهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال : شأنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال : أصلح حالهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال : حالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) قال حالهم .

والبال : كالمصدر مثل الشأن لايعرف منه فعل ، ولا تكاد العرب تجمعه إلا فى ضرورة شعر ، فإذا جمعوه قالوا بالات .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ (٣)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين ، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، جزاء منا لكلّ فريق منهم على فعله . أما الكافرون فأضللنا أعمالهم ، وجعلناها على غير استقامة وهدى ، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه ، وهو الباطل .

كما حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، وعباس بن محمد ، قالا : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جُرَيج : أخبرنى خالد أنه سمع مجاهدا يقول (ذلكَ بأنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ) قال : الباطل : الشيطان . وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم ، وأصلحنا لهم حالهم ، بأنهم اتبعوا الحقّ الذى جاءهم من ربهم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان (كَذَلكَ يَضْرِبُ اللهُ للنَّاسِ أمْثَالَهُمْ) يقول عزّ وجلّ : كما بينت لكم أيها الناس ، فعلى بفريق الكفر والإيمان ، كذلك نمثل للناس الأمثال ، ونشبه لهم الأشباه ، فنلحق بكلّ قوم من الأمثال أشكالا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ، حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ، وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ، وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله : (فَإذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من أهل الحرب ، فاضربوا رقابهم .

وقوله (حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ) يقول : حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم ، فصاروا فى أيديكم أسرى (فَشُدُّوا الوَثاقَ) يقول : فشدّوهم فى الوثاق ، كيلا يقتلوكم ، فيهربوا منكم .

وقوله (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِدَاءً) يقول : فإذا أسرتموهم بعد الإثخان ، فإما أن تَمُنُّوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر ، وتحرروهم بغير عوض ولا فِدْية ، وإما أن يفادوكم فداء ، بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم ، وتخلُّوا لهم السبيل .

واختلف أهل العلم فى قوله (حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ ، فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) فقال بعضهم : هو منسوخ ، نسخه قوله (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وقوله (فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد وابن عيسى الدامغانىّ ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج ، أنه كان يقول ، فى قوله (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) نسخها قوله (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) قال : نسخها (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإمَّا فِداءً) نسخها قوله : (فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) إلى قوله (وَإِمَّا فِدَاءً) كان المسلمون إذا لقُوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسَروا منهم أسيرا ، فليس لهم إلا أن يُفادوه ، أو يَمُنوا عليه، ثم يرسلوه ، فنسخ ذلك بعد قوله (فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) : أى عِظْ بهم من سواهم من الناس ، لعلهم يذّكرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجَزَرِىّ ، قال : كتب إلى أبى بكر رضى الله عنه فى أسير أُسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر : اقتلوه لَقَتْلُ رجل من المشركين ، أحبّ إلىّ من كذا وكذا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : الفداء منسوخ ، نسختها : (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ) . . . إلى (كُلَّ مَرْصَدٍ) قال : فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة ، وانسلاخ الأشهر الحُرُم .

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً) هذا منسوخ، نسخه قوله : (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعد براءة .

وقال آخرون: هى محكمة، وليست بمنسوخة، وقالوا: لايجوز قتل الأسير ،وإنما يجوز المنّ عليه والفداء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبوعتاب سهل بن حماد ، قال : ثنا خالد بن جعفر ، عن الحسن ، قال : أُتِىَ الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلا يقتله، فقال ابن عمر : ليس بهذا أُمِرنا، قال الله عزّ وجلّ (حتى إذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ ،فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) قال : [1] البكاءُ بين يديه ، فقال الحسن : لو كان هذا وأصحابه لابتدروا إليهم .

حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانىّ ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء: أنه كان يكره قتل المشرك صَبْرا ، قال : ويتلو هذه الآية (فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : لاتقتل الأُسارى إلا فى الحرب يهيب بهم العدوّ .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل ، وكان الحسن يكره أن يفادى بالمال .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل من أهل الشأم ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز ، وهو من بنى أسد ، قال : ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جىء بأسارى من الترك ، فأمر

(١) لعله سقط من الأصل هنا كلمة أو نحوها ، مثل اشتد أو علا ، أو ارتفع أى ارتفع : بكاء الأسرى بين يدى الحجاج .

بهم أن يُسترقوا ، فقال رجل ممن جاء بهم : يا أمير المؤمنين ، لو كنت رأيت هذا - لأحدهم - وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم ، فقال عمر : فدونك فاقتله ، فقام إليه فقتله .

⁂ والصواب من القول عندنا فى ذلك : أن هذه الآية محكمة غير منسوخة ، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بيّنا فى غير موضع فى كتابنا أنه ما لم يجز اجتماع حكميهما فى حال واحدة ، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر ، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار فى المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة ، وإن لم يكن القتل مذكورا فى هذه الآية ، لأنه قد أذن بقتلهم فى آية أخرى ، وذلك قوله (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) . . . الآية ، بل ذلك كذلك ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا فى يده من أهل الحرب ، فيقتل بعضا ، ويفادى ببعض ، ويمنّ على بعض ، مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبى معيط ، وقد أُتى به أسيرا ، وقتل بنى قُرَيظة ، وقد نزلوا على حكم سعد ، وصاروا فى يده سِلما ، وهو على فدائهم ، والمنّ عليهم قادر ؛ وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أُسروا ببدر ، ومنّ على ثمامة بن أُثال الحنفىّ وهو أسير فى يده ، ولم يزل ذلك ثابتا من سيره فى أهل الحرب ، من لدن أذن الله له بحربهم ، إلى أن قبضه إليه صلى الله عليه وسلم ، دائما ذلك فيهم ، وإنما ذكر جلّ ثناؤه فى هذه الآية المنّ والفداء فى الأسارى ، فخصّ ذكرهما فيها ، لأن الأمر بقتلهما والإذن منه بذلك ، قد كان تقدم فى سائر آى تنزيله مكرّرا ، فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر فى هذه الآية من المنّ والفداء ، ماله فيهم مع القتل .

وقوله (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) يقول تعالى ذكره : فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم ، وافعلوا بأسراهم ما بيّنت لكم ، حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها ، المشركين بالله ، بأن يتوبوا إلى الله من شركهم ، فيؤمنوا به وبرسوله ، ويطيعوه فى أمره ونهيه ، فذلك وضع الحرب أوزارَها ، وقيل : (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) والمعنى : حتى تُلْقِىَ الحرب أوزار أهلها . وقيل : معنى ذلك : حتى يضع المحارب أوزاره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حتى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال : حتى يخرج عيسى بن مريم ، فيسلم كلّ يهودىّ ونصرانىّ وصاحب ملة ، وتأمن الشاة من الذئب ، ولا تقرض فأرة جِرابا ، وتذهب العداوة من الأشياء كلها ، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله ، وينعم الرجل المسلم ، حتى تقطر رجله دما إذا وضعها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) حتى لايكون شرك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال : حتى لايكون شرك .

ذكر من قال : عُنِى بالحرب فى هذا الموضع : المحاربون

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور عن معمر ، عن قتادة (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) قال : الحرب : من كان يقاتلهم سماهم حربا .

وقوله (ذلكَ وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم فى حرب ، وشدّهم وثاقا بعد قهرهم ، وأسرهم ، والمنّ والفداء (حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) هو الحقّ الذى ألزمكم ربُّكم ولو يشاء ربكم ويريد ، لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بَيّن هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة ، وكفاكم ذلك كله ، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم ، وعقوبتهم عاجلا إلا بأيديكم أيها المؤمنون (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) يقول : ليختبركم بهم ، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم ، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم ، حتى ينيب إلى الحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ) إى والله بجنوده الكثيرة ، كلّ خلقه له جند ، ولوسلط أضعف خلقه لكان جندا .

وقوله (وَالَّذِينَ قاتَلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وَالَّذِينَ قاتَلُوا) بمعنى : حاربوا المشركين ، وجاهدوهم بالألف ؛ وكان الحسن البصرىّ فيما ذُكر عنه يقرؤه (قُتِّلُوا) بضم القاف وتشديد التاء ، بمعنى : أنه قتلهم المشركون بعضَهم بعد بعض ، غير أنه لم يسمّ الفاعلون . وذُكر عن الجحدرىّ عاصم أنه كان يقرؤه (قَتَلُوا) بفتح القاف وتخفيف التاء ، بمعنى : والذين قتلوا المشركين بالله . وكان أبوعمرو يقرؤه (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) بضم القاف وتخفيف التاء ، بمعنى : والذين قتلهم المشركون ، ثم أسقط الفاعلين ، فجعلهم لم يسمّ فاعل ذلك بهم .

وأولى القراءات بالصواب : قراءة من قرأه (وَالَّذِينَ قاتَلُوا) لاتفاق الحجة من القرّاء ، وإن كان لجميعها وجوه مفهومة .

وإذ كان ذلك أولى القراءات عندنا بالصواب ، فتأويل الكلام : والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار فى دين الله ، وفى نُصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى ، فجاهدوهم فى ذلك (فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) فلن يجعل الله أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ضلالا عليهم ، كما أضلّ أعمال الكافرين .

وذُكر أن هذه الآية عُنِى بها أهل أُحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ) ذُكر لنا أن هذه الآية أُنزلت يوم أُحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ، وقد فَشَتْ فيهم الجراحات والقتل ، وقد نادى المشركون يومئذ: أُعْلُ هُبَلْ ، فنادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ ، فنادى المشركون : يوم بيوم ، إن الحرب سجال ، إن لنا عُزَّى ، ولا عُزَّى لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ . إنَّ القَتْلَى مُخْتَلِفَةٌ ، أمَّا قَتْلانا فأحْياءٌ يُرْزَقُونَ ، وأمَّا قَتْلاكُمْ فَفِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهُمْ) قال : الذين قُتلوا يوم أُحد .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)

يقول تعالى ذكره : سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحبّ ، هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيله ، (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) : ويصلح أمرهم وحالهم فى الدنيا والآخرة (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) . يقول : ويُدخلهم الله جنته عرّفها ، يقول : عرّفها وبيّنها لهم ، حتى إن الرجل ليأتى منزله منها إذا دخلها كما كان يأتى منزله فى الدنيا ، لايشكل عليه ذلك .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال : «إذا نجّى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتصّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة، كانت بينهم فى الدنيا ، ثم يُؤذن لهم بالدخول فى الجنة، قال: فما كان المؤمن بأدلّ بمنزله فى الدنيا ، منه بمنزله فى الجنة حين يدخلها . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال : أى منازلهم فيها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال : يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، وحيث قسم الله ، لهم لايخطئون ، كأنهم سكانها منذ خلقوا لايستدلون عليها أحدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ

عَرَّفَهَا لَهُمْ) قال : بلغنا عن غير واحد ، قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم فى الدنيا ، التى يختلفون إليها فى عمر الدنيا ؛ قال : فتلك قول الله جلّ ثناؤه (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، على أعدائه من أهل الكفر به ، وجهادكم إياهم معه ، لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم ، ويظفركم بهم ، فإنه ناصر دينه وأولياءه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ) لأنه حقّ على الله أن يعطى من سأله ، وينصر من نصره .

وقوله (وَيُثَبِّتْ أقْدَامَكُمْ) يقول : ويقوّكم عليهم ، ويجرّئكم ، حتى لاتولوا عنهم ، وإن كثر عددهم ، وقلّ عددكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)

يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ، فجحدوا توحيده (فَتَعْسا لَهُمْ) يقول : فخزيا لهم وشقاء وبلاء .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسا لَهُمْ) قال : شقاء لهم .

وقوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) يقول : وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة ، لأنها عملت فى طاعة الشيطان ، لا فى طاعة الرحمن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) قال : الضلالة التى أضلهم الله لم يهدهم كما هَدى الآخرين ، فإن الضلالة التى أخبرك الله : يضلّ من يشاء ، ويهدى من يشاء ؛ قال : وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالا ، وردّ قوله (وأضَلَّ أعمالَهُمْ) على قوله (فَتَعْسا لَهُمْ) ، وهو فعل ماض ، والتعس اسم ، لأن التعس وإن كان اسما ففى معنى الفعل ، لما فيه من معنى الدعاء ، فهو بمعنى : أتعسهم الله ، فلذلك صلح ردّ أضلّ عليه ، لأن الدعاء يجرى مجرى الأمر والنهى ، وكذلك قوله (حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ) مردودة على أمر مضمر ، ناصب لضرب :

وقوله (ذلكَ بأنَّهُمْ كَرِهُوا ما أنْزَلَ اللهُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال ، من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذى أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه ، فكذّبوا به ، وقالوا : هو سحر مبين .

وقوله (فَأحْبَطَ أعمالَهُمْ) يقول : فأبطل أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، وذلك عبادتهم الآلهة ، لم ينفعهم الله بها فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل أوبقهم بها ، فأصلاهم سعيرا ، وهذا حكم الله جلّ جلاله فى جميع من كفر به من أجناس الأمم ، كما قال قتادة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله (فَتَعْسا لَهُمْ) قال : هى عامة للكفار .

القول فى تأويل قوله تعالى

* أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : أفلم يَسِر هؤلاء المكذّبون محمدا صلى الله عليه وسلم ، المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب فى الأرض سفرا ، وإنما هذا توبيخ من الله لهم ، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام ، فيرون نقمة الله التى أحلّها بأهل حِجْر ثمود ، ويرون فى سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسَبَأ ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به : أفلم يسِر هؤلاء المشركون سفرا فى البلاد ، فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم ، من الأمم المكذّبة رسلها ، الرّادّة نصائحها ، ألم نهلكها فندمّرَ عليها منازلها ونخرّبها ، فيتعظوا بذلك ، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم فى تكذيبهم إياه ، فينيبوا إلى طاعة الله فى تصديقك ، ثم توعّدَهم جلّ ثناؤه ، وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله ، أنه مُحِلّ بهم من العذاب ، ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم ، فقال : (وللْكافِرِينَ أمْثالُها) يقول : وللكافرين من قريش المكذّبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب العاجل ، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم ، على تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وللْكافِرِينَ أمْثالُها) قال : مثل ما دُمِّرت به القرون الأولى ، وعيد من الله لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : هذا الفعل الذى فعلنا بهذين الفريقين : فريق الإيمان ، وفريق الكفر ، من نُصرتنا فريق الإيمان بالله ، وتثبيتنا أقدامهم ، وتدميرنا على فريق الكفر (بأنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : من أجل أن الله ولىّ من آمن به ، وأطاع رسوله .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ذلكَ بأنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) قال : وَلِيُّهم .

وقد ذُكر لنا أن ذلك فى قراءة عبد الله (ذلكَ بأنَّ اللهَ وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا)، و « أن» التى فى المائدة، التى هى فى مصاحفنا (إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ) : (إنَّمَا مَوْلاكُمُ اللهُ) فى قراءته .

وقوله (وأنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ) يقول : وبأن الكافرين بالله لاولىّ لهم ، ولا ناصر .

وقوله (إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول تعالى ذكره : إن الله له الألوهة التى لاتنبغى لغيره ، يُدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، يفعل ذلك بهم تكرمةً على إيمانهم به وبرسوله .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنْعامُ) يقول جلّ ثناؤه : والذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، يتمتعون فى هذه الدنيا بُحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة ، ويأكلون فيها غير مفكّرين فى المعاد ، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدّية لهم إلى علم توحيد الله، ومعرفة صدق رسله، فمثلهم فى أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التى لاهمة لها إلا فى الاعتلاف دون غيره (والنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ): يقول جلّ ثناؤه : والنار نار جهنم مسكن لهم ومأوى ، إليها يصيرون من بعد مماتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣

⁂ يقول تعالى ذكره :(وَكَمْ) يامحمد(مِنْ قَرْيَةٍ هِىَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ)، يقول أهلها أشدّ بأسا، وأكثر جمعا ، وأعدّ عديدا من أهل قريتك ، وهى مكة ، وأخرج الخبر عن القرية ، والمراد به أهلها ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ) قال : هى مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) قال : قريته مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حبيش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، لما خرج من مكة إلى الغار ، أراه قال : التفت إلى مكة ، فقال : أنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللهِ إلى اللهِ ، وأنْتِ أحَبُّ بِلادِ اللهِ إلىَّ ، فَلَوْ أنَّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أخْرُجْ مِنْكِ ، فَأعْتَى الأعْداءِ مَنْ عَتا على اللهِ فِي حَرَمِهِ ، أوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ ، أوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الجاهِلِيَّةِ ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ) وقال جلّ ثناؤه : أخرجتك ، فأخرج الخبر عن القرية ، فلذلك أُنِّث ، ثم قال : أهلكناهم ، لأن المعنى فى قوله أخرجتك ، ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية ، فأخرج الخبر مرّة على اللفظ ، ومرّة على المعنى .

وقوله (فَلا ناصِرَ لَهُمْ) فيه وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون معناه ، وإن كان قد نصب الناصر بالتبرئة ، فلم يكن لهم ناصر ، وذلك أن العرب قد تضمر كان أحيانا فى مثل هذا . والآخر أن يكون معناه : فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ (١٤)

يقول تعالى ذكره : (أفَمَنْ كانَ عَلى) برهان وحجة وبيان (مِنْ) أمر (رَبِّهِ) ، والعلم بوحدانيته ، فهو يعبده على بصيرة منه ، بأن له ربًّا يجازيه على طاعته إياه الجنة ، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار ، (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) يقول : كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه ، فأراه جميلا ، فهو على العمل به مقيم ، (واتَّبَعُوا أهْوَاءَهُمْ) يقول : واتبعوا مادعتهم إليه أنفسهم من معصية الله ، وعبادة الأوثان ، من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة . وقيل : إن الذى عُنِى بقوله : (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) نبينا عليه الصلاة والسلام ، وإن الذى عُنِى بقوله : (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) هم المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ، فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ، وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : صفة الجنة التى وُعِدَها المتقون ، وهم الذين اتقوا فى الدنيا عقابه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصية (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) يقول تعالى ذكره : فى هذه الجنة التى ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح ، يقال منه : قد أَسِنَ ماء هذه البئر : إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت ، فهو يأْسَن أَسَنا ، وكذلك يُقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة : قد أَسِن فهو يأْسَن . وأما إذا أَجَن الماء وتغير ، فإنه يقال له : أسِن فهو يأسَن ، ويأسِن أسونا ، وماء آسن .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فِيهَا أَنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ) يقول : غير متغير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَنهارٌ مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ) قال : من ماء غير مُنْتِن .

حدثنى عيسى بن عمرو ، قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن سعد بن طَرِيف ، قال : سألت أبا إسحاق عن (ماءٍ غيرِ آسِنٍ) قال : سألت عنها الحارث ، فحدثنى أن الماء الذى غير آسن تسنيم ، قال : بلغنى أنه لاتمسّه يد ، وأنه يجىء الماء هكذا حتى يدخل فى فيه .

وقوله (وأَنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) يقول تعالى ذكره : وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يُحْلَب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ، ولكنه خلقه الله ابتداء فى الأنهار ، فهو بهيئته ، لم يتغير عما خلقه عليه .

وقوله (وأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) يقول : وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين ، يلتذّون بشربها .

كما حدثنى عيسى ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، قال : ثنا مصعب ، عن سعد بن طريف ، قال : سألت عنها الحارث ، فقال : لم تَدُسْه المجوس ، ولم ينفخ فيه الشيطان ، ولم تؤذها شمس ، ولكنها فَوْحَاء [١] ، قال : قلت لعكرِمة : ما الفوحاء : قال : الصفراء .

وكما حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحَكَم بن أبان ، عن عكرِمة ، فى قوله (مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) قال : لم يُحلَب ، وخُفِضت اللذّة على النعت للخمر ، ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار جاز ، أو نصبا على يتلذّذ بها لذّة ، كما يقال : هذا لك هبة ، كان جائزا ؛ فأما القراءة فلا أستجيزها فيها إلا خفضا ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (وأَنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) يقول : وفيها أنهار من عسل قد صُفِّى من القَذى ، وما يكون

(١) فى اللسان : الفوح : وجدانك الريح الطيبة . فاحت ريح المسك تفوح وتفيح ، فوحا وفيحا ، وفوحانا وفيحانا : انتشرت رائحته .

فى عسل أهل الدنيا قبل التصفية ، وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى ، أنه خلق فى الأنهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها ، فهو من أجل ذلك مصفًّى ، قد صفاه الله من الأقذاء التى تكون فى عسل أهل الدنيا ، الذى لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية ، لأنه كان فى شمع فصُفّى منه.

وقوله (وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) يقول تعالى ذكره : ولهؤلاء المتقين فى هذه الجنة من هذه الأنهار التى ذكرنا ، من جميع الثمرات التى تكون على الأشجار (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) يقول : وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التى أذنبوها فى الدنيا ، ثم تابوا منها ، وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبة عليها .

وقوله (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) يقول تعالى ذكره : أمَّن هو فى هذه الجنة التى صفتها ما وصفنا ، كمن هو خالد فى النار . وابتُدئ الكلام بصفة الجنة ، فقيل : مثل الجنة التى وُعد المتقون ، ولم يقل : أمَّن هو فى الجنة . ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) . وإنما قيل ذلك كذلك ، استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ، ولدلالة قوله (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) على معنى قوله (مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ) .

وقوله (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) يقول تعالى ذكره : وسُقِى هؤلاء الذين هم خلود فى النار ماء قد انتهى حرّه ، فقطع ذلك الماء من شدّة حرّه أمعاءهم .

كما حدثنى محمد بن خلف العَسْقلانىّ ، قال : ثنا حَيْوة بن شُريح الحِمصِىّ ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان ابن عمرو ، قال : ثنى عبيد الله بن بشر ، عن أبى أُمامة الباهلىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « فى قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) قال : يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكَرَّهُهُ ، فإذَا أُدْنِىَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ ، فإذَا شَرِبَ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ ، حتى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ . قال : يقول الله (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ، فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) يقول الله عزّ وجلّ (يَشْوِى الوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ») .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ، قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا؟ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء الكفار يا محمد (من يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) وهو المنافق ، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه ، تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك ، وتغافلا عما تقوله ، وتدعو إليه من الإيمان ، (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله ، وتلاوتك عليهم ما تلوت ، وقيلك لهم ما قلت إنهم لن يُصْغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك (مَاذَا قَالَ) لنا محمد (آنِفًا)؟ :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) هؤلاء المنافقون ، دخل رجلان : رجل ممن عقل عن الله ، وانتفع بما سمع ، ورجل لم يعقل عن الله ، فلم ينتفع بما سمع ، كان يقال : الناس ثلاثة : فسامع عامل ، وسامع غافل ، وسامع تارك .

حدثنا ابن عبدا لأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) : قال : هم المنافقون . وكان يقال : الناس ثلاثة : سامع فعامل ، وسامع فغافل ، وسامع فتارك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا شريك ، عن عثمان أبى اليقظان ، عن يحيى بن الجزّار ، أو سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً) قال ابن عباس : أنا منهم ، وقد سُئِلت فيمن سُئِل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حتى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، والذين أُوتُوا العلم : الصحابة رضى الله عنهم .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم ، فهم لايهتدون للحقّ الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام ، (واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) يقول : ورفضوا أمر الله ، واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم ، فهم لايرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا بُرْهان ، وسوّى جلّ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين ، فى أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فِراقهم دين الله ، الذى ابتعثَ به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم ، فقال فى هؤلاء المنافقين : (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) وقال فى أهل الكفر به من أهل الشرك ، (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ، واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ، فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأما الذين وفّقهم الله لاتباع الحقّ ، وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله ، من الذين استمعوا إليك يامحمد ، فإن ما تلوته عليهم ، وسمعوه منك (زَادَهُمْ هُدًى) يقول : زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمانهم ، وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند ، الله إلى البيان الذى كان عندهم . وقد ذُكر أن الذى تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن ، فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان ، ماذا قال آنفا ، وزاد الله أهل الهدى منهم هدى ، كان بعض ما أنزل الله من القرآن ، ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) قال : لما أنزل الله القرآن آمنوا به ، فكان هدى ، فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى .

وقوله (وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) يقول تعالى ذكره : وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم ، وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه .

وقوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) يقول تعالى ذكره : فهل ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التى وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء ، أن تجيئهم فجأة ، لايشعرون بمجيئها . والمعنى : هل ينظرون إلاّ الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة . و « أنْ » من قوله (إلاّ أنْ) فى موضع نصب بالردّ على الساعة ، وعلى فتح الألف من (أنْ تَأْتِيَهُمْ) ، ونصب « تأتيهم » بها قراءة أهل الكوفة .

وقد حُدثت عن الفرّاء ، قال : حدثنى أبو جعفر الرُّؤاسىّ ، قال : قلت لأبى عمرو بن العلاء : ماهذه الفاء التى فى قوله (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) قال : جواب الجزاء ، قال : قلت : إنها إنْ تأتيهم ، قال : فقال : معاذ الله ، إنما هى (إنْ تَأْتِهِمْ) ؛ قال الفرّاء : فظننت أنه أخذها عن أهل مكة ، لأنه قرأ ، قال الفرّاء : وهى أيضا فى بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة (تَأْتِهِمْ) ولم يقرأ بها أحد منهم .

وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف « إن » وجزم « تأتهم » فهل ينظرون إلا الساعة ؟ فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله (إلاّ السَّاعَةَ) ، ثم يُبْتدأ الكلام فيقال : إن تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها ، فتكون الفاء من قوله (فَقَدْ جَاءَ) بجواب الجزاء .

وقوله (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) يقول : فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعةُ وأدلتها ومقدّماتها ، وواحد الأشراط : شَرَط ، كما قال جرير :

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهورَ نِسائِهِمْ وفِي شُرَطِ المِعْزَى لَهُنَّ مُهُورُ[1]

ويُروَى : « ترى قَزَم المِعْزَى » ، يقال منه : أشرط فلان نفسَه : إذا علّمها بعلامة ، كما قال أوس ابن حجر :

فأَشْرَطَ فِيها نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمٌ وألْقَى بأسْبابٍ لَهُ وَتَوَكَّلا[2]

---

(١) البيت لجرير بن الخطى الشاعر الإسلامى (ديوانه ٢٦٦) وفى روايته : « وفى قزم المعزى لهن مهور » . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٣) قال عند قوله تعالى « فقد جاء أشراطها » : أعلامها . وإنما سمى الشرط فيما نرى ، أنهم أعلموا أنفسهم . وأشراط المال صغار الغنم وشراره . وقال جرير : « ترى شرط . . . البيت » . وفى (اللسان : شرط) : والشرط (بالتحريك) : رذال الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء . قال جرير :

تساق من المعزى مهور نسائهم ومن شرط المعزى لهن مهور

وشرط الناس : خشارتهم .

(٢) البيت لأوس بن حجر (اللسان : شرط) قال : الأصمعى : أشراط الساعة علاماتها . قال : ومنه الاشتراط الذى يشترط الناس =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) يعنى : أشراط الساعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها) قال : أشراطها : آياتها .

وقوله (فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) يقول تعالى ذكره : فمن أىّ وجه لهؤلاء المكذّبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيّعوا وفرّطوا فيه من طاعة الله إذا جاءتهم الساعة ، يقول : ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم ، لأنه وقت مجازاة ، لاوقت استعتاب ولا استعمال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ) يقول : إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا ؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) قال : أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأنَّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ؟) قال : الساعة لاينفعهم عند الساعة ذكراهم ، والذكرى فى موضع رفع بقوله (فأنَّى لَهُمْ ؟) لأن تأويل الكلام : فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاعلم يامحمد أنه لامعبود تنبغى أو تصلح له الألوهة ، ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذى هو خالق الخلق ، ومالك كلّ شىء ، يدين له بالربوبية كلّ

= بعضهم على بعض ، أى هى علامات يجعلونها بينهم . ولهذا سميت الشرط ، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها . وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير ، وقال : أشراط الساعة : ما تنكره الناس من صغار أمورها ، قبل أن تقوم الساعة . وشرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده . وقول أوس بن حجر « فأشرط فيها . . . البيت » أى جعل نفسه علما لهذا الأمر .

ما دونه (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) : وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها ، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء (وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) يقول : فإن الله يعلم متصرّفكم فيما تتصرّفون فيه فى يقظتكم من الأعمال ، ومثواكم إذا ثويتم فى مضاجعكم للنوم ليلا ، لايخفى عليه شىء من ذلك ، وهو مجازيكم على جميع ذلك .

وقد حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا إبراهيم بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن سرجس ، قال : « أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ، فقال رجل من القوم : أستغفر لك يارسول الله ؟ قال : نَعَمْ وَلَكَ ، ثم قرأ (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ! فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله : هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) يعنى : أنها محكمة بالبيان والفرائض . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ) .

وقوله (وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) يقول : وذُكر فيها الأمر بقتال المشركين .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) قال : كلّ سورة ذُكر فيها الجهاد فهى محكمة ، وهى أشدّ القرآن على المنافقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ) قال : كل سورة ذُكر فيها القتال فهى محكمة .

وقوله (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يقول : رأيت الذين فى قلوبهم شكّ فى دين الله وضعف (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) يامحمد ، (نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) ، خوفا أن تُغْزِيَهُمْ وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين ، فهم خوفا من ذلك ، وتجبنا عن لقاء العدوّ ، ينظرون إليك نظر المغشىّ عليه ، الذى قد صُرِع . وإنما عنى بقوله (من الموت) من خوف الموت ، وكان هذا فعل أهل النفاق .

كالذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) قال : هؤلاء المنافقون طبع الله على قلوبهم ، فلا يفقهون ما يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَأَوْلَى لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فأولى لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض .

وقوله (فأَوْلَى لَهُمْ) وعيد توعّد الله به هؤلاء المنافقين .

كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَوْلَى لَهُمْ) قال : هذه وعيد ، فأولى لهم ، ثم انقطع الكلام ، فقال : (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَوْلَى لَهُمْ) قال : وعيد كما تسمعون .

وقوله (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة ، ويذكر فيها القتال ، وأنهم إذا قيل لهم : إن الله مفترض عليكم الجهاد ، قالوا : سمع وطاعة ، فقال الله عزّ وجلّ لهم (إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) وفُرض القتال فيها عليهم ، فشقّ ذلك عليهم ، وكرهوه (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) قبل وجوب الفرض عليكم ، فإذا عزم الأمر كرهتموه وشقّ عليكم .

وقوله (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) مرفوع بمضمر ، وهو قولكم قبل نزول فرض القتال (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) .

ورُوى عن ابن عباس باسناد غيرِ مُرْتَضىً أنه قال : قال الله تعالى (فَأَوْلَى لَهُمْ) ثم قال للذين آمنوا منهم (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) فعلى هذا القول تمام الوعيد فأولى ، ثم يستأنف بعد ، فيقال (لهم طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) فتكون الطاعة مرفوعة بقوله « لهم » .

وكان مجاهد يقول فى ذلك كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) قال : أمر الله بذلك المنافقين .

وقوله (فإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) يقول : فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلك كرهتموه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) قال : إذا جدّ الأمر ، هكذا قال محمد بن عمرو فى حديثه ، عن أبى عاصم ، وقال الحارث فى حديثه ، عن الحسن يقول : جدّ الأمر .

وقوله (فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم : إذ قيل لهم : إن الله سيأمركم بالقتال طاعة ، فَوَفَّوا له بذلك ، لكان خيرا لهم فى عاجل دنياهم ، وآجل معادهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذَا عَزَمَ الأمْرُ) يقول : طواعية الله ورسوله ، وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة يقول : طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور ، خير لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ (٢٣)

⁂ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة ، وذُكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشىّ عليه (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) أيها القوم ، يقول : فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جلّ ثناؤه ، وفارقتم أحكام كتابه ، وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعما جاءكم به (أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ) يقول : أن تعصُوا الله فى الأرض ، فتكفروا به ، وتسفكوا فيها الدماء (وَتُقَطِّعُوا أرْحامَكُمْ) وتعودوا لما كنتم عليه فى جاهليتكم ، من التشتت والتفرّق ، بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام ، وألّف به بين قلوبكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ) . . . الآية يقول : فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ، ألم يسفكوا الدم الحرام ، وقطّعوا الأرحام ، وعَصَوا الرحمن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحامَكُمْ) قال : فعلوا .

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر وسليمان بن بلال ، قالا : ثنا معاوية بن أبى المزرّد المدينى ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، فَلَمَّا فَرَغ مِنْهُمْ تَعَلَّقَتِ الرَّحِمُ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ، فَقالَ مَهْ ، فَقالَتْ : هَذَا مَقامُ العائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ ، قالَ : فَمَا تَرْضَيْنَ أنْ أقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ، وأصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ؟ قالَتْ : نَعَمْ ، قالَ : فَذَلِكِ لَكِ » .

قال سليمان فى حديثه : قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وتُقَطِّعُوا أرْحامَكُمْ) وقد تأوّله بعضهم : فهل عسيتم إن توليتم أمور الناس أن تفسدوا فى الأرض بمعنى الولاية . وأجمعت القرّاء غير نافع على فتح السين من عَسَيتم ، وكان نافع يكسرها عَسِيتم .

والصواب عندنا : قراءة ذلك بفتح السين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأنه لم يسمع فى الكلام : عَسَى أخوك يقوم ، بكسر السين وفتح الياء ؛ ولو كان صوابا كسرها إذا اتصل بها مكنىّ ، جاءت بالكسر مع غير المكنىّ ، وفى إجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر ، الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكنىّ ، وإن التى تَلِى عسيتم مكسورة ، وهى حرف جزاء ، و « أن » التى مع تفسدوا فى موضع نصب بعسيتم .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يفعلون هذا ، يعنى الذين يفسدون ويقطعون الأرحام ، الذين لعنهم الله ، فأبعدهم من رحمته ، (فأصمهم) ، يقول : فسلبهم فَهْمَ مايسمعون بآذانهم من مواعظ الله فى تنزيله (وأعْمَى أبْصَارَهُمْ) يقول : وسلبهم عقولهم ، فلا يتبيّنون حُجج الله ، ولا يتذكّرون ما يرون من عبرَه وأدلته .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التى يعظهم بها فى آى القرآن الذى أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ، ويتفكّرون فى حُججه التى بيّنها لهم فى تنزيله ، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون؟ (أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا) يقول : أم أقفل الله على قلوبهم ، فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعِبَر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا) إذنْ والله يجدون فى القرآن زاجرا عن معصية الله ، لو تدبره القوم فعقلوه ، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك .

حدثنا إسماعيل بن حفص الأَيلىّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعدان ، قال : ما من آدمىّ إلا وله أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه ، وما يصلحه من معيشته ، وعينان فى قلبه لدينه ، وما وعد الله من الغيب ، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ، وإذا أراد الله به غير ذلك طَمَس عليهما ، فذلك قوله (أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ثور بن يزيد ، قال : ثنا خالد بن معدان ، قال : ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين ، عينان فى وجهه لمعيشته ، وعينان فى قلبه ، وما من أحد إلا وله شيطان متبطّن فَقَار ظهره ، عاطف عنقه على عنقه ، فاغر فاه إلى ثمرة قلبه ، فإذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه ما وعد الله من الغيب ، فعمل به ، وهما غيب ، فعمل بالغيب ، وإذا أراد الله بعبد شرا تركه ، ثم قرأ (أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، عن ثور ، عن خالد بن مَعْدان بنحوه ، إلا أنه قال : ترك القلب على ما فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا حماد بن زيد ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما (أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآن أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُها) ، فقال شاب من أهل اليمن : بل عليها أقفالها ، حتى يكون الله عزّ وجلّ يفتحها أو يفرجها ، فما زال الشاب فى نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى ، فاستعان به » .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) يقول الله عزّ وجلّ : إن الذين رجعوا القَهْقَرَى على أعقابهم كفارا بالله ، من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل ، فعرفوا واضح الحجة ، ثم آثروا الضلال على الهدى ، عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) هم أعداء الله أهل الكتاب ، يعرفون بعث محمد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم ، ثم يكفرون به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) إنهم يجدونه مكتوبا عندهم .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أهل النفاق .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمْ) . . . إلى قوله (فأحْبَطَ أعْمالَهُمْ) : هم أهل النفاق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمْ) . . . إلى (إسْرارَهُمْ) : هم أهل النفاق . وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا ، أشبه منها بصفة أهل الكتاب ، وذلك أن الله عزّ وجلّ أخبر أن ردّتهم كانت بقيلهم (لِلَّذِينَ كَرِهُوا ، ما نَزَّلَ اللهُ : سَنُطِيعُكُم فى بَعْضِ الأمْرِ) ، ولو كانت من صفة أهل الكتاب ، لكان فى وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قيلهم ماقالوا .

وقوله (الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم ، من بعد ما تبين لهم الهدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأمْلَى لَهُمْ) يقول : زين لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَوَّلَ لَهُمْ) يقول : زين لهم .

وقوله (وأمْلَى لَهُمْ) يقول : ومدّ الله لهم فى آجالهم مُلاوة من الدهر ؛ ومعنى الكلام : الشيطان سوّل لهم ، والله أملى لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وأمْلَى لَهُمْ) بفتح الألف منها بمعنى : وأملى الله لهم . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة : وأُمْلِىَ لهم ، على وجه ما لم يسمّ فاعله . وقرأ مجاهد فيما ذُكر عنه (وأُمْلِى) بضم الألف وإرسال الياء ، على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه ، أنه يفعل ذلك بهم .

وأولى هذه القراءات بالصواب : التى عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة ، من فتح الألف فى ذلك ، لأنها القراءة المستفيضة فى قَرَأَة الأمصار ، وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم ، والشيطان سول لهم ، فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم (قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ) من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين : (سَنُطِيعُكُمْ فى بَعْضِ الأَمْرِ) الذى هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذلكَ بأنَّهُمْ قالُوا للَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ) ، فهؤلاء المنافقون (واللهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق ، على خلاف أمر الله وأمر رسوله ، إذ يتسارّون فيما بينهم ، بالكفر بالله ومعصية الرسول ، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (أسْرَارَهُمْ) بفتح الألف من أسرارهم ، على وجه جماع سرّ . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إسْرَارَهُمْ) بكسر الألف ، على أنه مصدر من أسررت إسرارا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين ، فكيف لايعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة ، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، يقول : فحالهم أيضا لايخفى عليه فى ذلك الوقت . ويعنى بالأدبار : الأعجاز ، وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللهُ) يقول تعالى ذكره : تفعل الملائكة هذا الذى وصفت بهؤلاء المنافقين ، من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله ، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان (وكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) يقول : وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به ، بعد ما افترضه عليهم .

وقوله (فَأَحْبَطَ أعمالَهُمْ) يقول : فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه ، لأنها عُمِلت فى غير رضاه ولا محبته ، فبطلت ، ولم تنفع عاملها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ ، فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ . وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : أحسب هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم شكّ فى دينهم ، وضعف فى يقينهم ، فهم حيارَى فى معرفة الحقّ أن لن يُخرج الله ما فى قلوبهم من الأضغان على المؤمنين ، فيبديه لهم ويظهره ، حتى يعرفوا نفاقهم ، وحيرتهم فى دينهم (وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء يامحمد لعرّفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل : سأريك ما أصنع ، بمعنى سأعلمك .

وقوله (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ) يقول : فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم فى فحوى كلامهم ، وظاهر أفعالهم ، ثم إن الله تعالى ذكره عرّفه إياهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغانَهُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم أهل النفاق ، وقد عرّفه إياهم فى براءة ، فقال : (وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَدًا ، وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ) ، وقال : (قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . الآية ، هم أهل النفاق (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ القَوْلِ) فعرّفه الله إياهم فى سورة براءة ، فقال : (وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَدًا) ، وقال (قُلْ) لَهُمْ (لَنْ تَنْفِرُوا [1] مَعِى أَبَدًا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِى عَدُوًّا) .

(١) التلاوة « لن تخرجوا » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أضْغَانَهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون ، قال : والذى أسَرُّوا من النفاق هو الكفر .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَلَوْ نَشاءُ لأرَيْناكَهُمْ ،فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ) قال : هؤلاء المنافقون ، قال : وقد أراه الله إياهم ، وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد ، قال : فأبَوا إلا أن تَمَسَّكُوا بلا إله إلا الله؛ فلما أبوا إلا أن تمسكوا بلا إله إلا الله ،حُقِنت دماؤهم ،ونكحوا ونوكحوا بها .

وقوله(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ القَوْلِ) يقول : ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين فى معنى قولهم نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى لَحْنِ القَوْلِ) قال قولهم (واللهُ يَعْلَمُ أعمالَكُمْ) لايخفى عليه العامل منكم بطاعته ، والمخالف ذلك ،وهو مجازى جميعكم عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ،وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) أيها المؤمنون بالقتل ، وجهاد أعداء الله (حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ) يقول : حتى يعلم حزبى وأوليائى أهل الجهاد فى الله منكم ،وأهل الصبر على قتال أعدائه ، فيظهر ذلك لهم ، ويعرف ذووالبصائر منكم فى دينه من ذوى الشكّ والحيرة فيه ،وأهل الإيمان من أهل النفاق ، ونبلو أخباركم ، فنعرف الصادق منكم من الكاذب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) ، وقوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوعِ) ونحو هذا ،قال : أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء ، وأنه مبتليهم فيها ، وأمرهم بالصبر ، وبشّرهم فقال : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ، ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم ، فقال : (مَسَّتْهُمُ البأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا) ، فالبأساء : الفقر ، والضرّاء : السقم ، وزُلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ

المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) قال : نختبركم . البلوى : الاختبار . وقرأ (الم أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) قال : لا يختبرون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) . . . الآية .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) وَنَبْلُوَ أخْبارَكُمْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بالنون « نبلو » و « نعلم » ، ونبلو على وجه الخبر من الله جلّ جلاله عن نفسه سوى عاصم ، فإنه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هى القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وإن كان للأخرى وجه صحيح .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا توحيد الله ، وصدّوا الناس عن دينه الذى ابتعث به رسله (وَشاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى) يقول : وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فحاربوه وآذَوه من بعد ما علموا أنه نبىّ مبعوث ، ورسول مرسل ، وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته ، وأنه لله رسول .

وقوله (لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئا) لأن الله بالغ أمره ، وناصر رسوله ، ومُظهره على من عاداه وخالفه (وسَيُحْبِطُ أعْمالَهُمْ) يقول : وسيذهب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا فلا ينفعهم بها فى الدنيا ولا الآخرة ويبطلها إلا مما يضرّهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ (٣٣) * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ) فى أمرهما ونهيهما (وَلا تُبْطِلُوا أعمالَكُمْ) يقول : ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما ، وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أعمالَكُمْ) . . . الآية ، من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا عمله بعمل سيئ فليفعل ، ولا قوّة إلا بالله ، فإن الخير ينسخ الشرّ ، وإن الشرّ ينسخ الخير ، وإن ملاك الأعمال خواتيمها .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ) يقول تعالى ذكره :

إن الذين أنكروا توحيد الله ، وصدّوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك ، ففتنوهم عنه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك ، ثم ماتوا وهم كفار : يقول : ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم (فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) يقول : فلن يعفو الله عما صنع من ذلك ، ولكنه يعاقبه عليه ، ويفضحه به على رءوس الأشهاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبُنوا عن قتالهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَا تَهِنُوا) قال : لاتضعفوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَا تَهِنُوا) : لاتضعف أنت .

وقوله (وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) يقول : لاتضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة ، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم (وَاللهُ مَعَكُمْ) يقول : والله معكم بالنصر لكم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا فى معنى قوله (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) فقال بعضهم : معناه : وأنتم أولى بالله منهم . وقال بعضهم : مثل الذى قلنا فيه :

ذكر من قال ذلك ، وقال معنى قوله (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) أنتم أولى بالله منهم .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ) قال : أى لاتكونوا أولى الطائفتين تصرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ) قال : لاتكونوا أولى الطائفتين صرعت لصاحبتها ، ودعتها إلى الموادعة ، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ) قال : لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت إلى صاحبتها (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) قال : يقول : وأنتم أولى بالله منهم .

ذكر من قال معنى قوله (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) : أنتم الغالبون الأعزّ منهم

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) قال : الغالبون مثل يوم أُحد تكون عليهم الدائرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) قال : هذا منسوخ ، قال : نسخه القتال والجهاد ، يقول : لاتضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى ، قال : وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل

أن يكون القتال ، يقول : لاتهن فتضعف ، فيرى أنك تدعوه إلى السلم وأنت فوقه ، وأعزّ منه (وأنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) أنتم أعزّ منهم ، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع ، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم . وقد قيل : عنى بقوله (وأنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) وأنتم الغالبون آخر الأمر ، وإن غلبوكم فى بعض الأوقات ، وقهروكم فى بعض الحروب .

وقوله (فَلا تَهِنُوا) جزم بالنهى ، وفى قوله (وَتَدْعُوا) وجهان : أحدهما الجزم على العطف على تهنوا ، فيكون معنى الكلام : فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم ، والآخر النصب على الصرف .

وقوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) يقول : ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها ، من قولهم : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا ، فأخذت له مالا غصبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله يقول (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) يقول : لن يظلمكم أجور أعمالكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) قال : لن ينقصكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) : أى لن يظلمكم أعمالكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) قال : لن يظلمكم أعمالكم ، ذلك يتركم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ) قال : لن يظلمكم أعمالكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ، وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ، وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ (٣٦) إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه ، والنفقة فى سبيله ، وبذل مهجتهم فى قتال أهل الكفر به : قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ، ولا تدعكم الرغبة فى الحياة إلى ترك قتالهم ، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، إلا ما كان منها لله من عمل فى سبيله ، وطلب رضاه . فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو ، يضمحلّ فيذهب ، ويندرس فيمرّ ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه (وَإِنْ تُؤْمِنوا

وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ) يقول : وإن تعملوا فى هذه الدنيا التى ما كان فيها مما هو لها ، فلعب ولهو ، فتؤمنوا به ، وتتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وهو الذى يبقى لكم منها ، ولا يبطل بطول اللهو واللعب ، ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم ، فيعوّضكم منه ماهو خير لكم منه يوم فقركم ، وحاجتكم إلى أعمالكم (وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) يقول : ولا يسألكم ربكم أموالكم ، ولكنه يكلفكم توحيده ، وخلع ما سواه من الأنداد ، وإفراد الألوهة والطاعة له (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا) : يقول جلّ ثناؤه : إن يسألكم ربكم أموالكم ، (فيحفكم) : يقول : فيجهدكم بالمسألة ، ويلحّ عليكم بطلبها منكم فيلْحِف ، تبخلوا : يقول : تبخلوا بها ، وتمنعوها إياه ، ضنا منكم بها ، ولكنه علم ذلك منكم ، ومن ضيق أنفسكم ، فلم يسألكموها .

وقوله (وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ) يقول : ويخرج جلّ ثناؤه لوسألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم . قال : قد علم الله أن فى مسألته المال خروج الأضغان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا) قال : الإحفاء : أن تأخذ كلّ شىء بيديك [1] .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ؛ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين (ها أَنْتُمْ) أيها الناس (هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) : يقول : تدعون إلى النفقة فى جهاد أعداء الله ونُصرة دينه (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ) بالنفقة فيه ، وأدخلت « ها » فى موضعين ، لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنىّ بين « ها » و بين « ذا » ، فقالت : ها أنت ذا قائما ، لأن التقريب جواب الكلام ، فربما أعادت « ها » مع « ذا » ، وربما اجتزأت بالأولى ، وقد حُذفت الثانية ، ولا يقدّمون أنتم قبل « ها » ، لأن ها جواب ، فلا تقرب بها بعد الكلمة .

وقال بعض نحويىّ البصرة : جعل التنبيه فى موضعين للتوكيد .

وقوله (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : ومن يبخل بالنفقة فى سبيل الله ، فإنما يبخل عن بخل نفسه ، لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة فى سبيل الله ، ولكن كانت تجود بها (وَاللهُ الغَنِيُّ وأَنْتُمُ الفُقَرَاءُ) يقول تعالى ذكره : ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم ، لأنه الغنىّ عن خلقه ، والخلق الفقراء إليه ، وأنتم من خلقه ، فأنتم الفقراء إليه ، وإنما حضكم على النفقة فى سبيله ، ليُكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه .

(١) فى (اللسان : حفا) : أحفى فلان فلانا : إذا برج به فى الإلحاف عليه ، أو سأله فأكثر عليه فى الطلب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هاأنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللهِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ، وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللهُ الغَنِىُّ وأنْتُمُ الفُقَرَاءُ) قال : ليس بالله تعالى ذكره إليكم حاجة ، وأنتم أحوج إليه .

وقوله تعالى ذكره : (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول تعالى ذكره : وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذى جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم ، فترتدّوا راجعين عنه (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) يقول : يهلككم ثم يجىء بقوم آخرين غيركم بدلا منكم ، يصدّقون به ، ويعملون بشرائعه (ثُمَّ لايَكُونُوا أمْثَالَكُمْ) يقول : ثم لايبخلوا بما أُمروا به من النفقة فى سبيل الله ، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم ، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) : يقول : إن توليتم عن كتابى وطاعتى أستبدل قوما غيركم . قادر والله ربنا على ذلك ، على أن يهلكهم ، ويأتى من بعدهم من هو خير منهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) قال : إن تولّوا عن طاعة الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) [1] .

وذُكر أنه عنى بقوله (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) : العَجَم من عَجَم فارس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بَزِيع البغدادىّ أبوسعيد ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن مسلم بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : « لما نزلت (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لايَكُونُوا أمْثَالَكُمْ) كان سَلْمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استبدلوا بنا ، قال : فضرب النبىّ صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ، فقال مِنْ هَذَا وَقَوْمِهِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أنَّ الدِّينَ تَعَلَّقَ بالثُّرَيَّا لَنَالَتْهُ رِجالٌ مِنْ أهْلِ فارِسَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مسلم بن خالد ، عن العلاء بن عبد الرحمن ،

(١) لم يأت بالتأويل هنا ، اكتفاء بدلالة ما قبله عليه ، لأن الرواية فى الحديثين عن يونس بن عبد الأعلى .

عن أبيه ، عن أبى هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولّينا استبدلوا بنا ، ثم لايكونوا أمثالنا ، فضرب على فخذ سلمان ، قال : هَذَا وَقَوْمُهُ ، وَلَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنَ الفُرْسِ » .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذىّ ، قال : ثنا عبد الله بن الوليد العَدَنى ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : « نزلت هذه الآية وسلمان الفارسىّ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكّ ركبتُه ركبتَه (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قالوا : يا رسول الله ومن الذين إن تولينا استُبدلوا بنا ثم لايكونوا أمثالنا ، قال : فضرب فخذ سلمان ، ثم قال : هَذَا وَقَوْمُهُ » .

وقال مجاهد فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) من شاء .

وقال آخرون : هم أهل اليمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عوف الطائىّ ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، قال : ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جُبير وشريح بن عبيد ، فى قوله (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) قال : أهل اليمن .

آخر تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

تفسير سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)

يعنى بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) يقول : إنا حكمنا لك يا محمد حكما لمن سمعه أوبلغه ، على من خالفك وناصبك من كفار قومك ، وقضينا لك عليهم

بالنصر والظفر ، لتشكر ربك ، وتحمده على نعمته ، بقضائه لك عليهم ، وفتحه مافتح لك ، ولتسبحه وتستغفره ، فيغفر لك بفعالك ذلك ربك ، ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح ، وما تأخّر بعد فتحه لك ذلك ، ما شكرته واستغفرته .

وإنما اخترنا هذا القول فى تأويل هذه الآية : لدلالة قول الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ، ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ توابا) على صحته ، إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله ، وفتح مكة ، وأن يستغفروه ، وأعلمه أنه توّاب على من فعل ذلك ، فنى ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) إنما هو خبر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام عن جزائه له على شكره له ، على النعمة التى أنعم بها عليه ، من إظهاره له ما فتح ، لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها .

وبعد فنى صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم « أنه كان يقوم حتى ترم قدماه ، فقيل له : يا رسول الله تفعل هذا وقد غُفرلك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : أفَلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ » ، الدلالة الواضحة على أن الذى قلنا من ذلك هو الصحيح من القول ، وأن الله تبارك وتعالى ، إنما وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة ، فتح ما فتح عليه ، وبعده على شكره له على نعمه التى أنعمها عليه . وكذلك كان يقول صلى الله عليه وسلم : « إنّى لَأسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ » ولو كان القول فى ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، على غير الوجه الذى ذكرنا ، لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآية ، ولا لاستغفار نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ربه جلّ جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل ، إذ الاستغفار معناه : طلب العبد من ربه عزّ وجلّ غفران ذنوبه ، فإذا لم يكن ذنوب تغفر ، لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى ، لأنه من المحال أن يقال : اللهمّ اغفر لى ذنبا لم أعمله . وقد تأوّل ذلك بعضهم بمعنى : ليغفر لك ما تقدّم من ذنبك قبل الرسالة ، وما تأخر إلى الوقت الذى قال : (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَّرَ) . وأما الفتح الذى وعد الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العِدَة على شكره إياه عليه ، فإنه فيما ذُكر الهدنة ، التى جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش بالحديبية .

وذُكر أن هذه السورة أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرفه عن الحديبية ، بعد الهدنة التى جرَت بينه وبين قومه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : قضينا لك قضاء مبينا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) والفتح : القضاء .

ذكر الرواية عمن قال : هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الوقت الذى ذكرت

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : الحديبية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إنَّا فَتَحْنا لكَ فَتْحا مُبِينا) قال : نحرُه بالحديبية وحَلْقُه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو بحر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن بن أبى علقمة ، قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « لما أقبلنا من الحُديبية أعرسنا فنمنا ، فلم نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت ، فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم ، قال : فقلنا أيقظوه ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : افْعَلُوا كمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ، فكذلك من نام أو نسى قال : وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدناها قد تعلّق خِطامها بشجرة ، فأتيته بها ، فركب ، فبينا نحن نسير ، إذ أتاه الوحى ، قال : وكان إذا أتاه اشتدّ عليه ؛ فلما سُرِّىَ عنه ، أخبرنا أنه أُنزل عليه : (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) » .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : « لما رجعنا من غزوة الحديبية ، وقد حيل بيننا وبين نسكنا ، قال : فنحن بين الحزن والكآبة ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ : (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِراطا مُسْتَقِيما) ، أو كما شاء الله ، فقال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ آيَةٌ أَحَبُّ إلَىَّ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، فى قوله « (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية ، وقد حيل بينهم وبين نسكهم ، فنحر الهَدْىَ بالحديبية ، وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن ، فقال : لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَىَّ آيَةٌ أَحَبُّ إلَىَّ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعا ، فَقَرأ (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ) . . . إلى قوله (عَزِيزًا) فقال أصحابه هنيئا لك يا رسول الله ، قد بين الله لنا ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ، فأنزل الله هذه الآية بعدها (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنهارُ خالِدِينَ فِيها) . . . إلى قوله (وكانَ ذلكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيما) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : أُنزلت هذه الآية ، فذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بنحوه ، غير أنه قال فى حديثه :

« فقال رجل من القوم : هنيئا لك مريئا يا رسول الله ، وقال أيضا : فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وماذا يفعل بهم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ) مرجعه من الحديبية ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ ، ثم قرأها عليهم ، فقالوا : هنيئا مريئا يا نبيّ الله ، قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه : (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنهارُ) . . . إلى قوله (فَوْزًا عَظِيما) » .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : لما نزلت هذه الآية (إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِراطا مُسْتَقِيما) قالوا : هنيئا مريئا لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ فنزلت (لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ) » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث عن أنس فى هذه الآية (إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) قال : الحديبية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : ما كنا نعدّ فتح مكة إلا يوم الحديبية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى وائل ، قال : « تكلم سهل بن حنيف يوم صفّين ، فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم ، لقد رأيتنا يوم الحديبية ، يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، ولو نرى قتالا لقاتلنا ، فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال : بَلَى ، قال : ففيم نعطى الدنية فى ديننا ، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا بْنَ الخَطَّابِ ، إِنّى رَسُولُ اللهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِى أَبَدًا ، قال : فرجع وهو متغيظ ، فلم يصبر حتى أتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ألسنا على حقّ وهم على باطل ؟ أليس قتلانا فى الجنة ، وقتلاهم فى النار ؟ قال : بلى ، قال : ففيم نعطى الدنية فى ديننا ، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا بن الخطاب إنه رسول الله ، لن يضيعه الله أبدا ، قال : فنزلت سورة الفتح ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر ، فأقرأه إياها ، فقال : يا رسول الله ، أَوَ فَتْح هو ؟ قال : نَعَمْ » .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان عن جابر ، قال : ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة مئة ، والحديبية : بئر .

حدثنى موسى بن سهل الرملى ، ثنا محمد بن عيسى ، قال : ثنا مُجَمع بن يعقوب الأنصارىّ ، قال : سمعت أبى يحدّث عن عمه عبد الرحمن بن يزيد ، عن عمه مجمّع بن جارية الأنصارىّ ، وكان أحد القرّاء الذين قرءوا القرآن ، قال : « شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها ، إذا الناس يهزّون الأباعر ، فقال بعض الناس لبعض : ما للناس ، قالوا : أُوحِىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ) فقال رجل : أوَ فتحٌ هو يا رسول الله ؟ قال : نَعَمْ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنَّهُ لَفَتْحٌ ، قال : فقُسِّمَت خيبر على أهل الحديبية ، لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية ، وكان الجيش ألفا وخمس مئة ، فيهم ثلاث مئة فارس ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهما ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : « نزلت (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا) بالحديبية ، وأصاب فى تلك الغزوة ما لم يصبه فى غزوة ، أصاب أن بُويع بيعة الرضوان ، وغُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وظهرت الروم على فارس ، وبلغ الهَدْىُ مَحِله ، وأُطعموا نخل خيبر ، وفرح المؤمنون بتصديق النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وبظهور الروم على فارس » .

وقوله تعالى (وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بإظهاره إياك على عدوّك ، ورفعه ذكرك فى الدنيا ، وغفرانه ذنوبك فى الآخرة (وَيَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتَقِيما) يقول : ويرشدك طريقا من الدين لا اعوجاج فيه ، يستقيم بك إلى رضا ربك (وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا) يقول : وينصرك على سائر أعدائك ، ومن ناوأك نصرا ، لا يغلبه غالب ، ولا يدفعه دافع ، للبأس الذى يؤيدك الله به ، وبالظفر الذى يمدّك به .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)

⁂ يعنى جلّ ذكره بقوله (هُوَ الَّذِى أنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ) الله أنزل السكون والطمأنينة فى قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان ، والحقّ الذى بعثك الله به يا محمد . وقد مضى ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة قبل ، والصحيح من القول فى ذلك بالشواهد المغنية ، عن إعادتها فى هذا الموضع .

(لِيَزْدَادُوا إيمانا مَعَ إيمانِهِمْ) يقول : ليزدادوا بتصديقهم بما جدّد الله من الفرائض التى ألزمهموها ، التى لم تكن لهم لازمة (إيمانا مع إيمانهم) ، يقول : ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التى كانت لهم لازمة قبل ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) قال : السكينة : الرحمة (لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) : قال : إن الله جلّ ثناؤه بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدّقوا بها زادهم الصلاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة ، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ ، ثم أكمل لهم دينهم ، فقال (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى) قال ابن عباس : فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات ، وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولله جنود السموات والأرض أنصار ، ينتقم بهم ممن يشاء من أعدائه (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله ذا علم بما هو كائن قبل كونه ، وما خلقه عاملوه ، حكيما فى تدبيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)

يقول تعالى ذكره : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، لتشكر ربك ، وتحمده على ذلك ، فيغفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ، وليحمد ربهم المؤمنون بالله ، ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم ، من الفتح الذى فتحه ، وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين ، بإظهاره إياهم عليهم ، فيدخلهم بذلك جنات تجرى من تحتها لأنهار ، ماكثين فيها إلى غير نهاية ، وليكفر عنهم سيِّئ أعمالهم ، بالحسنات التى يعملونها ، شكرا منهم لربهم على ما قضى لهم ، وأنعم عليهم به (وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) يقول تعالى ذكره : وكان ما وعدهم الله به من هذه العدّة ، وذلك إدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وتكفيره سيئاتهم ، بحسنات أعمالهم التى يعملونها عند الله لهم . (فَوْزًا عَظِيمًا) يقول : ظفرا منهم بما كانوا تأمّلوه ويسعون له ، ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما . وقد تقدّم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو تلا عليهم قول الله عزّ وجلّ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) هذا لك يا رسول الله ، فماذا لنا ؟ تبيينا من الله لهم ما هو فاعل بهم .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) . . . إلى قوله (وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) فأعلم الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام .

قوله (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) على اللام من قوله (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ) بتأويل تكرير الكلام (إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ) ، إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ولذلك لم تدخل الواو التى تدخل فى الكلام للعطف ، فلم يقل : وليدخل المؤمنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ، وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وليعذّب المنافقين والمنافقات ، بفتح الله لك يامحمد ، ما فتح لك ، من نصرك على مشركى قريش ، فيكبتوا لذلك ويحزنوا ، ويخيب رجاؤهم الذى كانوا يرجُون من رؤيتهم فى أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولى عنك فى عاجل الدنيا ، وصلىّ النار والخلود فيها فى آجل الآخرة (وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) يقول : وليعذّب كذلك أيضا المشركين والمشركات (الظَّانِّينَ باللهِ) أنه لن ينصرك ، وأهل الإيمان بك على أعدائك ، ولن يظهر كلمته ، فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به ، وذلك كان السَّوء من ظنونهم التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، يقول تعالى ذكره : على المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظنّ دائرة السَّوء ، يعنى دائرة العذاب تدور عليهم به .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (دائِرَةُ السَّوْءِ) بفتح السين . وقرأ بعض قرّاء البصرة (دائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين . وكان الفرّاء يقول : الفتح أفشى فى السين ؛ قال : وقلما تقول العرب دائرة السُّوء بضم السين ، والفتح فى السين أعجب إلىّ من الضم ، لأن العرب تقول : هو رجل سَوْء ، بفتح السين ؛ ولا تقول : هو رجل سُوء .

وقوله (وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) يقول : ونالهم الله بغضب منه ، ولعنهم : يقول : وأبعدهم فأقصاهم من رحمته (وأعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ) يقول : وأعدّ لهم جهنم يَصْلَونها يوم القيامة (وَساءَتْ مَصِيرًا) : يقول : وساءت جهنم منزلا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات ، والمشركون والمشركات .

وقوله (وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول جلّ ثناؤه : ولله جنود السموات والأرض أنصارا على أعدائه ، إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم ، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له (وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) : يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله ذا عزّة ، لا يغلبه غالب ، ولا يمتنع عليه مما أراده به ممتنع ، لعظم سلطانه وقدرته ، حكيم فى تدبيره خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إنَّا أرْسَلْنَاكَ) يامحمد (شاهِدًا) على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، مما أرسلتك به إليهم من الرسالة، (ومُبَشِّرًا)لهم بالجنة إن أجابوك إلى مادعوتهم إليه من الدين القيم ، ونذيرا لهم عذاب الله إن هم تولّوْا عما جئتهم به من عند ربك .

ثم اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِتُؤْمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ) فقرأ جميع ذلك عامة قرّاء الأمصار خلا أبى جعفر المدنى وأبى عمرو بن العلاء، بالتاء(لِتُؤْمِنُوا ، وتُعَزِّرُوهُ ، وَتُوَقِّرُوهُ ، وَتُسَبِّحُوهُ) بمعنى : لتؤمنوا بالله ورسوله أنتم أيها الناس . وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء (لِيُؤْمِنُوا ، ويُعَزِّرُوهُ ، ويُوَقِّرُوهُ ، ويُسَبِّحُوهُ) بمعنى : إنا أرسلناك شاهدا إلى الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزّروه .

والصواب من القول فى ذلك: أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يقول : شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله ، ونذيرا من النار .

وقوله (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : تجلّوه ، وتعظموه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيُعَزِّرُوهُ) يعنى : الإجلال (وَيُوَقِّرُوهُ) يعنى : التعظيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ) كل هذا تعظيم وإجلال .

وقال آخرون : معنى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ) : وينصروه ، ومعنى (وَيُوَقِّرُوهُ) ويفخموه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَزِّرُوهُ) : ينصروه (وَيُوَقِّرُوهُ) أمر الله بتسويده وتفخيمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ) قال : ينصروه ويوقروه : أى ليعظموه .

حدثنى أبو هريرة الضُّبَعىّ ، قال : ثنا حرمىّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، جعفر بن أبى وحشية ، عن عكرِمة (وَيُعَزِّرُوهُ) قال : يقاتلون معه بالسيف .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هشيم ، عن أبى بشر ، عن عكرِمة ، مثله .

حدثنى أحمد بن الوليد ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن سعيد ، عن أبى بشر ، عن عكرِمة ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن عكرِمة ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويعظموه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ) قال : الطاعة لله .

وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها . ومعنى التعزير فى هذا الموضع : التقوية بالنُّصرة والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال .

وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

فأما التوقير : فهو التعظيم والإجلال والتفخيم .

وقوله (وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) يقول : وتصلوا له ، يعنى لله بالغدوات والعشيات . والهاء فى قوله (وَتُسَبِّحُوهُ) من ذكر الله وحده دون الرسول . وقد ذُكر أن ذلك فى بعض القراءات : (وَيُسَبِّحُوا اللهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) فى بعض القراءة ، ويسبِّحوا الله بكرة وأصيلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى بعض الحروف (وَيُسَبِّحُوا اللهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً) يقول : يسبحون الله رجع إلى نفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ، يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ) بالحديبية من أصحابك، على أن لايفرّوا عند لقاء العدوّ ، ولا يولّوهم الأدبار (إنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ) يقول : إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله ، لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ) قال : يوم الحديبية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) وهم الذين بايعوا يوم الحديبية .

وفى قوله (يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ) وجهان من التأويل : أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البَيْعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والآخر : قوّة الله فوق قوّتهم ، فى نُصرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نُصرته على العدوّ .

وقوله (فَمَنْ نَكَثَ فإنَّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : فمن نكث بيعته إياك يامحمد ، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك ، وخالف ما وعد ربه (فإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) يقول : فإنما ينقض بيعته ، لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الجنة ، بوفائه بالبيعة ، فلم يضرّ بنكثه غير نفسه ، ولم ينكث إلا عليها ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه ، نكث الناكث منهم ، أو وفى ببيعته .

وقوله (وَمَنْ أوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : ومن أوفى بما عاهد الله عليه ، من الصبر عند لقاء العدوّ فى سبيل الله ، ونُصرة نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيما) يقول : فسيعطيه الله ثوابا عظيما ، وذلك أن يُدخله الجنة ، جزاء له على وفائه بما عاهد عليه الله ، ووثق لرسوله على الصبر معه عند البأس ، بالمؤكدة من الأيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيما) وهى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلْ : فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ، بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سيقول لك يامحمد الذين خلفهم الله فى أهليهم عن صحبتك ، والخروج معك فى سفرك الذى سافرت ، ومسيرك الذى سرت إلى مكة معتمرا ، زائرا بيت الله الحرام ، إذا انصرفت إليهم ، فعاتبتهم على التخلف عنك ، شغلتنا عن الخروج معك معالجة أموالنا ، وإصلاح معايشنا وأهلونا ، فاستغفر لنا ربنا لتخلُّفنا عنك ، قال الله جلّ ثناؤه مكذّبهم فى قيلهم ذلك : يقول هؤلاء الأعراب المخلَّفون عنك بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، وذلك مسئلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم ، يقول : يسألونه بغير توبة منهم ، ولا ندم على ماسلف منهم من معصية الله ، فى تخلفهم عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسير معه (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهم عنك : إن أنا استغفرت لكم أيها القوم ، ثم أراد الله هلاككم أوهلاك أموالكم وأهليكم ، أو أراد بكم نفعا ، بتشميره أموالكم ، وإصلاحه لكم أهليكم ، فمن ذا الذى يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أوشرّ ، والله لايعازُّه أحد ، ولا يغالبه غالب .

وقوله (بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يظنّ هؤلاء المنافقون من الأعراب أن الله لايعلم ما هم عليها منطَوُون من النفاق ، بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشرّ خبيرا ، لايخفى عليه شىء من أعمال خلقه ، سرّها وعلانيتها ، وهو محصيها عليهم ، حتى يجازيهم بها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر عنه ، حين أراد المسير إلى مكة عام الحُديبية معتمرا ، استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادى والأعراب ، ليخرجوا معه ، حذرا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب ، أو يصدّوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة ، وساق معه الهَدْى ، ليعلم الناس أنه لايريد حربا ، فتثاقل عنه كثير من الأعراب ، وتخلّفوا خلافه ، فهم الذين عَنَى الله تبارك وتعالى بقوله (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) . . . الآية .

وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم بسِيَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، منهم ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بذلك . حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) قال : أعراب المدينة : جُهَينة ومُزَينة ، استتبعهم لخروجه إلى مكة ، قالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه ، فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فاعتلوا بالشغل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) فقرأته قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (ضَرًّا) بفتح الضاد ، بمعنى : الضرّ الذى هو خلاف النفع . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (ضُرًّا) بضم الضاد ، بمعنى البؤس والسَّقم .

وأعجب القراءتين إلىّ : الفتح فى الضاد فى هذا الموضع ، بقوله (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) ، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ ، وإن كانت الأخرى صحيحا معناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا، وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ، وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ، وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا (١٢)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرَفه من سفره إليهم بقولهم (شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا) : ما تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم ، وقعدتم عن صحبته ، من أجل شغلكم بأموالكم وأهليكم ، بل تخلفتم بعده فى منازلكم ، ظنا منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه سيهلكون ، فلا يرجعون إليكم أبدا ، باستئصال العدوّ إياهم . (وزُيِّنَ ذَلِكَ فى قُلُوبِكُمُ) وحسَّن الشيطان ذلك فى قلوبكم ، وصححه عندكم ، حتى حسُن عندكم التخلف عنه ، فقعدتم عن صحبته (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) يقول : وظننتم أن الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم ، وأن العدوّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ) . . . إلى قوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) قال : ظنوا بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك ، وأنهم سيهلكون ، فذلك الذى خلَّفهم عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) يقول : وكنتم قوما هَلْكى لايصلحون لشىء من الخير . وقيل : إن البور فى لغة أذرعات : الفاسد ؛ فأما عند العرب فإنه لاشىء . ومنه قول أبى الدرداء : فأصبح ما جمعوا بُوْرا : أى ذاهبا ، قد صار باطلا ، لاشىء منه ؛ ومنه قول حسَّان بن ثابت :

لايَنْفَعُ الطُّولُ مِن نُوكِ القُلوب وقدْ ... يَهْدِى الإلَهُ سَبِيلَ المَعْشَرِ البُورِ (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكُنْتُمْ قَوْما بُورًا) قال : فاسدين

(١) البيت لحسان بن ثابت يهجو قوما بأن طول أجسامهم لا خير فيه ، ماداموا ذوى نوك أى حمق . والبور : الهلكى . قال فى (اللسان : بور) ورجل بور وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث . وفى التنزيل : « وكنتم قوما بورا » قال : وقد يكون بور هنا جمع بائر ، مثل حول وحائل . وحكى الأخفش عن بعضهم أنه لغة وليس بجمع لبائر ، كما يقال : أنت بشر ، وأنتم بشر . قال : وقال الفراء فى قوله « وكنتم قوما بورا » : البور : مصدر يكون واحدا وجمعا . وفى معانى القرآن (الورقة ٣٠٥) عن ابن عباس قال : البور فى لغة أزد عمان : الفاسد ، « وكنتم قوما بورا » : قوما فاسدين . والبور فى كلام العرب : « لاشىء » . يقال أصبحت أعمالهم بورا ، ومساكنهم قبورا .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال : البُور الذى ليس فيه من الخير شىء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) قال : هالكين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ، يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٤)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب ، (ومَنْ لَمْ يُؤْمِنْ) أيها الأعراب بالله ورسوله ، منكم ومن غيركم ، فيصدّقه على ما أخبر به ، ويقرّ بما جاء به من الحقّ من عند ربه ، فإنا أعددنا لهم جميعا سعيرا من النار ، تستعر عليهم فى جهنم إذا وردوها يوم القيامة ؛ يقال من ذلك : سعرت النار : إذا أوقدتها ، فأنا أسعرها سعرا ؛ ويقال : سعرتها أيضا إذا حرّكتها . وإنما قيل للمِسْعر مِسْعر ، لأنه يحرّك به النار ، ومنه قولهم : إنه لمِسْعَرُ حَرْبٍ : يراد به مُوقدها ومهيجها .

وقوله (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولله سلطان السموات والأرض ، فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه ، أو منعه من عفوه عنكم إن عفا ، إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم ، وهذا من الله جلّ ثناؤه حثّ لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة إلى أمر الله ، فى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول لهم : بادروا بالتوبة مِنْ تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يغفر للتائبين (وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول : ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده ، وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ، قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ، كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ، فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ، بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (سَيَقُولُ) يا محمد (المُخَلَّفُونَ) فى أهليهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام ، إذا انطلقت أنت ومن صحبك فى سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة (لِتَأْخُذُوها) وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ)

إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) يقول : يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ، ووعدهم ذلك ، عوضا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح ، ولم يصيبوا منهم شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : رجع ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة ، فوعده الله مغانم كثيرة ، فعجلت له خيبر ، فقال المخلَّفون (ذَرُونا نَتَّبِعْكُم ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهُ) وهى المغانم ليأخذوها ، التى قال الله جلّ ثناؤه : (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوها) وعرض عليهم قتال قوم أولى بأس شديد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل من أصحابه ، عن مقسم قال : لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر ، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية ، لم يعط أحدا غيرهم منها شيئا ، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا : (ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) يقول : ماوعدهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ) . . . الآية ، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية . ذُكر لنا « أن المشركين لما صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، عن المسجد الحرام والهدى ، قال المقداد : يا نبىّ الله ، إنا والله لانقول كالملأ من بنى إسرائيل إذ قالوا لنبيهم : (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ) ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ؛ فلما سمع ذلك أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم تبايعوا على ما قال ؛ فلما رأى ذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا ، ورجع من عامه ذلك » .

وقال آخرون : بل عنى بقوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) إرادتهم الخروج مع نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه ، وقد قال الله تبارك وتعالى (فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِى أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ) . . . الآية ، قال الله له عزّ وجلّ حين رجع من غزوه ، (فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِى أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) . . . الآية

يريدون أن يبدّلوا كلام الله: أرادوا أن يغيروا كلام الله الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ويخرجوا معه ، وأبى الله ذلك عليهم ، ونبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذا الذى قاله ابن زيد قول لاوجه له ، لأن قول الله عزّ وجلّ (فاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، ولَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) إنما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَه من تبوك ، وعُنِي به الذين تخلّفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم ، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ تبوك كانت بعد فتح خيبر ، وبعد فتح مكة أيضا ، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنيا بقول الله: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ) وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص معتمرا يريد البيت ، فصدّه المشركون عن البيت ، الذين تخلّفوا عنه فى غزوة تبوك ، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ، ولا كان أُوحِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (فاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا) .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فى ذلك : ما قاله مجاهد وقتادة ، على ما قد بيّنا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفة ، (كَلامَ الله) على وجه المصدر ، بإثبات الألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (كَلِمَ اللهِ) بغير ألف ، بمعنى جمع كلمة ، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت إلى قراءته بالألف أَمْيل .

وقوله (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا ، كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المُخَلَّفين عن المسير معك يامحمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم . (كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) يقول : هكذا قال الله لنا من قبل مَرْجِعنا إليكم ، إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ، ولستم ممن شهدها ، فليس لكم أن تَتَّبعونا إلى خيبر ، لأن غنيمتها لغيركم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ): أى إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد ، وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ، ليس لغيرهم فيها نصيب .

وقوله (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا) أن نُصيب معكم مَغْنَما إن نحن شهدنا معكم ، فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

على أن المعنىّ بذلك هوازن ، ولا بنو حنيفة ولا فارس ، ولا الروم ، ولا أعيان بأعيانهم ، وجائز أن يكون عُنى بذلك بعض هذه الأجناس ، وجائز أن يكون عُنِى بهم غيرهم ، ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه : إنهم سيدعون إلى قوم أولى بأس شديد .

وقوله (تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمخلّفين من الأعراب : تقاتلون هؤلاء الذين تُدْعَوْنَ إلى قتالهم ، أو يسلمون من غير حرب ولا قتال .

وقد ذُكر أن ذلك فى بعض القراءات (تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُوا) ، وعلى هذه القراءة وإن كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار ، وخلافا لما عليه الحجة من القرّاء ، وغير جائز عندى القراءة بها لذلك ، تأويل ذلك : تقاتلونهم أبدا إلا أن يسلموا ، أو حتى يسلموا .

وقوله (فإنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أجْرًا حَسَنًا) يقول تعالى ذكره فإن تطيعوا الله فى إجابتكم إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولى البأس الشديد ، فتجيبوا إلى قتالهم والجهاد مع المؤمنين (يُؤْتِكُمُ اللهُ أجْرًا حَسَنًا) يقول : يعطكم الله على إجابتكم إياه إلى حربهم الجنة ، وهى الأجر الحسن (وَإنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) يقول : وإن تعصُوا ربكم ، فتدبِروا عن طاعته ، وتخالفوا أمره ، فتتركوا قتال الأولى البأس الشديد إذا دُعيتم إلى قتالهم (كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ) يقول : كما عصيتموه فى أمره إياكم بالمسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، من قبل أن تُدْعَوْا إلى قتال أولى البأس الشديد. (يُعَذِّبْكُمُ اللهُ عَذَابا أليما) يعنى : وجيعا ، وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه ، وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ، وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ، وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق ، ولا على الأعرج ضيق ، ولا على المريض ضيق ، أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين ، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم ، للعلل التى بهم ، والأسباب التى تمنعهم من شهودها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ ، وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) قال : هذا كله فى الجهاد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثُمّ عذر الله أهل العذر من الناس ، فقال : (لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ ، وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ) قال : فى الجهاد فى سبيل الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ) . . . الآية ، يعنى فى القتال .

وقوله (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ) يقول تعالى ذكره : ومن يُطع الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك ، وإلى القتال مع المؤمنين ، ابتغاء وجه الله إذا دعى إلى ذلك ، يُدخله الله يوم القيامة جنّات تجرى من تحتها الأنهار (وَمَنْ يَتَوَلَّ) يقول : ومن يعص الله ورسوله ، فيتخلّف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعى إليه ، ولم يستجب لدعاء الله ورسوله ، يعذّبه عذابا موجعا ، وذلك عذاب جهنم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

* لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ، فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)

* يقول تعالى ذكره : (لَقَدْ رَضِيَ اللهُ) يامحمد (عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) يعنى بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية ، حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب ، وعلى أن لايفرّوا ، ولا يولوهم الدبر (تحت الشجرة) ، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة .

وكان سبب هذه البيعة ما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه برسالة إلى الملإ من قريش ، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء ، فظنّ أنه قد قتل ، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفتُ ، فبايعوه على ذلك ، وهذه البيعة التى تسمى بيعة الرضوان ، وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذُكر فى قول بعضهم : ألفا وأربع مئة ، وفى قول بعضهم : ألفا وخمس مئة ، وفى قول بعضهم : ألفا وثلاث مئة .

ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى بعض أهل العلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِراش بن أمية الخزاعىّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، وذلك حين نزل الحديبية ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثنى من لاأتهم ، عن عكرِمة مولى ابن عباس : « أن

ذكر من قال : كانوا ألفا وثلاث مئة

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول : كانوا يوم الشجرة ألفا وثلاث مئة ، وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين .

وقوله (فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فعلم ربك يامحمد ما فى قلوب المؤمنين من أصحابك ، إذ يبايعونك تحت الشجرة ، من صدق النية ، والوفاء بما يبايعونك عليه ، والصبر معك (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) يقول : فأنزل الطمأنينة ، والثبات على ما هم عليه من دينهم ، وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذى هداهم الله له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ ، فأنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ) : أى الصبر والوقار .

وقوله (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) يقول : وعوّضهم فى العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة ، بقتالهم أهلها فتحا قريبا ، وذلك فيما قيل : فتح خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبى ليلى (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) قال : خيبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) وهى خيبر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا) قال : بلغنى أنها خيبر .

وقوله (وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها) يقول تعالى ذكره : وأثاب الله هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم ، وإنزاله السكينة عليهم ، وإثابته إياهم فتحا قريبا ، معه مغانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر ، فإن الله جعل ذلك خاصة لأهل بيعة الرضوان ، دون غيرهم .

وقوله (وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيما) يقول : وكان الله ذا عزّة فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه ، حكيما فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ،

وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا (٢١)

يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان : (وَعَدَكُمُ اللهُ) أيها القوم (مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) .

☆ اختلف أهل التأويل فى هذه المغانم التى ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القوم، أىّ المغانم هى ؟ فقال بعضهم : هى كل مغنم غنمها الله المؤمنين به من أموال أهل الشرك ، من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) : قال : المغانم الكثيرة التى وعدوا : ما يأخذونها إلى اليوم .

وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مرادا بالمغانم الثانية المغانمَ الأولى ، ويكون معناه عند ذلك ، فأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها ، وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التى تأخذونها ، وأنتم إليها واصلون عدة ، فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر . ويُحتمل أن تكون الثانية غير الأولى ، وتكون الأولى من غنائم خيبر ، والغنائم الثانية التى وعدهموها ، من غنائم سائر أهل الشرك سواهم .

وقال آخرون : هذه المغانم التى وعد الله هؤلاء القوم هى مغانم خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها) قال : يوم خيبر ، قال : كان أبى يقول ذلك .

وقوله (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) اختلف أهل التأويل فى التى عجلت لهم ، فقال جماعة : غنائم خيبر ، والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت ، إلى قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) قال : عجل لكم خيبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) وهى خيبر

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) قال : الصلح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أحاطَ اللهُ بِها) قال : خيبر ، قال : لم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها ، حتى أخبرهم الله بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) يعنى أهل خيبر .

وقال آخرون : بل هى مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أحاطَ اللهُ بِها) : كنا نحدّث أنها مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) قال : بلغنا أنها مكة .

وهذا القول الذى قاله قتادة : أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، أنه محيط بقرية لم يقدروا عليها ، ومعقول أنه لايقال لقوم : لم يقدروا على هذه المدينة ، إلا أن يكونوا قد راموها فتعذّرت عليهم ، فأمّا وهُمْ لم يروموها فتتعذّر عليهم ، فلا يقال : إنهم لم يقدروا عليها .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبرَ لحرب ، ولاوجّه إليها لقتال أهلها جيشا ولا سَرِية ، علم أن المعنىّ بقوله (وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) غيرها ، وأنها هى التى قد عالجها ورامها فتعذّرت ، فكانت مكة وأهلها كذلك ، وأخبر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، أنه أحاط بها وبأهلها ، وأنه فاتحها عليهم ، وكان الله على كلّ ما يشاء من الأشياء ذا قُدرة ، لايتعذّر عليه شىء شاءه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ، وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرِّضوان : (وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله أيها المؤمنون بمكة (لَوَلَّوُا الأدْبارَ) يقول : لانهزموا عنكم ، فولوكم أعجازهم ، وكذلك يفعل المنهزم من قِرنه فى الحرب (ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا) يقول : ثم لايجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم ، المولوكم الأدبار ، وليًّا يواليهم على حربكم ، ولا نصيرا ينصرهم عليكم ، لأن الله تعالى ذكره معكم ، ولن يُغْلَبَ حزبُ اللهّ ناصرُه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبارَ) يعنى كفار قريش ، قال الله : (ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً) ينصرهم من الله .

وقوله (سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ) يقول تعالى ذكره : لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش ، لخذلهم الله ، حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به ، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مَضَوا قبلهم . وأخرج قوله (سُنَّةَ اللهِ) نصبا من غير لفظه ، وذلك أن فى قوله (لَوَلَّوُا الأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً) معنى سَنَنْت فيهم الهزيمة والخذلان ، فلذلك قيل : (سُنَّةَ اللهِ) مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه ، وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا ، بل ذلك دائم ، للإحسان جزاؤه من الإحسان ، وللإساءة والكفر العقاب والنكال .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم : والذين بايعوا بيعة الرضوان ، (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) يعنى أن الله كفّ أيدى المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يلتمسون غِرَّتهم ، ليصيبوا منهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بهم أسرى ، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنّ عليهم ولم يقتلهم ، فقال الله للمؤمنين : وهو الذى كفّ أيدىَ هؤلاء المشركين عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة ، من بعد أن أظفركم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى يقول : أخبرنا الحسين بن واقد ، قال : ثنى ثابت البُنَانى ، عن عبد الله بن مُغَفَّل : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى أصل شجرة بالحُدَيبية ، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة ، فرفعتها عن ظهره ، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بين يديه ، وسهيل بن عمرو ، وهو صاحب المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ : اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فأمسك سُهَيل بيده ، فقال : ما نعرف الرحمن ، اكتب فى قضيتنا ما نعرف ،

وسلم عام الحُديبية ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق الهَدْىَ معه ، سبعين بَدَنة ، وكان الناس سبع مئة رجل ، فكانت كلّ بدَنة عن عشرة » .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَالهَدْىَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الْحَرَامِ والهَدْىَ مَعْكُوفا) : أى محبوسا (أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) ، وأقبل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه معتمرين فى ذى القعدة ، ومعهم الهدى ، حتى إذا كانوا بالحُديبية ، صدّهم المشركون ، فصالحهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، على أن يرجع من عامه ذلك ، ثم يرجع من العام المقبل ، فيكون بمكة ثلاث ليال ، ولا يدخلها إلا بسلاح الراكب ، ولا يخرج بأحد من أهلها ، فنحروا الهدى ، وحلقوا ، وقصّروا ، حتى إذا كان من العام المقبل ، أقبل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى دخلوا مكة معتمرين فى ذى القعدة ، فأقام بها ثلاث ليال ، وكان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه ، فأقصه الله منهم فأدخله مكة فى ذلك الشهر ، الذى كانوا ردّوه فيه ، فأنزل الله (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ ، والحُرُماتُ قِصَاصٌ) .

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، وأحمد بن منصور الرمادىّ ، واللفظ لابن عُمارة ، قالا : حدثنا عبيد الله ابن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : « بَعَثت قريش سُهَيل بن عمرو ، وحويطِب بن عبد العُزَّى ، وحفص بن فلان إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليصالحوه ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سُهَيل بن عمرو ، قال : قد سهّل الله لكم من أمركم ، القوم ماتُّون إليكم بأرحامهم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهَدْى ، وأظهروا التلبية ، لعلّ ذلك يلين قلوبهم ، فلبّوا من نواحى العسكر ، حتى ارتجت أصواتهم بالتّلبية ، فجاءوا فسألوه الصلح ؛ قال : فبينما الناس قد توادعوا ، وفى المسلمين ناس من المشركين ، قال : فقيل به أبو سفيان ؛ قال : وإذا الوادى يسيل بالرجال ؛ قال : قال إياس ، قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلحين أسوقهم ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّا ، فأتيت بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يسلِب ولم يقتل وعفا ؛ قال : فشددنا على من فى أيدى المشركين منا ، فما تركنا فى أيديهم منا رجلا إلا استنقذناه ؛ قال : وغلبنا على من فى أيدينا منهم ؛ ثم إن قريشا بعثوا سُهَيل بن عمرو ، وحُويطبا ، فولوُا صلحهم ، وبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم عليا فى صلحه ؛ فكتب علىّ بينهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، صالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال ، وعلى أنه من قَدم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، حاجا أو معتمرا ، أو يبتغى من فضل الله ، فهو آمن على دمه وماله ؛ ومن قَدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام ، يبتغى من فضل الله ، فهو آمن على دمه وماله ؛ وعلى أنه من جاء محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش فهو

إليهم رُدّ ، ومن جاءهم من أصحاب محمد فهو لهم . فاشتدّ ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ جاءَهُمْ مِنَّا فأَبْعَدَهُ اللهُ ، وَمَنْ جاءَنا مِنْهُمْ فَرَدَدْناهُ إلَيْهِمْ ، فَعَلِمَ اللهُ الإسْلامَ مِنْ نَفْسِهِ ، جَعَلَ لَهُ مَخْرَجا . فصالحوه على أنه يعتمر فى عام قابل فى هذا الشهر ، لايدخل علينا بخيل ولا سلاح ، إلا ما يحمل المسافر فى قرابه ، يَثْوِى فينا ثلاث ليال ، وعلى أن هذا الهَدْى حيثما حبسناه محلّه لايُقْدِمُه علينا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَحْنُ نَسُوقُهُ وأَنْتُمْ تَرُدُّونَ وُجُوهَهُ ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الهدى ، وسار الناس » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى ، قال : أخبرنى أبو مُرّة مولى أمّ هانئ ، عن ابن عمر ، قال : « كان الهدى دون الجبال التى تطلع على وادى الثَّنِية ، عرض له المشركون ، فردّوا وجوهه ؛ قال : فنحر النبىّ صلى الله عليه وسلم الهدى حين حبسوه ، وهى الحُدَيبية ، وحلق ، وتأسّى به أُناس حين رأوه حلق ، وتربّص آخرون ، فقالوا : لعلنا نطوف بالبيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ ، قيل : والمقصرين ، قال : رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ ، قيل : والمقصرين ، قال : والمُقَصِّرِينَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن ذَرّ الهَمْدانى ، عن مجاهد « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عُمَر ، كلها فى ذى القعدة ، يرجع فى كلها إلى المدينة ، منها العمرة التى صُدّ فيها الهدى ، فنحره فى محله ، عند الشجرة ، وشارطوه أن يأتى فى العام المقبل معتمرا ، فيدخل مكة ، فيطوف بالبيت ثلاثة أيام ، ثم يخرج ، ولا يحبسون عنه أحدا قَدِم معه ، ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه من المسلمين ؛ فلما كان من العام المقبل دخل مكة ، فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت ؛ فلما كان اليوم الثالث قريبا من الظهر ، أرسلوا إليه : إن قومك قد آذاهم مُقامك ، فنُودى فى الناس : لاتغرب الشمس وفيها أحد من المسلمين قَدِم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر ابن مَخْرمة ، قال : « خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم زمن الحُدَيبية فى بضع عشرة مئة من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلّد الهدىَ وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عينا له من خُزاعة ، يخبره عن قريش ، وسار النبىّ صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من قُعَيقعان ، أتاه عينه الخزاعىّ ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤىّ قد جمعوا لك الأحابيش ، وجمعوا لك جموعا ، وهم مقاتلوك ، وصادّوك عن البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشِيرُوا عَلَىَّ ، أتَرَوْنَ أنْ نَمِيلَ على ذَرَارِىِّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أعانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ ، فإنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْزُونِينَ وإنْ لَحُّوا تَكُنْ عُنُقا قَطَعَها اللهُ ؟ أمْ تَرَوْنَ أنَّا نَؤُمُّ البَيْتَ ، فَمَنْ صَدّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ ؟ فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَرَوِّحُوا إذَنْ ؛ وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحدا قطّ كان أكثر

مُشاورة لأصحابه من النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنّ خالدَ بنَ الوَليدِ بالغَميمِ في خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَليعَةً ، فخُذُوا ذاتَ اليَمينِ ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقُتْرة الجيش ، فانطلق يركض نذيرا لقريش ، وسار النبيّ صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالثنية التى يُهبط عليهم منها ، بركت به راحلته ؛ فقال الناس : حَلْ حَلْ[1] ، فقال : ما حَلَ ؟ فقالوا : خَلأَتَ القَصْواء[2] ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ما خَلأَتْ ، وَما ذاكَ لَها بخُلُقٍ ، ولَكِنَّها حَبَسَها حابِسُ الفيلِ . ثم قال : والَّذى نَفْسى بيَدِهِ لايَسألُونى خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بها حُرُماتِ اللهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاها ، ثم زُجِرت فوثبت ، فعدل عنهم ، حتى نزل بأقصى الحُديبية ، على ثَمَد قليل الماء ، إنما يتبرّضه الناس تبرّضا ، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشُكِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فنزع سهما من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّىّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك جاء بُدَيْلُ بن ورقاء الخزاعىّ فى نفر من خُزاعة ، وكانوا عَيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة ، فقال : إنى تركت كعب بن لُؤَىّ ، وعامر بن لُؤَىّ ، قد نزلوا أعداد مياه الحُديبية ، معهم العُوذ المَطافيل ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنَّا لَمْ نأتِ لِقتالِ أحَدٍ ، ولَكِنَّا جِئْنا مُعْتَمِرينَ ، وَإنَّ قُرَيْشا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ ، وأَضَرَّتْ بِهِمْ ، فإنْ شاءُوا مادَدْناهُمْ مُدَّةً ، ويُخَلُّوا بَيْنِى وَبَينَ النَّاسِ ، فإنْ أظْهَرْ فإنْ شاءُوا أنْ يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وَإلاَّ فَقَدْ جَمُّوا ، وَإنْ هُمْ أبَوْا فَوَالَّذى نَفْسِى بِيَدِهِ لأُقاتِلَنَّهُمْ عَلى أمْرِى هَذَا حتى تَنْفَرِدَ سالِفَتِى ، أوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أمْرَهُ ، فقال بديل : سنبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشا ، فقال : إنا جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ؛ قال سفهاؤهم : لاحاجة لنا فى أن تحدّثنا عنه بشىء ، وقال ذوو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول . قال سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقام عُروة بن مسعود الثقفىّ ، فقال : أى قوم ، ألستم بالولد ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أو لستُ بالوالد ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فهل أنتم تتهمونى ؟ قالوا : لا ؛ قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عُكاظ ، فلما بلحوا علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فإن هذا الرجل قد عرض عليكم خُطة رشد فاقبلوها ، ودعونى آته ؛ فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم نحوا من مقالته لبُدَيْلٍ ؛ فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلتَ قومك ، فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إنى لأرى وجوها وأوباشا من الناس خليقا أن يفرّوا ويدعوك ، فقال أبو بكر : امصَصْ بظْر اللات ، واللاتُ : طاغية ثقيف الذى كانوا يعبدون ، أنحن نفرّ وندعه ؟ فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما والذى نفسى بيده لولا يد

(١) حل حل : زجر للإبل وحث لها لتسير .

(٢) خلأت الناقة تخلأ (كفتح) : وقفت عن السير . والخلاء فى الأبل : كالحران فى الخيل (اللسان : خلأ) .

كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ؛ وجعل يكلم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه السيف ، وعليه المِغْفر ؛ فكلما أهوى عُروة إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب يده بنصل السيف ، وقال : أخِّر يدك عن لحيته ، فرفع رأسه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، قال : أى غُدَرُ ، أو لستُ أسعى فى غَدْرتك . ابن شعبة صحب قوما فى الجاهلية ، فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أمَّا الإسْلامُ فَقَدْ قَبِلْناهُ ، وأمَّا المَالُ فإنَّهُ مالُ غَدْرٍ ، لاحاجَةَ لَنا فِيهِ . وإن عُروة جعل يرمق أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم بعينه ، فوالله إن تنخَّم النبىّ صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له ، فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشىّ ، والله مارأيت مَلِكا قطّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ؛ والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يُحِدّون النظر إليه تعظيما له ، وإنه قد عرض عليكم خُطّة رشد فاقبلوها .

وكان المُغيرة فقال رجل من كنانة : دعونى آته ، فقالوا : ائته ؛ فلما أشرف على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : هَذَا فُلانٌ ، وهومن قوم يعظمون البُدْن ، فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قوم يُلَبون ؛ فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ماينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مِكْرز بن حفص ، فقال : دعونى آته ، فقالوا ائته ، فلما أشرف على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : هَذَا مِكْرِز بْنُ حَفْصٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ ؛ فجاء فجعل يكلم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يكلمه ، إذ جاء سُهَيل بن عمرو ، قال أيوب ، قال عكرمة : إنه لما جاء سُهَيل ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : قد سُهِّلَ لكم من أمركم . قال الزهرىّ : فجاء سهيل بن عمرو ، فقال : هات نكتب بيننا وبينك كتابا ؛ فدعا الكاتب ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اكْتُبْ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فقال : ما الرحمن ؟ فوالله ما أدرى ماهو ، ولكن اكتب : باسمك اللهمّ ، كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اكْتُبْ : باسْمِكَ اللَّهُمَّ ، ثم قال : اكْتُبْ : هَذَا ما قاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ إنّى لَرَسُولُ اللهِ وَإنْ كَذَّبْتُمُونِى ، ولَكِنِ اكْتُبْ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ؛ قال الزهرىّ : وذلك لقوله : وَاللهِ لايَسْأَلُونِى خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِها حُرُماتِ اللهِ إلاَّ أعْطَيْتُهُمْ إيَّاها ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : عَلَى أنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ البَيْتِ ، فَنَطُوفُ بِهِ ؛ قال سُهيل : والله لاتتحدّث العرب أنا أُخِذْنا ضَغْطة ، ولكن لك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل ، وعلى أنه لايأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا ، فقال المسلمون : سبحان الله ،

وكيف يُرَدّ إلى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يرسُف فى قيوده ، قد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يامحمد أوّل من أقاضيك عليه، أن تردّه إلينا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَأَجِرْهُ لى ، فقال : ما أنا بمجيره لك ، قال : بلى فافعل ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال صاحبه مِكْرز وسهيل إلى جنبه : قد أجرناه لك ؛ فقال أبو جندل أى معاشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلما ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ كان قد عُذّب عذابا شديدا فى الله .

قال عمر بن الخطاب : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِم نعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ قال : إنّى رَسُولُ اللهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ ناصِرِى ، قلت : ألست تحدّثنا أنا سنأتى البيت ، فنطوف به ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ ؛ قال : ثم أتيت أبا بكر ، فقلت : أليس هذا نبىّ الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلِم نعطى الدنية فى ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل ، إنه رسول الله ، وليس يعصى ربه ، فاستمسك بغرزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحقّ ؛ قلت : أوليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قال : لا ، قال : فإنك آتيه ومتطوّف به . قال الزُّهرىُّ : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا ؛ فلما فرغ من قصته ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قُومُوا فانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا ، قال : فوالله ما قام منا رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرّات ؛ فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أمّ سلمة ، فذكرلها ما لقى من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا رسول الله ، أتحبّ ذلك ؟ اخرج ، ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة ، حتى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وتدعو حالقك فيحلِقك ، فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم كلمة، حتى نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه ؛ فلما رأواذ لك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يَحْلق بعضا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ؛ ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) حتى بلغ (بِعِصَمِ الْكَوافِرِ) قال : فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك ؛ قال : فنهاهم أن يردوهنّ ، وأمرهم أن يردّوا الصّداق حينئذ . قال رجل للزهرىّ : أمن أجل الفروج ؟ قال : نعم ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير : رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسل فى طلبه رجلان ، فقالا : العهدَ الذى جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به ، حتى إذا بلغا ذا الحُلَيفة ، فنزلوا يأكلون من تمرلهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا يافلان جيدا ، فاستله الآخر، فقال : والله إنه لجيد، لقد جربتُ به وجرّبتُ ؛ فقال أبوبصير : أرنى أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه به حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : رأى هذا ذُعْرًا ، فقال : والله قتل صاحبى ، وإنى والله لمقتول ؛ فجاء أبو بصير ، فقال : قد والله أوفى الله ذمتك ، ورددتنى

إليهم ، ثم أغاثنى الله منهم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : وَيْلُ امِّهِ مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كانَ لَهُ أحَدٌ ! فلما سمع عرف أنه سيردّه إليهم ؛ قال : فخرج حتى أتى سِيفَ البحر ، وتفلّت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبى بصير ، فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم ؛ إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم ، فمن أتاه فهو آمن ، فأنزل الله : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) حتى بلغ حميَّة الجاهلية ، وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبىّ ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن المِسْوربن مَخرمة ، ومروان بن الحكم ، قالا : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُديبية فى بضع عشرة مئة ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : قال الزهرىّ ، فحدثنى القاسم بن محمد ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ألستَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بَلى ، قال أيضا : وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين رَدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لحقوا بالساحل على طريق عِيْر قريش ، فقتلوا من فيها من الكفار ، وتغنَّموها ؛ فلما رأى ذلك كفار قريش ، ركب نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : إنها لاتغنى مدتك شيئا ، ونحن نقتل ونهب أموالنا ، وإنا نسألك أن تدخل هؤلاء فى الذين أسلموا منا فى صلحك وتمنعهم ، وتحجز عنا قتالهم ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ) ، ثم ساق الحديث إلى آخره » ، نحو حديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عروة ابن الزبير ، عن المِسوربن مَخْرمة ، ومروان بن الحكم : أنهما حدّثاه ، قالا : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُديبية ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه هديه سبعين بَدَنة ، حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبىّ ، فقال له : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المُطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، ونزلوا بذى طُوَى ، يعاهدون الله ، لاتدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم ، قد قدَموها إلى كُراع الغَميم ؛ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : يا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أهْلَكَتْهُمُ الحَرْبُ ، ماذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلُّوا بَيْنِى وَبَيْنَ سائِرِ العَرَبِ ، فإنْ هُمْ أصابُونِى كانَ ذلكَ الَّذِى أرَادُوا ، وَإنْ أظْهَرَنِى اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِى الإسْلامِ دَاخِرِينَ » ثم ذكر نحو حديث معمر ، بزيادات فيه كثيرة على حديث معمر ، تركت ذكرها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والهَدْىَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) قال : كان الهدى بذى طُوَى ، والحُديبية خارجة من الحرم ، نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَوَّرت قريش عليه الماء .

وقوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره : ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم ، أيها المؤمنون بالله ، أن تطئوهم بخيلكم ورَجْلكم ، لم تعلموهم بمكة ، وقد حبسهم المشركون بها عنكم ، فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ) . . . حتى بلغ (بِغَيْرِ عِلْمٍ) هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة ، فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ، فكره الله أن يؤذَوا أو يوطَئوا بغير علم ، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم .

⁂ واختلف أهل التأويل فى المعرّة التى عناها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى بها الإثم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ ، فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) : قال : إثم بغير علم .

وقال آخرون : عُنِى بها غُرْم الدِّيَة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يحسبه عليهم . والمَعَرّة : هى المفعلة من العَرّ ، وهو الجَرب . وإنما المعنى : فتصيبكم من قبلهم معرّة تُعَرّون بها ، يلزمكم من أجلها كفّارة قتل الخطأ ، وذلك عِتْق رقبة مؤمنة ، من أطاق ذلك ، ومن لم يطق فصيام شهرين .

وإنما اخترت هذا القول دون القول الذى قاله ابن إسحاق ، لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب ، إذا لم يكن هاجر منها ، ولم يكن قاتله علم إيمانه الكفارة دون الدية فقال (وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) لم يوجب على قاتله خطأ ديته ، فلذلك قلنا : عُنِى بالمعرّة فى هذا الموضع الكفارة ، و « أن » من قوله (أَنْ تَطَئُوهُمْ) فى موضع رفع ، ردّا على الرجال ، لأن معنى الكلام : ولولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ، لأذن الله لكم أيها المؤمنون فى دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك (لِيُدْخِلَ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ) يقول : ليدخل الله فى الإسلام من أهل مكة من يشاء ، قبل أن تدخلوها ، وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه .

وقوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) يقول : لو تميز الذين فى مشركى مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات ،

الذين لم تعلموهم منهم ، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم (لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابا أَلِيما) يقول : لقتلنا من بقى فيها بالسيف ، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) . . . الآية ، إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) يعنى أهل مكة ، كان فيهم مؤمنون مستضعفون : يقول الله لولا أولئك المستضعفون ، لو قد تزيلوا ، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو تفرّقوا ، فتفرّق المؤمن من الكافر ، لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ) حين جعل سُهيل بن عمرو فى قلبه الحمية ، فامتنع أن يكتب فى كتاب المقاضاة ، الذى كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين : بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن يكتب فيه : محمد رسول الله ، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : كانت حميتهم التى ذكر الله (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ) أنهم لم يقرّوا (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وحالوا بينهم وبين البيت .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرىّ بنحوه .

حدثنى عمرو بن محمد العثمانىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى أُوَيْس ، قال : ثنى أخى ، عن سليمان ، عن

يحيى بن سعيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة أخبره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قالَ لاإلَه إلاَّ اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ ، وَحِسابُهُ على اللهِ » . وأنزل الله فى كتابه ، فذكر قوما استكبروا فقال : (إنَّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لاإلَهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ) وقال الله : (إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ ، فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وكانُوا أحَقَّ بِها وأهْلَها) وهى لاإله إلا الله محمد رسول الله ، استكبر عنها المشركون يوم الحُدَيبية ، يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدّة » .

و« إذ » من قوله (إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من صلة قوله : لعذّبنا . وتأويل الكلام : لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ، حين جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، والحمية ، فعيلة ، من قول القائل : حَمَى فلان أنفه حمية ومَحْمِية ؛ ومنه قول المتلمس :

ألاَ إنَّنِى مِنْهُمْ وَعِرْضِيَ عِرْضُهُمْ كَذا الرأسُ يَحْمِى أنْفَهُ أنْ يُكَشَّما[1]

يعنى بقوله : « يحمى » : يمنع . وقال (حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ) لأن الذى فعلوا من ذلك ، كان جميعه من أخلاق أهل الكفر ، ولم يكن شىء منه مما أذن الله لهم به ، ولا أحد من رسله .

وقوله (فَأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين ، إذ حَمَى الذين كفروا حميةُ الجاهلية ، ومنعوهم من الطواف بالبيت ، وأبَوا أن يكتبوا فى الكتاب بينه وبينهم «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ومحمد رسول الله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) يقال : ألزمهم قولَ لاإله إلا الله التى يتقون بها النار ، وأليم العذاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف فى ذلك منهم ، ورُوى به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر قائلى ذلك بما قلنا فيه ، والخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلى ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، قال : ثنا شعبة ، عن ثور بن أبى فاختة ، عن أبيه ، عن الطفيل ، عن أبيه ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ » .

حدثنى محمد بن خالد بن خداش العَتَكِىّ ، قال : سمعت سالما ، سمع شعبة ، سمع سَلَمة بن كُهَيل سمع عَبَاية ، سمع عليا رضى الله عنه فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن عَبَاية بن رِبعىّ ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلاَّ الله ، والله أكبر .

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح (شعراء النصرانية ٣٣٨) وكشم أنفه يكشمه (كيضربه) كشما : قطعه مستأصلا له . ويقال : حمى فلان أنفه يحميه حمية ومحمية . وفلان ذو حمية منكرة : إذا كان ذا غضب وأنفة . وقد استشهد به المؤلف عند قوله تعالى « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » ، وهى مصدر على فعيلة ، بمعنى الأنفة .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان وشُعبة ، عن سلمة بن كُهيل ، عن رجل ، عن علىّ رضى الله عنه قال : لاإله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة ، عن عباية ، عن رجل من بنى تميم ، عن علىّ رضى الله عنه (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) يقول : شهادة أن لاإله إلا الله ، فهى كلمة التقوى ، يقول : فهى رأس التقوى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عمرو ابن ميمون : أنه كان يقول فى هذه الآية (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى محمد بن عيسى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) وهى : شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : هى لاإله إلا الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) هى لاإله إلا الله .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرِمة ، فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : شهادة أن لاإله إلا الله .

حدثنى ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن عطاء الخراسانىّ : (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : لاإله إلا الله محمد رسول الله .

حدثنى الصوارىّ محمد بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد ابن أبى خالد المكىّ ، عن علىّ الأزدىّ ، قال : كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمَأْزِمين ، فسمع الناس يقولون : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، فقال : هى هى ، فقلت : ما هى ؟ قال (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) الإخلاص (وكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) .

وقال آخرون : بل : هى كلمة التقوى ، للإخلاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : الإخلاص .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَلِمَةَ التَّقْوَى) كلمة الإخلاص .

وقال آخرون : هى قوله : بسم الله الرحمن الرحيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عيسى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، فى قوله (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال آخرون : هى قول « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد وعطاء (وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قال : أحدهما الإخلاص ، وقال الآخر : كلمة التقوى : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد ، وهو على كلّ شىء قدير » .

وقوله (وكانُوا أحَقَّ بِها وأهْلَها) يقول تعالى ذكره : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمؤمنون أحقّ بكلمة التقوى من المشركين وأهلَها : يقول : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقوى ، دون المشركين .

وذُكر أنها فى قراءة عبد الله (وكانُوا أهْلَها وَأحَقَّ بِها) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانُوا أحَقَّ بِها وأهْلَها) وكان المسلمون أحقّ بها ، وكانوا أهلها : أى التوحيد ، وشهادة أن لاإله إلاالله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وقوله (وكانَ اللهُ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيما) يقول تعالى ذكره : ولم يزل الله بكل شىء ذا علم ، لايخفى عليه شىء هو كائن ، ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات لم تعلموهم ، لم يأذن لكم بدخولكم مكة فى سفرتكم هذه .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ : لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التى أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين ، لايخافون أهلَ الشرك ، مقصِّرا بعضهم رأسه ، ومحلِّقا بعضهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شاءَ اللهِ آمِنِينَ) قال : هو دخول محمد صلى الله عليه وسلم البيت والمؤمنون ، محلقين رءوسهم ومقصرين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الرُّؤْيا بِالْحَقِّ) قال : أُرِىَ بالحُديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين ، فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية : أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ) قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت وأصحابه ، فصدّق الله رؤياه ، فقال : (لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهَ آمِنِينَ) . . . حتى بلغ (لاَ تَخافُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) قال : أُرى فى المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام ، وأنهم آمنون محلِّقين رءوسهم ومقصِّرين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ) . . إلى آخر الآية ، قال : قال لهم النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنّى قَدْ رأيْتُ أنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَامَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، فلما نزل بالحُديبية ولم يدخل ذلك العام ، طعن المنافقون فى ذلك ، فقالوا : أين رؤياه ؟ فقال الله : (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ) فقرأ حتى بلغ (وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخافُونَ) إنى لم أره يدخلها هذا العام ، وليكوننّ ذلك » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ) . . . إلى قوله (إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ) لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أُرِيها ، أنه سيدخل مكة آمنا لايخاف ، يقول : محلقين ومقصرين لاتخافون .

وقوله (فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا) يقول تعالى ذكره : فعلم الله جلّ ثناؤه ما لم تعلموا ، وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين ، الذين لم يعلمهم المؤمنون ، ولو دخلوها فى ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرَّجْل ، فأصابتهم منهم مَعَرّة بغير علم ، فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) قال : ردّه لمكان مَنْ بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات ، وأخره ليدخل الله فى رحمته من يشاء ، من يريد أن يهديه .

وقوله (فجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) اختلف أهل التأويل فى الفتح القريب ، الذى جعله الله للمؤمنين ، دون دخولهم المسجد الحرام محلّقين رءوسهم ومقصّرين ، فقال بعضهم : هو الصلح الذى جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : النحر بالحُديبية ، ورجعوا فافتتحوا خَيبر ، ثم اعتمر بعد ذلك ، فكان تصديق رؤياه فى السنة القابلة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قوله (فجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) يعنى : صلح الحُديبية ، وما فتح فى الإسلام فتحٌ كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهدنة وُضِعت الحرب ، وأمن الناس كلهم بعضهم بعضا ، فالتقَوا ، فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينك السنتين فى الإسلام ، مثلُ من كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : صلح الحُديبية .

وقال آخرون : عُنِى بالفتح القريب فى هذا الموضع : فتح خَيْبَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا) قال : خيبر حين رجعوا من الحُديبية ، فتحها الله عليهم ، فقسمها على أهل الحديبية كلهم ، إلا رجلا واحدا من الأنصار ، يقال له : أبو دُجَانة سماك بن خَرَشة ، كان قد شهد الحديبية وغاب عن خَيبر .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان ، فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام ، ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك ، ولم يخصُص الله تعالى ذكره خبره ذلك ، عن فتح من ذلك دون فتح ، بل عمّ ذلك ، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك .

⁂ والصواب أن يَعُمَّهُ كما عمه ، فيقال : جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلّقين رءوسهم ومقصّرين ، لايخافون المشركين ، صلح الحُديبية وفتح خيبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ، سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ، وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) .

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ) الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح ، ودين الحق ، وهو الإسلام ، الذى أرسله داعيا خلقه إليه ، (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) يقول : ليبطل به الملل كلها ، حتى لايكون دين سواه ، وذلك كان كذلك ، حتى ينزل عيسى بن مريم ، فيقتل الدجال ، فحينئذ تبطل الأديان كلها ، غير دين الله الذى بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ، ويظهر الإسلام على الأديان كلها .

وقوله (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : أشهدك يامحمد ربك على نفسه ، أنه سيظهر الدين الذى بعثك به (وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول : وحسبك به شاهدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهُذَلىّ ، عن الحسن (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) يقول : أشْهد لك على نفسه أنه سيُظهر دينك على الدين كله ، وهذا إعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذين كرهوا الصلح يوم الحديبية من أصحابه ، أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان ، مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن ، بانصرافهم عن مكة قبل دخولهموها ، وقبل طوافهم بالبيت .

وقوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ) : يقول تعالى ذكره : محمد رسول ، الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه ، أشدّاء على الكفار ، غليظة عليهم قلوبهم ، قليلة بهم رحمتهم (رُحَماءُ بَيْنَهُمْ) يقول : رقيقة قلوب بعضهم لبعض ، لينة أنفسهم لهم ، هينة عليهم لهم .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (رُحَماءُ بَيْنَهُمْ) ألقى الله فى قلوبهم الرحمة ، بعضهم لبعض (تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) يقول : تراهم ركعا أحيانا لله فى صلاتهم ، سجدا أحيانا ، (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ) يقول : يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدّتهم على الكفار ، ورحمة بعضهم بعضا ، فضلا من الله ، وذلك رحمته إياهم ، بأن يتفضل عليهم ، فيُدخلهم جنته (وَرِضْوَانا) يقول : وأن يرضى عنهم ربُّهم .

وقوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول : علامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى صلاتهم .

⁂ ثم اختلف أهل التأويل فى السيما الذى عناه الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : ذلك علامة يجعلها الله فى وجوه المؤمنين يوم القيامة ، يُعْرَفون بها ، لما كان من سجودهم له فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : صلاتهم تبدو فى وجوههم يوم القيامة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله العَتَكِىّ ، عن خالد الحنفىّ ، قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : يعرف ذلك يوم القيامة فى وجوههم ، من أثر سجودهم فى الدنيا ، وهو كقوله (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشدّ وجوههم بياضا .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا ابن فُضَيل ، عن فُضَيل ، عن عطية ، بنحوه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن فضيل ، عن عطية ، بنحوه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا فضيل ، عن عطية ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت شبيبا يقول عن مُقاتل بن حيان ، قال : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : النور يوم القيامة .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا هارون بن إسماعيل ، قال : قال علىّ بن المبارك : سمعت غير واحد عن الحسن ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : بياضا فى وجوههم يوم القيامة .

وقال آخرون : بل ذلك سيما الإسلام وسَمْته وخشوعه ، وعنى بذلك أنه يُرى من ذلك عليهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ) قال : السَّمْت الحسَن .

قال : ثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحسن بن عُمارة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : أما إنه ليس بالذى تَرَوْن ، ولكنه سيما الإسلام وسَمْته وخشوعه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الخشوع والتواضع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الخشوع .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى هذه الآية (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : السَّحْنة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : هو الخشوع ، فقلت : هو أثر السجود ، فقال : إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العَنْز ، وهو كما شاء الله .

وقال آخرون : ذلك أثر يكون فى وجوه المصلين ، مثل أثر السَّهَر ، الذى يظهر فى الوجه مثل الكَلَف والتهيج والصفرة ، وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب فى الوجه ، ووجهوا التأويل فى ذلك إلى أنه سيما فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن (سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : الصفرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم الشيخ الذى كان يقصّ فى عُسر ، وقرأ (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) فزعم أنه السَّهَر يُرى فى وجوههم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّىّ ، عن حفص ، عن شِمر بن عَطية ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ) قال : تهيّج فى الوجه من سهر الليل .

وقال آخرون : ذلك آثار ترى فى الوجه من ثَرَى الأرض ، أو نَدَى الطَّهُور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حَوْثرة بن محمد المِنقرى ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ؛ وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : ثَرى الأرض ، ونَدى الطَّهُور .

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا هارون بن إسماعيل ، قال : ثنا علىّ بن المبارك ، قال : ثنا مالك ابن دينار ، قال : سمعت عكرمة يقول (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : هو أثر التراب

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى وجوههم من أثر السجود ، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت . وإذ كان ذلك كذلك ، فذلك على كلّ الأوقات ، فكان سيماهم الذى كانوا يعرفون به فى الدنيا أثر الإسلام ، وذلك خشوعه وهَدْيه وزُهْدُه وسَمْته ، وآثار أداء فرائضه وتطوّعه ، وفى الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به ، وذلك الغرّة فى الوجه ، والتحجيل فى الأيدى والأرجل من أثر الوضوء ، وبياض الوجوه من أثر السجود .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السيما قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) يقول : علامتهم أو أعلمتهم الصلاة .

وقوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ) يقول : هذه الصفة التى وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم فى التوراة .

وقوله (وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) يقول : وصفتهم فى إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شَطْأَه ، وهو فِراخه ، يقال منه : قد أشطأ الزرع : إذا فَرَّخ فهو يشطئ إشطاء ، وإنما مَثَّلهم بالزرع المشطئ ، لأنهم ابتدءوا فى الدخول فى الإسلام ، وهم عدد قليلون ، ثم جعلوا يتزايدون ، ويدخل فيه الجماعة بعدهم ، ثم الجماعة بعد الجماعة ، حتى كثر عددهم ، كما يحدث فى أصل الزرع الفرخ منه ، ثم الفرخ بعده ، حتى يكثر وينمى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) أصحابه مثلهم ، يعنى نعتهم مكتوبا فى التوراة والإنجيل ، قبل أن يخلق السموات والأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ) ... إلى قوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ) ، ثم قال (وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ذلك (مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ) : أى هذا المثل فى التوراة (وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) فهذا مثلُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) قال : (ذلكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ : كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ).

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) : ذلكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ ، يعنى السيما فى الوجوه : مثلهم فى التوراة ، وليس بمَثَلهم فى الإنجيل ، ثم قال عزّ وجلّ : (وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ : كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) . . . الآية ، هذا مثلهم فى الإنجيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ : ذلكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قول الله : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) . . . الآية ، قال : هذا مثلهم فى التوراة ، ومثل آخر فى الإنجيل : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ . . . فآزَرَهُ) الآية .

وقال آخرون : هذان المَثَلان فى التوراة والإنجيل مَثَلُهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ذلكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ) والإنجيل : واحد .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : مثلُهم فى التوراة ، غيرُ مثلهم فى الإنجيل ، وأن الخبر عن مثلهم فى التوراة متناه عند قوله (ذلكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ) ، وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم فى التوراة والإنجيل واحد ، لكان التنزيل : ومثلهم فى الإنجيل ، وكزرع أخرج شطأه ، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مَثلهم فى التوراة والإنجيل ، وفى مجىء الكلام بغير واو فى قوله (كَزَرْعٍ) دليل بَيِّن على صحة ما قُلنا ، وأن قوله (وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ) خبر مبتدأ عن صفتهم التى هى فى الإنجيل ، دون ما فى التوراة منها .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، قال : ببنا عبد الله يُقْرئ رجلا عند غروب الشمس ، إذ مرّ بهذه الآية (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : أنتم الزرع ، وقد دنا حصادكم .

قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن حُمَيد الطويل ، قال : قرأ أنس بن مالك : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ) قال : أتدرون ما شطأه ؟ قال : نباته .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : سُنْبلَه حين يتسلع نباته عن حباته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل ، قيل لهم : إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، منهم قوم يأمرون بالمعروف ، وينهوْن عن المنكر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهرىّ (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قالا : أخرج نباته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) يعنى : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويستغلظون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) : أولاده ، ثم كثرت أولاده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال : ما يخرج بجنب الحَقْلة ، فيتمّ وينمِى .

وقوله (فَآزَرَهُ) يقول : فقوّاه : أى قوّى الزرعَ شطؤه وأعانه ، وهو من المؤازرة . التى بمعنى المعاونة ، (فَاسْتَغْلَظَ) يقول : فغلظ الزرع (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) والسُوق : جمع ساق ، وساق الزرع والشجر : حاملته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَآزَرَهُ) يقول : نباته مع التفافه حين يُسنبل (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ) فهو مثل ضربه لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينْبُتون ، كما ينبت الزرع ، فيبلغ فيهم رجال يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ثم يغلُظون ، فهم أولئك الذين كانوا معهم . وهو مَثَل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، يقول : بعث الله النبىّ صلى الله عليه وسلم وحده ، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ، ثم يكون القليل كثيرا ، ويستغلِظون ، ويغيظ الله بهم الكفار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَآزَرَهُ) قال : فشدّه وأعانه .

وقوله (عَلَى سُوقِهِ) قال : أصوله .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهرىّ (فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) يقول : فتلاحق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فآزَرَهُ) اجتمع ذلك فالتفّ ؛ قال : وكذلك المؤمنون : خرجوا وهم قليل ضعفاء ، فلم يزل الله يزيد فيهم ، ويؤيدهم بالإسلام ، كما أيّد هذا الزرعَ بأولاده ، فآزره ، فكان مثلا للمؤمنين .

حدثنى عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) يقول : حبّ برّ نثر متفرّقا ، فتنبت كلّ حبة واحدة ، ثم أنبتت كلّ واحدة منها ، حتى استغلظ فاستوى على سوقه ؛ قال : يقول : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قليلا ، ثم كثروا ، ثم استغلظوا (لِيَغِيظَ) الله (بِهِمُ الكُفَّارَ) .

وقوله (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول تعالى ذكره : يعجب هذا الزرعُ الذى استغلظ فاستوى على سوقه ، فى تمامه وحُسن نباته ، وبلوغه وانتهائه ، الذين زرعوه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول : فكذلك مَثَل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واجتماع عددهم ، حتى كثروا ونَمَوا ، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذى وصف جلّ ثناؤه صفته ، ثم قال : (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) فدلّ ذلك على متروك من الكلام ، وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) يقول الله : مثلهم كمثل زرع أخرج شَطْأه فآزَره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه ، حتى بلغ أحسن النبات ، يُعْجِب الزرّاع من كثرته ، وحُسن نباته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُعْجِبُ الزرّاعَ) قال : يعجب الزرّاع حُسنه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) بالمؤمنين ، لكثرتهم ، فهذا مثلهم فى الإنجيل .

وقوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التى أوجبها عليهم .

وقوله (مِنْهُمْ) يعنى : من الشَّطْءِ الذى أخرجه الزرع ، وهم الداخلون فى الإسلام بعد الزرع الذى وصف ربنا تبارك وتعالى صفته . والهاء والميم فى قوله (مِنْهُمْ) عائدة على معنى الشطء ، لا على لفظه ، ولذلك جمع فقيل « منهم » ، ولم يقل « منه » . وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل فى دين محمد صلى الله

عليه وسلم إلى يوم القيامة ، بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله (وَالَّذِين مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُم رُكَّعا سُجَّدًا) .

وقوله (وَمَغْفِرَةً) يعنى : عفوا عما مضى من ذنوبهم ، وسيئ أعمالهم بحسنها . وقوله (وأجْرًا عَظِيما) يعنى : وثوابا جزيلا ، وذلك الجنة .

آخر تفسير سورة الفتح

تفسير سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ، وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) : يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله ، وبنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) يقول : لا تعجلوا بقضاء أمر فى حروبكم أو دينكم ، قبل أن يقضِيَ الله لكم فيه ورسوله ، فتقضُوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله . محكىّ عن العرب : فلان يقدّم بين يدى إمامه ، بمعنى : يعجل بالأمر والنهى دونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لا تُقَدِّمُوا بينَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) يقول : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) . . . الآية ، قال : نُهُوا أن يتكلموا بين يدى كلامه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ، حتى يقضيه الله على لسانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا

بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) ذُكر لنا أن ناسا كانوا يقولون : لو أنزل فى كذا لوضع كذا وكذا ، قال : فكره الله عزّ وجلّ ذلك ، وقدّم فيه .

وقال الحسن : أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ، فأمرهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : إن أُناسا كانوا يقولون : لو أنزل فى كذا ، لو أنزل فى كذا . وقال الحسن : هم قوم نحروا قبل أن يصلىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا الذبح .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) يعنى بذلك فى القتال ، وكان[1] من أمورهم لايصلح أن يُقضَى إلا بأمره ، ماكان من شرائع دينهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله جلّ ثناؤه : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : لاتقطعوا الأمر دون الله ورسوله .

وحدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ) قال : لاتقضُوا أمرا دون رسول الله . وبضم التاء من قوله (لاتُقَدِّمُوا) قرأ قرّاء الأمصار ، وهى القراءة التى لاأستجير القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وقد حكى عن العرب قدّمت فى كذا ، وتقدّمت فى كذا ؛ فعلى هذه اللغة لو كان قيل : (لاتَقَدَّمُوا) بفتح التاء[2] كان جائزا .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يقول : وخافوا الله أيها الذين آمنوا فى قولكم ، أن تقولوا مالم يأذن لكم به الله ولا رسوله ، وفى غير ذلك من أموركم ، وراقبوه ، إن الله سميع لما تقولون ، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم ، لايخفى عليه شىء من ضمائر صدوركم ، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله لاترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله ، تتجهموه بالكلام ، وتغلظون له فى الخطاب (وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لبَعْضٍ) يقول : ولاتنادُوه كما ينادى بعضكم بعضا : يامحمد ، يامحمد ، يا نبىّ الله ، يا نبىّ الله ، يا رسول الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب : وكل ماكان . . . الخ . (٢) والدال مشددة وهى قراءة مشهورة ليعقوب الحضرمى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد . فى قوله (وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) قال : لاتنادُوه نداء ، ولكن قولا لينا : يارسول الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكم لِبَعْضٍ) : كانوا يجهرون له بالكلام ، ويرفعون أصواتهم ، فوعظهم الله ، ونهاهم عن ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَور ، عن معمر ، عن قتادة ، كانوا يرفعون ، ويجهرون عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فوُعِظوا ، ونُهِوا عن ذلك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىّ) . . . الآية ، هو كقوله : (لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) نهاهم الله أن ينادوه كما ينادى بعضهم بعضا ، وأمرهم أن يشرّفوه ويعظّموه ، ويدْعوه إذا دَعَوه باسم النبوّة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، قال : ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن الشماس ، قال : ثنى عمى إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه ، قال : لما نزلت هذه الآية : (لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىّ ، وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ) قال : قعد ثابت فى الطريق يبكى ، قال : فمرّ به عاصم بن عدىّ من بنى العَجْلان ، فقال : ما يُبكيك يا ثابت ؟ قال : لهذه الآية ، أتخوّف أن تكون نزلت فىّ ، وأنا صَيِّت رفيع الصوت . قال : فمضى عاصم بن عدىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وغلبه البكاء ، قال : فأتى امرأته جميلة بنة عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، فقال لها : إذا دخلتُ بيت فرسى ، فشدّى على الضَّبة بمسمار ، فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال : لاأخرج حتى يتوفانى الله ، أويرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، فقال : اذْهَبْ فادْعُهُ لى ، فجاء عاصم إلى المكان ، فلم يجده ، فجاء إلى أهله ، فوجده فى بيت الفَرَس ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال : اكسر الضَّبة ، قال : فخرجا فأتيا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكَ يا ثابِتُ؟ فقال : أنا صَيِّت ، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ (لا تَرْفَعوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىّ ، وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ) ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فقال : رضيت ببُشرى الله ورسوله ، لاأرفع صوتى أبدا على رسول الله ، فأنزل الله : (إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ للتَّقْوَى) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شِمر بن عطية ، قال : جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون ، فقال : يا ثابت ماالذى أرى بك ؟ فقال : آية قرأتها الليلة ، فأخشى أن يكون قد حَبِط عملى (يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

النَّبِيِّ) وكان فى أُذنه صمم ، فقال : يا نبىّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتى ، وجهرت لك بالقول ، وأن أكون قد حَبِط عملى ، وأنا لاأشعر : فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : امْشِ على الأرْضِ نَشِيطا ، فإنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرِمة ، قال : لما نزلت : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . الآية ، قال ثابت بن قيس : فأنا كنت أرفعُ صوتى فوق صوت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأجهر له بالقول ، فأنا من أهل النار ، فقعد فى بيته ، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عنه ، فقال رجل : إنه لجارى ، ولئن شئتَ لأعلمنّ لك علمَه ، فقال : نعم ، فأتاه فقال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك ، وسأل عنك ، فقال : نزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . الآية ، وأناكنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجهر له بالقول ، فأنا من أهل النار . فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : بَلْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ ؛ فلما كان يوم اليمامة انهزم الناس ، فقال : أفّ لهؤلاء وما يعبدون ، وأفّ لهؤلاء وما يصنعون ، يا معشر الأنصار ، خَلُّوا لى بشىء لعلى أَصْلَى بحرّها ساعة ، قال : ورجل قائم على ثُلْمة ، فقَتل وقُتل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعمر ، عن الزُّهرىّ ، أن ثابت بن قيس بن شماس ، قال : « لما نزلت (لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) قال : يا نبىّ الله ، لقد خشيت أن أكون قد هلكت ، نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وإنى امرؤ جَهِير الصوت ، ونهى الله المرءَ أن يحبّ أن يُحمد بما لم يفعل ، فأجدنى أحبّ أن أُحمد ؛ ونَهَى الله عن الخُيَلاء ، وأَجِدنى أحبّ الجمال ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ثابتُ أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَمِيدًا ، وَتُقْتَلَ شَهِيدًا ، وَتَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ فعاش حميدا ، وقُتل شهيدا يوم مُسَيلِمة » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا نافع بن عمر بن جميل الجُمَحِىّ ، قال : ثنى ابن أبى مليكة ، عن الزبير ، قال : « قدم وَفْد أراه قال تميم ، على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، منهم الأقرع بن حابس ، فكلم أبو بكر النبىَّ صلى الله عليه وسلم أن يستعمله على قومه ، قال : فقال عمر : لاتفعل يارسول الله ، قال : فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : فقال أبو بكر لعمر : ما أردتَ إلا خلافى ، قال : ما أردتُ خلافك . قال : ونزل القرآن : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) . . . إلى قوله (وأَجْرٌ عَظِيمٌ) قال : فما حدّث عمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فيُسْمِعَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : وما ذكر ابن الزَّبير جدّه » ، يعنى أبا بكر .

وقوله (أنْ تَحْبَطَ أعمالُكُمْ) يقول : أن لاتحبط أعمالكم ، فتذهب باطلة ، لاثواب لكم عليها ، ولا جزاء برفعكم أصواتَكُم فوق صوت نبيكم ، وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض .

وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحوِيِّى الكوفة : معناه : لاتَحْبَطَ أعمالكم . قال :

وفيه الجزم والرفع إذا وضعت « لا » مكان « أنْ » . قال : وهى فى قراءة عبد الله (فَتَحْبَطْ أعمالُكُمْ) وهو دليل على جواز الجزم . وقال بعض نحوِّيى البصرة : قال : أن تحبط أعمالكم : أى مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال : أسند الحائط أن يميل .

وقوله (وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) يقول : وأنتم لا تعلمون ولا تدْرُون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ، لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يكفُّون رفع أصواتهم عند رسول الله ، وأصل الغَضّ : الكفّ فى لين ، ومنه : غضّ البصر ، وهو كفه عن النظر ، كما قال جرير : .

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابا [١]

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ للتَّقْوَى) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يَغُضُّون أصواتهم عند رسول الله ، هم الذين اختبر الله قلوبهم ، بامتحانه إياها ، فاصطفاها وأخلصها للتقوى ، يعنى لاتقائه بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، كما يُمْتَحن الذهب بالنار ، فَيَخْلص جيدُها ، ويبطل خَبَثُها [٢] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : أخلص .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ .

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول : لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة ، وصفح منه عنها لهم (وأَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : وثواب جزيل ، وهو الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)

(١) البيت لجرير بن الخطفى ، من قصيدة يهجو بها الراعى النميرى الشاعر . (ديوانه ٦٤) يقول له : غض نظرك أى كف بصرك ذلا ومهانة . وهذا موضع الشاهد عند المؤلف عند قوله تعالى « يغضون أصواتهم عند رسول الله » وهو من ذلك . قال فى « اللسان : غض » : وغض طرفه وبصره ، يغضه غضا وغضاضا (ككتاب) وغضاضة (كسحابة) فهو مغضوض وغضيض : كفه وخفضه وكسره . وقيل : هو إذا دانى بين جفونه ونظر . وقيل : الغضيض : الطرف المسترخى الأجفان . وفى الحديث : « كان إذا فرح غض طرفه » ، أى كسره وأطرق ، ولم يفتح عينه . وإنما كان يفعل ذلك ، ليكون أبعد من الأشر والمرح . اهـ . وكعب وكلاب : حيان من تميم .

(٢) الضمير فى جيدها وخبثها : راجع إلى الذهب ، لأنها مؤنثة ، وقد تذكر .

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن الذين ينادُونك يامحمد من وراء حُجُراتك ، والحُجُرات : جمع حُجْرة ، والثلاث : حُجَر ، ثم تجمع الحجر فيقال : حُجُرات وحُجْرات . وقد تجمع بعض العرب الحجر : حُجَرات بفتح الجيم ، وكذلك كلّ جمع كان من ثلاثة إلى عشرة على فُعَل ، يجمعونه على فُعَلات بفتح ثانيه ، والرفع أفصح وأجود ؛ ومنه قول الشاعر :

أما كانَ عَبَّادٌ كَفِيئا لِدَارِمٍ بَلى ، وَلأَبْيات بها الحُجُرَاتُ[1]

يقول : بلى ، ولبنى هاشم .

وقوله (أَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) يقول : أكثرهم جهال بدين الله ، واللازم لهم من حقك وتعظيمك .

وذُكر أن هذه الآية والتى بعدها نزلت فى قوم من الأعراب جاءوا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : يامحمد اخرج إلينا .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو عَمَّار المَرْوَزِىّ ، والحسن بن الحارث ، قالا : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، فى قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) قال : جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد إنّ حَمْدِى زين ، وإن ذمّى شَيْن ، فقال : ذَاكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالى » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن أبى إسحاق ، عن البَراء بمثله ، إلا أنه قال : ذاكُم الله عزّ وجلّ .

حدثنا الحسن بن عَرَفة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان التيمىّ ، قال : سمعت داود الطُّفاوى يقول : سمعت أبا مسلم البَجَلىّ يحدّث عن زيد بن أرقم ، قال : « جاء أناس من العرب إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يكن نبيا فنحن أسعدُ الناس به ، وإن يكن ملكا نعش فى جناحه . قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بذلك . قال : ثم جاءوا إلى حُجَرِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا ينادونه : يامحمد ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) . قال : فأخذ نبىّ الله بأذنى فمدّها ، فجعل يقول : قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ ، قَدْ صَدَّقَ اللهُ قَوْلَكَ يا زَيْدُ » .

---

(١) فى الكتاب الكامل للمبرد (طبعة الحلبى ٥٨) : يقال : فلان كفاء فلان ، وكفىء فلان ، وكفء فلان : أى عديله . ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم ، خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِى أَكْفَائِها الحَبِطَاتُ

(آل مسمع بيت بكر بن وائل فى الإسلام ، وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة) قال : فقال رجل من الحبطات : « أما كان عباد كفيئا . . . » البيت . يعنى بنى هاشم (يريد أبيات بنى هاشم) من قول الله عز وجل : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات » . والشاهد فى البيت قوله « الحجرات » بضم الحاء والجيم ، وهى جمع حجرة ، وتجمع الحجرة وما شابهها على حجرات بضمتين ، وبضم ففتح ، وبضم فسكون . ويرى المؤلف أن الجمع الأول أفصح وأجود . اهـ .

حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدمى ، قال : ثنا عفان ، قال : ثنا وُهَيب ، قال : ثنا موسى بن عقبة ، عن أبي سَلَمة ، قال : ثني الأقرع بن حابس التميميّ ، « أنه أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فناداه ، فقال : يا محمد إنّ مدحى زَيْن ، وإنّ شتمى شَيْن ؛ فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : وَيْلَكَ ذلكَ اللهُ ، فأنزل الله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) » . . . الآية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) : أعراب بنى تميم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أن رجلا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فناداه من وراء الحُجَر ، فقال : يا محمد ، إنّ مدحى زين ، وإنّ شتمى شَيْن ؛ فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : وَيْلَكَ ذلكَ اللهُ ، فأنزل الله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن رجلا جعل ينادى يا نبيّ الله ، يامحمد ، فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما شأنُكَ ؟ فقال : والله إنّ حمده لزين ، وإنّ ذمّه لشَيْن ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : ذَاكُمُ اللهُ ، فأدبَر الرجل ، وذُكر لنا أن الرجل كان شاعرا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عَمرة ، قال : كان بشر بن غالب ولَبيد بن عُطارد ، أو بشر بن عُطار ، ولبيد بن غالب ، وهما عند الحجاج جالسان ، يقول بشر بن غالب للبيد بن عُطارد نزلت فى قومك بنى تميم (إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فذكرت ذلك لسعيد بن جُبَير ، فقال : أما إنه لو علم بآخر الآية ، أجابه (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا) قالوا أسلمنا ، ولم يقاتلك بنو أسد .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، قال : أتى أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته ، فقال : يامحمد ، يا محمد ، فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك مالك ؟ فقال : تعلَّمْ إنّ مَدْحى لزين ، وإن ذمّى لشين ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ذَاكُمُ اللهُ ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوقَ صَوْتِ النَّبِيّ) .

واختلفت القُرّاء فى قراءة قوله (مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فقرأته قرّاء الأمصار بضمّ الحاء والجيم من الحُجُرات ، سوى أبي جعفر القارئ ، فإنه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم ، على ما وصفت من جمع الحُجْرة حُجَر ثم جمع الحُجْر : حُجُرات .

والصواب من القراءة عندنا : الضم فى الحرفين كليهما ، لما وصفت قبل .

وقوله (وَلَوْ أنَّهُمْ صَبَرُوا حَتى تَخْرُجَ إلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولو

أن هؤلاء الذين ينادونك يامحمد من وراء الحجرات صبروا، فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت، لكان خيرا لهم عند الله، لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك ، فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهُمُ الله عنه، (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب ، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك ، وراجع أمر الله فى ذلك وفى غيره ؛ رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك، من بعد توبته منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ، فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) عن قوم (فَتَبَيَّنُوا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَتَبَيَّنُوا)، فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة : (فَتَثَبَّتُوا) بالثاء ، وذُكر أنها فى مصحف عبد الله منقوطة بالثاء . وقرأ ذلك بعض القرّاء فتبيّنوا بالباء ، بمعنى : أمهلوا حتى تعرفوا صحته ، لاتعجلوا بقبوله ، وكذلك معنى (فَتَثَبَّتُوا) .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط .

ذكر السبب الذى من أجله قيل ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جعفر بن عَوْن ، عن موسى بن عبيدة ، عن ثابت مؤْلى أمّ سَلَمة، عن أمّ سَلَمة، قالت : « بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى صَدَقات بنى المُصْطَلِق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم ، فتلقّوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله ؛ قالت : فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنى المصطلق قد منعوا صَدَقاتهم ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : فبلغ القومَ رجوعُه ، قال : فأتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ؛ قال : فبلغ القومَ رجوعُه ؛ قال : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصُفُّوا له حين صلى الظهر ، فقالوا : نعوذ بالله من سَخَط الله ، وسَخَط رسوله، بعثتَ إلينا رجلا مُصَدِّقا ، فسررنا بذلك ، وقرّت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال ، وأذّن بصلاة العصر ؛ قال : ونزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) . . . الآية ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ، ثم أحد بني عمرو بن أمية ، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق ، ليأخذ منهمُ الصدقات ، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا ، وخرجوا ليتلقَّوْا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لمّا حُدّث الوليد أنهم خرجوا يتلقَّونه ، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن بني المصطلق قد منعوا الصَّدقة ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فبينما هو يحدّث نفسه أن يغزوَهم ، إذ أتاه الوفد ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا حُدّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق ، وإنا خشينا أن يكون إنما رَدّه كتاب جاءه منك ، لغضب غضبته علينا ، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فأنزل الله عذرهم في الكتاب ، فقال (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) قال : الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ، ليصدّقهم ، فتلقوه بالهدية ، فرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بني المصطلق جمَعَت لتقاتلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) . . . حتى بلغ (بِجَهالَةٍ) وهو ابن أبي مُعَيط الوليد بن عُقْبة ، بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مصدّقا إلى بني المصطلق ، فلما أبصروه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام ، فبعث نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وأمره أن يتثبَّتَ ولا يعْجَل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا ، فبعث عيونه ؛ فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ، فرأى الذي يُعْجبه ، فرجع إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فأنزل الله عزّ وجلّ ماتسمعون ، فكان نبيّ الله يقول : التَّبَيُّنُ مِنَ اللهِ ، والعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال الوزّان ، عن ابن أبي ليلى ، في قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) قال : نزلت في الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حُمَيد ، عن هلال الأنصاريّ ، عن عبد الرحمن ابن أبي لَيلى (إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) قال : نزلت في الوليد بن عُقْبة حين أُرسل إلى بني المصطلق .

قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم، الوليدَ بن أبى مُعَيط؛ فلما سمعوا به ركبوا إليه؛ فلما سمع بهم خافهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله، ومنعوا ما قِبَلَهم من صدقاتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم، حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم، فبينما هم فى ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه، ولنؤدّى إليه ما قِبَلَنا من الصدقة، فاستمرّ راجعا، فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقاتله، ووالله ماخرجنا لذلك؛ فأنزل الله فى الوليد بن عقبة وفيهم: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ) . . . الآية.

قال [١]: بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه إلى قوم يصدقهم، فأتاهم الرجل، وكان بينه وبينهم إحْنة فى الجاهلية؛ فلما أتاهم ركبوا به، وأقرّوا بالزكاة، وأعطوا ما عليهم من الحقّ، فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، منع بنو فلان الصدقةَ، ورَجعوا عن الإسلام، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث إليهم، فأتوْه، فقال: أمَنَعْتُمُ الزَّكاةَ، وَطَرَدْتُمْ رَسُولى؟ فقالوا: والله مافعلنا، وإنا لنعلم أنك رسول الله، ولا بُدّ لنا، ولا مَنَعْنَا حقّ الله فى أموالنا، فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله هذه الآية، فعذرهم.

وقوله (أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ) يقول تعالى ذكره: فتبيَّنوا لئلا تصيبوا قوما برآءَ مما قُذفوا به، بجناية بجهالة منكم (فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ) يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم، بالجناية التى تصيبونهم بها.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ، وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم: (واعْلَمُوا) أيها المؤمنون بالله ورسوله، (أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ) فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، ويعرّفه أنباءكم، ويقوّمه على الصواب فى أموره.

وقوله (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ): يقول تعالى ذكره: لوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى الأمور بآرائكم، ويَقْبل منكم ما تقولون له فيطيعكم (لَعَنِتُّمْ) يقول: لنالكم عَنَتٌ، يعنى الشدّة والمشقة فى كثير من الأمور، بطاعته إياكم لو أطاعكم، لأنه كان يخطئ فى أفعاله، كما لو قَبِل من الوليد بن

(١) يظهر أن هذا بدء رواية أخرى، أوردها فى الدرعن جابر.

عقبة قوله فى بنى المصطلق : إنهم قد ارتدّوا ، ومنعوا الصدقة ، وجمعوا الجموع لغزو المسلمين ، فغزاهم فقتل منهم ، وأصاب من دمائهم وأموالهم ، كان قد قَتَلَ ، وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله ، وأخذ وأخذتم من المال ما لا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين ، فنالكم من الله بذلك عَنَتٌ (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ) بالله ورسوله ، فأنتم تطيعون رسول الله ، وتأتمون به ، فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم .

وقوله (وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) يقول : وحسّن الإيمان فى قلوبكم فآمنتم (وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ) بالله (وَالفُسُوقَ) يعنى الكذب ، (والعِصْيَانَ) يعنى ركوب ما نهى الله عنه فى خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتضييع ما أمر الله به (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) يقول : هؤلاء الذين حبّب الله إليهم الإيمان ، وزيّنه فى قلوبهم ، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، السالكون طريق الحقّ .

وقوله (فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً) يقول : ولكن الله حبّب إليكم الإيمانَ ، وأنعم عليكم هذه النعمة التى عدّها فضلا منه ، وإحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول : والله ذو علم بالمحسن منكم من المسىء ، ومَنْ هو لنعم الله وفضله أهلٌ ، ومن هو لذلك غير أهل ، وحكمة فى تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ) . . . حتى بلغ (لَعَنِتُّمْ) : هؤلاء أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، لو أطاعهم نبىّ الله فى كثير من الأمر لعنتم ، فأنتم والله أسخف رأيا ، وأطيش عقولا ، اتهم رجلٌ رأيَهُ ، وانتصح كتاب الله ، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به ، وانتهى إليه ، وإن ما سوى كتاب الله تغرير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، تلا قتادة (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) قال : فأنتم أسخف رأيا ، وأطيش أحلاما ، فاتّهم رجل رأيه ، وانتصح كتاب الله ؛ وكذلك كما قلنا أيضا فى تأويل قوله (وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) قال : حببه إليهم ، وحسّنه فى قلوبهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً) قالوا أيضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ) قال : الكذب والعصيان ؛ قال : عصيان النبىّ صلى الله عليه وسلم (أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدونَ) من أين كان هذا ؟ قال : فضل من الله ونعمة ؛ قال : والمنافقون سماهم الله أجمعين فى القرآن الكاذبين ؛ قال : والفاسق : الكاذب فى كتاب الله كله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ، فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ، فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره : وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا ، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما ، بالدعاء إلى حكم كتاب الله ، والرضا بما فيه لهما وعليهما ، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل (فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلَى الأُخْرَى) يقول : فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له وعليه ، وتعدّت ما جعل الله عدلا بين خلقه ، وأجابت الأخرى منهما (فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى) : يقول فقاتلوا التى تعتدى ، وتأبى الإجابة إلى حكم الله (حتى تَفِىءَ إلى أمْرِ اللهِ) يقول : حتى ترجع إلى حكم الله الذى حكم فى كتابه بين خلقه (فإنْ فاءَتْ فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالعَدْلِ) يقول : فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله فى كتابه ، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التى قاتلتها بالعدل : يعنى بالإنصاف بينهما ، وذلك حكم الله فى كتابه الذى جعله عدلا بين خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ، فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حتى تَفِىءَ إلى أمْرِ اللهِ) فإن الله سبحانه أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله ، وينصفَ بعضهم من بعض ، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله ، حتى ينصف المظلوم من الظالم ، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ ، فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم ، حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ويقرّوا بحكم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا أمر من الله أمر به الوُلاة كهيئة ما تكون العُصْبة بين الناس ،

وأمرهم أن يصلحوا بينهما ، فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية ، حتى ترجع إلى أمر الله ، فإذا رجعت أصلحوا بينهما ، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ؛ قال : ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمامُ .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى طائفتين من الأوس والخزرج اقتتلتا فى بعض ما تنازعتا فيه ، مما سأذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أنس ، قال : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : لو أتيت عبد الله بن أُبىّ ، قال : فانطلق إليه وركب حمارا ، وانطلق المسلمون ، وهى أرض سَبِخة ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إليك عنى ، فوالله لقد آذانى نَتْن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لنَتْن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك ، قال : فغضب لعبد الله بن أُبىّ رجل من قومه ، قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال ، فبلغنا أنه نزلت فيهم (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) .

حدثنى أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنى حُصَين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) قال : رجلان اقتتلا ، فغضب لذا قومُه ، ولذا قومُه ، فاجتمعوا حتى اضّربوا بالنعال ، حتى كاد يكون بينهم قتال ، فأنزل الله هذه الآية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، عن حُصَين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : كان بينهم قتال بغير سلاح .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) قال : كانا حيين من أحياء الأنصار ، كان بينهما تنازع بغير سلاح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما) قال : كان قتالهم بالنعال والعصىّ ، فأمرهم أن يصلحوا بينهم .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا المُبارك بن فَضَالة ، عن الحسن (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : كانت تكون الخصومة بين الحيين ، فيدعوهم إلى الحكم ، فيأبَون أن يجيبوا ، فأنزل الله : (وَإِن طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما ، فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى ، فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حتى تَفِىءَ إلى أمْرِ اللهِ) يقول : ادفعوهم إلى الحكم ، فكان قتالهم الدفع .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحوا بَيْنَهُما) قال : كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد ، تحت رجل ، فكان بينها وبين زوجها شىء ، فرقّاها إلى علِّية ، فقال لهم : احفظوا ، فبلغ ذلك قومها ، فجاءوا وجاء قومه ، فاقتتلوا بالأيدى والنعال ، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء ليصلح بينهم ، فنزل القرآن (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى) قال : تبغى : لاترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال : الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصىّ بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) ... الآية ، ذُكر لنا أنها نزلت فى رجلين من الأنصار كانت بينهما مُدَارأة فى حقّ بينهما ، فقال أحدهما للآخر : لآخذنّه عنوة ، لكثرة عشيرته ، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يتبعه ، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا ، وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ، ولم يكن قتال بالسيوف ، فأمر الله أن تُقاتَل حتى تفىء إلى أمر الله : كتاب الله ، وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ وليست كما تأوّلها أهل الشبهات ، وأهل البدع ، وأهل الفَراء على الله وعلى كتابه ، أنه المؤمن يحلّ لك قتله ، فوالله لقد عظّم الله حُرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلاّ خيرا ، فقال : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ... الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع ، حتى اضطربوا بالنعال والأيدى ، فأنزل الله فيهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) قال قتادة : كان رجلان بينهما حقّ ، فتدارأ فيه ، فقال أحدهما : لآخذنّه عَنوة ، لكثرة عشيرته ؛ وقال الآخر : بينى وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : ثنى عبد الله بن عباس ، قال : قال زيد ، فى قول الله تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ، وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام ، أو النفر والنفر ، أو القبيل والقبيلة ؛ فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضُوا بينهم بالحقّ الذى أنزله فى كتابه : إما القصاص والقَوَد ، وإمّا العقْل والعير ، وإمّا العفو ، (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى) بعد ذلك ، كان المسلمون مع المظلوم على الظالم ، حتى يفىء إلى أمر الله ، ويرضى به .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : ثنى ابن شهاب وغيره يزيد فى الحديث بعضهم على بعض ، قال : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فيه عبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول » : فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول : لقد آذانا بول حماره ، وسدّ علينا الرَّوْح ، وكان بينه وبين ابن رواحة شىء ، حتى خرجوا بالسلاح ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم ، فحجز بينهم ، فلذلك يقول عبد الله بن أُبىّ :

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ جاهدا تُظَلَّمْ وَيَصْرَعْكَ الَّذينَ تُصارِعُ[1]

قال : فأنزلت فيهم هذه الآية (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) .

وقوله (وأَقْسِطُوا) يقول تعالى ذكره : واعدلوا أيها المؤمنون فى حكمكم بين من حكمتم بينهم ، بأن لاتتجاوزوا فى أحكامكم حكم الله وحكم رسوله (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحبّ العادلين فى أحكامهم ، القاضين بين خلقه بالقسط .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) فى الدين (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا اقتتلا ، بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله . ومعنى الأخوين فى هذا الموضع : كل مقتتلين من أهل الإيمان ، وبالتثنية قرأ ذلك قرّاء الأمصار . وذُكر عن ابن سيرين أنه قرأ بين إخوانكم بالنون ، على مذهب الجمع ، وذلك من جهة العربية صحيح ، غير أنه خلاف لما عليه قرّاء الأمصار ، فلا أحبّ القراءة بها (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول تعالى ذكره : وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم ، فى الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل ، وفى غير ذلك من فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ليرحمكم ربكم ، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه ، واتبعتم أمره ونهيه ، واتقيتموه بطاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ، وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ، بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ، وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، لايهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين (عَسَى أَنْ

---

(١) البيت لعبد الله بن أبى ابن سلول ، كما عزاه المؤلف . وقد وردت قصيدة ابن سلول هذه فى السيرة لابن هشام الطبعة الأولى بمطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ . وورد فى أثنائها البيت ومعه بيت آخر ، رواه ابن هشام عن غير ابن إسحاق وهما :

متى ما يكن مولاك خصمك لاتزل تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل يمهض البازى بغير جناحه وإن جد يوما ريشه فهو واقع

وكان النبى صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ، قاصدا إلى سعد بن عبادة ، يعوده من شكو أصابه ، فمر بطريقه بأطم ابن سلول ، فنزل يسلم عليه ، وتلا عنده شيئا من القرآن . فكلم رسول الله كلاما خشنا ، ونهاه أن يغشى مجالس الأنصار ، ويعرض عليهم القرآن . وكان ابن رواحة حاضرا ، فتلطف برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بلى فاغشنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نحب ، ومما أكرمنا الله به ، وهدانا له ، فقال ابن أبى حين رأى من خلاف قومه ما رأى . . . . البيتين .

يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) يقول : المهزوء منهم خير من الهازئين (وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ) يقول : ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات ، عسى المهزوء منهنّ أن يكنّ خيرا من الهازئات .

واختلف أهل التأويل فى السخرية التى نهى الله عنها المؤمنين فى هذه الآية ، فقال بعضهم : هى سخرية الغنىّ من الفقير ، نُهِىَ أن يسخر من الفقير لفقره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) قال : لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا ، أو فقيرا ، وإن تفضل رجل عليه بشىء ، فلا يستهزئ به .

وقال آخرون : بل ذلك نهى من الله مَنْ سَتَر عليه من أهل الإيمان ، أن يسخر ممن كشف فى الدنيا ستره منهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) قال : ربما عُثِر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم ، وإن كان ظهر على عثرته هذه ، وسترت أنت على عثرتك ، لعلّ هذه التى ظهرت خير له فى الآخرة عند الله ، وهذه التى سُتِرت أنت عليها شرّ لك ، ما يدريك لعله ما يغفر لك ؛ قال : فنهى الرجل عن ذلك ، فقال : (لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ) وقال فى النساء مثل ذلك .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله عمّ بنهيه المؤمنين ، عن أن يسخر بعضهم من بعض ، جميعَ معانى السخرية ، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ، ولا لذنب ركبه ، ولا لغير ذلك .

وقوله (وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون ، ولا يطعنْ بعضكم على بعض ؛ وقال : (لا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ) فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه ، لأن المؤمنين كرجل واحد ، فيما يلزم بعضهم لبعض ، من تحسين أمره ، وطلب صلاحه ، ومحبته الخير . ولذلك رُوى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المُؤْمِنُونَ كالجَسَدِ الوَاحِدِ ، إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بالحُمَّى والسَّهَرِ » . وهذا نظير قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ ، إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ) بمعنى : ولا يقتل بعضكم بعضا .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ) قال : لا تطعنوا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : ولا يطعُن بعضكم على بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله .

حدثني محمد بن سعد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي، قال : ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : لايطعُن بعضكم على بعض .

قوله (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ) يقول : ولا تداعَوا بالألقاب ؛ والنبز واللقب بمعنى واحد، يُجمع النبز : أنبازا، واللقب : ألقابا .

واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية، فقال بعضهم : عُنِي بها الألقاب التي يكره النبزَ بها الملقَّب، وقالوا : إنما نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نُهُوا أن يدعوَ بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه، التي كان يدعَى بها في الجاهلية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة، قال : ثنا بشر بن المفضل، قال : ثنا داود، عن عامر، قال : قال أبو جبيرة ابن الضحاك : فينا نزلت هذه الآية، في بني سَلِمة، قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومامنا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثه، فكان إذا دعا الرجل بالاسم، قلنا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت هذه الآية : (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ) . . . الآية كلها .

حدثني محمد بن المثنى، قال : ثنا عبد الوهاب، قال : ثنا داود، عن عامر، عن أبي جُبَيرة بن الضحاك، قال : كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء، فدعا النبيّ صلى الله عليه وسلم رجلا باسم من تلك الأسماء، فقالوا : يا رسول الله، إنه يغضب من هذا، فأنزل الله (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ، بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمانِ) .

حدثنا ابن المثنى، قال : ثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا داود، عن عامر، قال : ثني أبو جُبَيرة بن الضحاك، فذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، نحوه .

حدثني يعقوب، قال : ثنا ابن عُلَية، قال : أخبرنا داود، عن الشعبيّ، قال : ثني أبو جبيرة بن الضحاك، قال : نزلت في بني سَلِمة (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ) قال : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان يدعو الرجل، فتقول أمه : إنه يغضب من هذا، قال : فنزلت (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ) . وقال مرّة : كان إذا دعا باسم من هذا، قيل : يارسول الله، إنه يغضب من هذا، فنزلت الآية .

وقال آخرون : بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم : يا فاسق، يا زاني .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السريّ، قال : ثنا أبو الأحوص، عن حصين، قال : سألت عِكرِمة، عن قول الله (وَلا تَنابَزُوا بالأَلْقابِ) قال : هو قول الرجل للرجل : يا منافق، يا كافر .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) قال : هو قول الرجل للرجل : يا فاسق ، يا منافق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) قال : يا فاسق ، يا كافر .

قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد أو عكرمة (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) قال : يقول الرجل للرجل : يافاسق ، يا كافر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) قال : دُعى رجل بالكفر وهو مسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) يقول للرجل : لاتقل لأخيك المسلم : ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك ، وقدّم فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) يقول : لايقولنّ لأخيه المسلم : يا فاسق ، يا منافق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ) قال : تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام ، زانٍ ، فاسق .

وقال آخرون : بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام ، وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ ، بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) . . . الآية ، قال : التنابز بالألقاب : أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها ، وراجع الحقّ ، فنهى الله أن يُعَيَّر بما سلف من عمله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : كان اليهودىّ والنصرانىّ يسلم ، فيلقّب ، فيقال له : يا يهودىّ ، يا نصرانىّ ، فنُهُوا عن ذلك .

⁂ والذى هو أولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب ؛ والتنابز بالألقاب : هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة ، وعمّ الله بنهيه ذلك ، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض ، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه ، أو صفة يكرهها . وإذا كان ذلك كذلك ، صحّت الأقوال التى قالها أهل التأويل فى ذلك التى ذكرناها كلها ، ولم يكن بعضُ ذلك أولى بالصواب من بعض ، لأن كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضُهم بعضا .

وقوله (بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) يقول تعالى ذكره : ومن فعل ما نهينا عنه ، وتقدّم

على معصيتنا بعد إيمانه ، فسخر من المؤمنين ، ولمز أخاه المؤمن ، ونبزه بالألقاب ، فهو فاسق (بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) يقول : فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تُسَمّوا فُساقا ، بئس الاسم الفسوق ، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله (بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ) عليه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ما حدثنا به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ (بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) قال : بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الإسلام ، وهو على الإسلام . قال : وأهل هذا الرأى هم المعتزلة ، قالوا : لانكفره كما كفره أهل الأهواء ، ولا نقول له مؤمن ، كما قالت الجماعة ، ولكنا نسميه باسمه ، إن كان سارقا فهو سارق ، وإن كان خائنا سَمّوْه خائنا ، وإن كان زانيا سموه زانيا ؛ قال : فاعتزلوا الفريقين ، أهلَ الأهواء وأهلَ الجماعة ، فلا بقول هؤلاء قالوا ، ولا بقول هؤلاء ، فسموا بذلك المعتزلة .

فوجه ابن زيد تأويل قوله (بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ) إلى من دُعِى فاسقا ، وهو تائب من فسقه ، فبئس الاسم ذلك له من أسمائه . . وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام ، وذلك أن الله تقدّم بالنهى عما تقدّم بالنهى عنه فى أوّل هذه الآية ، فالذى هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدّم على بغيه ، أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نَهَى عنه ، لا أن يخبر عن قُبح ما كان التائب أتاه قبل توبته ، إذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح ، فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح .

وقوله (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول تعالى ذكره : ومن لم يتب من نَبْزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب ، أو لمَزْه إياه ، أو سخريته منه ، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم ، فأكسبوها عقاب الله ، بركوبهم ما نهاهم عنه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) قال : ومن لم يتب من ذلك الفسوق ، فأولئك هم الظالمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُواْ ، وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، لاتقربوا كثيرا من الظنّ بالمؤمنين ، وذلك أن تظنوا بهم سوءا ، فإن الظانّ غير مُحِقّ ، وقال جلّ ثناؤه : (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنّ) ولم يقل : الظنّ كله ، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير ، فقال : (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ، وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير ، وأن يقولوه ، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) يقول : نهى الله المؤمن أن يظنّ بالمؤمن شرّا .

وقوله (إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ) يقول : إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لاالخير إثم ، لأن الله قد نهاه عنه ، ففعْلُ ما نهى الله عنه إثم .

وقوله (وَلا تَجَسَّسُوا) يقول : ولا يتتبع بعضكم عورة بعض ، ولا يبحث عن سرائره ، يبتغى بذلك الظهور على عيوبه ، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره ، وبه فاحمَدوا أو ذُمُّوا ، لاعلى ما لاتعلمونه من سرائره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَجَسَّسُوا) يقول : نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَجَسَّسُوا) قال : خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ، وَلا تَجَسَّسُوا) هل تدرون ما التجسُّس أو التجسيس ؟ هو أن تتبع ، أو تبتغى عيب أخيك ، لتطلع على سرّه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلا تَجَسَّسُوا) قال : البحث .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ، وَلا تَجَسَّسُوا) قال : حتى أنظر فى ذلك وأسأل عنه ، حتى أعرف حقّ هو ، أم باطل ؟ ؛ قال : فسماه الله تجسُّسا ، قال : يتجسس كما يتجسس الكلاب ، وقرأ قول الله (وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) وقوله (ولايغتب بعضكم بعضا) يقول : ولا يقل بعضكم فى بعض بظهر الغيب ، ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له فى وجهه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ، والأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى يزيد بن مخلد الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الطحّان ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة ؟

فقال : هُوَ أنْ تَقُولَ لأَخِيكَ ما فِيهِ ، فإنْ كُنْتَ صَادِقا فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإنْ كُنْتَ كاذِبا فَقَدْ بَهَتَّهُ » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت العلاء يحدّث ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « هَلْ تَدْرُونَ ما الغِيبَةُ ؟ قال : قالوا الله ورسوله أعلم ؛ قال : ذِكْرُكَ أخاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، قال : أرأيتَ إن كان فى أخى ما أقولُ له ؛ قال : إنْ كان فيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا شعبة ، عن العباس ، عن رجل سمع ابن عمر يقول : «إذا ذكرت الرجل بما فيه ، فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهَتَّه» . وقال شعبة مرّة أخرى : « وإذا ذكرته بما ليس فيه ، فهى فِرْية » قال أبو موسى : هو عباس الجَرِيرىّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مُرّة ، عن مسروق قال : « إذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهَتّه» .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : إذا قلت فى الرجل أسوأ ما فيه ، فقد اغتبته ، وإذا قلت ما ليس فيه ، فقد بَهَتّه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال « الغيبة أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه ، والبهتان : أن يقول ما ليس فيه » .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن كثير ابن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية ، قال : سمعت ابن أمّ عبد يقول : ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه ، وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بَهَتَّه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : « إذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه ، فذلك البهتان » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت يونس ، عن الحسن أنه قال فى الغِيبة : أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوىء أعماله ، فإذا ذكرته بما ليس فيه ، فذلك البهتان .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، قال : ثنا حسان ابن المخارق « أن امرأة دخلت على عائشة ؛ فلما قامت لتخرج» أشارت عائشة بيدها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أى أنها قصيرة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اغْتَبْتِيها » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : لو مرّ بك أقطع فقلت : ذاك الأقطع ، كانت منك غِيبة ؛ قال : وسمعت معاوية بن قُرّة يقول ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال: ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت معاوية بن قُرّة يقول: لو مرّ بك رجل أقطع ، فقلت له : إنه أقطع ، كنت قد اغتبته ، قال : فذكرت ذلك لأبى إسحاق الهمدانى فقال : صدق .

حدثنى جابر بن الكردىّ ، قال : ثنا ابن أبى أُوَيس ، قال : ثنى أخى أبو بكر ، عن حماد بن أبى حميد ، عن موسى بن وردان ، عن أبى هريرة ، «أن رجلا قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا فى قيامه عَجْزا ، فقالوا : يا رسول الله ، ما أعجز فلانا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكَلْتُمْ أخاكُمْ وَاغْتَبْتُمُوهُ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا حبان بن على العَنَزىّ ، عن مثنى بن صباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر القومُ رجلا ، فقالوا : ما يأكل إلا ما أُطعِم ، ومايَرْحَل إلا ما رُحِّل له ، وما أضعفه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اغْتَبْتُمْ أخاكُمْ . فقالوا يا رسول الله ، وغِيبته أن نحدّث بما فيه ؟ قال : بِحَسْبِكُمْ أنْ تُحَدّثُوا عَنْ أخِيكُمْ ما فِيهِ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا خالد بن محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا ذَكَرْتَ أخاكَ بِمَا يَكْرَهُ فإنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كنا نحدّث أن الغيبة : أن تذكر أخاك بما يَشِينه ، وتعيبه بما فيه ، وإن كذبت عليه فذلك البُهْتان .

وقوله (أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين : أيحبّ أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته مَيْتا ، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه ، لأن الله حرّم ذلك عليكم ، فكذلك لاتحبُّوا أن تغتابوه فى حياته ، فاكرهوا غِيبته حَيّا ، كما كرهتم لحمه مَيْتا ، فإن الله حرّم غِيبته حيا ، كما حرّم أكل لحمه مَيْتا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتًا) قال : حرّم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشىء ، كما حرّم الميْتة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتًا) قالوا : نكره ذلك ، قال : فكذلك فاتقوا الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) يقول : كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها ، فكذلك فاكره غيبته وهو حيّ .

وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا الله أيها الناس ، فخافوا عقوبته ، بانتهائكم عما نهاكم عنه ، من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السَّوْء ، وتتبع عوراته ، والتجسس عما ستر عنه من أمره ، واغتيابه بما يكرهه ، تريدون به شَينه وعَيبه ، وغير ذلك من الأمور التى نهاكم عنها ربكم (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله راجع لعبده إلى مايحبه ، إذا رجع العبد لربه إلى مايحبه منه ، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) فقرأته عامة قرّاء المدينة بالتثقيل (مَيِّتًا) ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (مَيْتا) بالتخفيف ، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال ، وماء أنثى من النساء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة ، وقد قال تبارك وتعالى (يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) قال : ماخلق الله الولد إلاّ من نطفة الرجل والمرأة جميعا ، لأن الله يقول (خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) .

وقوله (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا) يقول : وجعلناكم متناسبين ، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا ، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا ، فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب ، وذلك إذا قيل للرجل من العرب : من أىّ شعب أنت ؟ قال : أنا من مضر ، أو من ربيعة . وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل ، وهم كتميم من مضر ، وبكر من ربيعة ، وأقرب القبائل الأفخاذ ، وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم ، ونحو ذلك ، ومن الشَّعْب قول ابن أحمر الباهلىّ :

مِن شَعْبِ هَمْدانَ أوْ سَعْدِ العَشِيرَةِ أوْ خَوْلانَ أوْ مَذْحِجٍ هاجُوا لَهُ طَرَبا[1]

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حُصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الجُمَّاع ، والقبائل : البطون .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الجُمَّاع . قال خلاد ، قال أبو بكر : القبائل العظام ، مثل بنى تميم ، والقبائل : الأفخاذ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبَير (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال : الشُّعوب : الجمهور ، والقبائل : الأفخاذ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شُعُوبًا) قال : النسب البعيد . (وَقَبائِلَ) دون ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : النسب البعيد ، والقبائل كقوله : فلان من بنى فلان ، وفلان من بنى فلان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا) قال : هو النسب البعيد . قال : والقبائل : كما تسمعه يقال : فلان من بنى فلان .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا) قال : أما الشعوب : فالنسب البعيد .

وقال بعضهم : الشعوب : الأفخاذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبير (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الأفخاذ ، والقبائل : القبائل .

وقال آخرون : الشعوب : البطون ، والقبائل : الأفخاذ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جُبير ، عن

---

(١) البيت لابن أحمر الباهلى ، كما نسبه المؤلف . والشاهد فيه كلمة « الشعب » ، وهو الفرع الكبير من الأصل ، يجمع عددا من القبائل ، كما أوضحه المؤلف . وقال النويرى فى (نهاية الأرب ٢ : ٢٨٤) الشعب : هو الذى يجمع القبائل ، وتتشعب منه . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ٢٢٥ — أ) : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » : يقال : من أى شعب أنت ؟ فتقول : من مضر ، من ربيعة ، والقبائل دون ذلك . قال ابن أحمر « من شعب همدان . . . البيت » .

ابن عباس (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : البطون ، والقبائل : الأفخاذ الكبار .

وقال آخرون : الشُّعوب : الأنساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ) قال : الشعوب : الأنساب .

وقوله (لِتَعارَفُوا) يقول : ليعرف بعضكم بعضا فى النسب ، يقول تعالى ذكره : إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائلَ لكم أيها الناس ، ليعرف بعضكم بعضا فى قرب القرابة منه وبعده ، لا الفضيلة لكم فى ذلك ، وقُربةٍ تقرّبكم إلى الله ، بل أكرمكم عند الله أتقاكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا) قال : جعلنا هذا لتعارفوا ، فلان بن فلان من كذا وكذا .

وقوله (إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ) يقول تعالى ذكره : إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم ، أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، لا أعظمكم بيتا ، ولا أكثركم عشيرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علىّ بن رَباح ، عن عُقْبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « النَّاسُ لآدَمَ وَحَوَّاءَ كَطَفِّ الصَّاعِ لَمْ يَمْلَئُوهُ ، إنَّ اللهَ لايسألُكُمْ عَنْ أحْسابِكُمْ وَلا عَنْ أنْسابِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علىّ بن رباح ، عن عقبة بن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ أنْسابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسابٍّ عَلَى أحَدٍ ، وإنَّما أنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفَّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ ، لَيْسَ لأحَدٍ على أحَدٍ فَضْلٌ إلاَّ بِدِينٍ أوْ عَمَلٍ صالِحٍ ، حَسْبُ الرَّجُلِ أنْ يَكُونَ فاحِشا بَذِيًّا بَخِيلاً جَبانا » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جُرَيج ، قال : سمعت عطاء يقول : قال ابن عباس : ثلاث آيات جحدهنّ الناس : الإذن كله ، وقال : (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ) وقال الناس : أكرمكم : أعظمكم بيتا ؛ وقال عطاء : نسيت الثالثة .

وقوله (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله ، وأكرمكم عنده ، ذو خبرة بكم وبمصالحكم ، وغير ذلك من أموركم ، لاتخفى عليه خافية .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ، وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره قالت الأعراب : صدّقنا بالله ورسوله ، فنحن مؤمنون ، قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم (لَمْ تُؤْمِنُوا) ولستم مؤمنين ، (وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أعراب من بنى أسد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ، ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا) قال : أعراب بنى أسد بن خُزَيمة .

⁂ واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الأعراب : قولوا أسلمنا ، ولا تقولوا آمنا ، فقال بعضهم : إنما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بذلك ، لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم ، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم ، فقيل لهم : قولوا أسلمنا ، لأن الإسلام قول ، والإيمان قول وعمل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : إن الإسلام : الكلمة ، والإيمان : العمل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، وأخبرنى الزهرىّ ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : « أعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم رجالا ، ولم يعط رجلا منهم شيئا ، فقال سعد : يا رسول الله ، أعطيت فلانا وفلانا ، ولم تُعط فلانا شيئا ، وهو مؤمن ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أَوْ مُسْلِمٌ حتى أعادها سعد ثلاثا ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : أَوْ مُسْلِمٌ ، ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم إنّى أُعْطِى رِجالاً ، وأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُمْ لاأُعْطِيهِ شَيْئاً ، مخافَةَ أَنْ يُكَبَّوا فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) قال : لم يصدّقوا إيمانهم بأعمالهم ، فردّ الله ذلك عليهم (قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) ، وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، ، أولئك هم الصادقون ، صدّقوا إيمانهم بأعمالهم ؛ فمن قال منهم : أنا مؤمن فقد صدق ؛ قال : وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب ، وليس بصادق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم (وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : هو الإسلام .

وقال آخرون : إنما أُمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقيل ذلك لهم ، لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا ، فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب ، لا أسماء المهاجرين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا) ... الآية ، وذلك أنهم أرادوا أن يتسَمَّوا باسم الهجرة ، ولا يتسَمَّوا بأسمائهم التى سماهم الله ، وكان ذلك فى أوّل الهجرة ، قبل أن تنزل المواريث لهم .

وقال آخرون : قيل لهم ذلك لأنهم منّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم لم تؤمنوا ، ولكن استسلمتم خوف السِّباء والقتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا) ولعمرى ماعمت هذه الآية الأعراب ، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن إنما أُنزلت فى حىّ من أحياء الأعراب امتنُّوا بإسلامهم على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أسلمنا ، ولم نقاتلك ، كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فقال الله : لاتقولوا آمنا ، ولكن قولوا أسلمنا حتى يلغ فى قلوبكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : لم تعمّ هذه الآية الأعراب ، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قُرُبات عند الله ، ولكنها فى طوائف من الأعراب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رَبَاح ، عن أبى معروف ، عن سعيد بن جُبَير (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : استسلمنا لخوف السِّباء والقتل

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (قُولُوا أَسْلَمْنَا) قال : استسلمنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله (قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) : استسلمنا : دخلنا فى السلم ، وتركنا المحاربة والقتال بقولهم : لاإله إلا الله ، وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، فإِذَا قالُوا لاإِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، عَصَمُوا مِنِّى دِماءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّها ، وَحِسابُهُمْ على اللهِ » .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك : القول الذى ذكرناه عن الزهرىّ ، وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا فى الملّة إقرارا منهم بالقول ، ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق : آمنا

دون تقييد قولهم ذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذى لايشكل على سامعيه، والذى قائله فيه مُحِقّ ، وهو أن يقولوا أسلمنا ، بمعنى : دخلنا فى الملة والأموال ، والشهادة الحقّ [١] .

قوله (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ) يقول تعالى ذكره : ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان ، وحقائق معانيه فى قلوبكم .

وقوله (وَإنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لايَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم : إن تطيعوا الله ورسوله أيها القوم ، فتأتمروا لأمره وأمر رسوله ، وتعملوا بما فرض عليكم ، وتنتهوا عما نهاكم عنه ، (لايَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئا) يقول : لايظلمكم من أجور أعمالكم شيئا ، ولاينقصكم من ثوابها شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَلِتْكُمْ) لاينقصكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَلِتْكُمْ مِنْ أعْمالِكُمْ شَيْئا) يقول : لن يظلمكم من أعمالكم شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى (وَإنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ) قال : إن تصدّقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم . وقرأت قرّاء الأمصار (لايَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ) بغير همز ولا ألف ، سِوَى أبى عمرو ، فإنه قرأ ذلك (لايَأْلِتْكُمْ) بألف اعتبارا منه فى ذلك بقوله (وَما ألَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) فمن قال : ألت ، قال : يألت . وأما الآخرون فإنهم جعلوا ذلك من لات يَليت ، كما قال رُؤبةُ بن العجّاج :

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدًى سَرَيْتُ ... وَلَمْ يَلِتْنِى عَنْ سُرَاها لَيْتُ [٢]

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ، ما عليه قرّاء المدينة والكوفة (لايَلِتْكُمْ) بغير ألف ولا همز ، على لغة من قال : لات يَليت ، لعلتين : إحداهما : إجماع الحجة من القرّاء عليها . والثانية أنها فى المصحف بغير ألف ، ولا تسقط الهمزة فى مثل هذا الموضع ، لأنها ساكنة ، والهمزة إذا سكنت ثبتت ، كما يقال : تأمرون وتأكلون ، وإنما تسقط إذا سكن ماقبلها ، ولا يحمل حرف فى القرآن إذا أتى بلغة ، على آخر جاء بلغة

(١) لعله دخلنا فى الملة لحفظ الأنفس والأموال بالشهادة ... الخ .

(٢) البيتان نسبهما المؤلف إلى رؤبة بن العجاج ، ولم أجدهما فى ديوانه ولا فى ديوان أبيه العجاج . وأوردهما صاحب اللسان فى (حنن) ونسبهما إلى أبى محمد الفقعسى . وقد استشهد بهما المؤلف مرة قبل هذه فى (١٥ : ٢) من هذه المطبوعة ، عند أول سورة الإسراء . وشرحنا هماشرحا مفصلا يناسب هذا المقام ، فراجعهما ثمة .

خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين فى كلام العرب . وقد ذكرنا أن ألَتَ ولات : لغتان معروفتان من كلامهم.

وقوله (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه ، وتاب إليه من سالف ذنوبه ، فأطيعوه ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، يغفر لكم ذنوبكم ، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه ، فتوبوا إليه يرحمكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة ، شكّ يزيد ، رحيم بعباده .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ، أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم : (إنَّمَا المُؤْمِنُونَ) أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، يقول : ثم لم يشكّوا فى وحدانية الله ، ولا فى نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله ، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله ، بغير شكّ منه فى وجوب ذلك عليه (وَجاهَدُوا بأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ) يقول : جاهدوا المشركين بانفاق أموالهم ، وبذل مُهَجِهم فى جهادهم ، على ما أمرهم الله به من جهادهم ، وذلك سبيله ، لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) يقول : هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون فى قولهم : إنا مؤمنون ، لامن دخل فى الملة خوف السيف ، ليحقن دمه وماله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقونَ) قال : صدّقوا إيمانهم بأعمالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ، وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولمّا يدخل الإيمان فى قلوبهم : (أتُعَلِّمُونَ اللهَ) أيُّها القوم بدينكم ، يعنى بطاعتكم ربكم (وَاللهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّمَوَاتِ

وَما فِي الأَرْضِ) يقول : والله الذى تعلمونه أنكم مؤمنون ، عَلاَّم جميع ما فى السموات السبع والأَرَضِين السبع ، لايخفى عليه منه شىء ، فكيف تعلِّمونه بدينكم والذى أنتم عليه من الإيمان ، وهو لايخفى عليه خافية ، فى سماء ولا أرض ، فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين (وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بكلّ ما كان ، وماهو كائن ، وبما يكون ذو علم . وإنما هذا تقدّمٌ من الله إلى هؤلاء الأعراب ، بالنهى عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذى هم عليه فى دينهم . يقول : الله محيط بكلّ شىء عالم به ، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم ، فينالكم عقوبته ، فإنه لايخفى عليه شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يامحمد (أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ) يقول : بل الله يمنّ عليكم أيها القوم ، أَنْ وفقكم للإيمان به وبرسوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين فى قولكم آمنا ، فإن الله هو الذى مَنّ عليكم بأن هداكم له ، فلا تمنوا علىّ بإسلامكم .

وذُكر أن هؤلاء الأعراب من بنى أسد ، امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : آمنا من غير قتال ، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا ، فأنزل الله فيهم هذه الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير فى هذه الآية (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) أهم بنو أسد ؟ قال : قد قيل ذلك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : قلت لسعيد بن جُبَير (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) أهم بنو أسد ؟ قال : يزعمون ذاك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى عمرة ، قال : كان بشر بن غالب ولبيد بن عُطارد ، أو بشر بن عُطارد ، ولبيد بن غالب ، عند الحجاج جالسَين ، فقال بشر بن غالب للبيد بن عُطارد : نزلت فى قومك بنى تميم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ) فذكرت ذلك لسعيد بن جُبير ، فقال : إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) قالوا أسلمنا ولم نقاتلك : بنو أسد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاَ تَمُنُّوا) : أنا أَسْلَمْنا بِغَيْرِ قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) لهم (لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ ، بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ) قال : فهذه الآيات نزلت فى الأعراب .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . (١٨)

يقول تعالى ذكره : إن الله أيها الأعراب لايخفى عليه الصادق منكم من الكاذب ، ومن الداخل منكم فى ملة الإسلام رغبة فيه ، ومن الداخل فيه رَهْبة من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده ، فلا تعلّمونا دينكم ، وضمائر صدوركم ، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم ، وتحدّثون به أنفسكم ، ويعلم ما غاب عنكم ، فاستسرّ فى خبايا السموات والأرض ، لايخفى عليه شىء من ذلك (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : والله ذو بصر بأعمالكم التى تعملونها ، أجهرا تعملون أم سرّا ، طاعة تعملون أو معصية ، وهو مجازيكم على جميع ذلك ، إن خيرا فخير ، وإن شرّا فشرّ وكُفْؤه .

وأنْ فى قوله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) فى موضع نصب ، بوقوع يمنون عليها ، وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ إِسْلَامَهُمْ) ، وذلك دليل على صحة ما قلنا ، ولو قيل : هى نصب بمعنى : يمنون عليك لأن أسلموا ، لكان وجها يتجه . وقال بعض أهل العربية : هى فى موضع خفض ، بمعنى : لأن أسلموا .

وأما «أن» التى فى قوله (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ) فإنها فى موضع نصب بسقوط الصلة ، لأن معنى الكلام : بل الله يمنّ عليكم بأن هداكم للإيمان .

آخر تفسير سورة الحجرات

تفسير سورة قٓ

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قٓ) ، فقال بعضهم : هو اسم من أسماء الله تعالى ، أقسم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس فى قوله (قۤ ونۤ) وأشباه هذا ، فإنه قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قۤ) قال : اسم من أسماء القرآن .

وقال آخرون : (قۤ) : اسم الجبل المحيط بالأرض ، وقد تقدّم بياننا فى تأويل حروف المعجم التى فى أوائل سور القرآن ، بما فيه الكفاية عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَالقُرآنِ المَجِيدِ) يقول : والقرآن الكريم .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير (قۤ والقرآن المَجِيدِ) قال : الكريم .

واختلف أهل العربية فى موضع جواب هذا القسم ، فقال بعض نحوىّ البصرة (قۤ والقُرآنِ المَجِيدِ) : قسم على قوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) وقال بعض نحوىّ أهل الكوفة : فيها المعنى الذى أقسم به ، وقال : ذُكِر أنها قُضِىَ والله ، وقال : يقال : إن «قاف» جبل محيط بالأرض ، فإن يكن كذلك فكأنه فى موضع رفع : أى هو قاف والله ؛ قال : وكان ينبغى لرفعه أن يظهر ، لأنه اسم ، وليس بهجاء ؛ قال : ولعلّ القاف وحدها ذكرت من اسمه ، كما قال الشاعر :

قُلْتُ لَهَا قِفِى لَنا قالَتْ قافْ[1]

ذكرت القاف إرادة القاف من الوقف : أى إنى واقفة .

وهذا القول الثانى عندنا أولى القولين بالصواب ، لأنه لايعرف فى أجوبة الأيمان قد ، وإنما تجاب الأيمان إذا أجيبت بأحد الحروف الأربعة : اللام ، وإن ، وما ، ولا ، أو بترك جوابها ، فيكون ساقطا .

وقوله (بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذّبك يا محمد مشركو قومك أن لايكونوا عالمين بأنك صادق محقّ ، ولكنهم كذّبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم ، يعنى بشرا منهم من بنى آدم ، ولم يأتهم مَلَك برسالة من عند الله .

(١) فى (اللسان : وقف) غير منسوب . قال : وقوله * قلت لها قفى لنا قالت قاف * بسكون الفاء : إنما أراد : قد وقفت فاكتفى بذكر القاف . قال ابن جنى : ولو نقل هذا الشاعر إلينا شيئا من جملة الحال ، فقال مع قوله : قالت قاف ، وأمسكت زمام بعيرها ، أوعاجنه عليها ، لكان أبين لما كانوا عليه ، وأدل على أنها أرادت قفى لنا ، أى يقول لى قفى لنا ! متعجبة منه . وهو إذا شاهدها وقد وقفت علم أن قولها : قاف إجابة لقوله ، وتعجب منه فى قوله قفى لنا . اهـ . وفى معانى القرآن للفراء (الورقة ٣٠٨) أورد البيت ثم قال : ذكرت القاف إرادة القاف من الوقف ، أى إنى واقفة . اهـ .

قلت : ولو ذهب قائل إلى أن قاف اسم صوت أريد به اسم الفعل وقفت ، لكان وجها .

وقوله (فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) يقول تعالى ذكره : فقال المكذّبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم : (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) : أى مجىء رجل منا من بنى آدم برسالة الله إلينا ، (هَلاَّ ١ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا)

القول فى تأويل قوله تعالى

أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)

⁂ يقول القائل : لم يجر للبعث ذكر ، فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك ، فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه ، وجوابهم عما لم يسئلوا عنه . قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فنذكر ما قالوا فى ذلك ، ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى ، فقال فى ذلك بعض نحوىّ البصرة قال : (أئذا متنا وكنّا تُرابا ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) ، لم يذكر أنه راجع ، وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب ، كأنه قيل لهم : إنكم ترجعون ، فـ(قالوا أئذا متنا وكنّا تُرابا ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) وقال بعض نحوىّ الكوفة قوله : «أئذا متْنا وكُنّا تُرَابا) كلام لم يظهر قبله ، ما يكون هذا جوابا له ، ولكن معناه مضمر ، إنما كان والله أعلم : (قَ والقُرآن المجيد) لَتُبْعَثُنّ بعد الموت ، فقالوا : أئذا كنا ترابا بُعثنا ؟ جحدوا البعث ، ثم قالوا (ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) جحدوه أصلا ، قوله (بَعِيدٌ) كما تقول للرجل يخطئ فى المسئلة ، لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب : أى أخطأت .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن فى هذا الكلام متروكا ، استغنى بدلالة ما ذُكر عليه من ذكره ، وذلك أن الله دلّ بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين ، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، بقوله (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فكأنه قال لهم : إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعثتم يوم القيامة ، ما يكون حالُكم فى تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإنكاركم نبوّته ، فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أئذا متْنا وكُنّا تُرَابا) نعلم ذلك ، ونرى ما تعِدُنا على تكذيبك (ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) : أى أن ذلك غير كائن ، ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا ، فاستغنى بدلالة قوله (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ) من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم .

وفيما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أئذا متْنا وكُنّا تُرَابا ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) قالوا : كيف يحيينا الله ، وقد صرنا عظاما ورُفاتا ، وضَلَلْنا فى الأرض ؟ دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذ تُوُعِّدُوا به .

(١) التلاوة « لولا » . اهـ . مصححه .

وقوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم ، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتُفنى من أجسامهم ، ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك ، حافظ لذلك كله ، وسماه الله تعالى حفيظا ، لأنه لايَدْرُس ما كُتب فيه ولا يتغير ولايتبدّل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) قال : من عظامهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ما تأكل الأرض منهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) قال : يعنى الموت ، يقول : من يموت منهم ، أو قال : ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، قال الله (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ) يقول : ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به ، وهم عندى مع علمى فيهم فى كتاب حفيظ .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوَقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦)

☆ يقول تعالى ذكره : ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون (أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُرَابا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) ، فى قيلهم هذا (بَلْ كَذَّبُوا بالحَقّ) ، وهو القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) من الله .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ كَذَّبُوا بالحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ) أى كذّبوا بالقرآن (فَهُمْ فِى أمْرٍ مَرِيجٍ) يقول : فهم فى أمر مختلط عليهم ملتبس ، لايعرفون حقه من باطله . [يقال][1] قد مَرِج أمر الناس : إذا اختلط وأهمل .

وقد اختلفت عبارات أهل التأويل فى تأويلها ، وإن كانت متقاربات المعانى ، فقال بعضهم : معناها : فهم فى أمر منكَر ؛ وقال : المَرِيج : هو الشىء المنكَر .

(١) زيادة لربط الكلام ، ونظن أنها سقطت من قلم الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خالد بن خِدَاش ، قال : ثنى سَلْمُ بن قُتيبة ، عن وهب بن حبيب الآمدىّ ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس ، أنه سُئل عن قوله (أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : المريج : الشىء المنكر ؛ أما سمعت قول الشاعر :

فَجالَتْ والْتَمَسَتْ به حَشاها فَخَرَّ كأنَّهُ خُوطٌ مَرِيجُ[1]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فى أمر مختلف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) يقول : مختلف .

وقال آخرون : بل معناه : فى أمر ضلالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : هم فى أمر ضلالة .

وقال آخرون : بل معناه : فى أمر مُلْتبِس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ابن جُبَير ، فى قوله (فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : مُلْتبِس .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : ملتبس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) ملتبس عليهم أمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : والتبس عليه دينه .

وقال آخرون : بل هو المختلط .

---

(١) البيت للداخل بن حرام الهذلى ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى طبعة أوربا ، ص ٢٦٩ وليس لأبى ذؤيب ، كما قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٥ ب) . والضمير فى جالت للبقرة . وفى به إلى السهم الذى وصفه . ويروى : فراغت : فى موضع « فجالت » . أى حادت عن السهم . والحشا : حشوة الجوف . وخر : سقط . وخوط : غصن أو قضيب . ومريج : أى قد طرح وترك ، يقال : مرج إذا وقع فترك . ويقال مريج : قلق ، يقال مرج الخاتم فى يدى ، أى انسل يمرج مرجا ، أى قلق وتقلقل واضطرب ومرج وفى (اللسان : مرج) : المرج بالتحريك : مصدر قولك : مرج الخاتم فى يدى مرجا : أى قلق . وفى التنزيل « فهم فى أمر مريج » يقول : فى ضلال . وقال أبو إسحاق : فى أمر مختلف ، ملتبس عليهم ، يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم مرة : ساحر ، ومرة شاعر ، ومرة معلم مجنون . وهذا الدليل على أن قوله « مريج » ملتبس عليهم . اهـ . وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ٢٢٥ب) مريج مختلط ؛ يقال قد مرج أمر الناس : اختلط وأهمل . وقال أبو ذؤيب (كذا) « فخر كأنه خوط مريج » : أى سهم . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى أَمْرٍ مَرِيجٍ) قال : المَرِيج : المختلط .

وإنما قلت : هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهى فى المعنى متقاربات ، لأن الشىء مختلف ملتبس معناه مشكل . وإذا كان كذلك كان منكرا ، لأن المعروف واضح بين ، وإذا كان غير معروف ، كان لاشكّ ضلالة ، لأن الهدى بيِّن لالَبْس فيه .

وقوله (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها) يقول تعالى ذكره : أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت ، المُنكرون قُدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم (إلى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها) فسوّيناها سَقْفا محفوظا ، وزيناها بالنجوم (وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ) يعنى : وما لها من صُدُوع وفُتُوق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ فُرُوجٍ) قال : شَقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) قلت له ، يعنى ابن زيد : الفروج : الشىء المتبرئ بعضه من بعض ، قال : نعم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨)

وقوله (والأَرْضَ مَدَدْناها) يقول : والأرض بسطناها (وألْقَيْنا فيها رَواسِيَ) يقول : وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، رست فى الأرض ، (وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) يقول تعالى ذكره : وأنبتنا فى الأرض من كلّ نوع من نبات حسن ، وهو البهيج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَهِيجٍ) يقول : حسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وألْقَيْنا فِيها رَواسِيَ) والرواسى الجبال (وأنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) : أى من كلّ زوج حسن .

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قلت لابن زيد (البهيج) : هو الحسن المنظر ؟ قال نعم.

وقوله (تَبْصِرَةً) يقول : فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس بنصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء ، (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول : وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه ، وتنبيها على وحدانيته (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول : لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله ، والعمل بطاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (تَبْصِرَةً) نعمة من الله يبصرها العباد (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) : أى مقبل بقلبه إلى الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى) قال : تبصرة من الله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَبْصِرَةً) قال : بصيرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) قالا : مجيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (٩) وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ، كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (١١)

يقول تعالى ذكره (وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً) مطرا مباركا ، فأنبتنا به بساتين أشجارا ، وحبّ الزرع المحصود من البُرّ والشعير ، وسائر أنواع الحبوب .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحَبَّ الحَصِيدِ) هذا البُرّ والشعير.

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) قال : هو البُرّ والشعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَحَبَّ الحَصِيدِ) قال : الحنطة .

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وحَبَّ الْحَصِيدِ) الحبّ هو الحصيد ، وهو مما أضيف إلى نفسه مثل قوله : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) .

وقوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) يقول : وأنبتنا بالماء الذى أنزلنا من السماء النخل طوالا ، والباسق : هو الطويل ، يقال للجبل الطويل : جبل باسق ، كما قال أبو نوفل لابن هُبَيرة :

يابْنَ الَّذِين بِفَضْلِهِمْ بَسَقَتْ عَلى قَيْسٍ فَزَارَهْ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (باسِقاتٍ) يقول : طوال .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : النخل الطوال .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن شدّاد فى قوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : بُسوقها : طولها فى إقامة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة ، فى قوله : (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) الباسقات : الطوال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (باسِقاتٍ) قال : الطوال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : بسوقها طولها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : يعنى طولها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والنَّخْلَ باسِقاتٍ) قال : البسوق : الطول .

وقوله (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول : لهذا النخل الباسقات طَلْع وهو الكُفُرَّى ، نضيد : يقول : منضود بعضه على بعض متراكب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) قال : يقول بعضه على بعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَضِيدٌ) قال : المنضّد .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٥ ب) قال : « والنخل باسقات » : طوال . يقال جبل باسق ، وحسب باسق ، قال أبو نوفل لابن هبيرة : « يابن الذين .... » البيت . وفى اللسان : بسق (بسق الشىء يبسق بسوقا : تم طوله) . وفى التنزيل : « والنخل باسقات » الفراء : باسقات : طوالا ، فهن طوال النخل ، وبسق على قومه : علاهم فى الفضل . وأنشد ابن برى لأبى نوفل : يابن الذين .... البيت » . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يقول : بعضه على بعض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) يُنْضَدُ بعضه على بعض .

وقوله (رِزْقًا لِلْعِبَادِ) يقول : أنبتنا بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء هذه الجنات ، والحبّ والنخل قوتا للعباد ، بعضها غذاء ، وبعضها فاكهة ومتاعا .

وقوله (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يقول تعالى ذكره : وأحيينا بهذا الماء الذى أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت ، فلا زرع فيها ولا نبت .

وقوله (كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) يقول تعالى ذكره : كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة ، فأحييناها به ، فأخرجنا نباتها وزرعها ، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم ، فيها بما ينزل عليها من الماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ، فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)

يقول تعالى ذكره : (كَذَّبَتْ) قبل هؤلاء المشركين الذين كذّبوا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه (قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) ، وقد مضى ذكرنا قبلَ أمرَ أصحاب الرسّ ، وأنهم قوم رسّوا نبيهم فى بئر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى بكر ، عن عكرمة بذلك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَصْحَابُ الرَّسِّ) والرس : بئر قُتل فيها صاحب يسٓ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَصْحَابُ الرَّسِّ) قال : بئر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عمرو بن عبد الله ، عن قتادة أنه قال : إن أصحاب الأيكة ، (والأيكة : الشجر الملتفّ) ، وأصحاب الرّسّ كانتا أمتين ، فبعث الله إليهم نبيا واحدا شعيبا ، وعذّبهما الله بعذابين (وَثَمُودُ ، وَعَادٌ ، وَفِرْعَوْنُ ، وَإِخْوَانُ لُوطٍ ، وأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وهم قوم شعيب ، وقد مضى خبرهم قبل (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) .

وكان قوم تُبَّعٍ أهل أوثان يعبدونها ، فيما حدثنا به ابن حُمَيد ، قال : ثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق .

وكان من خبره وخبر قومه ، ما حدثنا به مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا عمران بن حُدَير ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس ، أنه سأل عبد الله بن سلام ، عن تُبَّع ما كان ؟ فقال : إن تبعا كان رجلا من العرب ، وإنه ظهر على الناس ، فاختار فِتية من الأخيار ، فاستبطنهم واستدخلهم ، حتى أخذ منهم

وبايعهم ، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا : قد ترك دينكم ، وبايع الفتية ؛ فلما فشا ذلك ، قال للفتية ، فقال الفتية : بيننا وبينهم النار تُحرِق الكاذب ، وينجو منها الصادق ، ففعلوا ، فعلق الفتية مصاحفهم فى أعناقهم ، ثم غدوا إلى النار ، فلما ذهبوا أن يدخلوها ، سَفَعت النار فى[1] وجوههم ، فنكصوا عنها ، فقال لهم تُبَّع : لتدخلنَّها ؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها ، وأنه قال لقومه ادخلوها ؛ فلما ذهبوا يدخلونها ، سفعت النار وجوههم ، فنكصوا عنها ، فقال لهم تُبَّع : لتدخلنها ، فلما دخلوها أفرجت عنهم ، حتى إذا توسطوا أحاطت بهم ، فأحرقتهم ، فأسلم تُبع ، وكان تُبَّع رجلا صالحا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى مالك بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد القرظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة ، بن عبد الله يحدّث «أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمْيَرُ بينه وبين ذلك ، وقالوا لاتدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه ، وقال : إنه دين خير من دينكم ، قالوا : فحاكِمْنا إلى النار ، قال نعم ، قال : وكانت فى اليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم ؛ فلما قالوا ذلك لتبَّع ، قال : أنصفتم ، فخرج قومه بأوثانهم ، وما يتقرّبون به فى دينهم ، قال : وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلدَيْهما ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ؛ فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فرمَوهم من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما ، تعرَق جباههما لم تضرّهما ، فأطبقت حِمْيَر ، عند ذلك على دينه ، فمن هنالك ، وغير ذلك كان أصل اليهودية باليمن» .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه : «أن الحَبرين ، ومن خرج معهما من حِمْيَر ، إنما اتبعوا النار ليردّوها ، وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق ، فدنا منهم رجال من حمير بأوثانهم ليردُوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحَبران بعد ذلك ، وجعلا يتلُوان التوراة ، وتنكص حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأطبقت عند ذلك على دينهما ، وكان «رئام» بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلِّمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبَّع : إنما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم ، فخلّ بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود ، فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم باليمن ، كما ذُكر لى» .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن لَهيعة ، عن عمرو بن جابر الحضرمىّ ، حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدىّ ، يحدّث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتَلْعَنُوا تُبَّعا فإنَّهُ كانَ قَدْ أسْلَمَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، أن شعيب ابن زُرْعة المعافرىّ ، حدثه ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقال له رجل : إن حِمْيَر تزعم أن تبعا منهم ، فقال : نعم والذى نفسى بيده ، وإنه فى العرب كالأنف بين العينين ، وقد كان منهم سبعون ملكا .

(١) كذا فى الأصل ، وسيجىء نظيره قريبا بإسقاط (فى) من الكلام . ولعله زاد (فى) على التضمين .

وقوله (كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ) يقول تعالى ذكره: كلّ هؤلاء الذين ذكرناهم كذّبوا رسل الله الذين أرسلهم (فَحَقَّ وَعِيدِ) يقول: فوجب لهم الوعيدُ الذى وعدناهم على كفرهم بالله، وحلّ بهم العذاب والنقمة. وإنما وصف ربنا جلّ ثناؤه ما وصف فى هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذّبين الرسل، ترهيبا منه بذلك مشركى قريش، وإعلاما منه لهم أنهم إن لم يُنيبوا من تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، أنه محلّ بهم من العذاب مثلَ الذى أحلّ بهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (فَحَقَّ وَعِيدِ) قال: ما أهلكوا به، تخويفا لهؤلاء.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ، بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)

وهذا تقريع من الله لمشركى قريش الذين قالوا: (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) يقول لهم جلّ ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخلق الأوّل الذى خلقناه، ولم يكن شيئا فنَعَيَا بإعادتهم خلقا جديدا بعد بِلائهم فى التراب، وبعد فنائهم؛ يقول: ليس يُعْيِينا ذلك، بل نحن عليه قادرون.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) يقول: لم يعينا الخلق الأوّل.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) يقول: أفعيى علينا حين أنشأناكم خلقا جديدا، فتمتروا بالبعث.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبى ميسرة (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) قال: إنا خلقناكم.

وقوله (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول تعالى ذكره: ما يشكّ هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث أنا لم نعى بالخلق الأوّل، ولكنهم فى شكّ من قُدرتنا على أن نخلقهم خلقا جديدا، بعد فنائهم، وبَلائهم فى قبورهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول : فى شكّ من البعث .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى ميسرة (بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ) قال : الكفار (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : أن يُخْلَقوا من بعد الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ) : أى شكّ والخلق الجديد : البعث بعد الموت ، فصار الناس فيه رجلين : مكذّب ، ومصدّق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) قال : البعث من بعد الموت .

وقوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه ، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) يقول : ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق ؛ والوريد : عِرق بين الحُلْقوم والعِلْباوين ، والحبل : هو الوريد ، فأضيف إلى نفسه ، لاختلاف لفظ اسميه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) يقول : عِرْق العنق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلِ الوَرِيدِ) قال : الذى يكون فى الحلق .

⁂ وقد اختلف أهل العربية فى معنى قوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) فقال بعضهم : معناه : نحن أملك به ، وأقرب إليه فى المقدرة عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد) بالعلم بما تُوَسْوِس به نفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه ، حين يتلقى المتلقيان ، وهما المتلقيان ، (عَنِ اليَمِينِ ، وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) وقيل : عنى بالقعيد : الرَّصَد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَعِيدٌ) قال : رَصَد.

واختلف أهل العربية فى وجه توحيد قعيد ، وقد ذُكر من قبل متلقيان ، فقال بعض نحوِّيى البصرة : قيل : (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) ولم يقل : عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، أى أحدهما ، ثم استغنى ، كما قال (نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) ثم استغنى بالواحد عن الجمع ، كما قال : (فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسا) . وقال بعض نحوِّيى الكوفة (قَعِيدٌ) يريد : قعودا عن اليمين وعن الشمال ، فجعل فعيل جمعا ، كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين ، قال الله عزّ وجلّ : (إنَّا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ) لموسى وأخيه ؛ وقال الشاعر :

أَلِكْنِى إلَيْها وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أعْلَمُهُمْ بِنَواحى الخَبَرْ[1]

فجعل الرسول للجمع ، فهذا وجه ، وإن شئت جعلت القعيد واحدا ، اكتفاء به من صاحبه ، كما قال الشاعر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا وأنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْىُ مُخْتَلِفُ[2]

ومنه قول الفرزدق :

إنّى ضَمِنْتُ لِمَنْ أتانِى ما جَنَى ... وأَبَى فَكانَ وكُنْتُ غَيرَ غَدُورِ[3]

ولم يقل : غَدُورَيْن .

---

(١) البيت لأبى ذويب (اللسان : رسل) وروايته فيه كرواية المؤلف هنا ، وقد نقلها المؤلف عن معانى القرآن للفراء (الورقة ٣٠٩) وفى (اللسان : ألك) : بخير الرسول ، وأعلمهم بهمزة المتكلم فى المضارع . وقال فى رسل : وفى التنزيل العزيز « إنا رسول رب العالمين» ولم يقل رسل لأن فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، مثل عدو وصديق . وقول أبى ذؤيب « ألكنى إليها ....البيت » أراد بالرسول : الرسل ، فوضع الواحد موضع الجمع ، كقولهم : كثر الدينار والدرهم ، لا يريدون به الدينار بعينه ، إنما يريدون كثرة الدنانير والدراهم . وفى (اللسان : ألك) : ألكنى : أى أبلغ رسالتى ، من الألوك والمألكة ، وهى الرسالة . وقال الفراء فى معانى القرآن ، عند قوله تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد » : لم يقل قعيدان : وروى عن ابن عباس قال : قعيدان ، عن اليمين وعن الشمال ، يريد قعود (بضم القاف) فجعل القعيد جمعا ، كما تجعل الرسول للقوم وللاثنين ، كما قال الله : « إنا رسولا رب العالمين» لموسى وأخيه ، وقال الشاعر : « ألكنى إليها ....البيت » . اهـ .

(٢) البيت لقيس بن الخطيم ، وقد تقدم الاستشهاد به فى (١٠ : ١٢٢) من هذه الطبعة ، وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فارجع إليه ثمة . (وانظر الكتاب لسيبويه ١ : ٣٨) .

(٣) البيت للفرزدق (الكتاب لسيبويه طبعة مصر ١ : ٣٨) وهو من شواهد النحويين فى باب التنازع ، فإن قوله كان وكنت يطلب الخبر وهو قوله « غير غدور » . والأصل : وكنت غير غدور ، وكان غير غدور . والعرب تحذف فى مثل هذا خبر أحد العاملين ، اكتفاء بدلالة خبره على المحذوف . وعند البصريين أن الخبر الموجود هو خبر الثانى لا الأول ، فقد حذف خبره ، وهو ظاهر فى الشاهد الذى قبل هذا : « نحن بما عندنا . . . » الخ (وقال الفراء فى معانى القرآن الورقة ٣٠٩ ومثله) أى مثل الشاهد الذى قبله ، قول الفرزدق : « إنى ضمنت ...البيت » ، ولم يقل غدورين . وقد نقل المؤلف كلامه .

وقوله (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) يقول تعالى ذكره : ما يلفظ الإنسان من قول ، فيتكلم به ، إلا عند ما يلفظ به من قول ، رقيب عتيد ، يعنى حافظ يحفظه ، عَتِيد مُعَدّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : عن اليمين الذى يكتب الحسنات ، وعن الشمال الذى يكتب السيئات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، فى قوله (إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : أمسك لعله يتوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ) قال ملك عن يمينه ، وآخر عن يساره ، فأما الذى عن يمينه فيكتب الخير ، وأما الذى عن شماله فيكتب الشرّ .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : مع كل إنسان ملكان : ملك عن يمينه ، وملك عن يساره ؛ قال : فأما الذى عن يمينه ، فيكتب الخير ، وأما الذى عن يساره فيكتب الشرّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) . . . إلى (عَتِيدٌ) قال : جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل ، وحافظين فى النهار ، يحفظان عليه عمله ، ويكتبان أثره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) ، ، حتى بلغ (عَتِيدٌ) قال الحسن وقتادة (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) أى ما يتكلم به من شى إلا كتب عليه . وكان عكرمة يقول : إنما ذلك فى الخير والشرّ يكتبان عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تلا الحسن (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : فقال يا بن آدم ، بُسِطت لك صحيفة ، ووُكِّل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن شمالك ؛ فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ؛ وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل بما شئت ، أقلِلْ أو أكثر ، حتى إذا متّ طُوِيت صحيفتك ، فجعلت فى عنقك معك فى قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول : (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) . . . حتى بلغ (حَسِيبا) عَدَل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) قال : كاتب الحسنات عن يمينه ، وكاتب السيئات عن شماله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : بلغنى أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فاذا أذنب قال له : لاتعجل لعله يستغفر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) قال : جعل معه من يكتب كلّ ما لفظ به ، وهو معه رقيب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن هشام الحِمْصِيّ ، أنه بلغه «أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال : اكتب ، فيقول : لا بل أنت اكتب ، فيمتنعان ، فينادى مناد : ياصاحب الشمال اكتب ماترك صاحب اليمين » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ، ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠)

وفى قوله (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ) وجهان من التأويل ، أحدهما : وجاءت سكرة الموت وهى شدّته وغلبته على فهم الإنسان ، كالسكرة من النوم أوالشراب ، بالحقّ من أمر الآخرة ، فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه . والثانى : وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت .

وقد ذُكر عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أنه كان يقرأ (وَجاءَتْ سَكْرَةُ الحَقّ بالمَوْتِ) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن واصل ، عن أبى وائل ، قال : لما كان أبو بكر رضى الله عنه يقضى ، قالت عائشة رضى الله عنها هذا ، كما قال الشاعر :

إذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ[1]

فقال أبو بكر رضى الله عنه : لاتقولى ذلك ، ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ : (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ[2] ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) . وقد ذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان :

أحدهما : وجاءت سكرة الله بالموت ، فيكون الحقّ هو الله تعالى ذكره . والثانى : أن تكون السكرة

---

(١) هذا عجز بيت ، وصدره كما فى (اللسان : حشرج) * لعمرك مايغنى الثراء ولا الغنى * قال : الحشرجة : تردد صوت النفس وهو الغرغرة فى الصدور . وفى حديث عائشة ودخلت على أبيها ـ رضى الله عنهما ـ عند موته ، فأنشدت : « لعمرك ... البيت . فقال : ليس كذلك ، ولكن : « وجاء سكرة الحق بالموت » . وهى قراءة منسوبة إليه . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩) عند قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » : وفى قراة عبد الله (ابن مسعود) وإن شئت جعلت السكرة هى الموت ، أضفتها إلى نفسها ، كأنك قلت : جاءت السكرة الحق بالموت اهـ . قلت : وهذا البيت لحاتم الطائى ، وروايته فى ديوانه (لندن سنة ١٨٧٢ ص ٣٩) : .

أماوِىَّ ما يغنِى الثَّراءُ عنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يوْما وَضَاقَ بها الصَّدْرُ

(٢) لعله سكرة الحق بالموت فإنها قراءة الصديق رضى الله عنه إلا أن تكون القراءة الأخرى رويت عنه أيضا .

هى الموت أُضيفت إلى نفسها ، كما قيل : (إنَّ هذَا لهُوَ حَقُّ اليَقِينِ). ويكون تأويل الكلام : وجاءت السكرةُ الحقُّ بالموت .

وقوله (ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) يقول : هذه السكرة التى جاءتك أيها الإنسان بالحقّ هو الشىء الذى كنت تهرب منه ، وعنه تروغ .

وقوله (وَنُفِخَ فِى الصُّورِ ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ) قد تقدّم بياننا عن معنى الصُّور ، وكيف النَّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين ، والذى هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ) يقول : هذا اليوم الذى ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذى وعده الله الكفار أن يعذّبهم فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : وجاءت يوم ينفخ فى الصور كلّ نفس ربها ، معها سائق يسوقها إلى الله ، و شهيد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من خير أو شرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن يحيى بن رافع مولى لثقيف ، قال : سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب ، فقرأ هذه الآية (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن أبى عيسى ، قال : سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب ، فقرأ هذه الآية (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : السائق يسوقها إلى أمر الله ، والشهيد يشهد عليها بما عملت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ) قال : السائق من الملائكة ، والشهيد : شاهد عليه من نفسه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سفيان ، عن مهران ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (سائِقٌ وشَهِيدٌ) سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سائِقٌ وشَهِيدٌ) سائق يسوقها إلى أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : المَلَكان : كاتب ، وشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى ربها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها إلى حسابها ، وشاهد يشهد عليها بما عملت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها .

وحُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) السائق من الملائكة ، والشاهد من أنفسهم : الأيدي ، والأرجل ، والملائكة أيضا شهداء عليهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) قال : مَلَك وكُلِّل به يحصي عليه عمله ، ومَلَك يسوقه إلى محشره حتى يوافي محشره يوم القيامة .

⁂ واختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآيات ؛ فقال بعضهم : عنى بها النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : عنى أهل الشرك ، وقال بعضهم : عُنِي بها كلّ أحد .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ ، قال : سألت زيد ابن أسلم ، عن قول الله (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ) . . . الآية ، إلى قوله (سائِقٌ وشَهِيدٌ) ، فقلت له : من يُراد بهذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له رسول الله ؟ فقال : ما تنكر ؟ قال الله عزّ وجلّ : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) قال : ثم سألت صالح بن كيسان عنها ، فقال لي : هل سألت أحدا ؟ فقلت : نعم ، قد سألت عنها زيد بن أسلم ، فقال : ما قال لك ؟ فقلت : بل تخبرني ما تقول ، فقال : لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي ، فأخبرني ما قال لك ؟ قلت : قال : يُراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : وما علم زيد ؟ والله ما سنّ عالية ، ولا لسان فصيح ، ولا معرفة بكلام العرب ، إنما يُراد بهذا الكافر . ثم قال : اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك ، قال : ثم سألت حسين

ابن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس ، فقال لى مثل ما قال صالح : هل سألت أحدا فأخبرنى به ؟ قلت : إنى قد سألت زيد بن أسلم ، وصالح بن كيسان ، فقال لى : ما قالا لك ؟ قلت : بل تخبرنى بقولك ، قال : لأخبرنك بقولى ، فأخبرته بالذى قالا لى ، قال : أخالفهما جميعا ، يريد بها البرّ والفاجر ، قال الله : (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالْحَقّ ، ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) قال : فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر ، فرأى كلّ ما يصير إليه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ) يعنى المشركين .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنِى بها البرّ والفاجر ، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) والإنسان فى هذا الموضع بمعنى : الناس كلهم ، غير مخصوص منهم بعضٌ دون بعض . فمعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أن معنى قوله (وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ) وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحقّ (ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) وإذا كان ذلك كذلك ، كانت بينةً صحة ماقلنا .

وقوله (لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) يقول تعالى ذكره : يقال له : لقد كنت فى غفلة من هذا الذى عاينت اليوم أيها الإنسان ، من الأهوال والشدائد (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) يقول : فجلّينا ذلك لك ، وأظهرناه لعينيك ، حتى رأيته وعاينته ، فزالت الغفلة عنك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفوا فى المقول ذلك له ، فقال بعضهم : المقول ذلك له الكافر .

وقال آخرون : هو نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : هو جميع الخلق من الجنّ والإنس .

ذكر من قال : هو الكافر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) وذلك الكافر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : للكافر يوم القيامة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : فى الكافر .

ذكر من قال : هو نبىّ الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ

هَذَا) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد كنت فى غفلة من هذا الأمر يا محمد ، كنت مع القوم فى جاهليتهم (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ ، فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) .

وعلى هذا التأويل الذى قاله ابن زيد ، يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه كان فى غفلة فى الجاهلية من هذا الدين الذى بعثه به ، فكشف عنه غطاءه الذى كان عليه فى الجاهلية ، فنفذ بصره بالإيمان وتبيّنه ، حتى تقرّر ذلك عنده ، فصار حادّ البصر به .

ذكر من قال : هو جميع الخلق من الجنّ والإنس

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرىّ ، قال : سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، فقال : يريد به البرّ والفاجر (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ . قال : وكُشِف الغطاء عن البرّ والفاجر ، فرأى كلّ ما يصير إليه .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : الحياة بعد الموت .

حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ) قال : عاين الآخرة .

وقوله (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) يقول : فأنت اليوم نافذ البصر ، عالم بما كنت عنه فى الدنيا فى غفلة ، وهو من قولهم : فلان بصير بهذا الأمر : إذا كان ذا علم به ، وله بهذا الأمر بصر : أى علم .

وقد رُوى عن الضحاك أنه قال : معنى ذلك (فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) لسان الميزان ، وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف فى الدنيا شاهدٌ عدلٌ عليه ، فشبّه بصره بذلك بلسان الميزان ، الذى يعدل به الحقّ فى الوزن ، ويعرف مبلغه الواجب لأهله ، عما زاد على ذلك أو نقص ، فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب فى الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : وقال قرين هذا الإنسان الذى جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) الملك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا سائقه الذى وُكِّل به ، وقرأ (وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ) .

وقوله (هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِيل قَرِينِ هذا الإنسان ، عند موافاته ربه به ، ربّ هذا ما لدىّ عتيد : يقول : هذا الذى هو عندى معدّ محفوظ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَذَا ما لَدَىَّ عَتِيدٌ) .

قال : والعتيد : الذى قد أخذه ، وجاء به السائق والحافظ معه جميعا .

وقوله (أَلْقِيا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو : يقال ألقيا فى جهنم ، أو قال تعالى : ألقيا ، فأخرج الأمر للقَرِين وهو بلفظ واحد ، مَخْرَج خطاب الاثنين : وفى ذلك وجهان من التأويل : أحدهما : أن يكون القرين بمعنى الاثنين ، كالرسول ، والاسم الذى يكون بلفظ الواحد فى الواحد ، والتثنية والجمع ، فردّ قوله (أَلْقِيا فى جَهَنَّمَ) إلى المعنى . والثانى : أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول ، وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين ، فتقول للرجل ويلك ارحلاها وازجراها ، وذكر أنه سمعها من العرب ؛ قال : وأنشدنى بعضهم :

فَقُلْتُ لِصاحِبِى لا تَحْبِسانا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحا[1]

قال : وأنشدنى أبو ثَرْوان :

فإنْ تَزْجُرانِى يابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ ... وَإنْ تَدَعانِى أحْمِ عِرْضا مُمَنَّعا[2]

(١) البيت لمضرس بن ربعى الفقعسى الأسدى ، وليس ليزيد بن الطثرية ، كما نسبه الكسائى وثعلب إليه ، وأخذه عنه الجوهرى فى الصحاح . قاله ياقوت فيما كتبه على الصحاح . وفى روايته : « لحاطبى » فى موضع لصاحبى ، وقوله : « لاتحبسانا » ، فإن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين (انظر شرح شواهد الشافية لعبد القادر البغدادى طبع القاهرة) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩ عند قوله تعالى « ألقينا فى جهنم ») . العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان ، فيقولان للرجل قوما عنا . وسمعت بعضهم يقول : ويحك ارحلاها وازجراها . وأنشدنى بعضهم « فقلت لصاحبى ... البيت » . قال : ويروى : واجذ ، يريد : واجتز . اهـ .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٠٩) على ما تقدم فى نظيره من أن العرب قد تخاطب القوم والواحد بما تخاطب به الاثنين . قال بعد أن أنشد البيت : ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه . اهـ .

وقال فى (اللسان : جزر » إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين ، كما قال سويد بن كراع العكلى :

تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى ... إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت ... رقادى وغشتنى بياضا مقزعا
فان أنتما أحكمتمانى فارجرا ... أراهط تؤذينى من الناس رضعا
وإن تزجرانى .... البيت

قال : وهذا يدل على أنه خاطب اثنين : سعيد ابن عثمان ، ومن ينوب عنه ، أو يحضر معه . وقوله فإن أنتما أحكمتمانى : دليل أيضا على أنه يخاطب اثنين . وقوله : أحكمتمانى : أى منعتمانى من هجائه . وأصله من أحكمت الدابة : إذا جعلت فيها حكمة اللجام . =

قال : فيروى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرُّفقة أدنى ماتكون ثلاثة ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، وقال : ألا ترى الشعراء أكثر شىء قيلا : يا صاحبىّ ، يا خليلىّ . وقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِى على أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبَاناتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ[1]

ثم قال :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بِها طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ[2]

فرجع إلى الواحد ، وأوّل الكلام اثنان ؛ قال : وأنشدنى بعضهم :

خَلِيلَيَّ قُوْما فى عَطالَةَ فانْظُرَا : أنارتَرَى مِنْ ذِى أبانَيْن أَمْ بَرْقا[3]

وبعضهم يروى : أنارانرى .

(كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) يعنى : كل جاحد وحدانية الله عنيد ، وهو العاند عن الحقّ وسبيل الهدى .

وقوله (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) كان قتادة يقول فى الخير فى هذا الموضع : هو الزكاة المفروضة .

حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه كلّ حقّ وجب لله ، أو لآدمى فى ماله ، والخير فى هذا الموضع هو المال .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول ، لأن الله تعالى ذِكْره عمّ بقوله مناع للخير عنه ، أنه يمنع الخير ، ولم يخصص منه شيئا دون شىء ، فذلك على كلّ خير يمكن منعه طالبه .

وقوله (مُعْتَدٍ) يقول : معتدٍ على الناس بلسانه ، بالبَذاء والفُحْش فى المنطق ، وبيده بالسطوة والبطش ظلما .

= وقوله « وإن تدعانى » أى إن تركمانى حميت عرضى ممن يؤذينى . وإن زجر تمانى انزجرت وصبرت . والرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم . اه . وعلى هذا لايكون فى البيت شاهد للفراء ، ولا للمؤلف .

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لامرىء القيس قالها فى زوجته أم جندب من طيىء (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٤٣) والشاهد فيه أنه يخاطب خليله ، بلفظ التثنية ، لأنهم كانوا ثلاثة فى سفر . وبعد هذا المطلع قوله :

فإنكما إن تنظرا انى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جندب

(٢) وهذا البيت هو ثالث البيتين فى القصيدة ، وهو لامرىء القيس أيضا . قال الفراء بعد كلامه الذى سبق فى الشاهد الذى قبله : ثم قال : ألم ترى ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان . قلت : وكلام الفراء بناء على روايته فى البيت . وهناك رواية أخرى فى قوله « ألم تر » ، وهى : « ألم تريا » بصيغة الخطاب للمثنى ، وهما رفيقاه ، ولا شاهد عليها فى البيت . وهى رواية الأعلم الشنتمرى فى شرحه للأشعار الستة ، وأثبتها شارح مختار الشعر الجاهلى .

(٣) البيت لسويد بن كراع العكلى عن (التاج : عطل) وعطالة : جبل لبنى تميم وذو أبا نين : أى المكان الذى فيه الجبلان : أبان الأبيض ، وهو لبنى جريد من بنى فزارة خاصة ، والأسود لبنى والبة من بنى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويشركهم فيه فزارة . وبين الجبلين نحو فرسخ . ووادى الرمة يقطع بينهما ، قاله البكرى . فى (معجم ما استعجم ص ٩٥) وقال الفراء بعد أن روى البيت : بعضهم يرويه : « أناراترى » . اه . وعلى هذه الرواية الأخيرة لايكون فى البيت شاهد على ما أراده المؤلف من أن العرب تخاطب الواحد بما تخاطب به المثنى . وقوله « من ذى أبانين » هذه رواية الطبرى فى الأصل ، وهى تختلف عن رواية الفراء فى معانى القرآن (٣٠٩) وهى : « من نحوبابين » . قال فى التاج : وبابين ـ مثنى ـ موضع بالبحرين .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : معتد فى منطقه وسيرته وأمره .

وقوله (مُرِيبٍ) يعنى : شاكّ فى وحدانية الله وقُدرته على ما يشاء .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُرِيبٍ) : أى شاكّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : الذى أشرك بالله فعبد معه معبودا آخر من خلقه (فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) يقول : فألقياه فى عذاب جهنم الشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : قال قرين هذا الإنسان الكفّار المنّاع للخير ، وهو شيطانه الذى كان موكلا به فى الدنيا .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : شيطانه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَالَ قَرِينُهُ) قال : الشيطان قُيِّض له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَها آخَرَ) هو المشرك (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : الشيطان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : الشيطان .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينه : شيطانه .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : قرينُه من الجنّ : ربنا ما أطغيته تبرأ منه .

وقوله (رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُهُ) يقول : ما أنا جعلته طاغيا متعدّيا إلى ما ليس له ، وإنما يعنى بذلك الكفر بالله (وَلَٰكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ) يقول : ولكن كان فى طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا .

وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر عن قول قرين الكافر له يوم القيامة، إعلاما منه عباده ، تَبَرُّأ بعضهم من بعض يوم القيامة .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ) قال : تبرأ منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد الله بن أبى بكر ، قال : ثنا جعفر ، قال : سمعت أبا عمران يقول فى قوله (رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ) تبرأ منه .

وقوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) يقول تعالى ذكره : قال الله لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، وصفة قرنائهم من الشياطين (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) اليوم (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا قبل اختصامكم هذا ، بالوعيد لمن كفر بى وعصانى ، وخالف أمرى ونهيى فى كتبى ، وعلى ألسن رسلى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا عبد الله بن أبى بكر ، قال : ثنا جعفر ، قال : سمعت أبا عمران يقول فى قول الله (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ) قال : بالقرآن .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) قال : إنهم اعتذروا بغير عذر ، فأبطل الله حجتهم ، وردّ عليهم قولهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ) قال : يقول : قد أمرتكم ونهيتكم ، قال : هذا ابن آدم وقرينه من الجنّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قال : قلت لأبى العالية (لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بالوَعِيدِ) قال أبو جعفر الطبرىّ : أحسبه قال : هم أهل الشرك ، وقال فى آية أخرى (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فهم أهل القبلة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠)

☆☆ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشركين وقُرَنائهم من الجنّ يوم القيامة ، إذ تبرأ بعضهم من بعض : ما يغير القول الذى قلته لكم فى الدنيا ، وهو قوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ولا قضائى الذى قضيته فيهم فيها .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ) قد قضيت ما أنا قاض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ) قال : قد قضيت ما أنا قاض .

وقوله (وَما أنا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) يقول : ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقى بجرم غيره ، ولا حامل على أحد منهم ذنب غيره ، فمعذّبه به .

وقوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ) يقول : وما أنا بظلام للعبيد فى (يَوْمِ نَقُولَ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ) وذلك يوم القيامة ، ويوم نقول من صلة ظلام . وقال تعالى ذكره لجهنم يوم القيامة : (هَلِ امْتَلأْتِ) ؟ لما سبق من وعده إياها بأنه يملؤها من الجِنَّة والناس أجمعين .

وأما قوله (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما من مزيد . قالوا : وإنما يقول الله لها : هل امتلأت بعد أن يضع قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول : قَطْ ، قَطْ ، من تضايقها ؛ فإذا قال لها وقد صارت كذلك : هل امتلأت ؟ قالت حينئذ : هل من مزيد؟ أى ما من مزيد ، لشدّة امتلائها ، وتضايق بعضها إلى بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ ؟ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) قال ابن عباس : «إن الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته (لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمَعِينَ) ؛ فلما بعث الناسْ وأُحْضِروا ، وسيق أعداء الله إلى النار زُمَرا ، جعلوا يقتحمون فى جهنم فَوجا فَوجا ، لا يلقى فى جهنم شىء إلا ذهب فيها ، ولا يملؤها شىء ، قالت : ألست قد أقسمت لتملأنى من الجِنَّة والناس أجمعين ؟ فوضع قدمه ، فقالت حين وضع قدمه فيها : قَدْ ، قَدْ ، فإنى قد امتلأت ، فليس لى مزيد ، ولم يكن يملؤها شىء ، حتى وَجَدَتْ مسّ ما وُضع عليها ، فتضايقت حين جعل عليها ما جعل فامتلأت ، فما فيها موضع إبرة» .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) قال : وعدها الله ليملأنها ، فقال : هلا وَفَّيتك ؟ قالت : وهل من مَسْلَك ؟

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ ؟ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) كان ابن عباس يقول : «إن الله الملك ، قد سبقت منه كلمة (لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ) لا يُلْقى فيها شىء إلا ذهب فيها ، لا يملؤها شىء ، حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها ، وهى لا يملؤها شىء ، أتاها الربّ فوضع قدمه عليها ، ثم قال لها : هل

امتلأتِ يا جهنم ؟ فتقول : قط ، قط ، قد امتلأت ، ملأتنى من الجنّ والإنس فليس فىّ مزيد . قال ابن عباس : ولم يكن يملؤها شىء ، حتى وجدت مسّ قدم الله تعالى ذكره ، فتضايقت ، فما فيها موضع إبرة » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : زدنى ، إنما هو هل من مزيد ، بمعنى الاستزادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن ثابت ، عن أنس ، قال : « يلقى فى جهنم ، وتقول : هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع قدمه فيها ، فينزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قَطْ ، قَطْ ، ثلاثا » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) لأنها قد امتلأت ، وهل من مزيد : هل بقى أحد ؟ قال : هذان الوجهان فى هذا ، والله أعلم ، قال : قالوا هذا وهذا .

☆ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو بمعنى الاستزادة ، هل من شىء أزداده ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثنى أحمد بن المقدام العِجلىّ ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن الطُّفاوىّ ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبى هُريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، لَمْ يَظْلِمِ اللهُ أحَدًا مِنْ خَلْقِهِ شَيْئا ، وَيُلْقَى فِى النَّارِ ، تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حتى يَضَعَ عَلَيْها قَدَمَهُ ، فَهُنالِكَ يَمْلَؤُها ، وَيُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ » .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبى يحدّث عن قتادة ، عن أنس ، قال : « ما تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الله عليها قدمه ، فتقول : قد ، قد ، وما يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقا ، فيُسكنه فضول الجنة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا أيوب وهشام بن حسان ، عن محمد بن سِيرِينَ ، عن أبى هُريرة ، قال : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : مالى إنما يدخلنى فقراء الناس وسَقَطُهم ؛ وقالت النار : مالى إنما يدخلنى الجبارون والمتكبرون ، فقال : أنت رحمتى أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابى أصيب بك من أشاء ، ولكلّ واحدة منكما ملْؤُها . فأما الجنة فإن الله ينشئ لها من خلقه ماشاء . وأما النار فيُلْقَون فيها وتقول : هل من مَزيد ؟ ويُلْقون فيها وتقول : هل من مزيد ، حتى يضع فيها قدمه ، فهناك تمْلأ ، ويُزْوَى بعضها إلى بعض ، وتقول : قَطْ ، قَطْ [1] .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ثور ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ ، فَقالَتِ الجَنَّةُ : مالى لايَدْخُلُنِى إلاَّ فُقَرَاءُ النَّاسِ ، وَقالَتِ النَّارُ : مالى لايَدْخُلُنِى إلاَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ ، فَقالَ للنَّارِ : أنْتِ عَذَابِى أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ ؛ وَقالَ للْجَنَّةِ : أنْتِ رَحْمَتِى أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ ، وَلِكُلّ

(١) قط قط ، وتقدم قبله : قد قد . وهما بمعنى : كفى كفى .

وَاحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها ؛ فأمَّا الجَنَّةُ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنْشِئُ لَهَا ما شاءَ ؛ وأمَّا النَّارَ فَيُلْقَوْنَ فِيها وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيها ، هُنالكَ تَمْتَلِئُ ، وَيَنْزَوِى بَعْضُها إلى بَعْضٍ ، وَتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيها وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِى بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ : قَدْ ، قَدْ ، بِعِزَّتِكَ وكَرَمِكَ ، وَلا يَزَالُ فِى الجَنَّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقا ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لاتَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُول هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حتى يَضَعَ رَبُّ العالَمِينَ فِيها قَدَمَه ، فَيَنْزَوِى بَعْضُها إلى بَعْضٍ ، فَتَقُولُ : بِعِزَّتِكَ قَطْ ، قَطْ ؛ وَما يَزَالُ فِى الجَنَّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشِئَ اللهُ خَلْقا فَيُسْكِنَه فِى فَضْلِ الجَنَّةِ » .

قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : ما تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، فذكر نحوه ، غير أنه قال : أو كما قال .

حدثنا زياد بن أيوب ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفّاف ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ ، فَقالَتِ النَّارُ : يَدْخُلُنِى الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ ؛ وَقالَتِ الجَنَّةُ : يَدْخُلُنِى الفُقَرَاءُ والمَساكِينُ ؛ فأَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى الجَنَّةِ : أنْتِ رَحْمَتِى ، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ ؛ وأَوْحَى إلى النَّارِ : أنْتِ عَذَابِى ، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ ، وَلِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها ؛ فأمَّا النَّارُ فَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيها ، فَتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ » . فى قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لاتَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » دليل اضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لابمعنى النفى ، لأن قوله « لاتزال » دليل على اتصال قول بعد قول .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) وأُدنيت الجنة وقرّبت للذين اتقوا ربهم ، فخافوا عقوبته ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول : وأدنيت (غَيرَ بَعِيدٍ) .

وقوله (هَذَا ما تُوعَدُونَ) يقول : يقال لهم : هذا الذى توعدون أيها المتقون، أن تدخلوها وتسكنوها

وقوله (لِكُلِّ أوَّابٍ) يعنى : لكل راجع من معصية الله إلى طاعته ، تائب من ذنوبه .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : هو المسبح . وقال بعضهم : هو التائب ، وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع ما لم نذكره هنالك .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (لِكُلِّ أوَّابٍ) قال : لكلّ مسبح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن مسلم الأعور ،عن مجاهد، قال: الأوّاب: المسبح .

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنى يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية، قال: ثنى أبى ، عن الحكم بن عُتيبة فى قول الله (لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ) قال : هو الذاكر الله فى الخلاء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن خَبَّاب ، عن مجاهد (لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ) قال : الذى يذكر ذنوبه فيستغفر منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أوَّابٍ قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن عيسى الحناط ، عن الشعبىّ ، قال : هو الذى يذكر ذنوبه فى خلاء فيستغفر منها (حَفِيظٍ) : أى مطيع لله كثير الصلاة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ) قال : الأوّاب : التوّاب ، الذى يئوب إلى طاعة الله ، ويرجع إليها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن يونس بن خَبَّاب فى قوله (لِكُلِّ أوَّابٍ حَفِيظٍ) قال : الرجل يذكر ذنوبه ، فيستغفر الله لها .

وقوله (حَفِيظٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : حفظ ذنوبه حتى تاب منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن أبى إسحاق ، عن التيمىّ ، قال : سألت ابن عباس ، عن الأوّاب الحفيظ ، قال : حفظ ذنوبه حتى رجع عنها .

وقال آخرون : معناه : أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة حفيظ قال : حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره وصف هذا التائب الأوّاب بأنه حفيظ ، ولم يخصّ به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع ، فالواجب أن يُعَمّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : هو حفيظ لكلّ ما قرّب به إلى ربه من الفرائض والطاعات ، والذنوب التى سلفت منه للتوبة منها والاستغفار .

وقوله (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بالْغَيْبِ) يقول : من خاف الله فى الدنيا من قبل أن يلقاه ، فأطاعه ، واتبع أمره .

وفى « مَن » فى قوله (مَنْ خَشِيَ) وجهان من الإعراب : الخفض على إتباعه كلّ فى قوله (لكُلّ أوّابٍ) والرفع على الاستئناف ، وهو مراد به الجزاء من خشى الرحمن بالغيب ، قيل له ادخل الجنة ؛ فيكون حينئذ قوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) جوابا للجزاء ، أضمر قبله القول ، وجعل فعلا للجميع ، لأن « مَن » قد تكون فى مذهب الجميع .

وقوله (وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) يقول : وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه ، راجع مما يكرهه الله إلى مايرضيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) : أى منيب إلى ربه مُقْبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى الْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ؟ (٣٦)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهمّ والغضب والعذاب وما كنتم تلقَوْنه فى الدنيا من المكاره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ادْخُلُوها بِسَلامٍ) قال : سَلِموا من عذاب الله ، وسَلَّم عليهم .

وقوله (ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ) يقول : هذا الذى وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخالى الجنة من أدخله ، هو يوم دخول الناس الجنة ، ماكثين فيها إلى غير نهاية .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ) خَلَدُوا والله ، فلا يموتون ، وأقاموا فلا يَظْعَنُون ، ونَعِمُوا فلا يبأسون .

وقوله (لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها) يقول : لهؤلاء المتقين مايريدون فى هذه الجنة التى أُزلفت لهم ، من كل ما تشتهيه نفوسهم ، وتلذّه عيونهم .

وقوله (وَلَدَيْنا مَزِيدٌ) يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة ، التى وصف جلّ ثناؤه صفتها ، مزيد يزيدهم إياه . وقيل : إن ذلك المزيد : النظر إلى الله جلّ ثناؤه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن سُهيل الواسطىّ ، قال : ثنا قُرةُ بن عيسى ، قال : ثنا النضر بن عربىّ جدّه ، عن أنس ،

« أن الله عزّ وجلّ إذا أسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط إلى مَرْج من الجنة أفيح ، فمدّ بينه وبين خلقه حُجُبا من لؤلؤ ، وحُجُبا من نور ، ثم وُضعت منابر النور وسُرُرُ النور ، وكراسىّ النور ، ثم أُذِن لرجل على الله عزّ وجلّ ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يُسْمَع دَوِىّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفّق أجنحتهم ، فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا المجعول بيده ، والمُعَلَّم الأسماء ، والذى أُمرت الملائكة فسجدت له ، والذى له أبيحت الجنة ، آدم عليه السلام ، قد أُذِن له على الله تعالى ؛ قال : ثم يؤذَن لرجل آخر بين يديه أمثال الجبال من النور ، يُسْمَع دَوِىّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفّق أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا الذى اتخذه الله خليلا ، وجعل عليه النار بَرْدا وسلاما إبراهيم ، قد أُذِن له على الله . قال : ثم أُذِن لرجل آخر على الله ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يُسْمَع دَوِىّ تسبح الملائكة معه ، وصَفّق أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذن له على الله ؟ فقيل : هذا الذى اصطفاه الله برسالته[1] ، وقرّبه نجيا ، وكلّمه [كلاما][1] موسى عليه السلام ، قد أُذِن له على الله . قال : ثم يُؤذن لرجل آخر معه مثلُ جميع مواكب النبيين قبله ، بين يديه أمثال الجبال ، [من النور][1] يُسْمَع دَوِىّ تسبيح الملائكة معه ، وصَفّق أجنحتهم ؛ فمدّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل : من هذا الذى قد أُذِن له على الله ؟ فقيل : هذا أوّل شافع ، وأوّل مشفّع ، وأكثر الناس واردة ، وسيد ولد آدم ؛ وأوّل من تنشقّ عن ذُؤابتيه الأرض ، وصاحب لواء الحمد ، أحمد صلى الله عليه وسلم ، قد أُذِن له على الله . قال : فجلس النبيون على منابر النور ، [والصدّيقون على سُرُر النور ، والشهداء على كراسىّ النور][1] وجلس سائر الناس على كُثْبان المسك الأذفر الأبيض ، ثم ناداهم الربّ تعالى من وراء الحُجُب : مَرْحَباً بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى . يامَلائكتى انهضوا إلى عبادى ، فأطعموهم . قال : فقرّبت إليهم من لحوم طير ، كأنها البُخْت لاريش لها ولا عظم ، فأكلوا ، قال : ثم ناداهم الربّ من وراء الحجاب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا ، اسقوهم . قال : فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الذهب والفضة ، بأشربة مختلفة لذيذة ، لذة آخرها كلذّة أوّلها ، لايُصَدّعون عنها ولا يُنْزَفون ؛ ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا ، فكِّهوهم . قال : فيقرّب إليهم على أطباق مكلّلة بالياقوت والمرجان ، ومن الرُّطَب الذى سَمَّى الله ، أشدّ بياضا من اللبن ، وأطيب عذوبة من العسل . قال : فأكلوا ، ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجُب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا ، وشربوا ، وفُكِّهوا ، اكسوهم ؛ قال : ففتحت لهم ثمار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوها . قال : ثم ناداهم الربّ تبارك وتعالى من وراء الحجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا ، وشربوا ، وفُكِّهوا ، وكُسُوا ؛ طَيِّبوهم . قال : فهاجت عليهم ريح يقال لها المُثيرة ، بأباريق المسك [الأبيض][1] الأذفر ، فنفحت على وجوههم من غير غُبار ولا قَتام . قال : ثم ناداهم الربّ عزّ وجلّ من وراء الحُجب : مرحبا بعبادى وزوّارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا ، وشربوا ، وفُكِّهوا ، وكُسُوا ، وطُيِّبوا ؛ و عزّتى لأتجلينّ لهم حتى ينظروا إلىّ .

(١) كذا فى الدر المنثور للسيوطى (٦ : ١٠٨) نقلا عن المؤلف . وفى الأصل برسالاته وقد سقط من الأصل بعض عبارات ضرورية وضعناها بين هذين المعقوفين [ ] .

قال : فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد ؛ قال : فتجلى لهم الربّ عزّ وجلّ ، ثم قال : السلام عليكم عبادى ، انظروا إلىّ فقد رضيت عنكم . قال : فتداعت قصور الجنة وشجرها ، سبحانك أربع مرّات ، وخرّ القوم سجدا ؛ قال : فناداهم الربّ تبارك وتعالى : عبادى ارفعوا رءوسكم ، فإنها ليست بدار عمل ، ولا دار نَصَب ، إنما هى دار جزاء وثواب ، وعزّتى وجلالى ما خلقتها إلا من أجلكم ، وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا ، إلا ذكرتكم فوق عرشى » .

حدثنا علىّ بن الحسين بن أبجر ، قال : ثنا عمر بن يونس اليمامى ، قال : ثنا جهضم بن عبد الله بن أبى الطُّفَيل قال : ثنى أبو طَيْبة ، عن معاوية العبسىّ ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وفِى كَفِّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقُلْتُ : يا جِبْرِيلُ ما هَذِهِ ؟ قال : هَذِهِ الجُمُعَةُ ، قُلْتُ : فَمَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيها ؟ قال : هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِى الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيدِ . قُلْتُ : وَلِمَ تَدْعُونَ يَوْمَ المَزِيدِ ؟ قال : إنَّ رَبَّكَ تَبارَكَ وَتَعالى اتَّخَذَ فِى الجَنَّةِ وَادِياً أفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أبْيَضَ ، فإذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلى كُرْسِيِّهِ ، ثُمَّ حَفَّ الكُرْسِيَّ بِمَنابِرَ مِنْ نُورٍ ، ثُمَّ جاءَ النَّبِيُّونَ حتى يَجْلِسُوا عَلَيْها ، ثُمَّ تَجِيءُ أهْلُ الجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا على الكُثُبِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، حتى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : أنا الَّذِى صَدَقْتُكُمْ عِدَّتِى ، وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ، فَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِى ، فَسَلُونِى ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيَقُولُ : رِضَايَ أحَلَّكُمْ دَارِى ، وأنالَكُمْ كَرَامَتِى ، سَلُونِى ، فَيَسْأَلُونَهُ حتى تَنْتَهِى رَغْبَتُهُمْ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذلكَ ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، إلى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ مِنَ الجُمُعَةِ ، حتى يَصْعَدَ على كُرْسِيِّهِ ، فَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ ، وَتَرْجِعُ أهْلُ الجَنَّةِ إلى غُرَفِهِمْ دُرَّةً بَيْضَاءَ ، لانَظْمَ فِيها وَلا فَصْمَ ، أوْ ياقُوتَةً حَمْرَاءَ ، أوْ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ ، مِنْها غُرَفُها وأبْوَابُها ، فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أحْوَجَ مِنْهُمْ إلى يَوْمِ الجُمُعَةِ ، لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً ، وَلِيَزْدَادُوا نَظَرًا إلى وَجْهِهِ ، وَلِذلكَ دُعِىَ يَوْمَ المَزِيدِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث بن أبى سليم ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس بن مالك ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث علىّ بن الحسين .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن صالح بن حَيَّان عن أبى بُرَيدة ، عن أنس بن مالك ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، قال : حدثنا ، أو قال : « قالوا : إن أدنى أهل الجنة منزلة ، الذى يقال له تمنّ ، ويذكره أصحابه فيتمنى ، ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه . قال : قال ابن عمر : ذلك لك وعشرة أمثاله ، وعند الله مزيد » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن درّاجا أبا السَّمْح ، حدثه

عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجُلَ في الجَنَّة لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيه امْرأتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّها أصْفَى مِنْ المِرْآةِ ، وإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلامَ ، وَيَسألُها مَنْ أنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أنا مِنَ المَزِيدِ وَإنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْها سَبْعُونَ ثَوْبا أدْناها مِثْلُ النُّعْمانِ مِنْ طُوبَى فَيَنْفُذُها بَصَرُهُ ، حتى يَرَى مُخَّ ساقِها مِنْ وَرَاءِ ذلكَ ، وَإنَّ عَلَيْها مِنَ التِّيجانِ ، وَإنَّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ فِيها لَتُضِيءُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ » .

وقوله (وكَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكنا قبل هؤلاء المشركين من قريش من القرون ، (هُمْ أشَدُّ) من قريش الذين كذّبوا محمدا (بَطْشاً ، فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ) يقول : فَخَرَقُوا (١) البلادَ فساروا فيها ، فطافوا وتوغّلوا إلى الأقاصي منها ؛ قال امرؤ القَيس :

لقَدْ نَقَّبْتُ فِي الآفاقِ حَتَّى رَضيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ (٢)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ) قال : أثّروا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ) قال : يقول : عملوا فى البلاد ذاك النقْب .

ذكر من قال ذلك

وقوله (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) يقول جلّ ثناؤه : فهل كان لهم بتنقبهم فى البلاد من معدل عن الموت ، ومَنْجًى من الهلاك إذ جاءهم أمرنا . وأضمرت كان فى هذا الموضع ، كما أضمرت فى قوله (وكَأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ) بمعنى : فلم يكن لهم ناصر عند إهلاكهم . وقرأت القرّاء قوله (فَنَقَّبُوا) بالتشديد وفتح القاف ، على وجه الخبر عنهم . وذُكر عن يحيى بن يَعْمر ، أنه كان يقرأ ذلك (فَنَقِبُوا) بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد : أى طوّفوا فى البلاد ، وتردّدوا فيها ، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم .

(١) « قوله فخرقوا البلاد ... الخ » : هذا من كلام الفراء فى معانى القرآن ، ص ٣١٠ . وفى المطبوعة : خربوا فى البلاد . تحريف .

(٢) البيت لامرىء القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٨٠) وفى روايته « وقد طوفت » فى مكان «لقد نقبت» . ورواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٦) كرواية المؤلف . قال : عند قوله تعالى : « فنقبوا فى البلاد» : طافوا وتباعدوا ، قال امرؤ القيس « لقد نقبت ...البيت »- . وفى «اللسان : نقب : (ونقب فى الأرض : ذهب) وفى التنزيل العزيز « فنقبوا فى البلاد هل من محيص » قال الفراء : قرأه القراء : فنقبوا مشددا . يقول : خرقوا البلاد ، فساروا فيها طلبا للمهرب ، فهل كان لهم محيص من الموت ؟ قال : ومن قرأ : فنقبوا بكسر القاف ، فانه كالوعيد ، أى اذهبوا فى البلاد وجيئوا . وقال الزجاج : فنقبوا : طوفوا فتشوا . قال : وقرأ الحسن : فنقبوا بالتخفيف . قال امرؤ القيس : « وقد نقبت ... البيت » أى ضربت فى البلاد : أقبلت وأدبرت . اهـ

وبنحو الذى قلنا فى تأيل قوله (مِنْ مَحِيصٍ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) . . . حتى بلغ (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) : قد حاص الفَجَرة ، فوجدوا أمر الله مُتَّبِعا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قال : حاص أعداء الله ، فوجدوا أمر الله لهم مُدْرِكا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) قال : هل من مَنْجًى .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها من قبل قريش (لَذِكْرَى) يُتَذَكَّر بها (لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) يعنى : لمن كان له عقل من هذه الأمة ، فينتهى عن الفعل الذى كانوا يفعلونه ، من كفرهم بربهم ، خوفا من أن يحلّ بهم مثلُ الذى حلّ بهم من العذاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) : أى من هذه الأمة ، يعنى بذلك القلبِ : القلبَ الحىّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) قال : من كان له قلب من هذه الأمة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) قال : قلب يعقل ماقد سمع من الأحاديث التى ضرب الله بها من عصاه من الأمم . والقلب فى هذا الموضع : العقل ، وهو من قولهم : ما لفلان قلب ، وما قلبه معه : أى ما عقله معه ، وأين ذهب قلبك ؟ يعنى أين ذهب عقلك ؟

وقوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول : أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التى أهلكناها بسمعه ، فيسمع الخبر عنهم ، كيف فعلنا بهم ، حين كفروا بربهم ، وعصوْا رسله (وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول : وهو متفهم لما يخبرُ به عنهم ، شاهد له بقلبه ، غير غافل عنه ولا ساه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول: إن استمع الذكر وشهد أمره ، قال فى ذلك : يجزيه إن عقله [١] .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) قال : وهو لا يحدّث نفسه ، شاهد القلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : العرب تقول : ألقى فلان سمعه : أى استمع بأذنيه ، وهو شاهد ، يقول : غير غائب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : يسمع ما يقول ، وقلبه فى غير ما يسمع .

وقال آخرون : عُنِى بالشهيد فى هذا الموضع : الشهادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يعنى بذلك أهل الكتاب ، وهو شهيد على ما يقرأ فى كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) على ما فى يده من كتاب الله ، أنه يجد النبىّ صلى الله عليه وسلم مكتوبا .

قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، وقال الحسن : هو منافق استمع القول ، لم ينتفع .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : المؤمن يسمع القرآن ، وهو شهيد على ذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال : ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم يعاين من الأحاديث عن الأمم التى قد مضت ، كيف عذّبهم الله وصنع بهم حين عصوا رسله .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق فى ستة أيام ، وما مسّنا من إعياء .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن أبى بكر ، قال : « جاءت اليهود إلى النبىّ

(١) كذا فى الأصل ، ولعل صواب العبارة : فإن ذلك يجزيه إن عقله .

صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق فى هذه الأيام الستة ؟ فقال : « خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ وَالاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ، وَخَلَقَ المَدائِنَ والأَقْوَاتَ والأَنهارَ وعُمْرَانَها وَخَرَابَها يَوْمَ الأَرْبِعاءِ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالمَلائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيسِ ، إلى ثَلاثِ ساعاتٍ ، يعْنِى مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ، وَخَلَقَ فِى أولِ الثَّلاثِ السَّاعاتِ الآجالَ ، وفى الثَّانِيَةِ الآفَةَ ، وفى الثَّالِثَةِ آدَمَ ، قالوا : صدقت إن أتممتَ ، فعرف النبىّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ ، فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ) » .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) قال : من سآمة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) يقول : من إزحاف(١) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) يقول : وما مسنا من نَصَب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) قال : نصب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ . . . الآية ، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفِرْى على الله ، وذلك أنهم قالوا : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استراح يوم السابع ، وذلك عندهم يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ لُغُوبٍ) قالت اليهود : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ففرغ من الخلق يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت ، فأكذبهم الله ، وقال : (ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) كان مقدارا كلّ يوم ألف سنة مما تعدّون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ) قال : لم يَمَسَّنا فى ذلك عناء ، ذلك اللغوب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يامحمد على ما يقول هؤلاء اليهود ، وما

(١) الإزحاف : الإعياء ، وهو بمعنى اللغوب (اللسان : زحف) .

يفترون على الله، ويكذبون عليه ، فإن الله لهم بالمرصاد (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) يقول : وصلّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ، وصلاة العصر قبل الغروب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) لصلاة الفجر ، وقبل غروبها : العصر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ) قبل طلوع الشمس : الصبح ، وقبل الغروب : العصر .

وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) : اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل، فقال بعضهم : عُنِي به صلاة العَتَمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، في قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ) قال : العَتَمة .

وقال آخرون : هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قال : من الليل كله .

⁂ والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) فلم يَحُدّ وقتا من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك، كان على جميع ساعات الليل . وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمرا بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمرا بصلاة العَتَمة ، لأنهما يصلّيان ليلا .

وقوله (وأَدْبارَ السُّجُودِ) يقول : سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك .

⁂ واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود ، فقال بعضهم : عُنِي به الصلاة ، قالوا : وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، قال : سألت عليا ، عن أدبار السجود ، فقال : الركعتان بعد المغرب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال: ثنا ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : قال عليّ رضي الله عنه : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول : (أدبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ رضي الله عنه ، في قوله (وأَدْبارَ السُّجُودِ) قال : الركعتان بعد المغرب .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن عاصم بن ضَمرة ، عن الحسن ابن علىّ رضى الله عنهما ، قال : (أدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علىّ بن زيد ، عن أوس بن خالد ، عن أبى هُريرة ، قال : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : ركعتان بعد صلاة المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عَلْوان بن أبى مالك ، عن الشعبىّ ، قال : (أدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن جابر ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس وإبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (أدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم فى هذه الآية (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ ؛ وَإِدْبَارَ النُّجومِ) ، قال : الركعتان قبل الصبح ، والركعتان بعد المغرب ، قال شعبة : لاأدرى أيَّتُهما أدبارُ السجود ، ولا أدرى أيتهما إدبارُ النجوم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأدْبارُ السُّجُودِ) قال : كان مجاهد يقول : ركعتان بعد المغرب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : هما السجدتان بعد صلاة المغرب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو فضيل ، عن رشدين بن كُرَيب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابْنَ عَبَّاسٍ رَكْعَتانِ بَعْدَ المَغْرِبِ أدْبارُ السُّجُودِ »

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا أبو زُرْعة ، وهبة الله بن راشد ، قال : أخبرنا حَيْوة بن شُرَيح ، قال : أخبرنا أبو صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجَلىّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكرىّ يقول : سألت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عن (أدْبارَ السُّجُودِ) قال : هما ركعتان بعد المغرب .

حدثنى سعيد بن عمرو السَّكونىّ ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا حِمْير بن يزيد الرحَبِىّ ، عن كُرَيب بن يزيد الرحبى ؛ قال : وكان جبير بن نُفَير يمشى إليه ، قال : كان إذا صلى الركعتين قبل الفجر ، والركعتين بعد المغرب أخفّ ، وفسّر إدبار النجوم ، وأدبار السجود .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن عيسى بن يزيد ، عن أبى إسحاق الهمدانىّ ، عن الحسن (وأدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن المُغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان يقال : (أدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

قال : ثنا عنبسة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (وأدْبارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب.

قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : قال علىّ : (أَدْبَارَ السُّجُودِ) : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سُئل الأوزاعىّ عن الركعتين بعد المغرب ، قال : هما فى كتاب الله (فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حُمَيد ، عن الحسن ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : الركعتان بعد المغرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : ركعتان بعد المغرب .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) : التسبيح فى أدبار الصلوات المكتوبات ، دون الصلاة بعدها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس فى (فَسَبِّحْهُ وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : هو التسبيح بعد الصلاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) قال : كان ابن عباس يقول : التسبيح . قال ابن عمرو : فى حديثه فى إثر الصلوات كلها . وقال الحارث : فى حديثه فى دُبر الصلاة كلها .

وقال آخرون : هى النوافل فى أدبار المكتوبات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) : النوافل .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، قول من قال : هما الركعتان بعد المغرب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ولولا ماذكرتُ من إجماعها عليه ، لرأيت أن القول فى ذلك ماقاله ابن زيد ، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصُصْ بذلك صلاة دون صلاة ، بل عمّ أدبار الصلوات كلها ، فقال : (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) ولم تقم بأنه معنىّ به : دُبُر صلاة دون صلاة ، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وأدْبارَ السُّجُودِ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة ، سوى عاصم والكسائىّ (وإدْبارَ السُّجُودِ) بكسر الألف ، على أنه مصدر أدبر يُدبر إدبارا . وقرأه عاصم والكسائىّ

وأبو عمرو (وأدْبارَ) بفتح الألف ، على مذهب جمع دُبُر وأدبار .

والصواب عندى الفتح ، على جمع دُبُر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة ، يوم ينادى بها منادينا من موضع قريب .

وذُكر أنه ينادى بها من صخرة بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال : (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ المُنادِى منْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : مَلَك قائم على صخرة بيت المقدس ينادى : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : كنا نحدّث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة ، وهى أوسط الأرض .

وحُدّثنا أن كعبا قال : هى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَوْمَ يُنادِى المُنادِى منْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : بلغنى أنه ينادى من الصخرة التى فى بيت المقدس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِى المُنادِى مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال : هى الصيحة .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنى بعض أصحابنا ، عن الأغرّ ، عن مسلم بن حيان ، عن ابن بُريدة ، عن أبيه بُرَيدة ، قال : مَلَك قائم على صخرة بيت المقدس ، واضع أصبعيه فى أُذنيه ينادى ، قال : قلت : بما ذا ينادى ؟ قال : يقول : يا أيها الناس هُلُمّوا إلى الحساب ؛ قال : فيقبلون كما قال الله (كأنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) .

وقوله (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقّ) يقول تعالى ذكره : يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحقّ ، يعنى بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب .

وقوله (ذلكَ يَوْمُ الخُرُوجِ) يقول تعالى ذكره : يوم خروج أهل القبور من قبورهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ،وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ،ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : إنا نحن نُحيي الموتى ونميت الأحياء ، وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) يقول جلّ ثناؤه : وإلينا مصيرهم يوم تشقّق الأرض ، فاليوم من صلة مصير .

وقوله (تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ) يقول : تصدّع الأرض عنهم . وقوله (سِرَاعًا) ونُصبت سراعا على الحال من الهاء والميم فى قوله عنهم . والمعنى : يوم تشقّق الأرض عنهم ،فيخرجون منها سراعا ، فاكتفى بدلالة قوله (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ) على ذلك من ذكره .

وقوله (ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) يقول : جمعهم ذلك جمع فى موقف الحساب ، علينا يسير سهل .

القول فى تأويل قوله تعالى

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥) .

يقول تعالى ذكره : نحن يامحمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فريتهم على الله ، وتكذيبهم بآياته ، وإنكارهم قُدرة الله على البعث بعد الموت (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) يقول : وما أنت عليهم بمسلّط .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) قال : لاتتجبّر عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) فإن الله عزّ وجلّ كره الجَبرية ، ونهى عنها ، وقدّم فيها . وقال الفرّاء : وضع الجبار فى موضع السلطان من الجَبرية ؛ وقال : أنشدنى المفضّل :

وَيَوْمَ الحَزْنِ إِذْ حَشَدَتْ مَعَدٌّ ... وكانَ النّاسُ إلا نَحْنُ دِينا

عَصَيْنا عَزْمَةَ الجَبَّارِ حَتَّى ... صَبَحْنا الْجَوْفَ أَلْفا مُعْلَمِينا[1]

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٠) رواهما عن المفضل ، ولم أجدهما فى المفضليات . والبيت الأول قد سبق استشهاد المؤلف به عند قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » (٢ : ٢١١) من هذه الطبعة . والشاهد هنا فى البيت الثانى فى كلمة « الجبار » يريد به الملك المسلط . وقال الفراء : وقوله « وما أنت عليهم بجبار » : يقول : لست عليهم بمسلط . جعل الجبار فى موضع السلطان ، من الجبرية . قال : أنشدنى المفضل : « ويوم الحزن . . . البيتين » . قال : وقال الكلبى بإسناده : « لست عليهم بجبار » يقول : لم تبعث لتجبرهم على الإسلام والهدى ، إنما بعثت مذكرا ، فذكر ، وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم . والعرب لاتقول فعال من أفعلت . لا يقولون هذا إخراج ولا دخال ، يريدون مدخل ولا مخرج ، من أدخلت وأخرجت ؛ إنما يقولون دخال من دخلت ،وفعال من فعلت . وقد قالت العرب : دراك من أدركت ،وهو شاذ . فإن حملت : الجبار على هذا المعنى فهو وجه ،وقد سمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر ، يريد أجبره . فالجبار : من هذه اللغة صحيح ، يراد به : يقهرهم ويجبرهم .

ويروى : « الجوف » وقال : أراد بالجبار : المنذر لولايته .

قال : وقيل : إن معنى قوله : (وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) : لم تُبعث لتجْبُرَهم على الإسلام ، إنما بعثت مذكِّرا ، فذكِّر . وقال العرب : لاتقول فعال من أفعلت ، لايقولون : هذا خراج ، يريدون : مُخْرِج ، ولا يقولون : دَخَّال ، يريدون : مُدْخِل ، إنما يقولون : فعال ، من فعلت ؛ ويقولون : خراج ، من خرجت ؛ ودخال : من دخلت ؛ وقَتّال ، من قتلت . قال : وقد قالت العرب فى حرف واحد : دَرّاك ، من أدركت ، وهو شاذّ .

قال : فإن قلت الجبار على هذا المعنى ، فهو وجه . قال : وقد سمعت بعض العرب يقول : جبره على الأمر ، يريد : أجبره ، فالجبار من هذه اللغة صحيح ، يراد به : يقهرهم ويجبرهم .

وقوله (فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ) يقول تعالى ذكره : فذكر يامحمد بهذا القرآن الذى أنزلتُه إليك من يخاف الوعيد الذى أوعدته من عصانى ، وخالف أمرى .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدىّ ، قال : ثنا حكام الرازىّ ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس ، قال : « قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا ؟ فنزلت (فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا رسول الله ، لو ذكّرتنا ، فذكر مثله .

آخر تفسير سورة قٓ

تفسير سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالذّٰرِيٰتِ ذَرْوًا (١) فَالْحٰمِلٰتِ وِقْرًا (٢) فَالْجٰرِيٰتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمٰتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)

يقول تعالى ذكره (وَالذّارِياتِ ذَرْوًا) يقول : والرياح التى تذرو التراب ذَرْوا ، يقال : ذَرَت الريح التراب وأذْرت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعُرة ، قال : قام رجل إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما الذاريات ذروا ؟ فقال : هى الريح .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن عُرْعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه وخرج إلى الرحبة ، وعليه بُرْدان ، فقالوا : لو أن رجلا سأل وسمع القوم ، قال : فقام ابن الكوّاء ، فقال : ما الذاريات ذَرْوا ؟ فقال : هى الرياح .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عَشْمة ، قال : ثنا موسى بن يعقوب الزَّمَعىّ قال : ثنا أبو الحويرث ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، أخبره ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يخطب الناس ، فقام عبد الله بن الكوّاء ، فقال : يا أمير المومنين ، أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : (وَالذَّارِياتِ ذَرْوًا) قال : هى الرياح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، قال : سُئل علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، عن الذاريات ذَرْوا ، فقال : الريح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطُّفيل ، عن علىّ (وَالذَّارِياتِ ذَرْوًا) قال : الريح .

قال مهران : حدّثنا عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، قال : سألت عليا رضى الله عنه عن (الذرِياتِ ذَرْوًا) فقال : الريح .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبى بزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : لاتسألونى عن كتاب ناطق ، ولا سنة ماضية ، إلا حدّثتكم ، فسأله ابن الكوّاء عن الذاريات ، فقال : هى الرياح .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا رضى الله عنه ، فقال : (وَالذَّارِياتِ ذَرْوًا) قال : هى الريح .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الله بن رفيع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلى رضى الله عنه : ما الذاريات ذَرْوا ؟ قال : الريح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يحيى بن أيوب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البجلىّ ، عن أبى الصهباء البكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال وهو على المنبر : لايسألنى أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته ، فقام ابن الكوّاء ، وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغٌ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ما الذاريات ذروا ؟ قال علىّ : الرياح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن رجلا سأل عليا عن الذاريات ، فقال : هى الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن وهب بن عبد الله ، عن أبى الطفيل ، قال سأل ابن الكوّاء عليا ، فقال : ما الذاريات ذروا ؟ قال : الرياح .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالذَّارِياتِ ذَرْوًا) قال : كان ابن عباس يقول : هى الرياح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالذَّارِياتِ) قال : الرياح .

وقوله (فالْحامِلاتِ وِقْرًا) يقول : فالسحاب التى تحمل وِقْرها من الماء .

وقوله (فالجارِياتِ يُسْرًا) يقول : فالسفن التى تجرى فى البحار سهلا يسيرا (فالمُقَسِّماتِ أمْرًا) يقول : فالملائكة التى تقسم أمر الله فى خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، قال : قام رجل إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما الجاريات يسرا ؟ قال : هى السفن ؛ قال : فما الحاملات وِقرا ؟ قال : هى السحاب ؛ قال : فما المقسمات أمرا ؟ قال : هى الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن عُرعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه . وقيل له : ما الحاملات وقرًا ؟ قال : هى السحاب ؛ قال : فما الجاريات يُسرًا ؟ قال : هى السفن ؛ قال : فما المقسِّمات أمرًا ؟ قال : هى الملائكة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ بنحوه .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا موسى الزمعى ، قال : ثنى أبو الحُوَيرث ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم أخبره ، قال : سمعت عليا يخطب الناس ، فقام عبد الله بن الكوّاء فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : (فالْحامِلاتِ وِقْرًا) قال : هى السحاب (فالجارِياتِ يُسْرًا) قال : هى السفن (فالمُقَسِّماتِ أمْرًا) قال : الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، قال : سمعت أبا الطفيل ، قال : سمعت عليًّا رضى الله عنه ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيع ، عن أبى الطفيل ، قال : قال ابن الكوّاء لعلىّ ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن وهب بن عبد الله ، عن أبى الطُّفيل ، قال شهدت عليا رضى الله عنه ، وقام إليه ابن الكوّاء ، فذكر نحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا ، فذكر نحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يحيى بن أيوب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البجلىّ ، عن أبى الصهباء البكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن رجلا سأل عليا ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، عن علىّ مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، قال : سُئل فذكر مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فالْحامِلاتِ وِقْرًا) قال : السحاب . قوله (فالمُقَسِّماتِ أمْرًا) قال : الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالْحامِلاتِ وِقْرًا) قال : السحاب تحمل المطر ، (فالجارِياتِ يُسْرًا) قال : السفن (فالمُقَسِّماتِ أمْرًا) قال : الملائكة يُنْزلها بأمره على من يشاء .

قوله (إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) يقول تعالى ذكره : إن الذى توعدون أيها الناس من قيام الساعة ، وبعث الموتى من قبورهم ، لصادق ، يقول : لكائن حقّ يقين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) والمعنى : لصدق ، فوضع الاسم مكان المصدر (وَإنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يقول : وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب ، والله مجاز عباده بأعمالهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : الحساب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) وذلك يوم القيامة ، يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : يوم يدين الله العباد بأعمالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) قال : لكائن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)

يقول تعالى ذكره : والسماء ذات الخَلْق الحسن . وعنى بقوله (ذَاتِ الحُبُكِ) : ذات الطرائق ، وتكسير كل شىء : حُبُكُه ، وهو جمع حِبَاك وحَبِيكة ؛ يقال لتكسير الشعرة الجعدة : حُبُك ؛ وللرملة إذا مرّت بها الريح الساكنة ، والماء القائم ، والدرع من الحديد لها : حُبُك ؛ ومنه قول الراجز :

كأنّما جَلَّلَهَا الحَوَّاكُ طِنْفِسَةً فِي وَشْيِهَا حِبَاكُ
أذْهَبَها الخُفُوقُ والدِّرَاكُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبْثَر ، قال : ثنا حصين ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحسن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس (وَالسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حُسنها واستواؤها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حُبُكُها : حسنها واستواؤها .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عمر بن سعيد بن مسروق أخى سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جُبَير (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : ذات الزينة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، قوله (والسماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : حُبِكَت بالخَلْق الحسن ، حُبِكت بالنجوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ) قال : حُبِكت بالخَلْق الحسن ، حُبِكَت بالنُّجوم .

---

(١) الراجز يصف ظهر أتان من حمر الوحش بأن فيه وشيا ورقما وخطوطا وطرائق ، فكأن حائكا ، وهو الذى ينسج الثياب ، ألبسها طنفسة موشاة فيها خطوط مستقيمة ذات ألوان . ومعنى البيت الثالث : أن الخطوط فى ظهرها تلوح كأنها مذهبة عند تحركها ومتابعتها السير . والشاهد فى هذه الأبيات قوله « حباك » والحباك : الخط فى الرمل أو فى الثوب أو فى الشعر ، وجمعه حبك بضمتين . ومثله الحبيكة ، وجمعها حبائك . واستشهد المؤلف بهذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز ، عند قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك » وهى طرائق الضوء ترى فى السماء فى غياب القمر ، وهى ماتسمى المجرة . أو هى الأفلاك تدور فيها الكواكب . والبيت الثالث جاء فى الأصل محرفا هكذا : * أذهبها الحقوق الدين الداك * وقد بحثنا عنه كثيرا ، فلم نجده ، ثم أصلحناه على ماترى . والخفوق : الحركة والاضطراب . والدراك : السير المتتابع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحَسَن ، حُبِكَت بالنجوم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا عمران بن حُدَير ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخلق الحسن ، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال : ما أحسن ما حبكه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قِلابة ، عن رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مِنْ وَرَائِكُمُ الكَذَّابُ المُضِلُّ ، وَإنَّ رأسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ » يعنى بالحُبُك : الجُعودة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : استواؤها : حسنها .

قال : ثنا مهران ، عن علىّ بن جعفر ، عن الربيع بن أنس (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحسن .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : حُبُكها نجومها . وكان ابن عباس يقول : (الْحُبُكُ) ذات الخَلْق الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) : أى ذات الخَلْق الحسن . وكان الحسن يقول : حبكها : نجومها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحَسَن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : المتقَن البُنيان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والسَّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) يقول : ذات الزينة ، ويقال أيضا : حُبكها مثل حُبُك الرمل ، ومثل حُبُك الدرع ، ومثل حُبُك الماء إذا ضربته الريح ، فنسجته طرائق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : الشدة حُبِكَت شُدَّت . وقرأ قول الله تبارك وتعالى (وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعا شِدادًا) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ) قال : ذات الخَلْق الحسن ؛ ويقال : ذات الزينة .

وقيل : عُنِى بذلك السماء السابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ وأبو داود ، قالا : ثنا عمران القَطّان ، عن قتادة ، عن

سالم بن أبى الجعد ، عن معدان بن أبى طلحة ، عن عمرو البكالىّ ، عن عبد الله بن عمرو (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) قال : السماء السابعة .

حدثنى القاسم بن بشير بن معروف ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مَعْدان ، عن عمرو البكالىّ ، هكذا قال القاسم ، عن عبد الله بن عمرو ، نحوه .

وقوله (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) يقول : إنكم أيها الناس لفى قول مختلف فى هذا القرآن ، فمن مصدّق به ومكذّب .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قال : مصدّقٌ بهذا القرآن ومكذّب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قال : يتخرّصون يقولون : هذا سحر ، ويقولون : هذا أساطير ، فبأىّ قولهم يؤخذ ، قتل الخرّاصون هذا الرجل ، لابدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء ، فما لكم لاتأخذون أحد هؤلاء ، وقد رميتموه بأقاويل شتى ، فبأىّ هذا القول تأخذون ، فهو قول مختلف . قال : فذكر أنه تخرّص منهم ليس لهم بذلك علم ، قالوا : فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذى نزلت به الكتب من قبلك ، فقال الله : أعجمىّ وعربىّ ؟ لوجعلنا هذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب ، وهذا القرآن أعجمىّ ، فكيف يجتمعان .

وقوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) يقول : يُصْرَف عن الإيمان بهذا القرآن من صُرِف ، ويُدْفع عنه من يُدْفع ، فيُحْرَمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال ابن عمرو فى حديثه : يوفى ، أو يُؤْفَن ، أو كلمة تشبهها . وقال الحارث : يُؤْفَن ، بغير شكّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال : يُصرف عنه من صُرف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) فالمأفوك عنه اليوم ، يعنى كتابَ الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) قال : يُؤْفَك عنه المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : لُعِن المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتظننونه .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) فقال بعضهم : عُنِى به المرتابون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُتِلَ الخَرّاصُونَ) يقول : لعن المُرتابون .

وقال آخرون فى ذلك بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الكَهَنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الذين يتخرّصون الكذب ، كقوله فى عبس (قُتِلَ الإنْسانُ) ، وقد حدثنى كل واحد منهما بالإسناد الذى ذكرت عنه ، عن مجاهد ، قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : الذين يقولون : لانُبْعَث ، ولا يُوقِنون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) : أهل الظنون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُتِلَ الخَرَّاصُونَ) قال : القوم الذين كانوا يتخرّصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت طائفة : إنما هو ساحر ، والذى جاء به سحر . وقالت طائفة : إنما هو شاعر ، والذى جاء به شعر ؛ وقالت طائفة : إنما هو كاهن ، والذى جاء به كَهانة ؛ وقالت طائفة : (أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها ، فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلا) يتخرّصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين هم فى غَمْرة الضلالة وغَلَبتها عليهم متمادون ، وعن الحقّ الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ساهون ، قد لَهُوا عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول : فى ضلالتهم يتمادَون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (الذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : فى غفلة لاهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) يقول : فى غمرة وشُبهة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : فى غفلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) قال : ساهون عما أتاهم ، وعما نزل عليهم ، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى ، وقرأ قول الله جلّ ثناؤه (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا) . . . الآية ، وقال : ألا ترى الشىء إذا أخذته ثم غمرته فى الماء .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى غَمْرَةٍ ساهُونَ) : قلبه فى كِنانة .

وقوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟) يقول تعالى ذكره : يسأل هؤلاء الخرّاصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب ، ويوم يُدِينُ الله العباد بأعمالهم .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) قال : الذين كانوا يجحدون أنهم يُدانون ، أو يُبعثون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) قال : يقولون : متى يوم الدين ، أو يكون يوم الدين .

وقوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول تعالى ذكره : يوم هم على نار جهنم يفتنون .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يُفْتَنُونَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به أنهم يعذّبون بالإحراق بالنار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يعذّبون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ، يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : فتنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين ، وهم موقوفون على النار (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فقالوا حين وقفوا : (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) ، قال الله تبارك وتعالى : (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (يُفْتَنُونَ) قال : كما يُفْتَن الذهب فى النار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يعذّبون فى النار يُحرقون فيها ، ألم تر أن الذهب إذا أُلقى فى النار قيل فتن .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن عكرمة (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يعذّبون .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يُنْضَجون بالنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن عكرِمة (يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يحرقون .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فِي يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يطبخون ، كما يفتن الذهب بالنار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون بالنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال: ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قال : يحرقون .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنهم يكذّبون .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ) يقول : يطبخون، و يقال أيضا (يُفْتَنُونَ) يكذّبون، كل هذا يقال.

واختلف أهل العربية فى وجه نصب اليوم فى قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) فقال بعض نحوّيى البصرة : نصبت على الوقت والمعنى فى (أيَّانَ يَوْمُ الدّينِ) : أى متى يوم الدين ، فقيل لهم : فى (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) ، لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب ، وفيه فتنتهم على النار .

وقال بعض نحوّيى الكوفة : إنما نصبت (يَوْمَ هُمْ) لأنك أضفته إلى شيئين ، وإذا أضيف اليومَ والليلة إلى اسم له فعل ، وارتفعا ، نصب اليوم ، وإن كان فى موضع خفض أو رفع وإذا أضيف إلى فَعَلَ أو يَفْعَلُ أو إذا كان كذلك[1] ، ورفعه فى موضع الرفع ، وخفضه فى موضع الخفض يجوز ، فلو[2] قيل (يَوْمَ هُمْ عَلَىَ النَّارِ يُفْتَنُونَ) فرفع يومُ ، لكان وجها ، ولم يقرأ به أحد من القرّاء .

وقال آخر منهم : إنها نصب (يَوْمَ هُمْ على النَّارِ يُفْتَنُونَ) لأنه إضافة غير محضة فنصب ، والتأويل رفع ، ولو رفع لجاز لأنك تقول : متى يومك ؟ فتقول : يوم الخميس ، ويوم الجمعة ، والرفع الوجه ، لأنه اسم قابل اسما ، فهذا الوجه .

⁂ وأولى القولين بالصواب فى تأويل قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) قول من قال: يعذّبون بالإحراق ، لأن الفتنة أصلها الاختبار ، وإنما يقال : فتنت الذهب بالنار : إذا طبختها بها ، لتعرف جودتها ، فكذلك قوله (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) يُحرقون بها كما يُحرق الذهب بها ، وأما النصب فى اليوم فلأنها إضافة غير محضة ، على ماوصفنا من قول قائل ذلك .

(١) كذا فى معانى القرآن للفراء . وفى الأصل : وإذا قال . (٢) كذا فى معانى القرآن . وفى الأصل : يقول : لو قيل .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقال لهم : ذوقوا فتنتكم ، وترك « يقال لهم » لدلالة الكلام عليها ، ويعنى بقوله (فِتْنَتَكُمْ) : عذابكم وحريقكم .

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِتْنَتَكُمْ) قال : حريقكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) : ذوقوا عذابكم هذا الذى كنتم به تستعجلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : يوم يعذّبون ، فيقول : ذوقوا عذابكم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : حريقكم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : احتراقكم .

حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) قال : ذوقوا عذابكم .

وقال آخرون : عنى بذلك : ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : تكذيبكم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) يقول : حريقكم ، ويقال : كذبكم .

وقوله (هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذا العذاب الذى توفونه اليوم ، هو العذاب الذى كنتم به تستعجلون فى الدنيا .

وقوله (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بطاعته ، واجتناب معاصيه فى الدنيا ، فى بساتين وعيون ماء فى الآخرة :

وقوله (آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) يقول تعالى ذكره : عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدّين فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس ، فى قوله (آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ) قال : الفرائض .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ) يقول : إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين ، يقول : كانوا لله قبل ذلك مطيعين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى عمر ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ) قال : قبل الفرائض محسنين يعملون .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (١٩)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال بعضهم : معناه : كانوا قليلا من الليل لا يهجعون ، وقالوا : « ما » بمعنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدىّ ، عن سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : يتيقظون يُصَلُّون ما بين هاتين الصلاتين ، ما بين المغرب والعشاء .

حدثنى زُرَيق بن الشحب ، قال : ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا أبو داود ، قال : ثنا بكير بن أبى السمط ، عن قتادة ، عن محمد ابن علىّ ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العَتَمة .

قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن مطرِّف ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قلّ ليلة أتت عليهم إلا صَلَّوا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال مطرف بن عبد الله فى قوله :

(كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قلّ ليلة تأتى عليهم لايصلون فيها لله . ، إما من أوّلها ، وإما من وسطها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لم يكن يمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا .

قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : كانوا يصيبون فيها حظا .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا حفص بن عاصم ، عن أبى العالية ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِن اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لاينامون بين المغرب والعشاء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ومهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا يصيبون من الليل حظا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن مطرّف ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قلّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كان لهم قليل من الليل ما يهجعون ، كانوا يصلونه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : سمعت ابن أبى نجيح ، يقول فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قليلٌ مايرقدون ليلة حتى الصباح لايتهجدون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كانوا قليلا من الليل يهجعون ، ووجهوا « ما » التى فى قوله : (ما يَهْجَعُونَ) إلى أنها صلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قال الحسن : كابدوا قيام الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : لاينامون منه إلا قليلا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن بعض أصحابنا ، عن الحسن ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لاينامون من الليل إلا أقله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، في قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قلّ ليلة أتت عليهم هجوعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الأحنف بن قيس ، في قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا لاينامون إلا قليلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا الحكم بن عطية ، عن قتادة ، قال : قال الأحنف بن قَيس ، وقرأ هذه الآية (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : لست من أهل هذه الآية .

حدثنا بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قيام الليل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : نشطوا فمدُّوا إلى السَّحَر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : مدّوا في الصلاة ونشطوا ، حتى كان الاستغفار بسحَر .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن الحسن قال : كانوا لاينامون من الليل إلا قليلا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، في قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال : كان الحسن والزهريّ يقولان : كانوا كثيرا من الليل ما يصلون . وقد يجوز أن تكون « ما » على هذا التأويل في موضع رفع ، ويكون تأويل الكلام : كانوا قليلا من الليل هجوعهم ، وأما من جعل « ما » صلة ، فإنه لاموضع لها ، ويكون تأويل الكلام على مذهبه : كانوا يهجعون قليل الليل ، وإذا كانت « ما » صلة كان القليل منصوبا بيهجعون .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال : ما ينامون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كانوا يصلُّون العَتَمة ، وعلى هذا التأويل « ما » في معنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، في قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : قال رجل من أهل مكة : سماه قتادة ، قال : صلاة العَتَمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس ، وقالوا الكلام بعد قوله (إنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) كانوا قليلا : مستأنف بقوله (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) فالواجب أن تكون « ما » على هذا التأويل بمعنى الجحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد، عن الضحاك ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) يقول : إن المحسنين كانوا قليلا ، ثم ابتدئ فقيل (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) كما قال : (وَالَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) ثم قال : (وَالشُّهَدَاءِ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الزبير ، عن الضحاك بن مزاحم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا من الناس قليلا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الزبير بن عدىّ ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا من الناس من يفعل ذلك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الزبير بن عدىّ ، عن الضحاك بن مزاحم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا من الناس إذ ذاك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال الله : (إنَّ المُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) . . . إلى (مُحْسِنِينَ) كانوا قليلا ، يقول : المحسنون كانوا قليلا ، هذه مفصولة ، ثم استأنف فقال : (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) .

وأما قوله (يَهْجَعُونَ) فإنه يعنى : ينامون ، والهجوع : النوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) يقول : ينامون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : ينامون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) الهجوع : النوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) قال : كانوا قليلا ما ينامون من الليل ، قال : ذاك الهجع . قال : والعرب تقول : إذا سافرتْ اهجع بنا قليلا . قال : وقال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أُسامة صفة لأجدها فينا ، ذكر الله تبارك وتعالى قوما فقال : (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم ، قال : فقال أبى : طُوبَى لمن رقد إذا نعس ، والقى الله إذا استيقظ .

⁂ وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله (كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُون) قول من قال : كانوا قليلا من الليل هجوعهم ، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم ، وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل ، وسهر الليل ، ومكابدته فيما يقرّبهم منه ، ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل ، وكثرة النوم ، مع أن الذى اخترنا فى ذلك هو أغلب المعانى على ظاهر التنزيل .

وقوله (وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وبالأسحار يُصَلُّون .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقول : يقومون فيصلُّون ، يقول : كانوا يقومون وينامون ، كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهَ) فهذا نوم ، وهذا قيام (وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) كذلك يقومون ثلثا ونصفا وثلثين : يقول : ينامون ويقومون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جبلة بن سحيم ، عن ابن عمر ، قوله (وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : يصلون .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : مدّوا فى الصلاة ونَشِطوا ، حتى كان الاستغفار بسحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) قال : هم المؤمنون ، قال : وبلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم (قَالُوا يَا أبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا — قالَ سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى) قال : قال بعض أهل العلم : إنه أخّر الاستغفار لهم إلى السَّحَر . قال : وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة : السحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : السَّحَر : هو السدس الأخير من الليل .

وقوله (وفِى أمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) يقول تعالى ذكره : وفى أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم ، حقّ لسائلهم المحتاج إلى ما فى أيديهم والمحروم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى السائل ، قال أهل التأويل ، وهم فى معنى المحروم مختلفون ، فمن قائل : هو المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس سألته عن (السَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل الناس ، والمحروم : الذى ليس له فى الإسلام سهم وهو محارَف .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وفِى أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : المحروم : المحارف .

حدثناسهل بن موسى الرازىّ ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : السائل : السائل ، والمحروم : المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا حُمَيد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس فى هذه الآية (للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تبارك وتعالى : (المَحرُوم) قال : المحارف .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالمَحْرُومِ) : هو الرجل المحارَف الذى لايكون له مال إلا ذهب ، قضى الله له ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنى محمد بن عمرو المقدمى ، قال : ثنا قريش بن أنس ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : المحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال فى المحروم : هو المحارَف الذى ليس له أحد يعطف عليه ، أو يعطيه شيئا .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبى قلابة ، قال : جاء سيل باليمامة ، فذهب بمال رجل ، فقال رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : هذا المحروم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع ، قال : المحروم : المحارف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارف .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن الوليد بن العيزار ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم : هو المحارَف .

حدثنى يعقوب بن محمد إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، قال : سالت سعيد بن جبير عن المحروم ، فلم يقل فيه شيئا ، فقال عطاء : هو المحدود المحارَف .

ومن قائل : هو المتعفف الذى لايسأل الناس شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سُئل عن المحروم ، فقال : المحارَف [1] .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) هذان فقيرا أهل الإسلام ، سائل يسأل فى كفّه ، وفقير متعفّف ، ولكليهما عليك حقّ يا بن آدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المتعفف الذى لايسأل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، وحدثنى الزهرىّ ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ والأكْلَةُ والأكْلَتانِ ، قالوا : فمن المسكين يارسول الله ؟ قال : الَّذِى لايَجِدُ غِنًى ، وَلا يُعْلَمُ بِحاجَتِهِ ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، فَذلكَ المَحْرُومُ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (للسائِلِ والمَحْرُومِ) قال : السائل الذى يسأل بكفه ، والمحروم : المتعفف ، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم .

وقائل : هو الذى لاسهم له فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ،

(١) هذا الأثر يناسب القول الأول ، فلعله مؤخر من تقديم .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سَرِيّة ، فغنموا ، فجاء قوم يشهدون الغنيمة ، فنزلت هذه الآية : (وفِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجدلىّ ، عن الحسن بن محمد ، قال : بعثت سرية فغنموا ، ثم جاء قوم من بعدهم ، قال : فنزلت (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أن أُناسا قدموا على علىّ رضى الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل ، فقال : اقسموا لهم ، قال : هذا المحروم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد أن قوما فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة ، فجاء قوم بعد ، فنزلت (وفِي أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : الذى لا فَيْءَ له فى الإسلام ، وهو محارف من الناس .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قوله (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : المحروم : الذى لايجرى عليه شىء من الفىء ، وهو محارف من الناس .

وقائل : هو الذى لاينمى له مال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، قال : سألت عكرمة ، عن السائل والمحروم ؟ قال : السائل : الذي يسألك ، والمحروم : الذي لايَنْمِي له مال .

وقائل : هو الذى قد ذهب ثمره وزرعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله (وَفِى أمْوَالِهِمْ حَق للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : المحروم : المصاب ثمره وزرعه ، وقرأ (أفرأيْتُمْ مَا تَحْرُثُون ، أأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ).. حتى بلغ (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقال أصحاب الجنة : (إنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم ، فى قول الله (وَفِى أمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : ليس ذلك بالزكاة ، ولكن ذلك ماينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة ، والمحروم : الذى يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته ، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين ، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم (قالُوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقال أيضا : (لَوْ نَشاءُ لجَعَلْناهُ حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إنَّا لَمُغْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) .

وكان الشعبيّ يقول فى ذلك ماحدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبيّ : أعيانى أن أعلم ما المحروم ؟

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه الذى قد حُرم الرزق واحتاج ، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره ، فصار ممن حرمه الله ذلك ، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة ، ويكون بأنه لاسهم له فى الغنيمة ، لغيبته عن الوقعة ، فلا قول فى ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ ، كما قال جلّ ثناؤه (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِي الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : وفى الأرض عبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ماعاينوا ورأوا إذا ساروا فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وفِي الأرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ) قال : يقول : معتبَر لمن اعتبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفِي الأرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ) إذا سار فى أرض الله رأى عبرا وآيات عظاما .

وقوله (وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وفى سبيل الخلاء والبول ، فى أنفسكم عبرة لكم ، ودليل لكم على ربكم ، أفلا تبصرون إلى ذلك منكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن جُرَيج ، عن ابن المرتفع ، قال : سمعت ابن الزُّبير يقول : (وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) قال : سبيل الغائط والبول .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله ابن الزُّبير (وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) قال : سبيل الخلاء والبول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفى تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم ، دلالة لكم على أن خلقكم لعبادته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا

تُبْصِرُونَ)، وقرأ قول الله تبارك وتعالى(وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) قال : وفينا آيات كثيرة ، هذا السمع والبصر واللسان والقلب ، لايدرى أحد ما هو أسود أو أحمر ، وهذا الكلام الذى يتلجلج به ، وهذا القلب أىّ شىء هو ، إنما هو مضغة فى جوفه ، يجعل الله فيه العقل ، أفيدرى أحد ما ذاك العقل ، وما صفته ، وكيف هو؟

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معنى ذلك : وفى أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر ، تدلُّكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لاإله لكم سواه ، إذ كان لاشىء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم (أفَلا تُبْصِرُونَ) يقول : أفلا تنظرون فى ذلك ، فتتفكروا فيه ، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم .

وقوله (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) يقول تعالى ذكره : وفى السماء : المطر والثلج اللذان بهما تُخرِج الأرض رزقكم ، وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : ثنا جَوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) قال : المطر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ) قال : الثلج ، وكلّ عين ذائبة من الثلج لاتنقص .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن الحسن ، قال : فى السحاب فيه والله رزقكم ، ولكنكم تُحْرَمونه بخطاياكم وأعمالكم .

قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، قال : أحسبه أو غيره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومُطِروا ، يقول : ومطرنا ببعض عَثانين الأسد ، فقال : كَذَبْتَ بَلْ هُوَ رِزْقُ اللهِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ) قال : رزقكم المطر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) قال : رزقكم المطر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن عند الله الذى فى السماء رزقكم ، وممن تأوّله كذلك واصل الأحدب.

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا هارون بن المُغيرة من أهل الرأى ، عن سفيان الثورىّ ، قال : قرأ واصل الأحدب هذه الآية (وفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ) فقال : ألا إن رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ، فدخل خَرِبة فمكث ثلاثا لايصيب شيئا ، فلما كان اليوم الثالث إذا هو بدَوْخَلَّة رطب ، وكان له أخ أحسن نية منه ، فدخل معه ، فصارتا دَوْخَلَّتين ، فلم يزل ذلك دأبهما ، حتى فرّق الموت بينهما .

واختلف أهل التأويل ، فى تأويل ، قوله (وَما تُوعَدُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وما توعدون من خير ، أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وَما تُوعَدُونَ) قال : وما توعدون من خير أو شرّ .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ) يقول : الجنة في السماء ، وما توعدون من خير أو شرّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما توعدون من الجنة والنار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : أخبرنا جُوَيبر ، عن الضحاك ، في قوله (وَما تُوعَدُونَ) قال : الجنة والنار .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَما تُوعَدُونَ) من الجنة .

⁂ وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي : القول الذي قاله مجاهد ، لأن الله عمّ الخبر بقوله (وَما تُوعَدُونَ) عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ ، ولم يخصُصْ بذلك بعضا دون بعض ، فهو على عمومه كما عمه الله جلّ ثناؤه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)

⁂ يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه : فوربّ السماء والأرض ، إن الذي قلت لكم أيها الناس : إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقّ ، كما حقٌّ أنكم تنطقون .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن عوف ، عن الحسن ، في قوله (فَوَرَبِّ السَّماءِ والأرْضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه . وقال الفرّاء : للجمع بين « ما » و « إن » في هذا الموضع وجهان : أحدهما : أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الأسماء والأدوات ، كقول الشاعر في الأسماء :

مِنَ النَّفَرِ اللاَّئِي الَّذِينَ إذَا هُمُ يَهابُ اللِّئامُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا[1]

فجمع بين اللائي والذين ، وأحدهما مجزئ من الآخر ؛ وكقول الآخر في الأدوات :

---

(١) هذا الباب من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٣١١) على أن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما ، مثل اللائي والذين ، فانهما بمعنى واحد وأحدهما يجزىء عن الآخر ، كما في قوله تعالى « إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فقد جمع بين « ما » و « إن » . وقد نقل المؤلف بقية كلام الفراء في توجيه ذلك الجمع بين اللفظين . واستشهد به النحويون على مثل ما استشهد به الفراء . وانظر تفصيل الكلام على البيت في خزانة الأدب الكبرى للبغدادي (٢ : ٥٢٩ - ٥٣٤) وقد نسب البيت لأبي الربيس الثعلبي . وروايته كما في شعره (في الخزانة ٥٣٢) :

من النفر البيض الذين إذا انتموا وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو صاحب الناقة التي سرقها أبو الربيس ومدح صاحبها . وروى الجاحظ في البيان والتبيين أن =

ما إنْ رأيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِهِ كاليَوْمِ طالِيَ أيْنُقٍ جُرْبِ[1]

فجمع بين « ما » و بين « إن » ، وهما جحدان يجزئ أحدهما من الآخر . وأما الآخر : فهو لو أن ذلك أفرد بما ، لكان خبرا عن أنه حقّ لا كذب ، وليس ذلك المعنىّ به . وإنما أُريد به : إنه لحقّ كما حقّ أن الآدمىّ ناطق . ألا ترى أن قولك : أحقّ منطقك ، معناه : أحقّ هو أم كذب ، وأن قولك أحقّ أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره ، فأدخلت « أن » ليفرّق بها بين المعنيين ، قال : فهذا أعجب الوجهين إلىّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِثْلَ ما أنَّكُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (مِثْلَ ما) نصبا بمعنى : إنه لحقّ حقا يقينا كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر . وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها إذا رفعت بها الاسم ، فتقول : مثل من عبد الله ، وعبد الله مثلك ، وأنت مثلُه ، ومثلَهُ رفعا ونصبا . وقد يجوز أن يكون نصبها على مذهب المصدر ، إنه لحقّ كنطقكم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ، وبعض أهل البصرة رفعا (مِثْلُ ما أنَّكُمْ) على وجه النعت للحقّ .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ، قَالَ : سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يخبره أنه مُحِلّ بمن تمادى فى غيه ، وأصرّ على كفره ، فلم يتب منه ، من كفار قومه ، ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية ، ومذكرا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم ، وما فعل بهم ، هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين .

يعنى بقوله (المُكْرَمِينَ) أن إبراهيم عليه السلام وسارَة خدماهم بأنفسهما .

وقيل : إنما قيل (المُكْرَمِينَ) كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ) قال : أكرمهم إبراهيم ، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ .

= الأبيات التى منها بيت الشاهد قالها شاعر يمدح بها أسيلم بن الأحنف الأسدى ، قال : وكان ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشاعر . . . الأبياب . وقال الزبير بن بكار فى أنساب قريش : إن أبا الربيس عباد بن طهفة الثعلبى قال لعبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان . . . الأبيات وفيها البيت :

من النفر الشم الذين إذا ابتدوا وهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

(١) هذا البيت من كلام دريد بن الصمة فارس جشم ، وكان جاء إلى عمرو بن الشريد السلمى يخطب إليه ابنته الخنساء ، وكانت تهنأ بالقطران إبلا لأبيها ، فلما رآها قال أبياتا يصفها ، ومنها :

أخُناسُ قَدْ هامَ الفُؤَادُ بكُمْ وأصَابَهُ تَبْلٌ مِنَ الْحُبِّ =

وقوله (إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ) يقول : حين دخل ضيف إبراهيم عليه ، فقالوا له سلاما : أى أسلموا سلاما ، قال سلام .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، قال (سَلامٌ بالألف) بمعنى قال : إبراهيم لهم سلام عليكم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سِلْمٌ) بغير ألف ، بمعنى ، قال : أنتم سلم .

وقوله (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) يقول : قوم لانعرفكم ، ورفع قوم منكرون بإضمار أنتم .

وقوله (فَرَاغَ إلى أهْلِهِ) يقول : عدل إلى أهله ورجع . وكان الفرّاء يقول : الروغ وإن كان على هذا المعنى فإنه لاينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه ، وقال : ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا ، فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ .

وقوله (فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) يقول : فجاء ضيفه بعجل سمين قد أنضجه شيئًا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَرَاغَ إلى أهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) قال : كان عامة مال نبىّ الله إبراهيم عليه السلام البقر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)

وقوله (فَقَرَّبَهُ إلَيْهِمْ ، قالَ ألا تَأْكُلُونَ) وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو فقرّبه إليهم ، فأمسكوا عن أكله ، فقال : ألا تأكلون ، (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) يقول : فأوجس فى نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها (قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بغُلامٍ عَلِيمٍ) يعنى : بإسحاق ، وقال : عليم بمعنى عالم إذا كبر . وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول : إذا كان للعلم منتظا قيل : إنه لعالم عن قليل وغاية ، وفى السيد سائد ، والكريم كارم . قال : والذى قال حسن ؛ قال : وهذا أيضا كلام عربىّ حسن قد قاله الله فى عليم وحكيم وميت .

ورُوى عن مجاهد فى قوله (بِغُلامٍ عَلِيمٍ) ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِغلامٍ عَلِيمٍ) قال : إسماعيل .

وإنما قلت : عُنِىَ به إسحاق ، لأن البشارة كانت بالولد من سارَة ، وإسماعيل لهاجَر لا لسارَة .

= فلما أخبرها أبوها بما جاء له فارس جشم ، رغبت عنه ، لكبر سنه ، ورغبت فى بنى أعمامها . انظر القصة فى ترجمة الخنساء فى الأغانى لأبى الفرج) . والشاهد فى هذا البيت كما قال الفراء فى معانى القرآن : أن العرب قد تجمع بين الشيئين من الأسماء والأدوات إذا اختلف لفظهما ، مثل جمع الشاعر بين « ما » و « إن » فى هذا البيت ، للتوكيد . وكما فى قوله تعالى : « إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » . فما مصدرية ، وكذلك أن حرف يؤول ما بعده المصدر ، وكان فى أحدهما غنية عن الآخر .

قوله (فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ) يعنى : سارّة ، وليس ذلك إقبال نقلة من موضع إلى موضع ، ولا تحوّل من مكان إلى مكان ، وإنما هو كقول القائل : أقبل يشتمنى ، بمعنى : أخذ فى شتمى . وقوله (فِي صَرَّةٍ) يعنى : فى صيحة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي صَرَّةٍ) يقول : فى صيحة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها) يعنى بالصَّرّة : الصيحة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِي صَرَّةٍ) قال : صيحة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ) : أى أقبلت فى رنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (صَرَّةٍ) قال : أقبلت تَرِنُّ[1] .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن العلاء بن عبد الكريم اليامى ، عن ابن سابط ، قوله (فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ) قال : فى صيحة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرَّةٍ) قال : الصَّرّة : الصيحة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي صَرَّةٍ) يعنى : صيحة . وقد قال بعضهم : إن تلك الصيحة أوّه مقصورة الألف .

وقوله (فَصَكَّتْ وَجْهَها) اختلف أهل التأويل فى معنى صَكِّها ، والموضع الذى ضربته من وجهها ، فقال بعضهم : معنى صَكّها وجْهَها : لَطْمِها إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَها) يقول : لَطَمت .

وقال آخرون : بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما بَشَّر

(١) الرنة : الصيحة الحزينة . ورنت ترن رنينا ، وأرانت : صاحت .

جبريل سارة باسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ضربت جبهتها عجبا ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال : جبهتها .

حدثنى ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن العلاء بن عبد الكريم اليامىّ ، عن ابن سابط ، قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال : قالت هكذا ، وضرب سفيان بيده على جبهته .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَصكَّتْ وَجْهَهَا) وضعت يدها على جبهتها تعجبا ، والصكّ عند العرب : هو الضرب . وقد قيل : إن صَكَّها وجهها : أن جمعت أصابعها ، فضربت بها جبهتها ، (وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) يقول : وقالت : أتلد ، وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه ، وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم ، وعنى بالعقيم : التى لاتلد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن مشاش ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (عَجُوزٌ عَقِيمٌ) قال : لاتلد .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزد ، يكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك ، عن قوله (عَقِيمٌ) قال : التى ليس لها ولد .

تمّ الجزء السادس والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء السابع والعشرون

أوّله : القول فى تأويل قوله تعالى (قالُوا كَذلكَ) . . .

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السابع والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء السابع والعشرين

من

جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الذاريات	
٣٠	قالوا كذلك قال ربك . . .	١
٣١	قال فما خطبكم أيها المرسلون . . ؟	١
٣٢	قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . . .	١
٣٣	لنرسل عليهم حجارة من طين . . .	١
٣٤	مُسَوَّمة عند ربك للمسرفين . . .	١
٣٥	فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين .	١
٣٦	فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين .	٢
٣٧	وتركنا فيها آية للذين يخافون . . .	٢
٣٨	وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون . . .	٢
٣٩	فتولى بركنه وقال ساحر . . .	٢
٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . .	٣
٤١	وفى عادٍ إذ أرسلنا عليهم . . .	٤
٤٢	ما تذر من شىء أتت عليه	٤
٤٣	وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا . . .	٥
٤٤	فعتَوْا عن أمر ربهم . . .	٥
٤٥	فما استطاعوا من قيام . . .	٦
٤٦	وقومَ نوح من قبل . . .	٦
٤٧	والسماء بنيناها بأيد . . .	٧
٤٨	والأرض فَرَشناها . . .	٧
٤٩	ومن كل شىء خلقنا زوجين . . .	٨
٥٠	ففِروا إلى الله إنى لكم . . .	٩
٥١	ولا تجعلوا مع الله إلها آخر . . .	٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	كذلك ما أتى الذين من قبلهم . . .	٩
٥٣	أتواصَوا به بل هم قوم طاغون . . .	٩
٥٤	فتولّ عنهم فما أنت بملوم .	١٠
٥٥	وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين .	١٠
٥٦	وما خلقت الجن والإنس . . .	١١
٥٧	ما أريد منهم من رزق . . .	١١
٥٨	إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .	١٢
٥٩	فإن للذين ظلموا ذَنوبا مثل ذنوب . . .	١٢
٦٠	فويل للذين كفروا من يومهم . . .	١٥
	سورة الطور	
١	والطُّور .	١٥
٢	وكتاب مسطور .	١٥
٣	فى رق منشور .	١٥
٤	والبيت المعمور .	١٥
٥	والسقف المرفوع .	١٥
٦	والبحر المسجور .	١٥
٧	إن عذاب ربك لواقع .	١٥
٨	ما له من دافع .	١٥
٩	يوم تمور السماء مورا .	٢٠
١٠	وتسير الجبال سيرا .	٢٠
١١	فويل يومئذ للمكذبين .	٢١
١٢	الذين هم فى خوض يلعبون .	٢١
١٣	يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم . . .	٢١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٤	هذه النار التى كنتم بها تكذبون .	٢١
١٥	أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون .	٢٣
١٦	اصلَوها فاصبروا أولا . . .	٢٣
١٧	إن المتقين فى جنات النعيم .	٢٣
١٨	فاكهين بما آتاهم ربهم . . .	٢٣
١٩	كلوا واشربوا هنيئا . . .	٢٣
٢٠	متكئين على سرر مصفوفة . . .	٢٣
٢١	والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم . . .	٢٤
٢٢	وأمددناهم بفاكهة ولحم . . .	٢٨
٢٣	يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها . . .	٢٨
٢٤	ويطوف عليهم غلمان لهم . . .	٢٩
٢٥	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٢٩
٢٦	قالوا إنا كنا قبلُ فى أهلنا مشفقين . . .	٣٠
٢٧	فمن الله علينا ووقانا عذاب السَّموم .	٣٠
٢٨	إنا كنا من قبلُ ندعوه . . .	٣٠
٢٩	فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن . . .	٣٠
٣٠	أم يقولون شاعر نتربص به . . .	٣٠
٣١	قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين .	٣١
٣٢	أم تأمرهم أحلامهم بهذا . . .	٣٢
٣٣	أم يقولون تقوّله بل لايؤمنون .	٣٢
٣٤	فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .	٣٢
٣٥	أم خُلقوا من غير شىء . . . ؟	٣٣
٣٦	أم خلقوا السموات والأرض . . . ؟	٣٣
٣٧	أم عندهم خزائن رحمة ربك . . . ؟	٣٣
٣٨	أم لهم سلم يستمعون فيه . . .	٣٣
٣٩	أم له البنات ولكم البنون ؟	٣٤
٤٠	أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟	٣٤
٤١	أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟	٣٤
٤٢	أم يريدون كيدا فالذين كفروا . . .	٣٥
٤٣	أم لهم إله غير الله . . .	٣٥
٤٤	وإن يروا كسفا من السماء	٣٥
٤٥	فذرهم حتى يلاقُوا يومهم . . .	٣٥
٤٦	يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا . . .	٣٦
٤٧	وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك . . .	٣٦
٤٨	واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا . . .	٣٧
٤٩	ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم .	٣٧

سورة النجم

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	والنجم إذا هوى .	٤٠
٢	ما ضل صاحبكم وما غَوَى .	٤٠
٣	وما ينطق عن الهوى .	٤٢
٤	إن هو إلا وحى يوحى .	٤٢
٥	علمه شديد القوى .	٤٢
٦	ذو مِرّة فاستوى .	٤٢
٧	وهو بالأفق الأعلى .	٤٢
٨	ثم دنا فتدلىَّ .	٤٤
٩	فكان قاب قوسين أو أدنى .	٤٤
١٠	فأوحى إلى عبده ما أوحى .	٤٤
١١	ماكذب الفؤاد ما رأى .	٤٤
١٢	أفتمارونه على ما يرى .	٤٩
١٣	ولقد رآه نزلة أخرى .	٤٩
١٤	عند سِدْرة المنتهى .	٤٩
١٥	عندها جنة المأوَى .	٤٩
١٦	إذا يغشى السِّدْرة ما يغشى .	٤٩
١٧	ما زاغ البصر وما طغى .	٥٦
١٨	لقد رأى من آيات ربه الكبرى ؟	٥٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٩	أفرأيتم اللاتَ والعُزَّى .	٥٨
٢٠	ومناةَ الثالثةَ الأخرى .	٥٨
٢١	ألكم الذكرُ وله الأنثى .	٥٨
٢٢	تلك إذا قسمة ضِيزى .	٥٨
٢٣	إن هى إلا أسماء سميتموها . . .	٦١
٢٤	أم للإنسان ما تمنَّى .	٦٢
٢٥	فلله الآخرة والأولى .	٦٢
٢٦	وكم من ملك فى السموات لاتغنى . . .	٦٢
٢٧	إن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٦٢
٢٨	وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ...	٦٢
٢٩	فأعرِضْ عمن تولىَّ عن ذكرنا . . .	٦٣
٣٠	ذلك مبلغهم من العلم . . .	٦٣
٣١	ولله ما فى السموات وما فى الأرض ...	٦٤
٣٢	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ...	٦٤
٣٣	أفرأيت الذى تولىَّ .	٧٠
٣٤	وأعطى قليلا وأكدى .	٧٠
٣٥	أعنده علم الغيب فهو يَرى .	٧٠
٣٦	أم لم يُنبأ بما فى صحف موسى .	٧٠
٣٧	وإبراهيم الذى وفى .	٧٠
٣٨	ألا تزر وازرة وزر أخرى .	٧٠
٣٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .	٧٠
٤٠	وأن سعيه سوف يُرَى .	٧٤
٤١	ثم يُجزاه الجزاء الأوفى .	٧٤
٤٢	وأن إلى ربك المنتهى .	٧٤
٤٣	وأنه هو أضحك وأبكى .	٧٤
٤٤	وأنه هو أمات وأحيا .	٧٥
٤٥	وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى .	٧٥
٤٦	من نُطْفة إذا تُمْنى .	٧٥
٤٧	وأن عليه النشأة الأخرى .	٧٥
٤٨	وأنه هو أغنى وأقنى .	٧٥
٤٩	وأنه هو رب الشِّعْرَى .	٧٥
٥٠	وأنه أهلك عادا الأولى .	٧٥
٥١	وثمودَ فما أبقى .	٧٥
٥٢	وقومَ نوح من قبل . . .	٧٨
٥٣	والمؤتفكةَ أهوى .	٧٨
٥٤	فغشاها ما غشَّى .	٧٨
٥٥	فبأى آلاء ربك تتمارَى .	٨٠
٥٦	هذا نذير من النذر الأولى .	٨٠
٥٧	أزفَتِ الآزفة .	٨٠
٥٨	ليس لها من دون الله كاشفة .	٨٠
٥٩	أفمن هذا الحديث تعجبون .	٨٢
٦٠	وتضحكون ولا تبكون .	٨٢
٦١	وأنتم سامدون .	٨٢
٦٢	فاسجدوا لله واعبدوا .	٨٢

سورة القمر

١	اقتربت الساعة وانشق القمر .	٨٤
٢	وإن يروا آية يعرضوا . . .	٨٤
٣	وكذبوا واتبعوا أهواءهم . . .	٨٨
٤	ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدَجَر .	٨٨
٥	حكمة بالغة فما تغنِ النذر .	٨٨
٦	فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداع . . .	٨٩
٧	خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث..	٨٩
٨	مهطعين إلى الداع يقول الكافرون . . .	٨٩
٩	كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا ...	٩١
١٠	فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر .	٩١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر .	٩٢
١٢	وفجرنا الأرض عيونا . . .	٩٢
١٣	وحملناه على ذات ألواح ودُسُر .	٩٣
١٤	تجرى بأعيننا . . .	٩٣
١٥	ولقد تركناها آية فهل من مُدَّكِر .	٩٥
١٦	فكيف كان عذابى ونذر .	٩٥
١٧	ولقد يسرنا القرآن للذكر . . .	٩٥
١٨	كذبت عاد فكيف كان عذابى . . .	٩٧
١٩	إنا أرسلنا عليهم ريحا . . .	٩٧
٢٠	تنزِع الناس كأنهم . . .	٩٧
٢١	فكيف كان عذابى ونُذُر .	٩٧
٢٢	ولقد يسرنا القرآن للذكر . . .	١٠٠
٢٣	كذبت ثمود بالنذُر .	١٠٠
٢٤	فقالوا أبشرا منا واحدا . . .	١٠٠
٢٥	أألقى الذكر عليه . . .	١٠٠
٢٦	سيعلمون غدا من الكذاب الأشر . . .	١٠٠
٢٧	إنا مُرسلو الناقةِ فتنة . . .	١٠١
٢٨	ونبئهم أن الماء قسمة بينهم . . .	١٠١
٢٩	فنادَوا صاحبهم فتعاطى فعقَر .	١٠٢
٣٠	فكيف كان عذابى ونذر .	١٠٢
٣١	إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة . . .	١٠٢
٣٢	ولقد يسرنا القرآن للذكر . . .	١٠٤
٣٣	كذبت قومُ لوط . . .	١٠٤
٣٤	إنا أرسلنا عليهم حاصبا . . .	١٠٤
٣٥	نعمة من عندنا . . .	١٠٤
٣٦	ولقد أنذرهم بطشتَنا فتمارَوا بالنذُر .	١٠٤
٣٧	ولقد راودوه عن ضيفه . . .	١٠٤
٣٨	ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر .	١٠٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	فذوقوا عذابى ونُذُر .	١٠٦
٤٠	ولقد يسرنا القرآن للذكر . . .	١٠٦
٤١	ولقد جاء آل فرعون النذر .	١٠٧
٤٢	كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم . . .	١٠٧
٤٣	أكفاركم خير من أولئكم . . .	١٠٧
٤٤	أم يقولون نحن جميع منتصر . .	١٠٧
٤٥	سيهزم الجمع ويولون الدبر .	١٠٧
٤٦	بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .	١٠٩
٤٧	إن المجرمين فى ضلال وسعر .	١٠٩
٤٨	يوم يسحبون فى النار على وجوههم . . .	١٠٩
٤٩	إنا كل شىء خلقناه بقدر .	١٠٩
٥٠	وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر .	١١١
٥١	ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر .	١١١
٥٢	وكل شىء فعلُوه فى الزبر .	١١١
٥٣	وكل صغير وكبير مستطَر .	١١٢
٥٤	إن المتقين فى جنات ونَهَر .	١١٢
٥٥	فى مَقْعَد صدق عند مليك مقتدر .	١١٢

سورة الرحمن

١	الرحمن .	١١٤
٢	علم القرآن .	١١٤
٣	خلق الإنسان .	١١٤
٤	علمه البيان .	١١٤
٥	الشمس والقمر بحُسبان .	١١٤
٦	والنجم والشجر يسجدان .	١١٦
٧	والسماء رفعها ووضع الميزان .	١١٦
٨	ألا تطغَوا فى الميزان .	١١٦
٩	وأقيموا الوزن بالقسط . . .	١١٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	والأرضَ وضعها للأنام .	١١٩
١١	فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام .	١١٩
١٢	والحب ذو العَصْف والريحان .	١١٩
١٣	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٢٣
١٤	خلق الإنسانَ من صلصال كالفخار .	١٢٣
١٥	وخلق الجان من مارج من نار .	١٢٣
١٦	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٢٣
١٧	رب المشرقين ورب المغربين .	١٢٧
١٨	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٢٧
١٩	مرج البحرين يلتقيان .	١٢٧
٢١	بينهما برزخ لا يبغيان .	١٢٧
٢١	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٢٧
٢٢	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان .	١٣٠
٢٣	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٠
٢٤	وله الجوارِ المنشئات فى البحر كالأعلام.	١٣٠
٢٥	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٠
٢٦	كل من عليها فان .	١٣٤
٢٧	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .	١٣٤
٢٨	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٤
٢٩	يسئله مَن فى السموات والأرض . . .	١٣٤
٣٠	فبأى آلاء ربكما تكذبان .	١٣٤
٣١	سنفرُغ لكم أيها الثقلان .	١٣٥
٣٢	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٥
٣٣	يامعشر الجن والإنس . . .	١٣٥
٣٤	فبأى آلاء ربكما تكذبان .	١٣٦
٣٥	يرسل عليكما شُواظ من نار ونحاس ...	١٣٨
٣٦	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٨
٣٧	فإذا انشقت السماء فكانت وَردة ...	١٣٨
٣٨	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٣٨
٣٩	فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان.	١٤٢
٤٠	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٢
٤١	يعرف المجرمون بسيماهم . . .	١٤٢
٤٢	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٢
٤٣	هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون .	١٤٣
٤٤	يطوفون بينها وبين حميم آن . .	١٤٣
٤٥	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٣
٤٦	ولمن خاف مقام ربه جنتان .	١٤٥
٤٧	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٥
٤٨	ذواتا أفنان .	١٤٥
٤٩	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٥
٥٠	فيهما عينان تجريان .	١٤٨
٥١	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٨
٥٢	فيهما من كل فاكهة زوجان .	١٤٨
٥٣	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٨
٥٤	متكئين على فرش . . .	١٤٨
٥٥	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٤٨
٥٦	فيهن قاصرات الطرف . . .	١٥٠
٥٧	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٠
٥٨	كأنهن الياقوت والمرجان .	١٥٢
٥٩	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٢
٦٠	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .	١٥٢
٦١	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٢
٦٢	ومن دونهما جنتان .	١٥٤
٦٣	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٤
٦٤	مدهامّتان .	١٥٤
٦٥	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٦	فيهما عينان نضاختان .	١٥٤
٦٧	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٤
٦٨	فيهما فاكهة ونخل ورمان .	١٥٧
٦٩	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٧
٧٠	فيهن خيرات حسان .	١٥٧
٧١	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٧
٧٢	حُور مقصورات فى الخيام .	١٥٨
٧٣	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٨
٧٤	لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان .	١٥٨
٧٥	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٥٨
٧٦	متكئين على رفرف خضر . . .	١٦٣
٧٧	فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟	١٦٣
٧٨	تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .	١٦٣

سورة الواقعة

١	إذا وقعت الواقعة .	١٦٥
٢	ليس لوقعتها كاذبة .	١٦٥
٣	خافضة رافعة .	١٦٥
٤	إذا رُجَّت الأرض رَجّا .	١٦٥
٥	وبُسَّت الجبال بَسّا .	١٦٥
٦	فكانت هباء منبثا .	١٦٥
٧	وكنتم أزواجا ثلاثة .	١٦٩
٨	فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة .	١٦٩
٩	وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة .	١٦٩
١٠	والسابقون السابقون .	١٦٩
١١	أولئك المقربون .	١٦٩
١٢	فى جنات النعيم .	١٦٩
١٣	ثُلَّة من الأولين .	١٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٤	وقليل من الآخرين .	١٧٢
١٥	على سرر موضونة .	١٧٢
١٦	متكئين عليها متقابلين .	١٧٢
١٧	يطوف عليهم ولدان مخلدون .	١٧٢
١٨	بأكواب وأباريق وكأس من مَعين .	١٧٢
١٩	لا يُصَدّعون عنها ولا يُنْزِفون .	١٧٢
٢٠	وفاكهة مما يتخيرون .	١٧٢
٢١	ولحم طير مما يشتهون .	١٧٢
٢٢	وحور عين .	١٧٦
٢٣	كأمثال اللؤلؤ المكنون .	١٧٦
٢٤	جزاء بما كانوا يعملون .	١٧٦
٢٥	لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما .	١٧٦
٢٦	إلا قيلا سلاما سلاما .	١٧٦
٢٧	وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين .	١٧٩
٢٨	فى سدر مخضود .	١٧٩
٢٩	وطلح منضود .	١٧٩
٣٠	وظل ممدود .	١٧٩
٣١	وماء مسكوب .	١٧٩
٣٢	وفاكهة كثيرة .	١٨٤
٣٣	لامقطوعة ولا ممنوعة .	١٨٤
٣٤	وفرش مرفوعة .	١٨٤
٣٥	إنا أنشأناهن إنشاء .	١٨٤
٣٦	فجعلناهن أبكارا .	١٨٤
٣٧	عُرُبا أترابا .	١٨٤
٣٨	لأصحاب اليمين .	١٨٤
٣٩	ثُلَّة من الأولين .	١٨٩
٤٠	وثُلَّة من الآخرين .	١٨٩
٤١	وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال .	١٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٢	فى سَموم وحميم .	١٨٩
٤٣	وظل من يَحموم .	١٨٩
٤٤	لا بارد ولا كريم .	١٨٩
٤٥	إنهم كانوا قبل ذلك مُتْرفين .	١٨٩
٤٦	وكانوا يُصِرون على الحِنث العظيم .	١٨٩
٤٧	وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما .	١٩٤
٤٨	أو آباؤنا الأولون .	١٩٤
٤٩	قل إن الأولين والآخرين .	١٩٤
٥٠	لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم .	١٩٤
٥١	ثم إنكم أيها الضالُّون المكذبون .	١٩٤
٥٢	لآكلون من شجر من زَقُّوم .	١٩٤
٥٣	فما لئون منها البطون .	١٩٤
٥٤	فشاربون عليه من الحميم .	١٩٥
٥٥	فشاربون شرب الهِيم .	١٩٥
٥٦	هذا نُزُلُهم يومَ الدين .	١٩٥
٥٧	نحن خلقناكم فلولا تصدِّقون .	١٩٥
٥٨	أفرأيتم ما تمنون .	١٩٦
٥٩	أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون .	١٩٦
٦٠	نحن قدرنا بينكم الموت . . .	١٩٦
٦١	على أن نبدِّل أمثالكم . . .	١٩٦
٦٢	ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكَّرون .	١٩٧
٦٣	أفرأيتم ما تحرثون .	١٩٧
٦٤	أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون .	١٩٧
٦٥	لو نشاء لجعلناه حُطاما فظلتم تفكهون .	١٩٨
٦٦	إنا لمغرمون .	١٩٨
٦٧	بل نحن محرومون .	١٩٨
٦٨	أفرأيتم الماء الذى تشربون .	٢٠٠
٦٩	أأنتم أنزلتموه من المُزْن . . .	٢٠٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٠	لو نشاء جعلناه أُجاجا فلولا تشكرون .	٢٠٠
٧١	أفرأيتم النار التى تُورُون .	٢٠١
٧٢	أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون .	٢٠١
٧٣	نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمُقْوِين .	٢٠١
٧٤	فسبح باسم ربك العظيم .	٢٠٣
٧٥	فلا أقسم بمواقع النجوم .	٢٠٣
٧٦	وإنه لقسم لو تعلمون عظيم .	٢٠٣
٧٧	إنه لقرآن كريم .	٢٠٣
٧٨	فى كتاب مكنون .	٢٠٣
٧٩	لا يمسُّه إلا المطهَّرون .	٢٠٣
٨٠	تنزيل من رب العالمين .	٢٠٣
٨١	أفبهذا الحديث أنتم مُدْهنون .	٢٠٧
٨٢	وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون .	٢٠٧
٨٣	فلولا إذا بلغت الحلقومَ .	٢٠٧
٨٤	وأنتم حينئذ تنظرون .	٢٠٧
٨٥	ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون .	٢٠٧
٨٦	فلولا إن كنتم غير مَدِينين .	٢١٠
٨٧	ترجعونها إ ن كنتم صادقين .	٢١٠
٨٨	فأما إن كان من المقربين .	٢١٠
٨٩	فرَوح وريحان وجنة نعيم .	٢١٠
٩٠	وأما إن كان من أصحاب اليمين .	٢١٣
٩١	فسلام لك من أصحاب اليمين .	٢١٣
٩٢	وأما إن كان من المكذبين الضالين .	٢١٣
٩٣	فنُزُل من حميم .	٢١٣
٩٤	وتَصلية جحيم .	٢١٣
٩٥	إن هذا لهو حقّ اليقين .	٢١٤
٩٦	فسبح باسم ربك العظيم .	٢١٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الحديد	
١	سبح لله ما فى السموات والأرض ...	٢١٥
٢	له ملك السموات والأرض . . .	٢١٥
٣	هو الأول والآخر والظاهر والباطن ...	٢١٥
٤	هو الذى خلق السموات والأرض . . .	٢١٥
٥	له ملك السموات والأرض . . .	٢١٧
٦	يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل...	٢١٧
٧	آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم...	٢١٧
٨	وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول ...	٢١٨
٩	هو الذى ينزّل على عبده آيات ...	٢١٩
١٠	ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله . . .	٢١٩
١١	من ذا الذى يُقْرِض الله قرضا حسنا ...	٢٢٢
١٢	يوم ترى المؤمنين والمؤمنات . . .	٢٢٢
١٣	يوم يقول المنافقون والمنافقات . . .	٢٢٣
١٤	ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى . . .	٢٢٣
١٥	فاليوم لا يُؤْخذ منكم فدية ...	٢٢٧
١٦	ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ...	٢٢٨
١٧	اعلموا أن الله يُحيي الأرض بعد موتها...	٢٢٩
١٨	إنّ المصّدّقين والمصّدّقات . . .	٢٢٩
١٩	والذين آمنوا بالله ورسله . . .	٢٣٠
٢٠	اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ...	٢٣٢
٢١	سابقوا إلى مغفرة من ربكم ...	٢٣٣
٢٢	ما أصاب من مصيبة فى الأرض . . .	٢٣٣
٢٣	لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا...	٢٣٤
٢٤	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل...	٢٣٦
٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . . .	٢٣٦
٢٦	ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم . . .	٢٣٧
٢٧	ثم قفينا على آثارهم برسلنا . . .	٢٣٨
٢٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٢٤١
٢٩	لئلا يعلمَ أهل الكتاب ألاّ يقدرون ...	٢٤٥

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تأويل قوله « قالوا كذلكِ قال ربكِ » . . . الآية . وما قاله إبرهيم لضيفه .

٢ تأويل قوله « وفى موسى » . . . الآية . ومعنى ركن فرعون .

١٢ الجن والإنس جميعا خاضعون لقضاء الله ، وأنه لهذا خلقهم .

١٥ تفسير سورة الطور

١٦ محلّ البيت المعمور .

٢٠ ما يحصل للسماء والجبال يوم القيامة .

٢٤ المؤمن تُرْفَع ذريته فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل .

٣٦ عذاب القبر وارد فى القرآن ، وهو المراد بقوله « وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك » .

٤٠ تفسير سورة النجم

٤٣ استواء رسول الله هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس .

٤٤ تأويل قوله « ثم دنا فتدلّى » . ما رآه رسول الله . الخلاف فى ذلك .

٥٢ سِدْرة المنتهى . وماقيل فيها :

٥٨ اللاتُ والعُزّى ومَناة ، وسبب اتخاذها آلهة .

٦٤ معنى اللَّمَم ، وبيان الخلاف فيه :

٧٠ تأويل قوله « أفرأيت الذى تولّى » وما قيل فى أسباب نزول ذلك .

٧٧ ما قيل فى عاد الأولى ، وبيان نسبهم .

الصفحة

٨٤ تفسير سورة القمر

٨٤ انشقاق القمر وما ورد فيه من الآثار .

٩١ تأويل قوله « كذبت قبلهم قومُ نوح » . وطرف من أخبار نوح وأخبار سفينته .

٩٧ تأويل قوله « كذبت عاد » . . . الآية . وما فعلته عاد ، وما فُعِل بها .

١٠٠ قصة ثمود .

١٠٤ قصة قوم لوط .

١١٠ ما ورد فى القَدَر .

١١٤ تفسير سورة الرحمن

١١٥ فوائد سير الشمس والقمر بحُسبان .

١٢٤ ما ورد فى خلق آدم .

١٢٧ تأويل قوله « ربّ المشرقين وربّ المغربين » . . . الآية .

١٢٨ المراد بالبحرين اللذين لا يلتقيان ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان .

١٣٦ ما يقال للإنس والجنّ يوم القيامة .

١٣٩ تأويل قوله « يُرْسل عليكما شُوَاظ » . . . الآية :

١٤٠ أولى القولين بالصواب فى معنى النُّحاس والدُّخان .

١٤٥ تأويل قوله « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . ومعنى الخوف وعدد الجنان .

الصفحة

١٦٥ تفسير سورة الواقعة

١٧٠ ما ورد فى المقرّبين وأصحاب اليمين .

١٨٥ تأويل قوله « إنا أنشأناهنّ » . . . الآية .

١٩٠ ما ورد مما يحقق كثرة هذه الأمة .

٢٠٥ المراد بالمطهرين الذين يَمَسُّون القرآن .

الصفحة

٢١٥ تفسير سورة الحديد

٢١٦ ماورد فى المسافات التى بين السموات والأرَضين .

٢١٩ ما ورد فى تفضيل الصحابة بعضهم على بعض .

٢٢٤ تأويل قوله « يوم يقول المنافقون » .

٢٢٥ ما ورد فى معنى السور الذى يضرب بين المؤمنين والمنافقين .

٢٣٨ معنى الرَّهْبانيّة التى ابتدعها أهل الإنجيل .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
ذَنُوبُ	١٤
القَلِيبُ	١٤
ذَنُوبُ	١٣
والخِشابا	٣
كَذِبا	٢٧
أَثْوُبا	١٣
المُعَصَّبا	١٣
ت	
والهَنِيَّاتِ	٩٨
الثَّنِيَّاتِ	٩٨
البَلِيَّاتِ	٩٠
فأَزَلَّتِ	٢٢٢
ح	
تُسَرِّحُ	٣١
ورُمْحا	١٣٢
د	
مَعَدّ	٩٠
مَمْدُودُ	١٨٢
جُمُودُها	٤١
وكأَنْ قَدِ	٨١
وَبَدَدَا	١٧٧
ر	
دِرَرْ	١٢٣
مُنْهَمِرْ	٩٢
أَنْتَظِرْ	١١٣
تامِرْ	٢٣
البَصَرُ	١٨٦
السَّارِى	٢٨
مَوَّارِ	٢٠٢
سَطْرَا	١٥
أَعْوَرَا	١٠
فَعِيرَا	١٧٢
س	
العِيسُ	٦٥
أَمَسُّهُ	٩٩
أَجُسُّهُ	٩٩
نُحاسا	١٤١
بَسَّا	١٦٧
مَلْسَا	١٦٧
ظ	
الشَّوَاظا	١٣٩
ف	
المُتَقَصِّفُ	٤٣
خَلَفا	٨١
ل	
عَجَلُ	٢٠
الجُدُلُ	٩٠
مَجْهُولُ	١٠٥
لايُبالِى	٢٠٠
وقالا	١٨١
الجِبالا	١٨١
م	
عَلَمْ	١٣٣
راغِمُ	٦٠
مَطْمُومُ	١٢٠

القافية	الصفحة
السَّلاليمُ	٣٤
خيامُها	١٦٠
قُلاَّمُها	١٩
لأَلَمَّا	٦٦
والسَّاسَما	١٩
يَعْدَما	١٩
أَسْحَما	١٧٠
حَمَاما	١٤٧
قَطَامَنَا	١٤٧
ن	
وَدَنّ	١٧٤
آنِي	١٤٤
والعُيُونا	١٧٦
اليَقِينا	٢٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣٠) * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢)

* يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ضيف إبراهيم لزوجته إذ قالت لهم ، وقد بشّروها بغلام عليم : أتلد عجوز عقيم (قالُوا كَذلكِ قالَ رَبُّكِ) يقول : هكذا قال ربك : أى كما أخبرناكِ وقلنا لك (إنَّه هُوَ الْحَكِيمُ العَلِيمُ) والهاء فى قوله « إنه » من ذكر الربّ ، هو الحكيم فى تدبيره خلقه ، العليم بمصالحهم ، وبما كان ، وبما هو كائن .

وقوله (قال فَمَا خَطْبُكُمْ أيُّها المُرْسَلُونَ) يقول : قال إبراهيم لضيفه : فماشأنكم أيها المرسلون ، (قالُوا إنَّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) قد أجرموا لكفرهم بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥)

(لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ) يقول : لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين (مُسَوَّمَةً) يعنى : معلَّمة .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) قال : المسوّمة : الحجارة المختومة ، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء ، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء ، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين ، يعنى للمتعدّين حدود الله ، الكافرين به من قوم لوط (فأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول تعالى

ذكره : فأخرجنا من كان فى قرية سدوم ، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله ، وهم لوط وابنتاه ، وكنى عن القرية بقوله (مَنْ كانَ فِيها) ولم يجر لها ذكر قبل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : فما وجدنا فى تلك القرية التى أخرجنا منها من كان فيها من المؤمنين ، غير بيت من المسلمين ، وهو بيت لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَما وَجَدْنا فيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) قال : لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله ، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) قال : هؤلاء قوم لوط لم يجدوا فيها غير لوط .

حدثنى ابن عوف ، قال : ثنا المعتمر ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحيل الأشجعىّ قال الله : (فَما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) لوطا وابنتيه ، قال : فحلّ بهم العذاب ، قال الله : (وَتَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأَلِيمَ) .

وقوله (وَتَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأَلِيمَ) يقول : وتركنا فى هذه القرية التى أخرجنا من كان فيها من المؤمنين آية ، وقال جلّ ثناؤه : (وَتَرَكْنا فِيها آيَةً) والمعنى : وتركناها آية ، لأنها التى ائتفكت بأهلها ، فهى الآية ، وذلك كقول القائل : ترى فى هذا الشىء عبرة وآية ، ومعناها : هذا الشىء آية وعبرة ، كما قال جلّ ثناؤه (لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ) وهم كانوا الآيات وفعلهم ، ويعنى بالآية : العظة والعبرة ، للذين يخافون عذاب الله الأليم فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : وفى موسى بن عمران إذ أرسلناه إلى فرعون بحجة تبين لمن رآها أنها حجة لموسى على حقيقة ما يقول ويدعو إليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مبِينٍ) يقول بعذر مبين .

وقوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) يقول : فأدبر فرعون كما أرسلنا إليه موسى بقومه من جنده وأصحابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) يقول لقومه ، أو بقومه ، أنا أشك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) قال : بعضده وأصحابه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) غلب عدوّ الله على قومه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله تبارك وتعالى (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) قال : بجموعه التى معه ، وقرأ (لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال : إلى قوة من الناس ، إلى ركن أجاهدكم به ؛ قال : وفرعون وجنوده ومن معه ركنه ؛ قال : وما كان مع لوط مؤمن واحد ؛ قال : وعرض عليهم أن يُنكحهم بناته ، رجاء أن يكون له منهم عضد يعينه ، أو يدفع عنه ، وقرأ (هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) قال : يريد النكاح ، فأبوا عليه ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) أصل الركن : الجانب والناحية التى يعتمد عليها ويقوى بها .

وقوله (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) يقول : وقال لموسى : هو ساحر يسحر عيون الناس ، أو مجنون به جِنَّة . وكان معمر بن المثنى يقول : « أو » فى هذا الموضع بمعنى الواو التى للموالاة ، لأنهم قد قالوهما جميعا له ، وأنشد فى ذلك بيت جرير الخطفى :

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَوْ رِيَاحا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابا[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فأخذنا فرعون وجنوده بالغضب منا والأسف (فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم فى البحر ، فغرّقناهم فيه (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول : وفرعون مليم ، والمليم : هو الذى قد أتى مايُلام عليه من الفعل .

(١) البيت لجرير بن الخطفى . من قصيدة له يهجو بها الراعى النميرى (ديوانه طبعة الصاوى ٦٦) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧ — ا) عند قوله تعالى : « وقالوا ساحر أو مجنون » : أو هاهنا فى موضع الواو التى للموالاة (العطف) لأنه قد قالوهما جميعا له . قال جرير : « أثعلبة . . . البيت » طهية كسمية : حى من تميم نسبوا إلى أمهم . والخشاب : بنو رزام بن مالك ، وربيعة وكعب بن مالك ، وحنظلة .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) : أى مليم فى نعمة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : مُليم فى عباد الله . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : (وفِي عادٍ) أيضا ، وما فعلنا بهم ، لهم آية وعبرة (إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) يعنى بالريح العقيم : التى لاتلقح الشجر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : الريح العقيم : الريح الشديدة التى لاتُلقِح شيئا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : لاتلقح الشجر ، ولا تثير السحاب .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، هذا الريح العقيم ، قال : ليس فيها رحمة ولا نبات ، ولا تلقح نباتا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبو داود ، قال : أخبرنا شعبة ، عن شاس ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : لاتلقح .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا شيخ من أهل خراسان من الأزد ، ويكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك بن مزاحم ، عن قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : الريح التى ليس فيها بركة ، ولا تلقح الشجر .

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالىّ ، قال : ثنا أبو علىّ الحنفىّ ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن المسيب ، أنه كان يقول : (الرِّيحَ العَقِيمَ) الجنوب .

حدثنا أحمد بن الفرج ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن يقول : العَقِيمَ : يعنى : الجنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وفى عاد إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ

الرِّيحَ العَقِيمَ) إن من الريح عقيما وعذابا حين ترسل لاتلقح شيئا ، ومن الريح رحمة يثير الله تبارك وتعالى بها السحاب ، وينزل بها الغيث . وذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : الريح التى لاتنبت .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الرِّيحَ العَقِيمَ) : التى لاتلقح شيئا .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال (الرِّيحَ العَقِيمَ) : التى لاتنبت شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وفِى عادٍ إذْ أرْسَلنا عَلَيهِمِ الرِّيحَ العَقِيمَ) قال : إن الله تبارك وتعالى يُرسل الريح بُشرا بين يدى رحمته ، فيحيي به الأصل والشجر ، وهذه لاتلقح ولا تحيي ، هى عقيم ليس فيها من الخير شىء ، إنما هى عذاب ، لاتلقح شيئا ، وهذه تلقح ، وقرأ (وأرْسَلْنا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) . وقوله (ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) والرميم فى كلام العرب : ما يبس من نبات الأرض وديس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) قال : كالشىء الهالك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كالرَّمِيمِ) قال : كالشىء الهالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كالرَّمِيمِ) : رميم الشجر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إلاَّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ) قال : كرميم الشجر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : وفى ثمود أيضا لهم عبرة ومتعظ ، إذ قال لهم ربهم ، يقول : فتكبروا عن أمر ربهم ، وعلَوا استكبارا عن طاعة الله .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَعَتَوْا) قال : عَلَوْا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) قال العاتى : العاصى التارك لأمر الله .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) يقول تعالى ذكره : فأخذتهم صاعقة العذاب فجأة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) وهم ينتظرون ، وذلك أن ثمود وُعِدَتِ العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام ، وجعل لنزوله عليهم علامات فى تلك الثلاثة ، فظهرت العلامات التى جعلت لهم ، الدالة على نزولها فى تلك الأيام ، فأصبحوا فى اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ، ينتظرون حلوله بهم . وقرأت قراء الأمصار خلا الكسائىّ : (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بالألف . ورُوى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ ذلك (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ) بغير ألف .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عمرو بن ميمون الأَودِىّ ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ) ، وكذلك قرأ الكسائىّ . وبالألف نقرأ الصاعقة لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : فما استطاعوا من دفاع لما نزل بهم من عذاب الله ، ولا قدروا على نهوض به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيامٍ) يقول : ما استطاع القوم نهوضا لعقوبة الله تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيامٍ) قال : من نهوض .

وكان بعض أهل العربية يقول : معنى قوله (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيام) : فما قاموا بها ، قال : لو كانت فما استطاعوا من إقامة ، لكان صوابا ، وطرح الألف منها كقوله (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) .

وقوله (وَما كانُوا مُنْتَصِرِينَ) يقول : وما كانوا قادرين على أن يستقيدوا ممن أحلّ بهم العقوبة التى حلّت بهم .

وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك : ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما كانُوا مُنْتَصِرِين) قال : ما كانت عندهم من قوّة يمتنعون بها من الله عزّ وجلّ .

وقوله (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إنَّهُمْ كانُوا قَوْما فاسِقِينَ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَقَوْمَ نُوحٍ) نصبا . ولنصب ذلك وجوه : أحدها : أن يكون القوم عطفا على الهاء والميم فى قوله (فأخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) إذ كان كلّ عذاب مهلك تسميه العرب صاعقة ، فيكون معنى الكلام حينئذ : فأخذتهم الصاعقة وأخذت قوم نوح من قبل . والثانى : أن يكون منصوبا بمعنى الكلام ، إذ كان فيما مضى من أخبار الأمم قبلُ دلالة على المراد من الكلام ، وأن معناه : أهلكنا هذه الأمم ، وأهلكنا قوم نوح من قبل . والثالث : أن يضمر له فعلا ناصبا ، فيكون معنى الكلام : واذكر لهم قوم نوح ، كما قال : (وَإبْرَاهِيمَ إذْ قالَ لِقَوْمِهِ) ونحو ذلك بمعنى أخبرهم واذكر لهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة (وقَوْمِ نُوحٍ) بخفض القوم على معنى : وفى قوم نوح عطفا بالقوم على موسى فى قوله (وفِي مُوسَى إذْ أرْسَلْناهُ إلى فِرْعَوْنَ) .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وتأويل ذلك فى قراءة من قرأه خفضا وفى قوم نوح لهم أيضا عبرة ، إذ أهلكناهم من قبل ثمود لما كذّبوا رسولنا نوحا (إنَّهُمْ كانُوا قَوْما فاسِقِينَ) يقول : إنهم كانوا مخالفين أمر الله ، خارجين عن طاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ (٤٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : والسماء رفعناها سقفا بقوّة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والسَّماءَ بَنَيْناها بأيْدٍ) يقول : بقوّة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بأيْدٍ) قال : بقوّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والسَّماءَ بَنَيْناها بِأيْدٍ) : أى بقوّة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور أنه قال فى هذه الآية : (والسَّماءَ بَنَيْناها بأيْدٍ) قال : بقوّة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ) قال : بقوّة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ) قال : بقوّة .

وقوله (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) يقول : لذوسعة بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه وقدرة عليه . ومنه قوله : (على المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ) يراد به القوىّ .

وقال ابن زيد فى ذلك ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قال : أوسعها جلّ جلاله .

وقوله (والأَرْضَ فَرَشْناها) يقول تعالى ذكره : والأرض جعلناها فراشا للخلق (فَنِعْمَ المَاهِدونَ) يقول : فنعم الما هدون لهم نحن .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : وخلقنا من كلّ شىء خلقنا زوجين ، وترك خلقنا الأولى استغناء بدلالة الكلام عليها .

⁂ واختُلف فى معنى (خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) فقال بعضهم : عُنِى به : ومن كلّ شىء خلقنا نوعين مختلفين كالشقاء والسعادة ، والهدى والضلالة ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) قال : الكفر والإيمان ، والشقاوة والسعادة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والإنس والجنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إبراهيم بن أبى الوزير ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزارىّ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ) قال : الشمس والقمر .

وقال آخرون : عنى بالزوجين : الذكر ، والأنثى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) قال : ذكرا وأنثى ، ذاك الزوجان ، وقرأ (وأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ) قال : امرأته .

⁂ وأولى القولين فى ذلك : قول مجاهد ، وهو أن الله تبارك وتعالى ، خلق لكلّ ما خلق من خلقه ثانيا له مخالفا فى معناه ، فكلّ واحد منهما زوج للآخر ، ولذلك قيل : خلقنا زوجين . وإنما نبه جلّ ثناؤه بذلك من قوله خلقه ، على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شىء ، وأنه ليس كالأشياء التى شأنها فعل نوع واحد

دون خلافه ، إذ كلّ ماصفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التى شأنها التسخين ، ولا تصلح للتبريد ؛ وكالثلج الذى شأنه التبريد ، ولا يصلح للتسخين ، فلا يجوز أن يوصف بالكمال ، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كلّ ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : لتذكّروا وتعتبروا بذلك ، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذى يستوجب عليكم العبادة هو الذى يقدر على خلق الشىء وخلافه ، وابتداع زوجين من كلّ شىء ، لاما لايقدر على ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)

يقول تعالى ذكره : فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به ، واتباع أمره ، والعمل بطاعته (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) يقول : إنى لكم من الله نذير أنذركم عقابه ، وأخوّفكم عذابه الذى أحله بهؤلاء الأمم الذين قصّ عليكم قصصهم ، والذى هو مذيقهم فى الآخرة .

وقوله (مُبِينٌ) يقول : يبين لكم نذارته .

وقوله (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) يقول جلّ ثناؤه : ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذى خلقكم معبودا آخر سواه ، فإنه لامعبود تصلح له العبادة غيره (إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : إنى لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلها غيره ، مبين قد أبان لكم النذارة .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : كما كذبت قريش نبيها محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقالت : هو شاعر ، أو ساحر أو مجنون ، كذلك فعلت الأمم المكذّبة رسلها ، الذين أحلّ الله بهم نقمته ، كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه ، ما أتى هؤلاء القوم الذين ذكرناهم من قبلهم ، يعنى من قبل قريش قوم محمد صلى الله عليه وسلم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون ، كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) يقول تعالى ذكره : أأوصى هؤلاء المكذّبين من

قريش محمدا صلى الله عليه وسلم على ماجاءهم به من الحقّ أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم ، بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقبلوا ذلك عنهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَتَوَاصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) قال : أوصى أُولاهم أُخراهم بالتكذيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَتَوَاصَوْا بِهِ) : أى كان الأوّل قد أوصى الآخر بالتكذيب .

وقوله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) يقول تعالى ذكره : ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك ، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم ، لايأتمرون لأمره ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ، (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فتولّ يامحمد عن هؤلاء المشركين بالله من قريش ، يقول : فأعرض عنهم حتى يأتيك فيهم أمر الله ، يقال : وَلَّى فلان عن فلان : إذا أعرض عنه وتركه ، كما قال حصين بن ضمضم :

أمَّا بَنُو عَبْسٍ فإنّ هَجِينَهُمْ وَلَّى فَوَارِسُهُ وأَفْلَتَ أَعْوَرَا[1]

والأعور فى هذا الوضع : الذى عور فلم تقض حاجته ، ولم يصب ما طلب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) قال : فأعرض عنهم .

وقوله (فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) يقول جلّ ثناؤه : فما أنت يامحمد بملوم ، لايلومك ربك على تفريط كان منك فى الإنذار ، فقد أنذرت ، وبلّغت ما أرسلت به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لحصين بن ضمضم . قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧ ب) قال عند قوله تعالى : « فتول عنهم » أى أعرض عنهم واتركهم . قال حصين بن ضمضم : « أما بنو عبس . . . البيت » . والأعور : الذى عور فلم يقض حاجته ، ولم يصب ماطلب ، وليس هو من عور العين .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) قال : قد بلغتَ ما أرسلناك به ، فلست بملوم ، قال : وكيف يلومه ، وقد أدّى ما أُمر به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) ذُكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية ، اشتدّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا أن الوحي قد انقطع ، وأن العذاب قد حضر ، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن مجاهد ، قال : خرج عليّ معتجرا ببرد ، مشتملا بخميصة ، فقال لما نزلت (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) : أحزننا ذلك وقلنا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا حتى نزل (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ).

وقوله (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : وعظ يا محمد من أرسلت إليه ، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : وعظهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وما خلقت السُّعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي ، والأشقياء منهم لمعصيتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) قال : ما جُبلوا عليه من الشقاء والسعادة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم بنحوه .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم ، بمثله .

حدثنا حُمَيد بن الربيع الخرّاز ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن جُرَيج ، عن زيد بن أسلم ، في قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) قال : جَبَلَهم على الشقاء والسعادة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) قال : من خلق للعبادة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليُذْعِنوا لى بالعبودة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) : إلا ليقرّوا بالعبودة طوعا وكَرها .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ، وهو : ما خلقت الجنّ والإنس إلا لعبادتنا ، والتذلل لأمرنا .

فإن قال قائل : فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره ؟ قيل : إنهم قد تذللوا لقضائه الذى قضاه عليهم ، لأن قضاءه جار عليهم ، لايقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم ، وإنما خالفه من كفر به فى العمل بما أمره به ، فأما التذلل لقضائه ، فإنه غير ممتنع منه .

وقوله (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) يقول تعالى ذكره : ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقى (وَما أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونِ) يقول : وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم ، ومن طعام أن يطعموهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجَوزاء ، عن ابن عباس (ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أنْ يُطْعِمُونِ) قال : يطعمون أنفسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الله هو الرزّاق خلقه ، المتكفل بأقواتهم ، ذوالقوّة المتين .

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (المَتِينُ) ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا يحيى بن وثاب والأعمش : (ذُو القُوةِ المَتِينُ) رفعا ، بمعنى : ذوالقوّة الشديد ، فجعلوا المتين من نعت ذى ، ووجهوه إلى وصف الله به . وقرأه يحيى والأعمش (المَتِينِ) خفضا ، فجعلاه من نعت القوّة ، وإنما استجاز خفض ذلك من قرأه بالخفض ، ويصيره من نعت القوّة ، والقوّة مؤنثة ، والمتين فى لفظ مذكر ، لأنه ذهب بالقوّة من قوى

الحبل [١] والشىء المبرم الفتل ، فكأنه قال على هذا المذهب : ذو الحبل القوىّ . وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

لكُلّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُبا مِنْ رَيْطَةٍ واليُمْنَةَ المُعَصَّبا[١]

فجعل المعصب نعت اليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب ، فذهب بها إليه .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، (ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) رفعا على أنه من صفة الله جلّ ثناؤه ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأنه لو كان من نعت القوّة ، لكان التأنيث به أولى ، وإن كان للتذكير وجه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُو القُوَّةِ المَتِينُ) يقول : الشديد .

وقوله (فإنَّ للَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ) يقول تعالى ذكره : فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوبا ، وهى الدلو العظيمة ، وهو السجل أيضا إذا مُلئت أو قاربت الملء ، وإنما أريد بالذنوب فى هذا الموضع : الحظّ والنصيب ؛ ومنه قول علقمة بن عبدة :

وفى كُلّ قَوْمٍ قَدْ خَبَطْتَ بنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ[٣]

أى نصيب ، وأصله ما ذكرت ؛ ومنه قول الراجز :

---

(١) الذى فى الفراء لأنه ذهب بالقوة إلى الحبل الخ .

(٢) البيت فى (اللسان : ثوب) ونسبه إلى معروف بن عبد الرحمن . قال : والثوب : اللباس ، واحد الأثواب والثياب ، والجمع : أثوب . وبعض العرب يهمزه ، فيقول : أثؤب ، لاستثقال الضمة على الواو ، والهمزة أقوى على احتمالها منها . قال معروف ابن عبد الرحمن :

لِكُلّ دَهْرٍ قَدْ لَبِسْتُ أَثْؤُبا حتى اكْتَسَى الرأسُ قِناعا أَشْيَبا
أَمْلَحَ لا لَذًّا وَلا مُحَبَّبا

ولم يذكر البيت الثانى من شاهد المؤلف * من ريطة واليمنة المعصبا * وفى اللسان : الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين أو هى كل ثوب لين دقيق ، قال الأزهرى ولا تكون الريطة إلا بيضاء . واليمنة بضم الياء وسكون الميم واليمنة بالتحريك : ضرب من برود اليمن قال : « واليمنة المعصبا » . والبيت من شواهد (الفراء فى معانى القرآن الورقة ٣١٣) قال عند قوله تعالى «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » قال : قرأ يحيى بن وثاب « المتين » بالخفض ، جعله من نعت القوة ، وإن كانت أنثى فى اللفظ ، فإنه ذهب إلى الحبل ، وإلى الشىء المفتول . أنشدنى بعض العرب : « لكل دهر » . . . البيتين . فجعل المعصب نعتا لليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب الوشى ، فذهب إليه . وقرأ الناس : « المتين » رافع ، من صفة الله .

(٣) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٧) قال عند قوله تعالى « فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم » أى نصيبا . قال علقمة بن عبدة « وفى كل قوم قد خبطت بنائل » . . . . البيت . وهو من قصيدة مطولة يمدح بها الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شأسا ، فرحل يطلب فكه . وقيل مدح بها جبلة بن الأيهم أو عمرو بن الحارث الأعرج (انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٤١٨ ، ٤٢٣) وقوله « كل قوم » يروى : كل يوم ، وكل حى . وبنعمة : يروى : بنائل . وأصل الذنوب : الدلو . والمراد : حظ ونصيب . قال أبو عبيدة : وإنما أصلها من الدلو . والذنوب والسجل واحد ، وهو مثل الدلو وأقل قليلا .

لَنَا ذَنُوبٌ ولَكُمْ ذَنُوبُ فإنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا القَلِيبُ[1]

ومعنى الكلام : فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبا وحظا نازلا بهم ، مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم ، على منهاجهم من العذاب ، فلا يستعجلون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا) يقول : دلوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) قال : يقول للذين ظلموا عذابا مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) فلا يستعجلون سَجْلا من العذاب .

قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا شهاب بن سريعة ، عن الحسن ، فى قوله (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) قال : دلوا مثل دلو أصحابهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَنُوبا) قال : سجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا) : سجلا من عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) قال : عذابا مثل عذاب أصحابهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) قال : يقول ذنوبا من العذاب ، قال : يقول لهم سجل من عذاب الله ، وقد فعل هذا بأصحابهم من قبلهم ، فلهم عذاب مثل عذاب أصحابهم فلا يستعجلون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (ذَنُوبا مِثْلَ ذَنُوبِ أصْحَابِهِمْ) قال : طَرَفا من العذاب .

---

(١) الذنوب : السجل ، وهو أقل من الدلو . والمراد به هنا ، النصيب والحظ . والقليب : البئر . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٣) عند قوله تعالى « فإن للذين ظلموا ذنوبا » : الذنوب فى كلام العرب الدلو العظيمة ، ولكن العرب تذهب بها إلى النصيب والحظ . وبذلك أتى التفسير : فإن للذين ظلموا حظا من العذاب ، كما نزل بالذين من قبلهم . وقال الشاعر : « لنا ذنوب . . . . . » البيتين . والذنوب تذكر وتؤنث .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) .

⁂ يقول تعالى ذكره : فالوادى السائل فى جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله، وجحدوا وحدانيته من يومهم الذى يوعدون فيه نزول عذاب الله ، إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد .

آخر تفسير سورة الذاريات

تفسير سورة والطور

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (والطُّورِ) : والجبل الذى يُدعى الطور .

وقد بيَّنت معنى الطور بشواهده ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تبارك وتعالى (والطُّورِ) قال الجبل بالسُّرْيانية .

وقوله (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) يقول : وكتاب مكتوب ؛ ومنه قول رُؤْبة :

إنى وآياتٍ سُطِرْنَ سَطْرًا (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) قال : صحف .

(١) البيت من مشطور الرجز ، وبعده بيت يكمله (اللسان : سطر) وهو قوله :

* لَقَائِلٌ يَانَصْرُ نَصْرٌ نَصْرَا *

ولم ينسبهما فى اللسان . وقال العينى فى فرائد القلائد ، (شرح مختصر الشواهد) فى شواهد عطف البيان : « عزاه سيبويه » إلى رؤبة . وقال الصاغانى : وليس له » ا هـ . قلت ومحل الشاهد قوله : « سطرن سطرا » أى خططن وكتبن . أقسم بالسطور التى خطت وكتبت . ولعله يريد سطور القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) والمسطور : المكتوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَسْطُورٍ) قال : مكتوب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَسْطُورٍ) قال : مكتوب .

وقوله (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) يقول : فى ورق منشور .

وقوله « فى » من صلة مسطور ، ومعنى الكلام : وكتاب سطر ، وكُتب فى ورق منشور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) وهو الكتاب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (فى رَقّ) قال : الرقّ : الصحيفة .

وقوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) يقول : والبيت الذى يعمر بكثرة غاشيته ، وهو بيت فيما ذُكر فى السماء بحيال الكعبة من الأرض ، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ، ثم لا يعودون فيه أبدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة ، رجل من قومه قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « رُفِعَ إلىَّ البَيْتُ المَعْمُورُ ، فَقُلْتُ : ياجِبرِيلُ ما هَذَا ؟ قال : البَيْتُ المَعْمُورُ ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا هنّاد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عُرْعُرة ، أن رجلا قال لعلىّ رضى الله عنه : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت فى السماء يقال له الضُّرَاحْ ، وهو بحيال الكعبة ، من فوقها حُرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض ، يصلى فيه كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ، ولا يعودون فيه أبدا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حَرْب ، قال : سمعت خالد ابن عرعرة ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه ، وخرج إلى الرحبة ، فقال له ابن الكوّاء أو غيره : ما البيت المعمور ؟ قال : بيت فى السماء السادسة ، يقال له الضراح ، يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون فيه أبدا .

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طَلْق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن علىّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء عليا، رضى الله عنه عن البيت المعمور، قال: مسجد فى السماء يقال له الضُّراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة، لايرجعون فيه أبدا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا حَكّام، عن عنبسة، عن عُبيد المُكْتِب، عن أبى الطفيل، قال: سأل ابن الكوّاء عليا عن البيت المعمور، قال: بيت بحيال البيت العتيق فى السماء، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك على رسم راياتهم، يقال له الضراح، يدخله كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لايرجعون فيه أبدا.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا بهرام، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن علىّ رضى الله عنه، قال: سأله رجل عن البيت المعمور، قال: بيت فى السماء يقال له الضَّريح قصد البيت، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك، ثم لايعودون فيه.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) قال: هو بيت حِذاءَ العرش تعمره الملائكة، يصلى فيه كلّ يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لايعودون إليه.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبّوَيه، قال: ثنا علىّ بن الحسن، قال: ثنا حسين، قال: سُئل عكرمة وأنا جالس عنده عن البيت المعمور، قال: بيت فى السماء بحيال الكعبة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) قال: بيت فى السماء يقال له الضراح.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) «ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه: هَلْ تَدْرُونَ ما البَيْتُ المَعْمُورُ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّهُ مَسْجِدٌ فِى السَّماءِ تَحْتَهُ الكَعْبَةُ، لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْها أوْ عَلَيْهِ، يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ».

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) يزعمون أنه يروح إليه كلّ يوم سبعون ألف مَلَك من قبيلة إبليس، يقال لهم الجنّ.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَالبَيْتِ المَعْمُورِ) قال: بيت الله الذى فى السماء. وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ بَيْتَ اللهِ فِى السَّماءِ لَيَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثم لايَعُودُونَ فِيهِ أبَدًا بَعْدَ ذلكَ».

حدثنا محمد بن مرزوق، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم، قال: «البَيْتُ المَعْمُورُ فِى السَّماءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لايَعُودُونَ إلَيْهِ حتى تَقُومَ السَّاعَةُ».

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سليمان عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عَرَجَ بِيَ المَلَكُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ انْتَهَيْتُ إلى بِناءٍ ، فَقُلْتُ لِلْمَلَكِ : ما هَذَا ؟ قال : هَذَا بِناءٌ بَناهُ اللهُ لِلْمَلائِكَةِ ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يُقَدِّسُونَ اللهَ ويُسَبِّحُونَهُ ، لا يَعُودُونَ فِيهِ » .

وقوله (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) يعنى بالسقف فى هذا الموضع : السماء ، وجعلها سقفا ، لأنها سماء للأرض ، كسماء البيت الذى هو سقفه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرعرة ، أن رجلا قال لعلىّ رضى الله عنه : ما السقف المرفوع ؟ قال : السماء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، عن علىّ ، قال : السقف المرفوع : السماء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عُرعرة ، عن علىّ رضى الله عنه قال : سأله رجل عن السقف المرفوع ، فقال : السماء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت خالد بن عرعرة ، قال : سمعت عليًّا يقول : والسقف المرفوع : هو السماء ، قال : (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحفُوظاً ، وهُمْ عَنْ آياتِها مُعرِضُونَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (السقف المرفوع) : قال : السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) سقف السماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ) : سقف السماء .

وقوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) اختلف أهل التأويل فى معنى البحر المسجور ، فقال بعضهم : المُوقَد . وتأوّل ذلك : والبحر الموقد المحمىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال علىّ رضى الله عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ فقال : البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقا ، (والبَحْرِ المَسْجُورِ - وَإِذَا البِحارُ سُجِّرَتْ) مخففة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حُمَيد ، عن شمر بن عطية ، فى قوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : بمنزلة التنُّور المسجور .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : الموقد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : الموقد ، وقرأ قول الله تعالى : (وَإِذَا البِحارُ سُجِّرَتْ) قال : أوقدت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإذا البحار مُلئت ، وقال : المسجور : المملوء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) الممتلئ .

وقال آخرون : بل المسجور : الذى قد ذهب ماؤه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (والبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : سجره حين يذهب ماؤه ويفجر .

وقال آخرون : المسجور : المحبوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) يقول : المحبوس .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه فى بعض ، وذلك أن الأغلب من معانى السَّجْر : الإيقاد ، كما يقال : سَجَرت التنور ، بمعنى : أوقدت ، أو الامتلاء على ماوصفت ، كما قال لبيد :

فتوَسَّطا عُرْضَ السَّرِىِّ وَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلاَّمُها[1]

وكما قال النمَّرْ بن تولب العُكْلىّ :

إذَا شاءَ طالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى حَوْلَها النَّبْعَ والسَّاسَما
سَقَتْها رَوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَما[2]

(١) البيت للبيد من معلقته المشهورة . وقد مر الاستشهاد به عند قوله تعالى فى سورة مريم « قد جعل ربك تحتك سريا » (١٦ : ٧١) فراجعه ثمة .

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلى ، كما فى خزانة الأدب الكبرى للبغدادى (٤ : ٤٣٤ – ٤٤٢) وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٨ ب) عند قوله تعالى « والبحر المسجور » . والشاعر يصف وعلا . وقوله مسجورة : يريد عينا كثيرة الماء ، أى مملوءة . والنبع : شجر يتخذ منه القسى . والساسم : قيل هو الآبنوس . وقيل شجر يشبهه ، ومنابتهما أعالى الجبال . سقتها : أى العين . والرواعد : جمع راعدة ، وهى السحابة الماطرة ، وفيها صوت الرعد غالبا . والصيف بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يجى =

فإذا كان ذلك الأغلب من معانى السَّجْر ، وكان البحر غير مُوقَد اليوم ، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين ، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التى هى له اليوم ، وهو الامتلاء ، لأنه كلّ وقت ممتلئ .

وقيل : إن هذا البحر المسجور الذى أقسم به ربُّنا تبارك وتعالى ، بحر فى السماء تحت العرش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، عن علىّ (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بحر فى السماء تحت العرش .

قال : ثنا مهران ، قال : وسمعته أنا من إسماعيل ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو (وَالبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : بحر تحت العرش .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (والبَحْرِ المَسْجُورِ) قال : بحر تحت العرش .

وقوله (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) يامحمد ، لكائن حالّ بالكافرين به يوم القيامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وقع القسم هاهنا (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) وذلك يوم القيامة .

وقوله (مالَهُ مِنْ دَافِعٍ) يقول : ما لذلك العذاب الواقع بالكافرين من دافع يدفعه عنهم ، فينقذهم منه إذا وقع .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)

يقول تعالى ذكره : إن عذاب ربك لواقع (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) فيوم من صلة واقع ، ويعنى بقوله : تمور : تدور وتكفأ . وكان معمر بن المثنى يُنشد بيت الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَوْرُ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ[1]

فالمور على روايته : التكفى والترهبل فى المشية ، وأما غيره فإنه كان يرويه مرّ السحابة .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه .

= فى الصيف . والخريف الفصل بين الصيف والشتاء ، يريد مطر الخريف . يريد الشاعر أن هذا الوعل يشرب من هذه العين المسجورة المملوءة إما من مطر الصيف وإما من مطر الخريف ، فهو لن يعدم الماء على كل حال . والشاهد فى قوله مسجورة : أى مملوءة .

(١) هذا البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٥٥) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٢٨ ب) والرواية فيه : مور السحابة فى موضع « مر السحابة » فى رواية الديوان . وقد أنشده شاهدا على قوله تعالى : « يوم تمور السماء مورا » أى تكفأ ، وهو أن تر هيأ فى مشيتها ، أى تر هيأ كما ترهيأ النخلة العيدانة . وقال فى (اللسان : رهأ) الرهيأة : الضعف والعجز والتوانى ؛ والمرأة ترهيأ فى مشيتها أى تكفأ كما ترهيأ النخلة العيدانة . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : يقول : تحريكا .

حدثنا ابن المثنى وعمرو بن مالك ، قالا : حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن سفيان بن عُيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور السماء دَوْرا .

حدثنا الحسن بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : أخبرونى عن معاوية الضرير ، عنى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور دورا .

حدثنا هارون بن حاتم المُقْرِى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، قال : ثنى أبو معاوية ، عنى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تدور دورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) مورها : تحريكها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) يعنى : استدارتها وتحريكها لأمر الله ، وموج بعضها فى بعض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الضحاك (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : تموج بعضها فى بعض ، وتحريكها لأمر الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : هذا يوم القيامة ، وأما المَوْر : فلا علم لنا به .

وقال آخرون : مورها : تشققها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) قال : يوم تشقّق السماء .

وقوله (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) يقول : وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض سيرا ، فتصير هباء منبثا .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فالوادى الذى يسيل من قَيح وصديد فى جهنم ، يوم تمور السماء مورا ، ذلك ويوم القيامة للمكذّبين بوقوع عذاب الله للكافرين ، يوم تمور السماء موْرا . وكان بعض نحويّ البصرة يقول : أدخلت الفاء فى قوله (فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ) لأنه فى معنى إذا كان كذا وكذا ، فأشبه المجازاة ، لأن المجازاة

يكون خبرها بالفاء . وقال بعض نحويّ الكوفة : الأوقات تكون كلها جزاء مع الاستقبال ، فهذا من ذاك ، لأنهم قد شبهوا « إن » وهى أصل الجزاء بحين ، وقال : إن مع يوم إضمار فعل ، وإن كان التأويل جزاء ، لأن الإعراب يأخذ ظاهر الكلام ، وإن كان المعنى جزاء .

وقوله (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ) يقول : الذين هم فى فتنة واختلاط فى الدنيا يلعبون ، غافلين عما هم صائرون إليه من عذاب الله فى الآخرة .

وقوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول تعالى ذكره : فويل للمكذّبين يوم يُدعُّون .

وقوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ) ترجمة عن قوله (يَوْمَئِذٍ) وإبدال منه . وعُنِى بقوله (يُدَعُّونَ) يدفعون بإرهاق وإزعاج ، يقال منه : دَعَعْتُ فى قفاه : إذا دفعت فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يدفع فى أعناقهم حتى يردوا النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول : يدفعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يدفعون فيها دفعا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يقول : يدفعون إلى نار جهنم دفعا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ) قال : يُدفعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يُزْعَجون إليها إزعاجا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) الدعّ : الدفع والإرهاق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) قال : يُدفعون دفعا ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى : (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه ، ويغلظ عليه .

وقوله (هَذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : هذه النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذّبون ، فتجحدون أن تردّوها ، وتصلوها ، أو يعاقبكم بها ربكم ، وترك ذكر يُقال لهم ، اجتزاء بدلالة الكلام عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)

يقول تعالى مخبرا عما يقال لهؤلاء المكذّبين الذين وصف صفتهم إذا وردوا جهنم يوم القيامة : أفسحر أيها القوم هذا الذى وردتموه الآن ، أم أنتم لاتعاينونه ولا تبصرونه ؟ وقيل هذا لهم توبيخا لااستفهاما .

وقوله (اصْلَوْهَا) يقول : ذوقوا حرّ هذه النار التى كنتم بها تكذّبون ، وَرِدُوها فاصبروا على ألمها وشدتها ، أو لاتصبروا على ذلك ، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : ما تُجزون إلا أعمالكم : أى لاتعاقَبون إلا على معصيتكم فى الدنيا ربكم وكفركم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فى جنات : يقول فى بساتين ونعيم فيها ، وذلك فى الآخرة .

وقوله (فَاكِهِينَ) يقول : عندهم فاكهة كثيرة ، وذلك نظير قول العرب للرجل يكون عنده تمر كثير : رجل تامر ، أو يكون عنده لبن كثير ، فيقال : هو لابن ، كما قال الحُطَيئة :

أَغَرَرْتَنِى وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِى الصَّيْفِ تَامِرْ[1]

وقوله (بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) يقول : عندهم فاكهة كثيرة بإعطاء الله إياهم ذلك (وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول : ورفع عنهم ربهم عقابه الذى عذّب به أهل الجحيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)

(١) البيت للحطيئة (ديوانه ١٧) . واستشهد به المؤلف على أن معنى قوله تعالى « فاكهين بما آتاهم ربهم » أى عندهم فاكهة كثيرة ، وهو مثل قول الحطيئة « لابن » و « تامر » أى ذو لبن وذو تمر ، أى عندك منهما فى الصيف كثير . وقال السكرى فى شرح الديوان : يعنى أنك غررتنى ، وزعمت أنك تطعمنى التمر واللبن ، فقنعت بهما ، فلم تفعل . اه . يمدح بغيضا ويهجو الزبرقان . وقد تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٢٣ : ١٩) وشرحناه بأوسع من شرحه هنا ، فراجعه ثمة .

⁂ يقول تعالى ذكره : كلوا واشربوا ، يقال لهؤلاء المتقين فى الجنات : كلوا أيها القوم مما آتاكم ربكم ، واشربوا من شرابها هنيئا ، لاتخافون مما تأكلون وتشربون فيها أذًى ولا غائلة ، بما كنتم تعملون فى الدنيا لله من الأعمال .

وقوله (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) قد جعلت صفوفا ، وترك قوله : على نمارق ، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

وقوله (وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) يقول تعالى ذكره : وزوّجنا الذكور من هؤلاء المتقين أزواجا بحور عين من النساء ، يقول الرجل : زوّج هذا الخَلَف الفرد أو النعل الفرد بهذا الفرد ، بمعنى : اجعلهما زوجا . وقد بيّنا معنى الزوج فيما مضى بما أغنى عن إعادته هاهنا ، والحُور : جمع حَوْراء ، وهى الشديدة بياض مقلة العين فى شدّة سواد الحدقة .

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، وبيّنت الصواب فيه عندنا ، بشواهده المغنية عن إعادتها هذا الموضع ، والعِين : جمع عَيْناء ، وهى العظيمة العَيْن فى حُسن وسعة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ، كُلُّ امْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : والذين آمنوا وأتبعناهم ذرّياتهم بإيمان ، ألحقنا بهم ذرّياتهم المؤمنين فى الجنة ، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم ، تكرمة لآبائهم المؤمنين ، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإِيمانٍ) فقال : إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذرّيته ، وإن كانوا دونه فى العمل ، ليقرّ الله بهم عينه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرّية المؤمن فى درجته ، وإن كانوا دونه فى العمل ، ليقرّ بهم عينه ، ثم قرأ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرّة الجَمَلىّ ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ليرفع ذرّيّة المؤمن معه فى درجته ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قرأ (وأتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال ، ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن سماعة ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ) قال : المؤمن تُرفَعُ له ذرّيته ، فيلحقون به ، وإن كانوا دونه فى العمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والذين آمنوا وأتبعناهم ذُرِّيَّاتهم التى بلغت الإيمان بإيمان ، ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار التى لم تبلغ الإيمان ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : الذين أدرك ذرّيتهم الإيمان ، فعملوا بطاعتى ، ألحقتهم بإيمانهم إلى الجنة ، وأولادهم الصغار نلحقهم بهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : من أدرك ذريته الإيمان ، فعملوا بطاعتى ، ألحقتهم بآبائهم فى الجنة ، وأولادهم الصغار أيضا على ذلك .

وقال آخرون نحو هذا القول ، غير أنهم جعلوا الهاء والميم فى قوله (أَلْحَقْنا بِهِمْ) من ذكر الذرّية ، والهاء والميم فى قوله ، ذرّيتهم الثانية من ذكر الذين . وقالوا : معنى الكلام : والذين آمنوا واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُمْ الصغار ، وما ألتنا الكبار من عملهم من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ، أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أدرك أبناؤهم الأعمال التى عملوا ، فاتبعوهم عليها ، واتبعتهم ذرّياتهم التى لم يدركوا الأعمال ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : يقول : لم نظلمهم من عملهم من شىء ، فننقصهم ، فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم ، الذين لم يبلغوا الأعمال ألحقتهم بالذين قد بلغوا الأعمال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فأدخلناهم الجنة بعمل آبائهم ، وما ألتنا الآباء من عملهم من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود يحدّث عن عامر ، أنه قال فى هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ألحقنا بهم ذرياتهم وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ

عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) فأدخل الله الذرّية بعمل الآباء الجنة ، ولم ينقص الله الآباء من عملهم شيئا ، قال فهو قوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن داود ، عن سعيد بن جُبَير أنه قال فى قول الله : (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : ألحق الله ذرّياتهم بآبائهم ، ولم ينقص الآباء من أعمالهم ، فيردّه على أبنائهم .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) : أعطيناهم من الثواب ما أعطينا الآباء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، قال : سمعت إبراهيم فى قوله (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أُعْطوا مثل أجور آبائهم ، ولم ينقص من أجورهم شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : أُعطوا مثل أجورهم ، ولم ينقص من أجورهم .

قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (و أَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَاتِهِمْ بِإِيمَانٍ) يقول : أعطيناهم من الثواب ما أعطيناهم (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما نقصنا آباءهم شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَاتِهِمْ) كذلك قالها يزيد (ذُرِّيَاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) قال : عملوا بطاعة الله ، فألحقهم الله بآبائهم .

⁂ وأولى هذه الأقوال بالصواب ، وأشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : القول الذى ذكرنا عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، وهو : والذين آمنوا بالله ورسوله ، وأتبعناهم ذرياتهم الذين أدركوا الإيمان بإيمان ، وآمنوا بالله ورسوله ، ألحقنا بالذين آمنوا ذريتهم الذين أدركوا الإيمان ، فآمنوا فى الجنة ، فجعلناهم معهم فى درجاتهم ، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم ، تكرمة منا لآبائهم ، وما ألتناهم من أجور عملهم شيئا .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك الأغلب من معانيه ، وإن كان للأقوال الأخر وجه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ) على التوحيد (بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) على الجمع ، وقرأته قرّاء الكوفة (وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) كلتيهما بإفراد وقرأ بعض قرّاء البصرة وهو أبو عمرو (وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) .

والصواب من القول فى ذلك : أن جميع ذلك قراءات معروفات مستفيضات فى قرأة الأمصار ، متقاربات المعانى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : وما ألتنا الآباء ، يعنى بقوله

(وَما أَلَتْناهُمْ) : وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئا ، فنأخذه منهم ، فنجعله لأبنائهم الذين ألحقناهم بهم ، ولكنا وفّيناهم أجور أعمالهم ، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم ، تفضلا منا عليهم . والألْت فى كلام العرب : النقص والبخس ، وفيه لغة أخرى ، ولم يقرأ بها أحد نعلمه ، ومن الألت قول الشاعر :

أَبْلِغْ بنى ثُعَلٍ عَنِّى مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسالَةِ لا أَلْتاً وَلا كَذِبا[1]

يعنى : لانُقصانَ ولا زيادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : ا نقصناهم .

حدثنى على قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن ابن عباس قوله : (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما نقصناهم .

وحدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا مِسْعَر بن بشر ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن سماعة ، عن[2] عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : وما نقصناهم.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : مانقصنا الآباء للأبناء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ما نقصنا الآباء للأبناء ، (وَما أَلَتْناهُمْ) قال : وما نقصناهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : نقصناهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : ما نقصنا آباءهم شيئا .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٣ – ٣١٤) قال : وقوله : « وما ألتناهم » الألت : النقص . وفيه لغة أخرى : « وما ألتناهم من عملهم من شىء » . وكذلك هى فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) وأبى بن كعب ، قال الشاعر : « أبلغ بنى ثعل . . . البيت » . يقول : لانقصان ولازيادة . وقال الآخر (نسبه أبو عبيدة إلى رؤبة) :

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتنى عن سراها ليت

والليت ها هنا : لم يثنى عنها نقص بى ، ولاعجز عنها . وفى (اللسان : ليت) : « ولاته عن وجهه يليته ويلوته لوتا : أى حبسه عن وجهه وصرفه . قال الراجز : « وليلة ذات ندى . . . البيتين » . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : « وما ألتناهم » : أى ما نقصناهم ، ولاحبسنا منه شيئا . اهـ .

(٢) فى المطبوعة : عن سماعة بن عمرو بن مرة . تحريف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلّى ، عن سعيد بن جُبَير (وَما أَلَتْناهُمْ) قال : وما ظلمناهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما ظلمناهم من عملهم من شيء .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما ظلمناهم .

وحُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَما أَلَتْناهُمْ) يقول : وما ظلمناهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ) قال : يقول : لم نظلمهم من عملهم من شيء : لم ننتقصهم فنعطيه ذرّياتهم الذين ألحقناهم بهم لم يبلغوا الأعمال ألحقهم بالذين قد بلغو الأعمال (وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) قال : لم يأخذ عمل الكبار فيجزيه الصغار ، أدخلهم برحمته ، والكبار عملوا ، فدخلوا بأعمالهم .

وقوله (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) يقول : كلّ نفس بما كسبت وعملت من خير وشرّ مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره ، وإنما يعاقب بذنب نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : وأمددنا هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله ، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة ، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللُّحْمان .

وقوله (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا) يقول : يتعاطون فيها كأس الشراب ، ويتداولونها بينهم ، كما قال الأخطل :

نازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجاجُ وَحانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي[1]

وقوله (لَا لَغْوٌ فِيهَا) يقول : لا باطل في الجنة ، والهاء في قوله « فيها » من ذكر الكأس ، ويكون المعنى لما فيها من الشراب بمعنى : أن أهلها لا لغو عندهم فيها ولا تأثيم ، واللغو : الباطل .

(١) البيت للأخطل . وهو من شواهد أبي عبيدة في معاني القرآن (الورقة ٢٢٩) قال : « يتنازعون فيها كأسا » : يتعاطون أي يتداولون ، قال الأخطل : « نازعته . . . البيت » . اهـ . وفي (اللسان : نزع) : ومنازعة الكأس : معاطاتها ؛ قال الله عز وجل « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » : أي يتعاطون . والأصل فيه : يتجاذبون ، ويقال : نازعني فلان بنانه : أي صافحني . والمنازعة المصافحة ؛ قال الراعي :

يُنازِعُنَا رَخْصَ البَنانِ كَأَنَّمَا يُنازِعُنَا هُدّابَ رَيْطٍ مُعَضَّدِ

المنازعة : المجاذبة في الأعيان والمعاني . اهـ .

وقوله (وَلا تَأْثِيمٌ) يقول : ولا فعل فيها يُؤْثم صاحبه . وقيل : عنى بالتأثيم : الكذب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لا لَغْوٌ فِيها) يقول : لا باطل فيها .

وقوله (وَلا تَأْثِيمٌ) يقول : لا كذب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لا لَغْوٌ فِيها) قال : لا يستَبُّون (وَلا تَأْثِيمٌ) يقول : ولا يؤثمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ) : أى لا لغو فيها ولا باطل ، إنما كان الباطل فى الدنيا مع الشيطان .

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ) قال : ليس فيها لغو ولا باطل ، إنما كان اللغو والباطل فى الدنيا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة (لا لَغْوٌ فِيها وَلا تَأْثِيمٌ) بالرفع والتنوين على وجه الخبر ، على أنه ليس فى الكأس لغو ولا تأثيم . وقرأه بعض قرّاء البصرة (لا لَغْوَ فِيها وَلا تَأْثِيمَ) نصبا غير منوّن ، على وجه التبرئة .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان الرفع والتنوين أعجب القراءتين إلىّ لكثرة القرّاء بها ، وأنها أصحّ المعنيين .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : ويطوف على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى الجنة غِلْمان لهم ، كأنهم لؤلؤ فى بياضه وصفائه مكنون ، يعنى : مَصُون فى كنّ ، فهو أنقى له ، وأصفى لبياضه . وإنما عنى بذلك أن هؤلاء الغلمان يطوفون على هؤلاء المؤمنين فى الجنة بكؤوس الشراب التى وصف جلّ ثناؤه صفتها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) ذُكر لنا « أن رجلا قال : يا نبىّ الله هذا الخادم ، فكيف المخدوم؟ قال : والذى نفس محمد بيده ، إن فضل المخدوم على الخادم ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » .

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) قال : « بلغنى أنه قيل : يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ ، فكيف المخدوم ؟ قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنَّ فَضْلَ ما بَيْنَهُما كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ على النُّجوم » .

وقوله (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : وأقبل بعض هؤلاء المؤمنين في الجنة على بعض ، يسأل بعضهم بعضا . وقد قيل : إن ذلك يكون منهم عند البعث من قبورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ) قال : إذا بعثوا في النفخة الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال بعضهم لبعض : إنا أيها القوم كنا في أهلنا في الدنيا مُشفقين خائفين من عذاب الله وجلين أن يعذّبنا ربنا اليوم (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا) بفضله (وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ) يعني : عذاب النار ، يعني فنجانا من النار ، وأدخلنا الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (عَذابَ السَّمُومِ) قال : عذاب النار .

وقوله (إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) يقول : إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه : نعبده مخلصا له الدين ، لا نُشرك به شيئا (إنَّهُ هُوَ البَرُّ) يعني : اللطيف بعباده .

كما حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّهُ هُوَ البَرُّ) يقول : اللطيف .

وقوله (الرَّحِيمُ) يقول : الرحيم بخلقه أن يعذّبهم بعد توبتهم .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (إنَّهُ هُوَ البَرُّ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (أنَّهُ) بفتح الألف ، بمعنى : إنا كنا من قبل ندعوه لأنه هو البرّ ، أو بأنه هو البرّ . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بالكسر على الابتداء .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى

فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَذَكِّرْ) يامحمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم ، وعظهم بنعم الله عندهم (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) يقول فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهَّن ، ولامجنون له رَئِيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به ، ولكنك رسول الله ، والله لايخذلك ، ولكنه ينصرك.

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) يقول جلّ ثناؤه : بل يقول المشركون : يامحمد لك : هو شاعر نتربصُ به حوادث الدهر ، يكفيناه بموت أو حادثة متلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . وإن اختلفت عباراتهم عنه ، فقال بعضهم فيه كالذى قلنا . وقال بعضهم : هو الموت .

ذكر من قال : عَنَى بقوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) : حوادث الدهر.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : حوادث الدهر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر.

ذكر من قال : عنى به الموت

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) يقول : الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : يتربصون به الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : قال ذلك قائلون من الناس تربصوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الموت يكفيكموه ، كما كفاكم شاعر بنى فلان وشاعر بنى فلان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَيْبَ الْمَنُونِ) قال : هو الموت ، نتربص به الموت ، كما مات شاعر بنى فلان ، وشاعر بنى فلان .

وحدثنى سعيد بن يحيى الأموى : قال : ثنى أبى . قال : ثنا محمد بن إسحاق . عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم : احبسوه فى وَثاق ، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك مَن قبله من الشُّعراء : زهيرٌ والنابغة ، إنما هو كأحدهم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) الموت ، وقال الشاعر :

تَرَبَّصْ بِها رَيْبَ الْمَنُونِ لَعَلَّها سَيَهْلِكُ عَنْها بَعْلُها أو « تُسَرَّحُ »

(١) وضعنا كلمة « تسرح » فى قافية البيت فى مكان « شحيح » التى جاءت فى الأصل خطأ ، فاختل بها معنى البيت ووزنه . على أن =

وقال آخرون : معنى ذلك : ريب الدنيا ، وقالوا : المنون : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد، قال : ثنا مهران، عن أبي سنان (رَيْبَ المَنُونِ)قال : ريب الدنيا ، والمنون: الموت .

وقوله (قُلْ تَرَبَّصُوا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك : إنك شاعر نتربص بك ريب المنون ، تربصوا : أى انتظروا وتمهّلوا فىّ ريب المنون ، (فإنّى مَعَكُمْ منَ المُتَرَبِّصِينَ) بكم ، حتى يأتى أمر الله فيكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : هو شاعر وأن ما جاء به شعر (أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ماتأمرهم بذلك أحلامهم ، عقولهم (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) قد طغَوا على ربهم ، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أمْ تَأْمُرُهُمْ أحْلامُهُمْ بِهَذَا) قال : كانوا يَعُدّون فى الجاهلية أهلَ الأحلام ، فقال الله : أم تأمرهم أحلامهم بهذا أن يعبدوا أصناما بُكما صما ، ويتركوا عبادة الله ، فلم تنفعهم أحلامهم حين كانت لدنياهم ، ولم تكن عقولهم فى دينهم ، لم تنفعهم أحلامهم . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، يتأوّل قوله (أمْ تَأْمُرُهُمْ أحْلامُهُمْ) : بل تأمرهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) أيضا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، فى قوله (أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) قال : بل هم قوم طاغون .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (أمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ) قال : بل هم قوم طاغون .

= رواية الشطر الثانى كله فى اللسان : ربص وفى تفسير الشوكانى (٥ : ٩٦) وفى البحر المحيط لأبى حيان (٨ : ١٥١) والقرطبى ١٧ : ٧٢) مختلفة عن رواية المؤلف . وهو : * تطلق يوما أو يموت حليلها * والسراح والتسريح : هو الطلاق ، وفى التنزيل : « فسرحوهن سراحا جميلا » . ومعنى التربص : الانتظار . وتربص به : انتظر به خيرا أو شرا . وتربص به الشىء : كذلك . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٤) « نتربص به ريب المنون » : أوجاع الدهر ، فيشغل عنكم ، ويتفرق أصحابه ؛ أو عمر آبائه ، فإنا قد عرفنا أعمارهم . اهـ .

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : تقوّل محمدٌ هذا القرآن وتخلّقه .

وقوله (بَلْ لا يُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه : كذبُوا فيما قالوا من ذلك ، بل لا يؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذى جاءهم من عند ربهم .

وقوله (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) يقول : جلّ ثناؤه : فليأت قائلو ذلك له من المشركين ، بقرآن مثله ، فإنهم من أهل لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن يتعذّر عليهم أن يأتوا من ذلك بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كانوا صادقين فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم تقوّله وتخلّقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : أخُلِق هؤلاء المشركون من غير شىء ، أى من غير آباء ولا أمّهات ، فهم كالجماد ، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة ، ولا يعتبرون له بعبرة ، ولا يتعظون بموعظة . وقد قيل : إن معنى ذلك : أم خُلقوا لغير شىء ، كقول القائل : فعلت كذا وكذا من غير شىء ، بمعنى : لغير شىء .

وقوله (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) يقول : أم هم الخالقون هذا الخلق ، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه ، لأن للخالق الأمر والنهى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) يقول : أخلقوا السموات والأرض ، فيكونوا هم الخالقين ، وإنما معنى ذلك : لم يخلقوا السموات والأرض ، (بَلْ لا يُوقِنُونَ) يقول : لم يتركوا أن يأتمروا لأمر ربهم ، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى ، لأنهم خلقوا السموات والأرض ، فكانوا بذلك أربابا ، ولكنهم فعلوا ، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله ، وما أعدّ لأهل الكفر به من العذاب فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : أعند هؤلاء المكذّبين بآيات الله خزائن ربك يا محمد ، فهم لاستغنائهم بذلك عن آيات ربهم معرضون ، أم هم المسيطرون .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أم هم المسلّطون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) يقول : المسلّطون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم هم المُنْزِلون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) قال : يقول أم هم المنزلون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم هم الأرباب ، وممن قال ذلك معمر بن المثنى ، قال : يقال : سيطرتَ علىّ : أى اتخذتنى خَوَلاً لك .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أم هم الجبّارون المتسلطون المستكبرون على الله ، وذلك أن المسيطر فى كلام العرب الجبار المتسلط ، ومنه قول الله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ). يقول : لست عليهم بجبار مسلّط .

وقوله (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) يقول : أم لهم سُلَّم يرتقون فيه إلى السماء ، يستمعون عليه الوحىّ ، فيدّعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذى هم عليه حقّ ، فهم بذلك متمسكون بما هم عليه .

وقوله (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يقول : فإن كانوا يدّعون ذلك ، فليأت من يزعم أنه استمع ذلك ، فسمعه بسلطان مبين ، يعنى بحجة تبين أنها حقّ ، كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بها على حقيقة قوله ، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله . والسُّلَّم فى كلام العرب : السبب والمِرْقاة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

لا تُحْرِزِ المَرْءَ أَحْجاءُ البِلادِ وَلا تُبْنَى لَهُ فى السَّمَوَاتِ السَّلالِيمُ [1]

ومنه قوله : جعلت فلانا سلما لحاجتى : إذا جعلته سببا لها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١)

⁂ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : ألربكم أيها القوم البناتُ ولكم البنون ؟ ذلك إذن قسمة ضيزى . وقوله (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يامحمد ، على ماتدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ، ثوابا وعوضا من أموالهم ، فهم من ثِقل ما حملتهم من الغرم لايقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) هذا البيت لتميم بن أبى بن مقبل ، نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٣٠ – ا) وأحجاء البلاد : نواحيها وأطرافها ، قاله فى (اللسان : حجا) ، ونسب البيت لابن مقبل ، وقد شرحنا البيت و بينا الشاهد فيه ، عند قوله تعالى « أوسلما فى السماء » فى سورة الأنعام . (٧ : ١٨٤) من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة . وقال أبوعبيدة : والسلم : السبب والمرقاة ، قال ابن مقبل : « لاتحرز المرء . . . البيت . يقال : أنت تتخذنى سلما لحاجتك : أى سببا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ تَسأَلُهُمْ أجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يقول : هل سألتَ هؤلاء القوم أجرا يُجْهدهم ، فلا يستطيعون الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وَهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ تَسأَلُهُمْ أجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) قال : يقول : أسألتهم على هذا أجرا ، فأثقلهم الذي يُبْتَغَى أخذَه منهم .

وقوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) يقول تعالى ذكره : أم عندهم علم الغيب ، فهم يكتبون ذلك للناس ، فينبئونهم بما شاءوا ، ويخبرونهم بما أرادوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : بل يريد هؤلاء المشركون يامحمد بك ، وبدين الله كيدا (فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ) يقول : فهم المكيدون الممكورُ بهم دونك ، فثق بالله ، وامض لما أمرك به .

وقوله (أَمْ لَهُمْ إلَهٌ غَيرُ اللهِ) : يقول جلّ ثناؤه : أمْ لَهُم معبود يستحق عليهم العبادةُ غير الله ، فيجوز لهم عبادته ، يقول : ليس لهم إله غير الله الذى له العبادة من جميع خلقه (سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله عن شركهم وعبادتهم معه غيرَه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : وإن يرهؤلاء المشركون قِطْعا من السماء ساقطا ، والكِسْف : جمع كِسْفة ، مثل التمر جمع تمرة ، والسِّدْر جمع سِدْرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كِسْفًا) يقول : قِطْعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإنْ يرَوْا كِسْفًا) يقول : وإن يروا قِطْعا (مِنَ السَّماءِ ساقِطا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) يقول جلّ ثناؤه : يقولوا لذلك الكِسْف من السماء الساقط : هذا سحاب مركوم ، يعنى بقوله مركوم : بعضه على بعض .

وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه المشركين من قريش، الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات، فقالوا له : (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعا) ... إلى قوله (عَلَيْنا كِسَفًا)، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن ير هؤلاء المشركون ماسألوا من الآيات، فعاينوا كِسَفًا من السماء ساقطا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا : إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لايؤمنون .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة يقولوا (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) يقول : لايصدّقوا بحديث، ولا يؤمنوا بآية .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ساقِطا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) قال : حين سألوا الكِسْف قالوا : أسقط علينا كِسْفا من السماء إن كنت من الصادقين ؛ قال : يقول : لو أنا فعلنا لقالوا : سحاب مركوم .

وقوله (فَذَرْهُمْ حتى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فدع يامحمد هؤلاء المشركين، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُهلكون، وذلك عند النفخة الأولى .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (فِيهِ يُصْعَقُونَ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى عاصم بفتح الياء من (يَصْعَقُونَ)، وقرأه عاصم (يُصْعَقُونَ) بضم الياء، والفتح أعجب القراءتين إلينا، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما، وإن كانت الأخرى جائزة، وذلك أن العرب تقول : صَعِق الرجل وصُعِق، وسَعَد وسُعِد . وقد بيّنا معنى الصَّعْق بشواهده، وما قال فيه أهل التأويل فيما مضى، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧)

يعني جلّ ثناؤه بقوله (يَوْمَ لايُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئا) يوم القيامة، حتى يُلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون . ثم بيّن عن ذلك اليوم أيّ يوم هو ؟ فقال : يوم لايغني عنهم كيدهم شيئاً . يعني مكرهم أنه لايدفع عنهم من عذاب الله شيئا، فاليوم الثاني ترجمة عن الأوّل .

وقوله (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) يقول : ولاهم ينصرهم ناصر، فيستقيد لهم ممن عذّبهم وعاقبهم .

وقوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذلكَ) اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعّد الله به هؤلاء الظلمة من دون يوم الصعقة، فقال بعضهم : هو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريّ، قال : أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء، عذابا دون ذلك، قال : عذاب القبر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، وقوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذلكَ) يقول : عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن ابن عباس كان يقول : إنكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذلكَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، أن ابن عباس كان يقول : إن عذاب القبر فى القرآن ، ثم تلا (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذلكَ) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الجوع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابا دُونَ ذلكَ) قال : الجوع .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : المصائب التى تصيبهم فى الدنيا ، من ذهاب الأموال والأولاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذَلكَ) قال : دون الآخرة فى هذه الدنيا ، ما يعذّبهم به ، من ذهاب الأموال والأولاد ، قال : فهى للمؤمنين أجر وثواب عند الله ، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء ، عجلهم الله إياها فى الدنيا ، وقرأ (فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ) . . . إلى آخر الآية .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به ، عذابا دون يومهم الذى فيه يصعقون ، وذلك يوم القيامة ، فعذاب القبر دون يوم القيامة ، لأنه فى البرزخ ، والجوع الذى أصاب كفار قريش ، والمصائب التى تصيبهم فى أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، دون يوم القيامة ، ولم يخصص الله نوعا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع ، بل عمّ فقال (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابا دُونَ ذَلكَ) فكلّ ذلك لهم عذاب ، وذلك لهم دون يوم القيامة . فتأويل الكلام : وإن للذين كفروا بالله عذابا من الله دون يوم القيامة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) بأنهم ذائقو ذلك العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) .

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يامحمد الذى حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه ، وبلّغ رسالاته . (فإنَّكَ بأَعْيُنِنا) : يقول جلّ ثناؤه : فإنك بمرأًى منا ، نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين .

وقوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إذا قمت من نومك فقل : سبحانَ اللهِ وبحمده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال : من كل منامة ، يقول حين يريد أن يقوم : سبحانَك وبحمدك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عوف بن مالك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) قال : سبحانَ الله وبحمده .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال : إذا قام لصلاة من ليل أو نهار . وقرأ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ) قال : من نوم ، ذكره عن أبيه .

وقال بعضهم : بل معنى ذلك : إذا قمت إلى الصلاة المفروضة فقل : سبحانَك اللهمّ وبحمدك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) قال : إذا قام إلى الصلاة قال : « سبحانك اللهمّ وبحمدك ، وتبارك اسمك ولا إله غيرك » .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة المفروضة .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : وصلّ بحمد ربك حين تقوم من منامك ، وذلك نوم القائلة ، وإنما عنى صلاة الظهر .

وإنما قلت : هذا القول أولى القولين بالصواب ، لأن الجميع مجمعون على أنه غير واجب أن يقال فى الصلاة : سبحانك وبحمدك ، وما رُوى عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة ، فلو كان القول كما قاله الضحاك ، لكان فرضا أن يُقال ، لأن قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أمر من الله تعالى بالتسبيح ، وفى إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليلُ الواضحُ على أن القول فى ذلك غير الذى قاله الضحاك .

فإن قال قائل : ولعله أُريد به الندب والإرشاد . قيل : لادلالة فى الآية على ذلك ، ولم تقم حجة بأن ذلك معنىّ به ماقاله الضحاك ، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة ، مما خير المسلمون فيه ، دليلا لنا على أنه أُريد به الندب والإرشاد .

وإنما قلنا : عُنِى به القيام من نوم القائلة ، لأنه لاصلاة تجب فرضا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف ، إلا بعد نوم الليل ، وذلك صلاة الفجر ، أو بعد نوم القائلة ، وذلك صلاة الظهر ؛ فلما أمر بعد

قوله (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ) بالتسبيح بعد إدبار النجوم، وذلك ركعتا الفجر، بعد قيام الناس من نومها ليلا، عُلِم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم، هو أمر بالصلاة التى تجب بعد قيام من نوم القائلة، على ما ذكرنا ، دون القيام من نوم الليل .

وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) يقول : ومن الليل فعظِّم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة ، وذلك صلاة المغرب والعشاء .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قال: ومن الليل صلاة العشاء، وإدبار النجوم، يعنى حين تدبر النجوم للأفول ، عند إقبال النهار .

وقيل : عُنِى بذلك ركعتا الفجر .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : هما السجدتان قبل صلاة الغداة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) كنا نحدّث أنهما الركعتان عند طلوع الفجر . قال : وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : لهما أحبّ إلىّ من حُمْر النَّعَم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعيد بن هشام عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ركعتى الفجر : (هُمَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : ركعتان قبل صلاة الصبح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وحماد بن مسعدة قالا : ثنا حميد ، عن الحسن ، عن على ، فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : الركعتان قبل صلاة الصبح .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : قال علىّ رضى الله عنه (إِدْبَارَ النُّجُومِ) الركعتان قبل الفجر .

وقال آخرون : عنى بالتسبيح (إِدْبَارَ النُّجُومِ) : صلاة الصبح الفريضة .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : صلاة الغَداة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) قال : صلاة الصبح .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندي بالصواب: قول من قال : عُنِى بها: الصلاة المكتوبة، صلاة الفجر، وذلك أن الله أمر فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) والركعتان قبل الفريضة غير واجبتين ، ولم تقم حجة يجب التسليم لها ، أن قوله فسبحه على الندب ، وقد دللنا فى غير موضع من كتبنا، على أن أمر الله على الفرض ، حتى تقوم حجة بأنه مراد به الندب أو غير الفرض ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

آخر تفسير سورة الطور

تفسير سورة والنجم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالنَّجْمِ إِذا هوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله(والنَّجْمِ إِذَا هَوَى)فقال بعضهم : عُنِى بالنجم: الثُّريا ، وعُنِى بقوله (إِذَا هَوَى) : إذا سقط . قالوا : تأويل الكلام : والثريا إذا سقطت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قال : إذا سقطت الثريا مع الفجر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قال : الثريا . وقال مجاهد : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قال : سقوط الثريا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قال : إذا انصبّ .

وقال آخرون : معنى ذلك : والقرآن إذا نزل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زياد بن عبد الله الحسانى أبو الخطاب ، قال : ثنا مالكُ بن سُعَيْر ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) قال : القرآن إذا نزل .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ

وَما غَوَى) قال : قال عُتْبة بن أبى لهب : كفرتُ بربّ النجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا تَخافُ أنْ يأكُلَكَ كَلْبُ اللهِ » قال : فخرج فى تجارة إلى اليمن ، فبينما هم قد عرَّسوا ، إذ سمعَ صوتَ الأسد ، فقال لأصحابه إنى مأكول ، فأحدقوا به ، وضُرِب على أصمختهم فناموا ، فجاء حتى أخذه ، فما سمعوا إلا صوته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تلا : (وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى) فقال ابن لأبى لَهب حسبتُه قال : اسمه عُتبة : كفرت بربّ النجم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « احْذَرْ لايأكُلَكَ كَلْبُ اللهِ » ؛ قال : فضرب هامته . قال : وقال ابن طاوس عن أبيه : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « ألا تَخافُ أنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَيْكَ كَلْبَهُ » ؟ فخرج ابن أبى لَهب مع ناس فى سفر ، حتى إذا كانوا فى بعض الطريق ، سمعوا صوتَ الأسد ، فقال : ما هو إلا يريدنى ، فاجتمع أصحابه حوله ، وجعلوه فى وسطهم ، حتى إذا ناموا جاء الأسد ، فأخذه من بينهم .

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : عنى بقوله (والنَّجْمِ) والنجوم . وقال : ذهب إلى لفظ الواحد ، وهو فى معنى الجميع ، واستشهد لقوله ذلك بقول راعى الإبل :

فَباتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٌ بِأيْدِى الآكِلِينَ جُمُودُها[1]

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : ما قاله مجاهد ، من أنه عَنَى بالنجم فى هذا الموضع : الثريا ، وذلك أن العرب تدعوها النجم . والقول الذى قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لانعلم أحدا من أهل التأويل قاله ، وإن كان له وجه ، فلذلك تركنا القول به .

وقوله (ماضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى) يقول تعالى ذكره : ما حاد صاحبكم أيها الناسُ عن الحقّ ، ولا زال عنه ، ولكنه على استقامة وسداد .

ويعنى بقوله (وَما غَوَى) : وما صار غويًّا ، ولكنه رشيد سديد ؛ يقال : غَوَى يَغْوِى من الغىّ ، وهو غاوٍ ، وغَوِىَ يَغْوَى من اللبن [2] : إذا بَشِم . وقوله (ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ) : جواب قسم والنجم .

---

(١) البيت لراعى الإبل النميرى عبيد بن أيوب (مجاز القرآن لأبى عبيدة الورقة ٢٣٠ من المصورة ٢٦٠٥٩) قال عند قوله تعالى والنجم إذا هوى » : قسم ، والنجم النجوم ، ذهب إلى لفظ الواحد ، وهو فى معنى الجمع ، قال راعى الإبل : « وباتت تعد النجم . . . » البيت . وفى مستحيرة : فى إهالة ، جعلها طافية ، لأنها من شحم . وقال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير ، طبع الهند . وقال الراعى وذكر امرأة أضافها : فباتت . . . البيت . مستحيرة : جفنة قد تحير فيها الدسم ، فهى ترى فيها النجوم لصفاء الإهالة ، وأراد بقوله تعد النجم : الثريا ، والعرب تسمى الثريا النجم . قال :

طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء

وقال التبريزى فى شرح حماسة أبى تمام (٤ : ٣٩) قال أبو العلاء : كان بعض الناس يجعل « تعد » هنا من العدد ، أى أن هذه المرأة تعد النجم فى الجفنة المستحيرة ، أى المملوءة ، لأنها ترى خيال النجوم فيها ، وقد يجوز هذا الوجه ، وقد يحتمل أن يكون « تعد » فى معنى تحسب وتظن ، والمراد أن المرأة تحسب النجم فى الجفنة ، لما تراه من بياض الشحم . اهـ .

(٢) فى (اللسان : غوى) : غوى بالفتح غيا ، وغوى (بالكسر) غواية الأخيرة عن أبى عبيد : ضل . وفيه : غوى الفصيل والسخلة يغوى غوى (مثل فرح) : بشم من اللبن . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ (٧)

يقول تعالى ذكره : وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) يقول : ما هذا القرآن إلا وحى من الله يوحيه إليه .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) : أى ما ينطق عن هواه (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) قال : يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل : عُنِي بقوله (وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) بالهوى .

وقوله (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) : يقول تعالى ذكره : عَلَّم محمدا صلى الله عليه وسلم هذا القرآن جبريلُ عليه السلام ، وعُنِي بقوله (شَدِيدُ القُوَى) شديد الأسباب . والقُوى : جمع قوّة ، كما الحُثَى : جمع جُثْوة ، والحُبَى : جمع حُبْوة . ومن العرب من يقول : القِوَى : بكسر القاف ، كما تُجمع الرِّشوة رِشا ، بكسر الراء ، والحِبْوة حِبا . وقد ذُكر عن العرب أنها تقول : رُشوة بضم الراء ، ورِشوة بكسرها ، فيجب أن يكون جمع من جمع ذلك رِشا بكسر الراء ، على لغة من قال : واحدها رِشْوة ، وأن يكون جمع من جمع ذلك بضمّ الراء ، من لغة من ضمّ الراء فى واحدها ، وإن جَمَع بالكسر من كان لغته من الضمّ فى الواحدة ، أو بالضمّ من كان من لغته الكسر ، فإنما هو حمل إحدى اللغتين على الأخرى .

وبنحو الذي قلنا فى تأويل قوله (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) يعنى جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى) قال : جبرائيل عليه السلام .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله .

وقوله (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ذُو مِرَّةٍ) فقال بعضهم : معناه : ذو خَلْق حَسَن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذُو مِرَّةٍ) قال : ذو منظر حسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) : ذو خَلْق طويل حسن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ذو قوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) قال : ذو قوّة ، جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ذُو مِرَّةٍ) قال : ذو قوّة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) قال : ذو قوّة . المِرّة : القوّة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) جبريل عليه السلام .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بالمِرّة : صحة الجسم ، وسلامته من الآفات والعاهات ؛ والجسم إذا كان كذلك من الإنسان ، كان قويا ، وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المِرة واحدة المِرَر ، وإنما أُريد به : ذو مِرّة سَوِيَّة . وإذا كانت المِرّة صحيحة ، كان الإنسان صحيحا . ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ ، وَلا لِذِى مِرَّةٍ سَوِىٍّ » .

وقوله (فاسْتَوَى وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلَى) يقول : فاستوى هذا الشديد القوىّ وصاحبُكم محمد بالأفق الأعلى ، وذلك « لما أُسْرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، استوى هو وجبريل عليهما السلام بمطلع الشمس الأعلى ، وهو الأفق الأعلى » وعطف بقوله « وهو » على ما فى قوله « فاستوى » من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، والأكثر من كلام العرب إذا أرادوا العطف فى مثل هذا الموضع ، أن يظهروا كناية المعطوف عليه ، فيقولوا : استوى هو وفلان ، وقلّما يقولون استوى وفلان ، وذكر الفرّاء عن بعض العرب أنه أنشده :

أَلَمْ تَرَ أنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ وَلا يَسْتَوِى وَالخِرْوَعُ المُتَقَصِّفُ [1]

فردّ الخروع على ما فى يستوى من ذكر النبع ، ومنه قول الله : (أئِذَا كُنَّا تُرَابا وآباؤُنا) فعطف بالآباء على المكنىّ فى كنا من غير إظهار نحن ، فكذلك قوله (فاسْتَوَى وَهُوَ) ، وقد قيل : إن المستوى : هو

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٤) وفى روايته « يخلق » فى مكان « يصلب » . والخروع : شجرة لينة الأغصان ، تتقصف أفنانها للينها ، ومن ثمرها يستخرج زيت الخروع الذى يستعمل فى أغراض طبية وصناعية . والنبع شجر صلب ينبت فى أعالى الجبال ، تتخذ من خشبه القسى والسهام . وبينه وبين الخروع بون بعيد فى صلابة العود . واستشهد الفراء بالبيت عند قوله تعالى « فاستوى وهو بالأفق الأعلى » أى استوى (هو) أى جبريل ، وهو أى محمد صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى ، وعطف هو البارز على هو المستتر ، فأضمر الاسم فى استوى ، ورد عليه هو ، قال : وأكثر كلام العرب أن يقولوا : استوى هو وأبوه ؛ ولايكادون يقولون : استوى وأبوه ، وهو جائز ، لأن فى الفعل مضمرا ؛ أنشدنى بعضهم : « ألم تر أن النبع . . . البيت » . وقال الله وهو أصدق قيلا : « أئذا كنا ترابا وآباؤنا » فرد الآباء على المضمر فى كنا ، إلا أنه حسن ، لما حيل بينهما بالتراب والكلام : أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا . اهـ .

جبريل ، فإن كان ذلك كذلك ، فلا مُؤْنة فى ذلك ، لأن قوله « وهو » من ذكر اسم جبريل ، وكأنّ قائل ذلك وجّه معنى قوله (فاسْتَوَى) : أى ارتفع واعتدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) جبريل عليه السلام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى) والأفق : الذى يأتى منه النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلَى) قال : بأفق المشرق الأعلى بينهما .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَهُوَ بالأُفُقِ الأعْلَى) يعنى جبريل .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَهُوَ بالأُفُقِ الأَعْلَى) قال : السماء الأعلى ، يعنى جبريل عليه السلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١)

يقول تعالى ذكره : ثم دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه ، وهذا من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، وإنما هو : ثم تدلّى فدنا ، ولكنه حسن تقديم قوله « دنا » ، إذ كان الدنوّ يدلّ على التدلى ، والتدلى على الدنوّ ، كما يقال : زارنى فلان فأحسن ، وأحسن إلىّ ، فزارنى ، وشتمنى . فأساء ؛ وأساء فشتمنى ؛ لأن الإساءة هى الشتم : والشتم هو الإساءة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال : جبريل عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) يعنى : جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) قال : هو جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم دنا الربّ من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلّى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن سعيد الأموىّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى) قال : دنا ربه فتدلى .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس ابن مالك يحدّث عن ليلة المَسْرَى برسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه عَرج جبرائيل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة ، ثم علا به بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سِدْرة المنتهى ، ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه ما شاء ، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كلّ يوم وليلة » وذكر الحديث .

وقوله (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) يقول : فكان جبرائيل من محمد صلى الله عليه وسلم على قدر قوسين ، أو أدنى من ذلك ، يعنى : أو أقرب منه ، يقال : هو منه قاب قوسين ، وقِيب قوسين ، وقِيد قوسين ، وقادَ قوسين ، وقَدَى قوسين ، كل ذلك بمعنى : قدر قوسين .

وقيل : إن معنى قوله (فَكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ) أنه كان منه حيث الوتر من القوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قابَ قَوْسَيْنِ) قال : حيث الوتر من القوس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَكانَ قاب قَوْسَيْنِ) قال : قِيدَ قوسين .

وقال ذلك قتادة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ) قال : قِيدَ ، أو قدرَ قوسين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله فكان قاب قوسين أو أدنى : قال : دنا جبريل عليه السلام منه ، حتى كان قدر ذراع أو ذراعين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبى رزين (قابَ قَوْسَيْنِ) قال : ليست بهذه القوس ، ولكن قدر الذراعين أو أدنى ؛ والقاب : هو القِيد .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) فقال بعضهم فى ذلك ، بنحو الذى قلنا فيه .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، قال : ثنا زِرّ

ابن حُبيش ، قال : قال عبد الله فى هذه الآية (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيْتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَناحٍ » .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرىّ ، قال : ثنا خالد عبد الله ، عن الشيبانىّ ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، فى قوله (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) قال : رأى جبرائيل له ستّ مئة جناح فى صورته .

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا قبيصة بن ليث الأسدىّ ، عن الشيبانىّ ، عن زِرّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود (فَكان قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) قال : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستّ مئة جناح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أوّل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى منامه جبريل عليه السلام بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضى حاجته ، فصرخ به جبريل : يامحمد ، يامحمد ؛ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ، فلم ير شيئا ثلاثا ؛ ثم خرج فرآه ، فدخل فى الناس ، ثم خرج ، أو قال : ثم نظر « أنا أشكّ » ، فرآه ، فذلك قوله (وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى ، ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى ، وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى) . . . إلى قوله (فَتَدَلَّى) جبريلُ إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، (فكان قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) يقول : القاب : نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الشيبانىّ ، عن زِرّ بن حُبَيش ، عن ابن مسعود ، (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) قال : له ستّ مئة جناح ، يعنى جبريل عليه السلام .

حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : ثنا أبو أُسامة ، قال : ثنا زكريا ، عن ابن أشوع ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : ماقوله (ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ، فَأوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) فقالت : إنما ذاك جبريلُ ، كان يأتيه فى صورة الرجال ، وإنه أتاه فى هذه المرّة فى صورته ، فسدّ أفق السماء .

وقال آخرون : بل الذى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى : جبريل من ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى) قال : الله من جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : بل كان الذى كان قاب قوسين أو أدنى : محمد من ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيد الحميرىّ ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، عن

بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك ؟ قال : لَمْ أرَهُ بعَيْنِى ، ورأيتُهُ بفُؤَادِى مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ (تَلا ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى) » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثيّ ، عن كثير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عُرِجَ بِى ، مَضَى جِبْرِيلُ حتى جاءَ الجَنَّةَ ، قالَ : فَدَخَلْتُ فأُعْطِيتُ الكَوْثَرَ ، ثُمَّ مَضَى حتى جاءَ السِّدْرَةَ المُنْتَهَى ، فَدَنا رَبُّكَ فَتَدَلَّى ، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ، فأوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى » .

وقوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأوحى الله إلى عبده محمد وحيه ، وجعلوا قوله (ما أوْحَى) بمعنى المصدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، عن عكرمه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) قال : عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه .

وقد يتوجه على هذا التأويل « ما » لوجهين : أحدهما : أن تكون بمعنى « الذى » ، فيكون معنى الكلام فأوحى إلى عبده الذى أوحاه إليه ربه . والآخر : أن تكون بمعنى المصدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام قال : ثنى أبى ، عن قتادة (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى) ، قال الحسن : جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) قال : على لسان جبريل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى) قال : أوحى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فأوحى جبريل إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه ، لأن افتتاح الكلام جرى فى أوّل السورة ، بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جبريل عليه السلام ، وقوله (فأَوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى فِى سِياقِ ذلكَ) ولم يأت ما يدلّ على انصراف الخبر عنهما ، فيوجّه ذلك إلى ما صُرِف إليه .

وقوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) يقول تعالى ذكره : ما كذّب فؤاد محمد محمدا الذى رأى ، ولكنه صدّقه .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الذى رآه فؤاده ، فلم يكذّبه ، فقال بعضهم : الذى رآه فؤاده ربّ العالمين ، وقالوا جعل بصره فى فؤاده ، فرآه بفؤاده ، ولم يره بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنى عمى سعيد بن عبد الرحمن بن سعيد ، عن إسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق السَّبيعى ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى) قال : رآه بقلبه صلى الله عليه وسلم .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبر عباد ، يعنى ابن منصور ، قال : سألت عكرمة ، عن قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : أتريد أن أقول لك قد رآه ، نعم قد رآه ، ثم قد رآه ، ثم قد رآه ، حتى ينقطع النفس .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة ، وسُئل هل رأى محمد ربه ؟ قال نعم ، قد رأى ربه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا سالم مولى معاوية ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا أحمد بن عيسى التميمى ، قال : ثنا سليمان بن عمرو بن سيار ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن زربى ، عن عمرو بن سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأَيْتُ رَبّى فِى أحْسَنِ صورَةٍ ، فَقالَ لى : يا مُحَمَّدُ ، هَلْ تَدْرِى فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟ فَقُلْتُ لا يارَبِّ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَىَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَها بَيْنَ ثَدْيَىَّ ، فَعَلِمْتُ ما فِى السَّماءِ والأَرْضِ فَقُلْتُ : يا رَبِّ فِى الدَّرَجاتِ والكَفَّاراتِ ، وَنَقْلِ الأقْدامِ إلى الجُمُعاتِ ، وَانْتِظارِ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَقُلْتُ : يا رَبِّ إنَّكَ اتَّخَذْتَ إبْراهِيمَ خَلِيلاً ، وكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيما ، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، فَقال : أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟ أَلَمْ أَضَعْ عَنْكَ وِزْرَكَ ؟ أَلَمْ أفْعَلْ بِكَ ؟ أَلَمْ أفْعَلْ ؟ قال : فأَفْضَى إلىَّ بأشْياءَ لَمْ يُؤْذَنْ لى أنْ أحَدِّثَكُمُوها ؛ قال : فَذلكَ قَوْلُهُ فِى كِتابِهِ يُحَدِّثُكُمُوهُ : ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى ، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى ، فأوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى ، ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى ، فَجَعَلَ نُورَ بَصَرِى فِى فُؤَادِى ، فَنَظَرْتُ إلَيْهِ بفُؤَادِى » .

حدثنى محمد بن عمارة وأحمد بن هشام ، قالا : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رآه مرّتين بفؤاده .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلَّة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمدا بالرؤية . صلوات الله عليهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن زياد بن الحصين ، عن أبى العالية عن ابن عباس (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رآه بفؤاده .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عمن سمع ابن عباس يقول (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رأى محمد ربه .

قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع : (ما كَذَبَ الفُؤَادُ) فلم يكذبه (ما رأَى) قال : رأى ربه .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رأى محمد ربه بفؤاده .

وقال آخرون : بل الذى رآه فؤاده فلم يكذّبه جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن بزيع البغدادىّ ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ، عليه حلتا رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجُوزَجانىّ ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « رأيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ ، يَنْفُضُ مِنْ رِيشِهِ التَّهاوِيلَ الدُّرَّ والياقُوتَ » .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، وإبراهيم بن يعقوب ، قالا : ثنا زيد بن الحباب ، أن الحسين بن واقد ، حدثه قال : حدثنى عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ » زاد الرفاعىّ فى حديثه ، فسألت عاصما عن الأجنحة ، فلم يخبرنى ، فسألت أصحابى ، فقالوا : كلّ جناح ما بين المشرق والمغرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) قال : رأى جبريل فى صورته التى هى صورته ، قال : وهو الذى رآه نزلة أُخرى .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة (كَذَبَ) بالتخفيف ، غير عاصم الجَحْدَرىّ وأبى جعفر القارئ والحسن البصرىّ ، فإنهم قرءوه (كذّب) بالتشديد ، بمعنى أن الفؤاد لم يكذّب الذى رأى ، ولكنه جعله حقا وصدقا ، وقد يحتمل أن يكون معناه إذا قرئ كذلك : ما كذّب صاحب الفؤاد ما رأى . وقد بيّنا معنى من قرأ ذلك بالتخفيف .

والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بالتخفيف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، والأخرى غير مدفوعة صحتها لصحة معناها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أفَتُمارُونَهُ) ، فقرأ ذلك عبد الله بن مسعود وعامة أصحابه (أفَتَمْرُونه) بفتح التاء بغير ألف ، وهى قراءة عامة أهل الكوفة ، ووجّهوا تأويله إلى : أفتجْحدونه ؟

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم، أنه كان يقرأ : (أفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء بغير ألف ، يقول : أفتجحدونه ؟ ومن قرأ (أفَتُمارُونَهُ) قال : أفتجادلونه ؟ وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين (أفَتُمارُونَهُ) بضم التاء والألف، بمعنى : أفتجادلونه ؟ .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، وذلك أن المشركين قد جحدوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أراه الله ليلة أُسرى به، وجادلوا فى ذلك ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وتأويل الكلام : أفتجادلون أيها المشركون محمدا على ما يرى مما أراه الله من آياته ؟ .

وقوله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) يقول : لقد رآه مرّة أخرى .

واختلف أهل التأويل فى الذى رأى محمد نزلة أخرى ، نحو اختلافهم فى قوله (ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأَى) .

ذكر بعض ما رُوى فى ذلك من الاختلاف

ذكر من قال فيه رأى جبريل عليه السلام

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفىّ ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، أن عائشة قالت : يا أبا عائشة ، من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ؛ قال : وكنت متكئا ، فجلست ، فقلت : يا أمّ المؤمنين ، أنظرينى ولا تعجلينى ، أرأيتِ قول الله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ)، قالت : إنما هو جبريل، رآه مرّة على خلقه وصورته التى خلق عليها ، ورآه مرّة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض، سادّا عظمُ خلقه ما بين السماء والأرض ، قالت : أنا أوّل من سأل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، قال : « هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وعبد الأعلى ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : كنت عند عائشة ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة رضى الله عنها قالت له : يا أبا عائشة ، من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، والله يقول : (لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ـ وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيا أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) قال : وكنت متكئا فجلست وقلت : يا أم المؤمنين ، انتظرى ولا تعجلى ، ألم يقل الله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ـ وَلَقَدْ رآهُ بالأُفُقِ المُبِينِ) فقالت : أنا أوّل هذه الأمة سألت رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « لَمْ أَرَ جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ إِلاَّ هاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ مُنْهَبِطا مِنَ السَّماءِ سادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : كنت متكئا عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة ، عن ابن مسعود (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى وَبَر رجليه كالدرّ ، مثلُ القَطر على البقل .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة فى قوله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد « (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : رأى جبريل فى صورته مرّتين » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل الحضرمىّ ، عن مجاهد ، قال : « رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى صورته مرّتين » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال جبريل عليه السلام .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر ، قال : ثنى عبد الله ابن الحارث بن نوفل ، عن كعب أنه أخبره أن الله تبارك وتعالى قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، فكلّمه موسى مرّتين ، ورآه محمد مرّتين ، قال : فأتى مسروق عائشة ، فقال : يا أمّ المؤمنين ، هل رأى محمد ربه ، فقالت : سبحان الله ! لقد قفّ شعرى لما قلتَ : أين أنت من ثلاثة من حدّثك بهنّ فقد كذب ، من أخبرك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ، وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ) ومن أخبرك ما فى غد فقد كذب ، ثم تلت آخر سورة لقمان (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ ما فِى الأَرْحامِ ، وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) ومن أخبرك أن محمدا كتم شيئا من الوحى فقد كذب ، ثم قرأت (يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) قالت : ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرّتين .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أُسامة ، قال : ثنى إسماعيل ، عن عامر ، قال : ثنا عبد الله ابن الحارث بن نوفل ، قال : سمعت كعبا ، ثم ذكر نحو حديث عبد الحميد بن بيان ، غير أنه قال فى حديثه فرآه محمد مرّة ، وكلّمه موسى مرّتين .

ذكر من قال فيه : رأى ربه عزّ وجلّ

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سماك بن عكرِمة ، عن ابن عباس أنه قال (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك : أليس (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ، وهُوَ يُدرِكُ الأبْصَارَ) ؟ قال له عكرِمة : أليس ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أفكلها ترى ؟

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال : دنا ربه فتدلّى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ؛ قال : قال ابن عباس قد رآه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه عند سدرة المنتهى ، فعند: مِن صلة قوله (رآهُ) والسدرة : شجرة النبق .

وقيل لها سدرة المنتهى فى قول بعض أهل العلم من أهل التأويل ، لأنه إليها ينتهى علم كلّ عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثنى عن قول الله (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى) فقال كعب : إنها سدرة فى أصل العرش ، إليها ينتهى علم كلّ عالم ، مَلَكٍ مقرّبٍ ، أو نبىٍّ مرسل ، ما خلفها غيب ، لايعلمه إلا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال أخبرنى جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا ، عن سدرة المنتهى وأنا حاضر ، فقال كعب : إنها سدرة على رءوس حَمَلة العرش ، وإليها ينتهى علم الخلائق ، ثم ليس لأحد وراءها علم ، ولذلك سُميت سدرة المنتهى ، لانتهاء العلم إليها .

وقال آخرون : قيل لها سِدْرة المنتهى ، لأنها ينتهى ما يهبط من فوقها ، ويصعد مَن تحتها من أمر الله إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن الزُّبير ، عن عدىّ ، عن طلحة اليامى ، عن مرّة ، عن عبد الله ، قال : « لما أُسرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ، إليها ينتهى مَن يعرُج من الأرض أو من تحتها ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى مايهبط من فوقها ، فيقبض فيها .

حدثنى جعفر بن محمد المروزىّ ، قال : ثنا يَعلَى ، عن الأجلح ، قال : قلت للضحاك : لِم تُسمَّى سدرة المنتهى ؟ قال : لأنه ينتهى إليها كلّ شىء من أمر الله لايعدوها .

وقال آخرون : قيل لها : سِدْرة المنتهى ، لأنه ينتهى إليها كلّ من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنهاجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، (عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَىَ) قال : إليها ينتهى كلّ أحد خلا على سنة أحمد ، فلذلك سميت المنتهى .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرِّياحىّ ، عن أبى هُريرة ، أو غيره « شكّ أبو جعفر الرازىّ » قال : « لما أُسرى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهى إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك » .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن معنى المنتهى الانتهاء ، فكأنه قيل : عند سدرة الانتهاء . وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى : لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها ، كما قال كعب . وجائز أن يكون قيل ذلك لها ، لانتهاء ما يصعد من تحتها ، وينزل من فوقها إليها ، كما رُوى عن عبد الله ؛ وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها . وجائز أن يكون قيل لها ذلك لجميع ذلك ، ولا خبر يقطع العذر ، بأنه قيل ذلك لها لبعض ذلك دون بعض ، فلا قول فيه أصحّ من القول الذى قال ربنا جلّ جلاله ، وهو أنها سدرة المنتهى .

وبالذى قلنا فى أنها شجرة النبق تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم .

ذكر ما فى ذلك من الآثار ، وقول أهل العلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ ، فإذَا نَبْقُها مِثْل الجِرَارِ ، وَإذَا وَرَقُها مِثْلُ آذَانِ الفِيلَةِ ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها ، تَحَوَّلَتْ ياقُوتا وَزُمُرُّدًا وَنَحْوَ ذلكَ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عَدِىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك عن ، مالك بن صعصعة : رجلٍ من قومه ، قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ أتَيْتُ عَلى إبْرَاهِيمَ ، فَقُلْتُ : يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قال : هَذَا أبُوكَ إبْرَاهِيمُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقالَ : مَرْحَبا بالابْنِ الصَّالِحِ ، والنَّبِىِّ الصَّالِحِ ، قال : ثُمَّ رُفِعَتْ لى سِدْرَةُ المُنْتَهَى ، فحدّث نبىّ الله أنّ نبقها مثل قِلال هَجَر ، وأن ورقها مثل آذان الفيلة » .

وحدثنا ابن المثنّى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك عن ملك بن صعصعة : رجل من قومه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا مُعاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج ، قال : ثنا الفضل بن عنبسة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنانيّ ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَكِبْتُ البُرَاقَ ، ثُمَّ ذُهِبَ بِي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، فإذَا وَرَقُها كآذَانِ الفِيلَةِ ، وَإذَا ثَمَرُها كالقِلالِ ؛ قال : فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغَيَّرَتْ ، فَمَا أحَدٌ يَسْتَطِيعُ أنْ يَصِفَها مِنْ حُسْنِها ، قال : فأوْحَى اللهُ إلَيَّ ما أوْحَى » .

حدثنا أحمد بن أبي سريج ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا سليمان بن المُغيرة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَرَجَ بِي المَلَكُ ؛ قال : ثُمَّ انْتَهَيْتُ إلى السِّدْرَةِ وأنا أعْرِفُ أنَّها سِدْرَةٌ ، أعْرِفُ وَرَقَها وَثَمَرَها ؛ قال : فَلَمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ اللهِ ما غَشِيَها تَحَوَّلَتْ ، حتى ما يَسْتَطِيعُ أحَدٌ أنْ يَصِفَها » .

حدثنا محمد بن سِنان القزّاز ، قال : ثنا يونس بن إسماعيل ، قال : ثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، إلا أنه قال : « حتى ما أسْتَطِيعُ أنْ أصِفَها » .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازيّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية الرياحيّ ، عن أبي هريرة أوغيره « شكّ أبوجعفر الرازيّ » ، قال : « لما أُسرِيَ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسلٍ مُصَفّى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لايقطعها ، والورقة منها تغطي الأمة كلها » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل الحضرميّ ، عن الحسن العُرَنيّ ، أراه عن الهذيل بن شرحبيل ، عن ابن مسعود (سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال : من صُبْر الجنة عليها أو عليه فضول السندس والإستبرق ، أو جعل عليها فضول .

وحدثنا به ابن حُميد مرّة أخرى ، عن مهران ، فقال عن الحسن العُرنيّ ، عن الهذيل ، عن ابن مسعود « ولم يشكّ فيه » ، وزاد فيه : قال صُبْر الجنة : يعني وَسَطَها ؛ وقال أيضا : عليها فضول السندس والإستبرق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن الحسن العُرَني ، عن الهذيل بن شرحبيل ، عن عبد الله بن مسعود في قوله (سِدْرَةِ المُنْتَهَى) قال : صُبْر الجنة عليها السندس والإستبرق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر سدرة المنتهى ،

فقال : يَسير فى ظِلّ الْفَنَنِ مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ ، أو قال : يَسْتَظِلُّ فِى الفَنَنِ مِنْها مِئَةُ رَاكِبٍ ، « شكّ يحيى » فيها فَرَاشُ الذَّهَبِ ، كأنّ ثَمَرَها القِلالُ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عند سِدرة المنتهى ، قال : السدرة : شجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها ، وإن ورقة منها غَشَّت الأمة كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « رُفِعَتْ لى سِدْرَةٌ ، مُنْتَهاها فِى السَّماءِ السَّابِعَةِ ، نَبْقُها مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ ، وَوَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيلَةِ ، يَخْرُجُ مِنْ ساقِها نَهْرَانِ ظاهِرانِ ، وَنَهْرانِ باطِنانِ ، قال : قُلْتُ لِجِبْرِيلَ ما هَذَانِ النَّهْرَانِ أَرْوَاحٌ [1] قال : أمَّا النَّهْرَانِ الباطِنانِ ، فَفِى الجَنَّةِ ، وأمَّا النَّهْرَانِ الظَّاهِرَانِ : فالنِّيلُ والفُراتُ » .

وقوله (عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى) يقول تعالى ذكره : عند سدرة المنتهى جنة مأوى الشهداء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى) قال : هى يمين العرش ، وهى منزل الشهداء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية ، عن ابن عباس : (عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى) قال : هو كقوله (فَلَهُمْ جَنَّاتُ المأْوَى ، نُزُلاً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عِنْدَها جَنَّةُ المأْوَى) قال : منازل الشهداء .

وقوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه نزلة أخرى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، فإذ من صلة رآه .

واختلف أهل التأويل فى الذى يغشى السدرة ، فقال بعضهم : غَشِيها فَرَاش الذهب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن الزبير بن عدىّ ، عن طلحة اليامىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها فَرَاش من ذهب .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم أو طلحة « شكّ الأعمش » عن مسروق فى قوله (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها فَرَاش من ذهب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب المصرية (ج ٢٢ : ٥٩ ب) ولعل الكلمة محرفة . أو لعلها زائدة من قلم الناسخ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيتُها بعَيْنِى سِدْرَةَ المُنْتَهَى ، حتى اسْتَشْبَتُّها ، ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (إذ يَغْشَى السِّدْرَةُ ما يَغْشَى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيْتُها حتى اسْتَشْبَتُّها ، ثُمَّ حالَ دُونَها فَرَاشُ الذَّهَبِ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد وإبراهيم ، فى قوله (إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها فراش من ذهب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى ، يعنى ابن عبيدة ، عن يعقوب بن زيد ، قال : « سُئل النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما رأيتَ يغشى السِّدرة ؟ قال : رأيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : قيل له : يا رسول الله ، أىّ شىء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال : رأيْتُها يَغْشاها فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ ، ورأيْتُ على كُلّ وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِها مَلَكا قائما يُسَبِّحُ اللهَ » .

وقال آخرون : الذى غشيها ربّ العزّة وملائكته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها الله ، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا أو زبرجدا ، فرآها محمد ، ورأى محمد بقلبه ربه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع « (إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى) قال : غشيها نور الربّ ، وغشيتها الملائكة من حُبّ الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بنحوه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحىّ ، عن أبى هريرة أو غيره « شكّ أبو جعفر » قال : « لما أُسرى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم انتهى إلى السدرة ، قال : فغشيها نور الخلّاق ، وغشيتها الملائكة أمثالَ الغربان حين يقعن على الشجر ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سَلْ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره: ما مال بصر محمد يَعْدِل يمينا وشمالا عما رأى ، أى ولا جاوز ما أُمِر به فطغا ، يقول : فارتفع عن الحدّ الذى حُدّ له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَما طَغَى) قال : ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى ، ولا جاوز ما أُمر به .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَما طَغَى) قال رأى جبرائيل فى صورة الملَك .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ، عن ابن عباس (ما زَاغَ الْبَصَرُ وَما طَغَى) قال : ما زاغ : ذهب يمينا ولا شمالا ، ولا طغى : ما جاوز .

وقوله (لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) يقول تعالى ذكره: لقد رأى محمد هنالك من أعلام ربه وأدلته ، الأعلامَ والأدلة الكبرى .

⁂ واختلف أهل التأويل فى تلك الآيات الكبرى ، فقال بعضهم : رأى رَفْرفا أخضر قد سدّ الأفق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله (لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قال : رفرفا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله ، فذكر مثله.

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قال : رفرفا أخضر قد سدّ الأفق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الأعمش ، أن ابن مسعود قال : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم رَفرفا أخضر من الجنة قد سدّ الأفق .

وقال آخرون : رأى جبريل فى صورته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ رأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قال : جبريل رآه فى خلقه الذى يكون به فى السموات ، قدر قوسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بينه وبينه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها المشركون اللاّت ، وهى من الله ، ألحقت فيه التاء فأنثت ، كما قيل عمرو للذكر ، وللأنثى عَمْرة ؛ وكما قيل للذكر عباس ، ثم قيل للأنثى عباسة ، فكذلك سَمّى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره ، وتقدّست أسماؤه ، فقالوا من الله اللات ، ومن العزيز العُزَّى ؛ وزعموا أنهنّ بنات الله ، تعالى الله عما يقولون وافتروا ، فقال جلّ ثناؤه لهم : أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بناتُ الله (أَلَكُمُ الذَّكَرُ) يقول : أتختارون لأنفسكم الذكرَ من الأولاد ، وتكرهون لها الأنثى ، (و) تجعلون (لَهُ الْأُنْثَى) التى لاترضونها لأنفسكم ، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله : اللات ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتخفيف التاء ، على المعنى الذى وصفتُ .

وذُكر أن اللات كان بيت بنخلة تعبده قريش . وقال بعضهم : كان بالطائف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والْعُزَّى) أما اللات فكان بالطائف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى) قال : اللات : بيت كان بنخلة ، تعبده قريش .

وقرأ ذلك ابن عباس ومجاهد وأبو صالح (اللاَّتَّ) بتشديد التاء ، وجعلوه صفة للوثن الذى عبدوه ، وقالوا : كان رجلا يَلُتّ السويق للحاجّ ؛ فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

ذكر الخبر بذلك عمن قاله

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والْعُزَّى) قال : كان يَلُتّ السويق للحاج ، فعُكِف على قبره .

قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَّ) قال : اللاَّتّ : كان يلتّ السويق للحاجّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (اللاَّتَّ) قال : كان يَلُتّ السويق فمات ، فعكفوا على قبره .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (اللاَّتَّ) قال : رجل يلتّ للمشركين السويق ، فمات فعكفوا على قبره .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي صالح ، في قوله (اللَّاتَّ) قال : اللَّاتّ : الذي كان يقوم على آلهتهم ، يَلُتّ لهم السويق ، وكان بالطائف .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن أبي الأشهب ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : كان يلتّ السويق للحاجّ .

وأولى القراءتين بالصواب عندنا في ذلك : قراءة من قرأه بتخفيف التاء ، على المعنى الذي وصفت لقارئه كذلك ، لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه .

وأما العُزَّى فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : كانت شجرات يعبدونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (والعُزَّى) قال : العُزَّى : شُجيرات .

وقال آخرون : كانت العُزَّى حَجَرا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : (العُزَّى) : حَجَر أبيض .

وقال آخرون : كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالعُزَّى) قال : العزّى : بيت بالطائف ، تعبده ثقيف .

وقال آخرون : بل كانت ببطن نَخْلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) قال : أما مناةُ فكانت بِقُدَيد ، آلهة كانوا يعبدونها ، يعني : اللات والعُزَّى ومَنَاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) قال : مناة بيت كان بالمشلّل ، يعبده بنو كعب .

واختلف أهل العربية في وجه الوقف على اللات ومنات ، فكان بعض نحويّ البصرة يقول : إذا سكتّ قلت اللاتْ ، وكذلك مناة تقول : مناتْ .

وقال : قال بعضهم : اللاتّ ، فجعله من اللتّ : الذي يَلُتّ ؛ ولغة للعرب يسكتون على ما فيه الهاء بالتاء يقولون : رأيت طَلْحتْ ، وكلّ شيء مكتوب بالهاء ، فإنها تقف عليه بالتاء ، نحو نعمة ربك وشجرة . وكان بعض نحويّ الكوفة يقف على اللات بالهاء (أفَرَأيْتُمُ اللاه) وكان غيره منهم يقول : الاختيار في كل

ما لم يضف أن يكون بالهاء : رحمة من ربى ، وشجرة تخرج ، وما كان مضافا فجائز بالهاء والتاء ، فالتاء للإضافة ، والهاء لأنه يفرد ويوقف عليه دون الثانى ، وهذا القول الثالث أفشى اللغات ، وأكثرها فى العرب ، وإن كان للأخرى وجه معروف . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : اللات والعزّى ومناة الثالثة : أصنام من حجارة ، كانت فى جوف الكعبة يعبدونها .

وقوله (أَلَكُمُ الذَّكَرَ وَلَهُ الأُنْثَى) يقول : أتزعمون أن لكم الذكر الذى تَرْضَونه ، ولله الأنثى التى لا تَرْضونها لأنفسكم (تِلكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) يقول جلّ ثناؤه : قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ، ناقصة غير تامة ، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم ، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه ، والعرب تقول : ضِزْته حقه ، بكسر الضاد ، وضُزته بضمها ، فأنا أضيزه وأضوزه ، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته.

وحُدثت عن مَعْمرِ بن المثنى قال : أنشدنى الأخفش :

فإنْ تَنْأَ عَنَّا نَنْتَقِصْكَ وَإنْ تَغِبْ فَسَهْمُكَ مَضْئُوزٌ وأَنْفُكَ رَاغِمُ[1]

ومن العرب من يقول : ضَيْزى بفتح الضاد وترك الهمز فيها ؛ ومنهم من يقول : ضَأْزَى بالفتح والهمز ، وضُؤزى بالضم والهمز ، ولم يقرأ أحد بشىء من هذه اللغات . وأما الضِّيزى بالكسر فإنها فُعلى بضم الفاء ، وإنما كُسرت الضاد منها كما كُسرت من قولهم : قوم بِيض وعِين ، وهى « فُعْل » لأن واحدها : بيضاء وعيناء ، ليؤلفوا بين الجمع والاثنين والواحد ، وكذلك كرهوا ضمّ الضاد من ضِيزَى ، فتقول : ضُوزَى ، مخافة أن تصير بالواو ، وهى من الياء . وقال الفرّاء : إنما قضيت على أوّلها بالضمّ ، لأن النعوت للمؤنث تأتى إما بفتح ، وإما بضمّ ؛ فالمفتوح : سَكْرَى وعَطْشَى ؛ والمضموم : الأُنثى والحُبلى ؛ فإذا كان اسما ليس بنعت كسر أوّله ، كقوله : (وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ) كسر أوّلها ، لأنها اسم ليس بنعت ، وكذلك الشِّعْرَى ، كسر أوّلها ، لأنها اسم ليس بنعت .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنها ، فقال بعضهم : قِسْمة عَوْجاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تِلكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : عوجاء .

وقال آخرون : قسمة جائرة .

---

(١) رواية البيت فى (اللسان : ضأز) : « وإن تقم » فى مكان « وإن تغب » . قال ابن الأعرابى تقول العرب : قسمة ضؤزى بالضم والهمز ؛ وضوزى ، بالضم بلا همز ؛ وضِئْزى ، بالكسر والهمز ؛ وضيزى ، بالكسر ، وترك الهمز ؛ قال : ومعناها كلها الجور . وفى (اللسان : ضيز) : ضاز فى الحكم : أى جار . وضازه حقه يضيزه ضيزا : نقصه وبخسه ومنعه . وضزت فلانا أضيزه ضيزا : جرت عليه . وضاز يضيز : إذا جار . وقد يهمز فيقال : ضأزه يضأزه ضأزا . وفى التنزيل العزيز : « تلك إذا قسمة ضيزى » ، وقسمة ضيزى وضوزى : أى جائرة . وقد نقل المؤلف كلام الفراء بتمامه فى معانى القرآن (الورقة ٣١٦) ، فنكتفى بالإشارة إليه . ونلخص القرطبى كلام النحويين فى ضيزى تلخيصا حسنا فى (١٧ : ١٠٣) فراجعه ثمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تِلكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) يقول : قسمة جائرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : قسمة جائرة .

حدثنا محمد بن حفص أبو عبيد الوصائى[1] ، قال : ثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن ابن عمرة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (تِلكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : تلك إذًا قسمة جائرة ، لاحقّ فيها .

وقال آخرون : قسمة منقوصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (تِلكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : منقوصة .

وقال آخرون : قسمة مخالفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تِلكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) قال : جعلوا لله تبارك وتعالى بنات ، وجعلوا الملائكة لله بنات ، وعبدوهم ، وقرأ (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ، وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ، وَإِذَا بُشِّرَ) . . . الآية ، وقرأ (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ الْبَنَاتِ) . . . إلى آخر الآية ، وقال : دعوا لله ولدا ، كما دعت اليهود والنصارى ، وقرأ (كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : والضيزى فى كلام العرب : المخالفة ، وقرأ (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)

يقول : تعالى ذكره : ماهذه الأسماء التى سميتموها وهى اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ، إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله ، وآباؤكم من قبلكم ، ما أنزل الله بها ، يعنى بهذه الأسماء ، يقول : لم يبح الله ذلك لكم ، ولا أذن لكم به .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ سُلْطَانٍ) . . إلى آخر الآية .

وقوله (إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) يقول تعالى ذكره : ما يتبع هؤلاء المشركون فى هذه الأسماء التى سموا بها آلهتهم إلا الظنّ بأنّ ما يقولون حقّ ، لا اليقين (وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ) يقول : وهوى أنفسهم ، لأنهم

(١) لم أجده فى الخلاصة ، ولا فى التاج . ولا أعلم إلى أى شىء نسب .

لم يأخذوا ذلك عن وحى جاءهم من الله ، ولا عن رسول لله أخبرهم به ، وإنما هو اختراق من قبل أنفسهم ، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ماهم عليه منه .

وقوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى) يقول : ولقد جاء هؤلاء المشركين بالله من ربهم البيان مما هم منه على غير يقين ، وذلك تسميتهم اللات والعزّى ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها يقول : لقد جاءهم من ربهم الهدى فى ذلك ، والبيان بالوحى الذى أوحيناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، أن عبادتها لاتنبغى ، وأنه لاتصلح العبادة إلا لله الواحد القهار .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى) فما انتفعوا به .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : أم اشتهى محمد صلى الله عليه سلم ما أعطاه الله من هذه الكرامة التى كرّمه بها ، من النبوّة والرسالة ، وأنزل الوحى عليه ، وتمنى ذلك ، فأعطاه إياه ربه ، فلله ما فى الدار الآخرة والأولى ، وهى الدنيا ، يعطى من شاء من خلقه ماشاء ، ويحرم من شاء منهم ماشاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَمْ لِلإنْسانِ ما تَمَنَّى) قال : وإن كان محمد تمنى هذا ، فذلك له .

وقوله (وكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لاتُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئا) يقول تعالى ذكره : وكم من مَلَك فى السموات لاتغنى : كثير من ملائكة الله لاتنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئا ، إلا أن يشفعوا له ، من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى . يقول : ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له ، فتنفعه حينئذ شفاعتهم ، وإنما هذا توبيخ من الله تعالى ذكره ، لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم ، الذين كانوا يقولون (ما نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى) فقال الله جلّ ذكره لهم : ماتنفع شفاعة ملائكتى الذين هم عندى لمن شفعوا له ، إلا من بعد إذنى لهم بالشفاعة له ورضاى ، فكيف بشفاعة من دونهم ، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ

مِنْ عِلْمٍ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٢٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الذين لايصدّقون بالبعث فى الدار الآخرة ، وذلك يوم القيامة ، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث ، وذلك أنهم كانوا يقولون : هم بنات الله .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَسْمِيَةَ الأُنْثَى) قال : الإناث .

وقوله (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) يقول تعالى : وما لهم بما يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى من حقيقة علم (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) يقول : ما يتبعون فى ذلك إلا الظنّ ، يعنى أنهم إنما يقولون ذلك ظنا بغير علم .

وقوله (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا) يقول : وإن الظنّ لاينفع من الحقّ شيئا ، فيقوم مقامه.

وقوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده .

وقوله (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيا) يقول : ولم يطلب ما عند الله فى الدار الآخرة ، ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا ، والتمس البقاء فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : هذا الذى يقوله هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة فى الملائكة ، من تسميتهم إياها تسمية الأنثى (مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ) يقول : ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله ، والشرك به على وجه الظنّ ، بغير يقين علم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيا ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ) قال : يقول ليس لهم علم إلا الذى هم فيه من الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكايدتهم لما جاء من عند الله ، قال : وهؤلاء أهل الشرك .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) يقول تعالى ذكره : إن ربك يامحمد هو أعلم بمن جار عن طريقه فى سابق علمه ، فلا يؤمن ، وذلك الطريق هو الإسلام

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) يقول : وربك أعلم بمن أصاب طريقه فسلكه فى سابق علمه ، وذلك الطريق أيضا الإسلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ، وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ

يقول تعالى ذكره : (وَلِلَّهِ) مُلك (مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) من شىء ، وهو يضلّ من يشاء ، وهو أعلم بهم (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) يقول : ليجزىَ الذين عَصَوه من خلقه ، فأساءوا بمعصيتهم إياه ، فيثيبهم بها النار (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى) يقول : وليجزىَ الذين أطاعوه فأحسنوا بطاعتهم إياه فى الدنيا ، بالحسنى وهى الجنة ، فيثيبهم بها .

وقيل : عُنِى بذلك أهل الشرك والإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى قول الله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) المؤمنون .

وقوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ) يقول : الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التى نهى الله عنها ، وحرمها عليهم فلا يقربونها ، وذلك الشرك بالله ، وما قد بيّناه فى قوله (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) .

وقوله (وَالفَوَاحِشَ) وهى الزنا وما أشبهه ، مما أوجب الله فيه حدّا .

وقوله (إِلاَّ اللَّمَمَ) اختلف أهل التأويل فى معنى « إلا » فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هى بمعنى الاستثناء المنقطع ، وقالوا : معنى الكلام : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، إلا اللمَمَ الذى ألمّوا به من الإثم والفواحش ، فى الجاهلية قبل الإسلام ، فإن الله قد عفا لهم عنه ، فلا يؤاخذهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) يقول : إلا ما قد سلف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : المشركون إنما كانوا بالأمس يعملون معنا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (إِلاَّ اللَّمَمَ) ما كان منهم فى الجاهلية . قال : واللَّمَم : الذى ألموا به من تلك الكبائر والفواحش فى الجاهلية قبل الإسلام ، وغفرها لهم حين أسلموا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عياش ، عن ابن عون ، عن محمد ، قال : سأل رجل زيد بن ثابت ، عن هذه الآية (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) فقال : حرّم الله عليك الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم فى قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) قال : كبائر الشرك ، والفواحش : الزنا ، تركوا ذلك حين دخلوا فى الإسلام ، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به ، وأصابوا من ذلك قبل الإسلام .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب ممن يوجه تأويل « إلا » فى هذا الموضع إلى هذا الوجه الذى ذكرته عن ابن عباس يقول فى تأويل ذلك : لم يؤذن لهم فى اللَّمَم ، وليس هو من الفواحش ، ولا من كبائر الإثم ، وقد يُستثنى الشىء من الشىء ، وليس منه ، على ضمير قد كفّ عنه ، فمجازه ، إلا أن يلمّ بشىء ليس من الفواحش ولا من الكبائر ، قال : الشاعر :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ إِلاَّ اليَعافِيرُ وَإِلاَّ العِيسُ[1]

واليعافير : الظباء ، والعيس : الإبل وليسا من الناس ، فكأنه قال : ليس به أنيس ، غير أن به ظباء وإبلا . وقال بعضهم : اليعفور من الظباء الأحمر ، والأعيس : الأبيض .

وقال بنحو هذا القول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، أن ابن مسعود قال : زنا العينين : النظر ، وزنا الشفتين : التقبيل ، وزنا اليدين : البطش ، وزنا الرجلين : المشى ، ويصدّق ذلك الفرْج و يكذّبه ، فإن تقدّم بفرجه كان زانيا ، وإلا فهو اللمم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وأخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢٣١) قال عند قوله تعالى : « يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » : لم يؤذن لهم فى اللمم ، وليس هو من الفواحش ولا من كبائر الإثم ، وقد يستثنى الشىء من الشىء وليس منه ، على ضمير قد كف عنه ، فمجازه : إلا أن يلم بشىء ، ليس من الفواحش والكبائر ، قال : « وبلد ليس بها أنيس . . . . البيتين » . واليعافير : الظباء ، والعيس : الإبل ، وليسا من الناس ، فكأنه قال : ليس بها أنيس غير أن بها ظباء وإبلا . وقال بعضهم : اليعفور من الظباء : الأحمر ، والأعيس : الأبيض من الظباء . اهـ . وقال العينى فى فرائد القلائد : قاله جران العود النميرى ، واسمه عامر بن الحارث . والشاهد فى « إلا اليعافير » فإنه استثناء من قوله أنيس ، على الإبدال ، مع أنه منقطع ، على لغة بنى تميم ، وأهل الحجاز يوجبون النصب « أى فى الاستثناء المنقطع » . وهو جمع يعفور ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والعيس جمع عيساء ، وهى الإبل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة . اهـ وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٦) قوله « إلا اللمم » : يقول : إلا المتقارب من صغير الذنوب . قال وسمعت من بعض العرب : ألم يفعل ، فى معنى كاد يفعل . وذكر الكلبى بإسناده : أنها النظرة فى غير تعمد ، فهى لمم ، وهى مغفورة ، فإن أعاد النظر فليس بلمم ، هو ذنب . اهـ .

كَتَبَ على ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا أدْرَكَهُ ذلكَ لا مَحالَةَ ، فَزِنا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنا اللِّسانِ المَنْطِقُ ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلكَ أوْ يُكَذِّبُهُ » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق فى قوله (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : إن تقدم كان زنا ، وإن تأخر كان لَمما .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : سألت الشعبىّ عن قول الله (يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : هو ما دون الزنا ، ثم ذكر لنا عن ابن مسعود ، قال : « زنا العينين : مانظرتَ إليه ، وزنا اليد : ما لمستْ ، وزنا الرجل : مامشتْ ، والتحقيق بالفرج » .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ابن عمرو القارىّ ، قال : ثنى عبد الرحمن بن نافع ، الذى يقال له ابن لُبابة الطائفىّ ، قال : سألت أبا هُريرة عن قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : القُبلة ، والغَمزة ، والنَّظْرة ، والمباشرة ، إذا مسّ الختان الختان فقد وجب الغسل ، وهو الزنا .

وقال آخرون : بل ذلك استثناء صحيح ، ومعنى الكلام : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم : إلا أن يلمّ بها ثم يتوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : هو الرجل يلمّ بالفاحشة ثم يتوب . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَ تَغْفِرْ جَمّا وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[1]

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (إلا اللَّمَمَ) قال : الذى يلمّ بالذنب ، ثم يدعه ، وقال الشاعر :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمّا

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبى هُريرة ، أراه رفعه :

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت (اللسان : لمم) قال : والإلمام واللمم : مقاربة الذنب . وقيل : اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب . وفى التنزيل العزيز : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » . وألم الرجل ، من اللمم ، وهو صغار الذنوب . وقال أمية : « إن تغفر اللهم . . . البيتين » . ويقال : هو مقاربة المعصية من غير مواقعة . وقال الأخفش : اللمم : المقارب من الذنوب . وقال ابن برى : الشعر لأمية بن أبى الصلت ، قال : وذكر عبد الرحمن [ابن أخى الأصمعى] عن عمه ، عن يعقوب [ابن السكيت] عن مسلم ابن أبى طرفة الهذلى قال : مر أبو خراش [الهذلى الشاعر] يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول :

لا هم هذا خامس إن تما أتمه الله وقد أتما
إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة من الزنا ، ثم يتوب ولا يعود ، واللَّمة من السرقة ، ثم يتوب ولا يعود ؛ واللَّمة من شرب الخمر ، ثم يتوب ولا يعود ، قال : فتلك الإلمام.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة من الزنا ، أو السرقة ، أو شرب الخمر ، ثم لا يعود .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله : (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللمة من الزنا ، أو السرقة ، أو شرب الخمر ثم لا يعود .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : قد كان أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقولون : هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا ، واللَّمة من شرب الخمر ، فيخفيها فيتوب منها .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (إلاَّ اللَّمَمَ) يلمّ بها فى الحين ، قلت الزنا ، قال : الزنا ثم يتوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر : كان الحسن يقول فى اللَّمم : تكون اللَّمة من بارجل الفاحشة ثم يتوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قال : الزنا ثم يتوب.

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن قتادة ، عن الحسن (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : أن يقع الوقعة ، ثم ينتهى.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عُيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : اللَّمم : الذى تُلِمُّ المرّةَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب ، عن المثنى بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : اللمم : مادون الشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرّة ، عن عبد الله بن القاسم ، فى قوله (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : اللَّمة يلمّ بها من الذنوب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : الرجل يلمّ بالذنب ، ثم ينزع عنه . قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون :

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأىُّ عَبْدٍ لَكَ لاأَلَمَّا

وقال آخرون ممن وجه معنى « إلا » إلى الاستثناء المنقطع : اللمم : هو دون حدّ الدنيا وحدّ الآخرة ، قد تجاوز الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عطاء ، عن ابن الزبير (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : ما بين الحدّين ، حدّ الدنيا ، وعذاب الآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن ابن عباس أنه قال : اللمم : ما دون الحدّين : حدّ الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن الحكم وقتادة ، عن ابن عباس بمثله ، إلا أنه قال : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، قال : قال ابن عباس : اللمم مادون الحدين ، حد الدنيا وحد الآخرة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) قال : كلّ شيء بين الحدّين ، حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة ، تكفّره الصلوات ، وهو اللمم ، وهو دون كل موجب ؛ فأما حدّ الدنيا ، فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا ؛ وأما حدّ الآخرة ، فكلّ شيء ختمه الله بالنار ، وأخّر عقوبته إلى الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله (إلاَّ اللَّمَمَ) يقول : ما بين الحدين ، كل ذنب ليس فيه حدّ في الدنيا ولا عذاب في الآخرة ، فهو اللمم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) واللمم : ما كان بين الحدّين لم يبلغ حدّ الدنيا ولا حدّ الآخرة موجبة ، قد أوجب الله لأهلها النار ، أو فاحشة يقام عليه الحدّ في الدنيا .

وحدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن قتادة ، قال : قال بعضهم : اللمم : ما بين الحدّين : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب ، قالا : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن ابن عباس ، قال : اللمم : ما بين الحدّين : حدّ الدنيا ، وحدّ الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الضحاك (إلاَّ اللَّمَمَ) قال : كلّ شيء بين حدّ الدنيا والآخرة فهو اللمم يغفره الله .

⁂ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال « إلا » بمعنى الاستثناء المنقطع ، ووجّه معنى الكلام إلى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ) بما دون كبائر الإثم ، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فإن ذلك معفوّ لهم عنه ، وذلك عندي نظير قوله جلّ ثناؤه : (إنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ، وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيما) فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر ، العفو عما دونها من السيئات ، وهو اللمم الذي قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « العَيْنانِ تَزْنِيانِ ، وَاليَدَانِ تَزْنِيانِ ، وَالرِّجْلانِ تَزْنِيانِ ، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الفَرْجُ أوْ يُكَذِّبُهُ » ، وذلك أنه لا حد فيما دون ولوج الفرج في الفرج ، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة

العبد عليه ، والله جلّ ثناؤه أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه ، كما رُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم . واللمم فى كلام العرب : المقاربة للشىء ، ذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول : ضربه ما لمَمّ القتل[1] ، يريدون : ضربا مقاربا للقتل . قال : وسمعت من آخر : ألمّ يفعل فى معنى : كاد يفعل .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ، وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ، فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (إنَّ رَبَّكَ) يامحمد (وَاسِعُ المَغْفِرَةِ) : واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم . وإنما أعلم جلّ ثناؤه بقوله هذا عباده ، أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب ، لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إن رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ) قد غفر ذلك لهم .

وقوله (هُوَ أعْلَمُ بِكُمْ إذْ أنشأكُمْ مِنَ الأرْضِ) يقول تعالى ذكره : ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر ، والمحسن منكم من المسىء ، والمطيع من العاصى ، حين ابتدعكم من الأرض ، فأحدثكم منها ، بخلق أبيكم آدم منها ، وحين أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، يقول : وحين أنتم حَمْل لم تولدوا ، منكم وأنفسكم بعدما[2] صرتم رجالا ونساء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (هُوَ أعْلَمُ بِكُمْ إذْ أنْشأكُمْ مِنَ الأرْضِ) قال : كنحو قوله (وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ) .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إذْ أنْشأكُمْ مِنَ الأرْضِ) قال : حين خلق آدم من الأرض ، ثم خلقكم من آدم ، وقرأ (وَإذْ أنْتُمْ أجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ) .

وقد بيّنا فيما مضى قبل معنى الجنين ، ولِمَ قيل له جنين ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَلا تُزَكُّوا أنْفُسَكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصى .

---

(١) هذه العبارة مما رواه الفراء عن العرب ، قال فى معانى القرآن : وسمعت العرب ... الخ ، وماصلته ، يريد ضرباً مقارباً للقتل .

(٢) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة فى الأصل ، وهى غامضة من أول قوله « منكم وأنفسكم ... الخ » . ولعل صوابها : فلا تزكوا أنفسكم بعد ما صرتم رجالا ونساء .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول (فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) يقول : فلا تبرئوها .

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) يقول جلّ ثناؤه : ربك يامحمد أعلم بمن خاف عقوبة الله ، فاجتنب معاصيه من عباده .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : أفرأيت يامحمد الذى أدبر عن الإيمان بالله ، وأعرض عنه وعن دينه ، وأعطى صاحبه قليلا من ماله ، ثم منعه فلم يعطه ، فبخل عليه .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة، من أجل أنه عاتبه بعضُ المشركين ، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه ، فضمن له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله ، ورجع إلى شركه ، أن يتحمل عنه عذاب الآخرة ، ففعل ، فأعطى الذى عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ، ثم بخل عليه، ومنعه تمام ما ضمن له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وأكْدَى) قال الوليد بن المغيرة : أعطى قليلا ثم أكدى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى) . . . إلى قوله (فَهُوَ يَرَى) قال : هذا رجل أسلم ، فلقيه بعض من يُعَيِّره ، فقال : أتركت دين الأشياخ وضَلَّلتهم وزعمت أنهم فى النار ، كان ينبغى لك أن تنصرهم ، فكيف يفعل بآبائك ؟ فقال : إنى خشيت عذاب الله ، فقال : أعطنى شيئا ، وأنا أحمل كلّ عذاب كان عليك عنك ، فأعطاه شيئا ، فقال زدنى ، فتعاسر حتى أعطاه شيئا ، وكتب له كتابا ، وأشهد له ، فذلك قول الله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى) عاسره (أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) نزلت فيه هذه الآية .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أكْدَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان الشيبانى ، عن ثابت ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (أعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى) قال : أعطى قليلا ثم انقطع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أفَرَأيْتَ الَّذِى تَوَلَّى ، وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى) يقول : أعطى قليلا ثم انقطع .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأعْطَى قَلِيلاً وأكْدَى) قال : انقطع فلا يُعْطِى شيئا ، ألم تر إلى البئر يقال لها أكدت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأكْدَى) : انقطع عطاؤه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس وقتادة ، فى قوله (وأكْدَى) قال : أعطى قليلا ، ثم قطع ذلك .

قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن عكرِمة مثل ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأكْدَى) أى بخل ، وانقطع عطاؤه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأكْدَى) يقول : انقطع عطاؤه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأكْدَى) عاسره ، والعرب تقول : حفر فلان فأكدى ، وذلك إذا بلغ الكُدْية ، وهو أن يحفِر الرجل فى السهل ، ثم يستقبله جبل فيُكْدِى ، يقال : قد أكدى كداء ، وكَدِيت أظفاره وأصابعه كَدًى شديدا منقوص : إذا غلظت ، وكَدِيتْ أصابعه : إذا كلت فلم تعمل شيئا ، وكَدَا النبت إذا قلّ رَيْعه ، يهمز ولا يهمز . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : اشتق قوله : أكدى ، من كُدْية الركِيَّة ، وهو أن يحفِر حتى ييأس من الماء ، فيُقال حينئذ بلغنا كُدْيتها .

وقوله (أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يقول تعالى ذكره : أعند هذا الذى ضمن له صاحبه أن يتحمل عنه عذاب الله فى الآخرة علم الغيب ، فهو يرى حقيقة قوله ، ووفائه بما وعده .

وقوله (أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى) يقول تعالى ذكره : أم لم يُخَبَّر هذا المضمون له ، أن يتحمل عنه عذاب الله فى الآخرة ، بالذى فى صحف موسى بن عمران عليه السلام .

وقوله (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) يقول : وإبراهيم الذى وَفَّى من أرسل إليه ما أرسل به .

⁂ ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وفّى ، فقال بعضهم : وفاؤه بما عهد إليه ربه ، من تبليغ رسالاته ، وهو (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَإبْراهيمَ الَّذِي وَفَّى) قال : كانوا قبل إبراهيم يأخذون الولىّ بالولىّ ، حتى كان إبراهيم ، فبلغ (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) لايُؤاخذ أحد بذنب غيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن عكرِمة (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قالوا : بلغ هذه الآيات (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قال : وفَّى طاعة الله ، وبلَّغ رسالات ربه إلى خلقه .

وكان عكرِمة يقول : وَفَّى هؤلاء الآيات العشر (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . . . حتى بلغ (وأنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) وفَّى طاعة الله ورسالاته إلى خلقه .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا أبو بكير ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قال : بلَّغ ما أُمر به .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قال : بلَّغ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قال : وفَّى : بلَّغ رسالات ربه ، بلَّغ ما أُرسل به ، كما يبلِّغ الرجل ما أُرسل به .

وقال آخرون : بل وفَّى بما رأى فى المنام من ذبح ابنه ، وقالوا قوله (أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) من المؤخر الذى معناه التقديم ؛ وقالوا : معنى الكلام : أم لم ينبأ بما فى صحف موسى ، ألاّ تزر وازرة وزر أخرى ، وبما فى صحف إبراهيم الذى وفَّى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) يقول : إبراهيم الذى استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا ، والذى فى صحف موسى (ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن أبى صخر ، عن القُرَظىّ ، وسُئل عن هذه الآية (وَإبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) قال : وفَّى بذبح ابنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبُّوية ، قال : ثنا علىّ بن الحسن ، قال : ثنا خارجة بن مُصْعَبَ ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الإسلام ثلاثون سهما . وما ابتلى بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم ، قال الله (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) فكتب الله له براءة من النار .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى) ما فُرِض عليه .

وقال آخرون : وفّى بما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رُشْدين بن سعد ، قال : ثنى زبان بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمّى اللهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِى وَفَّى ؟ لأنَّهُ كانَ يَقُولُ كُلَّما أصْبَحَ وأمْسَى ، فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، حتى ختم الآية »

وقال آخرون : بل وفّى ربه عمل يومه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزُّبير ، عن القاسم ، عن أبى أُمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ، قال : أتَدْرُونَ ما وفّى ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : وَفَّى عَمِلَ يَوْمِهِ أرْبَعَ رَكَعاتٍ فِى النَّهارِ » .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : وفّى جميع شرائع للإسلام ، وجميع ما أُمر به من الطاعة ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفّى ، فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة ، ولم يخصص بعضا دون بعض .

فإن قال قائل : فإنه خصّ ذلك بقوله وفّى (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) فإن ذلك مما أخبر الله جلّ ثناؤه أنه فى صحف موسى وإبراهيم ، لامما خُصّ به الخبر عن أنه وفّى . وأما التوفية فإنها على العموم ، ولو صحّ الخبران اللذان ذكرناهما أو أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم نَعْدُ القول به إلى غيره ، ولكن فى إسنادهما نظر ، يجب التثبت فيهما من أجله .

وقوله (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) : فأن من قوله (ألاَّ تَزِرُ) على التأويل الذى تأوّلناه فى موضع خفض ، ردّا على « ما » التى فى قوله (أمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَى) يعنى بقوله (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) غيرها ، بل كل آثمة فإنما إثمها عليها .

وقد بيّنا تأويل ذلك باختلاف أهل العلم فيه فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أبو مالك الجَنْبى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك الغفارىّ فى قوله (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وأنْ لَيْسَ لِلإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى) . . . إلى قوله (مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : هذا فى صحف إبراهيم وموسى .

وإنما عُنِى بقوله (ألاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الذى ضَمِن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة ، يقول : ألم يُخْبَرْ قائل هذا القول ، وضامن هذا الضمان ، بالذى فى صحف موسى وإبراهيم مكتوب : أن لاتأثم آثمة إثمَ أخرى غيرها (وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى) يقول جلّ ثناؤه : أوَلم يُنَبأ أنه لايُجازى عامل إلا بعمله ، خيرا كان ذلك أو شرّا .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى) ، وقرأ (إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) قال : أعمالكم .

وذُكر عن ابن عباس أنه قال : هذه الآية منسوخة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْ لَيْسَ للإنْسانِ إلاَّ ما سَعَى) قال : فأنزل الله بعد هذا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وأتْبَعْناهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بإيمَانٍ ، أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ) فأدخل الأبناء بصلاح الآباء الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣)

قوله جلّ ثناؤه (وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) يقول تعالى ذكره : وأن عمل كلّ عامل سوف يراه يوم القيامة ، مَنْ ورد القيامة بالجزاء الذى يُجازى عليه ، خيرا كان أو شرّا ، لايؤاخذْ بعقوبة ذنب غير عامله ، ولا يُثاب على صالح عمله عامل غيره . وإنما عُنِى بذلك : الذى رجع عن إسلامه ، بضمان صاحبه له أن يتحمل عنه العذاب ، أن ضمانه ذلك لاينفعه ، ولا يُغنى عنه يوم القيامة شيئا ، لأن كلّ عامل فبعمله مأخوذ .

وقوله (ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى) يقول تعالى ذكره : ثم يُثاب بسعيه ذلك الثواب الأوفى . وإنما قال جلّ ثناؤه (الأَوْفَى) لأنه أوفى ماوعد خلقه عليه من الجزاء ، والهاء فى قوله (ثُمَّ يُجْزَاهُ) من ذكر السعى ، وعليه عادت .

وقوله (وأنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وأن إلى ربك يا محمد انتهاءَ جميع خلقه ومرجِعَهم ، وهو المجازى جميعَهم بأعمالهم ، صالحهم وطالحهم ، ومحسنهم ومسيئهم .

وقوله (وأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وأبْكَى) يقول تعالى ذكره : وأن ربك هو أضحك أهل الجنة فى الجنة ، بدخولهم إياها ، وأبكى أهل النار فى النار ، بدخولهموها ، وأضحك من شاء من أهل الدنيا ، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : وأنه هو أمات من مات من خلقه ، وهو أحيا من حيي منهم . وعنى بقوله (أحْيا) نفخ الروح فى النطفة الميتة ، فجعلها حية بتصييره الروح فيها .

وقوله (وَأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى ، مِنْ نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى) يقول تعالى ذكره : وأنه ابتدع إنشاء الزوجين الذكر والأنثى ، وجعلهما زوجين ، لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى له زوج ، فهما زوجان ، يكون كلّ واحد منهما زوجا للآخر .

وقوله (مِنْ نُطْفَةٍ إذَا تُمْنَى) ومِنْ : من صلة خلق ؛ يقول تعالى ذكره : خلق ذلك من نطفة إذا أمناه الرجل والمرأة .

وقوله (وأنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى) يقول تعالى ذكره : وأن على ربك يامحمد أن يخلق هذين الزوجين بعد مماتهم ، وبِلاهم فى قبورهم ، الخلق الآخر ، وذلك إعادتهم أحياء خلقا جديدا ، كما كانوا قبل مماتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وأن ربك هو أغنى من أغنى من خلقه بالمال وأقناه ، فجعل له قُنية أصول أموال .

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، قوله (أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى المال وأقنى القُنْية .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (أغْنَى) : أخدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى : مَوَّل ، وأقنى : أخدم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قوله (أغْنَى وأقْنَى) قال : أخدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى وأخدم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أغْنَى وأقْنَى) قال : أعطى وأرضى وأخدم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنه أغنى من المال ، وأقنى : رضى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : فإنه أغنى وأرضى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى : موّل ، وأقنى : رضى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أغْنَى) قال : موّل (وأقْنَى) قال : رضى .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) يقول : أعطاه وأرضاه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثل حديث ابن بشار ، عن عبد الرحمن ، عن سفيان .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنه أغنى نفسه ، وأفقر خلقه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : زعم حضرمىّ أنه ذُكِر له أنه أغنى نفسه ، وأفقر الخلائق إليه .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنه أغنى من شاء من خلقه ، وأفقر من شاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ أغْنَى وأقْنَى) قال : أغنى فأكثر ، وأقنى أقلّ ، وقرأ (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَه) .

وقوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) يقول تعالى ذكره : وأن ربك يامحمد هو ربّ الشِّعْرَى ، يعنى بالشعرى : النجم الذى يسمى هذا الاسم ، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبده من دون الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : هو الكوكب الذى يُدعى الشِّعْرَى .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : الكوكب الذى خَلْف الجوزاء ، كانوا يعبدونه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) قال : كان يُعبد فى الجاهلية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبُّ الشِّعْرَى) قال : مِرْزَم الجوزاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) كان حىّ من العرب يعبدون الشِّعرَى ، هذا النجم الذى رأيتم . قال بشر ، قال : يريد النجم الذى يتبع الجوزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَبُّ الشِّعْرَى) قال : كان ناس فى الجاهلية يعبدون هذا النجم الذى يُقال له الشِّعرَى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) كانت تُعبد فى الجاهلية ، فقال : تعبدون هذه وتتركون ربها ؟ اعبدوا ربها . قال : والشِّعْرَى : النجم الوقّاد الذى يتبع الجوزاء ، يقال له المُرْزِم .

وقوله (وأنَّهُ أهْلَكَ عادًا الأُولى) يعنى تعالى ذكره بعاد الأولى : عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية ، وإياهم عَنَى بقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء البصرة (عادًا لُولى) بترك الهمز ، وجزم النون ، حتى صارت اللام فى الأولى كأنها لام مثقلة ، والعرب تفعل ذلك فى مثل هذا ، حُكى عنها سماعا منهم : «قم لان عنا» ، يريد : قُمِ الآن ، جزموا الميم لما حُرِّكت اللام التى مع الألف فى الآن . وكذلك تقول : صم اثنين ، يريدون : صُمْ الاثنين . وأما عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين ، فإنهم قرءوا ذلك باظهار النون وكسرها ، وهمز الأولى على اختلاف فى ذلك عن الأعمش ، فرَوَى أصحابه عنه غيرَ القاسم بن مَعْن ، موافقة أهل بلده فى ذلك . وأما القاسم بن مَعْن فحُكى عنه عن الأعمش ، أنه وافق فى قراءته ذلك قراءة المدنيين .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ماذكرنا من قراءة الكوفيين ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، وأن قراءة من كان من أهل السليقة فعلى البيان والتفخيم ، وأن الإدغام فى مثل هذا الحرف وترك البيان ، إنما يوسع فيه لمن كان ذلك سجيته وطبعه من أهل البوادى . فأما المولَّدون فإن حكمهم أن يتحرَّوا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها ، وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة .

وإنما قيل لعاد بن إرم : عاد الأولى ، لأن بنى لُقَيم بن هَزّال بن هُزَيل بن عَبيل بن ضِدّ بن عاد الأكبر ، كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه، سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالقة ، ولدِ عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، ولم يكونوا مع قومهم من عاد بأرضهم ، فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم ، وهم عاد الآخرة ، ثم هلكوا بعد .

وكان هلاك عاد الآخرة ببغى بعضهم على بعض ، فتفانَوْا بالقتل فيما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق فيما ذكرنا ، قيل لعاد الأكبر الذي أهلك الله ذرّيته بالريح : عاد الأولى ، لأنها أُهلكت قبل عاد الآخرة . وكان ابن زيد يقول : إنما قيل لعاد الأولى ، لأنها أوّل الأمم هلاكا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَهْلَكَ عادًا الأُولى) قال : يقال : هى من أوّل الأمم .

وقوله (وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى) يقول تعالى ذكره : ولم يبق الله ثمود ، فيتركها على طغيانها وتمرّدها على ربها مقيمة ، ولكنه عاقبها بكفرها وعتوّها ، فأهلكها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء البصرة وبعض الكوفيين (وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى) بالإجراء ، اتباعا للمصحف ، إذ كانت الألف مثبتة فيه ، وقرأه بعض عامة الكوفيين بترك الإجراء . وذُكر أنه فى مصحف عبد الله بغير ألف .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لصحتهما فى الإعراب والمعنى . وقد بيّنا قصة ثمود وسبب هلاكها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ، إنهم كانوا هم أشدّ ظلما لأنفسهم ، وأعظم كفرا بربهم ، وأشدّ طغيانا وتمرّدا على الله ، من الذين أهلكهم مِن بعدُ من الأمم ، وكان طغيانهم الذى وصفهم الله به ، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الأمم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغَى) لم يكن قَبيلٌ من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح ، دعاهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم نوح ألفَ سنة إلا خمسين عاما ، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبىّ الله ، حتى ذُكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه ، فيمشى به ، فيقول : يا بنىّ إن أبى قد مشى بى إلى هذا ، وأنا مثلك يومئذ تتايُعا فى الضلالة ، وتكذيبا بأمر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وأَطْغَى) قال : دعاهم نبىّ الله ألف سنة إلا خمسين عاما .

وقوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) يقول تعالى : والمخسوف بها ، المقلوب أعلاها أسفلها ، وهى قرية سَدُوم قوم لوط ، أهوى الله ، فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم ، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه ، ثم أهواها مقلوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : أهواها جبريل ، قال : رفعها إلى السماء ثم أهواها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى عيسى يحيى بن رافع : (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال قرية لوط حين أهْوَى بها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : قرية لوط .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : هم قوم لوط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : قرية لوط أهواها من السماء ، ثم أتبعها ذاك الصخر ، اقتُلعت من الأرض ، ثم هوى بها فى السماء ثم قُلبت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : المكذّبين أهلكهم الله .

وقوله (فَغَشَّاها ما غَشَّى) يقول تعالى ذكره : فغشّى الله المؤتفكة من الحجارة المنضودة المسوّمة ما غشاها ، فأمطرها إياه من سِجِّيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَغَشَّاها ما غَشَّى) غشاها صخرا منضودا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَغَشَّاها ما غَشَّى) قال : الحجارة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَغَشَّاها ما غَشَّى) قال : الحجارة التى رماهم بها من السماء .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَبِأَىِّ ءَالَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)

يقول : (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعمات ربك يا بن آدم التى أنعمها عليك ، ترتاب وتشكّ وتجادل ؟ والآلاء : جمع ألى . وفى واحدها لغات ثلاثة : إلِىٌّ على مثال عِلِى ، وإلِىٌّ على مثالى على ، وأَلَى على مثال علا[1] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى) يقول : فبأىّ نِعَم الله تتمارى يا بن آدم ؟

وحدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارَى) قال : بأىّ نِعم ربك تتمارَى .

وقوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جلّ ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى ، وهو آخرهم ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه نذير لقومه ، وكانت النُّذُر الذين قبله نُذرا لقومهم ، كما يقال : هذا واحد من بنى آدم ، وواحد من الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : أنذر محمد صلى الله عليه وسلم كما أنذرت الرسل مَن قبله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) إنما بُعِث محمد صلى الله عليه وسلم بما بُعِث الرسل قبله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبى جعفر (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : معنى ذلك غير هذا كله ، وقالوا : معناه هذا الذى أنذرتكم به أيتها القوم ، من الوقائع التى ذكرتُ لكم أنى أوقعتها بالأمم قبلكم ، من النذر التى أُنْذِرتها الأمم قبلكم فى صحف إبراهيم وموسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى مالك (هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى) قال : مما أنذروا به قومهم فى صحف إبراهيم وموسى .

(١) فى (اللسان : الى) الآلاء : النعم . واحدها ألى ، (بفتح الهمزة واللام) وإلى (بكسر فسكون) وإلى (بكسر ففتح) .

وهذا الذى ذكرت عن أبى مالك أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر ذلك فى سياق الآيات التى أخبر عنها أنها فى صحف إبراهيم وموسى نذير من النُّذر الأولى ، التى جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم ، فقوله (هَـٰذَا) بأن تكون إشارة إلى ما تقدمها من الكلام : أولى وأشبه منه بغير ذلك .

وقوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) يقول : دنت الدانية . وإنما يعنى : دنت القيامة القريبة منكم أيها الناس ، يقال منه : أزف رَحيل فلان : إذا دنا وقَرُب ، كما قال نابغة بنى ذُبيان :

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيرَ أنَّ رِكابَنا لَمَّا تَزُلْ بِرِحالِنا وكأنْ قَدِ [1]

وكما قال كعب بن زُهَير :

بانَ الشَّبابُ وأمْسَى الشَّيبُ قَدْ أزِفا وَلا أرَى لشَبابٍ ذاهِبٍ خَلَفَا [2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظَّمه الله ، وحذّره عبادَه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) قال : اقتربت الساعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قالا : قال ابن زيد ، فى قوله (أَزِفَتِ الآزِفَةُ) قال : الساعة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) .

وقوله (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) يقول تعالى ذكره : ليس للآزفة التى قد أزفت ، وهى الساعة التى قد دنت من دون الله كاشف ، يقول : ليس تنكشف فتقوم ، إلا بإقامة الله إياها ، وكشفها دون مَنْ سواه من خلقه ، لأنه لم يُطْلِعْ عليها مَلَكا مقرّبا ، ولا نبيا مرسلا . وقيل : كاشفة ، فأنثت ، وهى بمعنى الانكشاف ؛ كما قيل : (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ؟) بمعنى : فهل ترى لهم من بقاء ؟ وكما قيل : العاقبة ، وما له من ناهية ، وكما قيل (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) بمعنى تكذيب ، (وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ) بمعنى خيانة .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ١٨٣) والرواية فيه « أفد » فى مكان « أزف » وكلاهما بمعنى . قال : أفد : دنا . والركاب : الإبل ، والرجال : واحدها : راحلة . يقول : قرب الترحل ، إلا أن الركاب لم تزل ، وكأنها قد زالت ، لقرب وقت الارتحال . اهـ . وفى (اللسان : أزف) أزف يأزف أزفا وأزوفا : اقترب . وكل شىء اقترب فقد أزف أزفا (كفرح يفرح فرحا) أى دنا وأفد . والآزفة : القيامة : لقربها ، وإن استبعد الناس مداها ، قال الله تعالى : « أزفت الآزفة » يعنى القيامة : أى دنت . اهـ .

(٢) البيت لكعب بن زهير كما قال المؤلف . وبان الشباب : ذهب عنه وتولى . يقول : ليس بعد زوال الشباب ونضرته وقوته خلف منه إلا الشيب والانحلال والكبر ، ثم الموت . فإذا ذهب الشباب فقد ذهب العمر فى الحقيقة . والبيت كالشاهدين قبله ، على أن معنى أزف : دنا واقترب .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ (٦٢) .

يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون ، أنْ نَزَلَ على محمد صلى الله عليه وسلم ، وتضحكون منه استهزاء به ، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصى الله ، وأنتم من أهل معاصيه (وأنْتُمْ سامِدُونَ) يقول : وأنتم لاهون عما فيه من العِبَر والذكر ، معرضون عن آياته ؛ يقال للرجل : دع عنا سُمودَك ، يراد به : دع عنا لهوك ، يقال منه : سَمَدَ فلان يَسْمُدُ سُمُودا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه ، فقال بعضهم : غافلون . وقال بعضهم : مغنون . وقال بعضهم : مُبَرْطِمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قوله (سامِدُونَ) قال : هو الغِناء ، كانوا إذا سمعوا القرآن تَغَنَّوا ولعبوا ، وهى لغة أهل اليمن ، قال اليمانى : آسْمُد .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سامِدونَ) يقول : لاهون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) يقول : لاهون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : هى يمانية اسمد : تَغَنَّ لنا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : هو الغناء ، وهى يمانية ، يقولون : اسمد لنا : تَغَنَّ لنا .

قال : ثنا عبيد الله الأشجعى ، عن سفيان ، عن حكيم بن الديلم ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : كانوا يمرّون على النبىّ صلى الله عليه وسلم شامخين ، ألم تروا إلى الفحل فى الإبل عَطِنا شامخا[1] .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : غافلون .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : كانوا يمرّون على النبىّ صلى الله عليه وسلم غِضابا مُبَرْطِمين . وقال عكرِمة : هو الغناء بالحِمْيَرية .

(١) عطنا أى باركا فى عطنه بعد أن شرب . وشامخا : ناصبا رأسه .

قال : ثنا الأشجعيّ ووكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي البَرْطمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : تنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : البرطمة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : البرطمة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : السامدون : المغَنُّون بالحميرية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان عكرِمة يقول : السامدون يغنون بالحميرية ، ليس فيه ابن عباس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (سامِدُونَ) : أي غافلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (سامِدُونَ) قال غافلون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) السُّمود : اللهو واللعب .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، عن فطر ، عن أبي خالد الوالبيّ ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : رآهم قياما ينتظرون الإمام ، فقال : مالكم سامدون .

حدثني ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عمران بن زائدة بن نشيط ، عن أبيه ، عن أبي خالد قال : خرج علينا عليّ رضي الله عنه ونحن قيام ، فقال : مالي أراكم سامدين .

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن فطر ، عن زائدة ، عن أبي خالد ، بمثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن سعيد ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، في قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : قيام القوم قبل أن يجيء الإمام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن عمران الخياط ، عن إبراهيم في القوم ينتظرون الصلاة قياما ؛ قال : كان يقال : ذاك السُّمود .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن ليث والعرزميّ ، عن مجاهد (وأنْتُمْ سامِدونَ) قال : البَرْطمة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : الغناء باليمانية : اسْمُد لنا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأنْتُمْ سامِدُونَ) قال : السامد : الغافل .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يقوموا إذا أقام المؤذّن للصلاة ، وليس عندهم الإمام ، وكانوا يكرهون أن ينتظروه قياما ، وكان يقال : ذاك السُّمود ، أو من السُّمود .

وقوله (فاسْجُدُوا لِلهِ وَاعْبُدُوا) يقول تعالى ذكره : فاسجدوا لله أيها الناس فى صلاتكم دون مَن سواه من الآلهة والأنداد ، وإياه فاعبدوا دون غيره ، فإنه لاينبغى أن تكون العبادة إلا له ، فأخلصوا له العبادة والسجود ، ولا تجعلوا له شريكا فى عبادتكم إياه .

آخر تفسير سورة والنجم

تفسير سورة اقتربت الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) : دنت الساعة التى تقوم فيها القيامة ، وقوله (اقْتَرَبَتْ) افتعلت من القُرب ، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة ، وقرب فناء الدنيا ، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم ، وهم عنها فى غفلة ساهون .

وقوله (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) يقول جلّ ثناؤه : وانفلق القمر ، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، قبل هجرته إلى المدينة ، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية ، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر آية ، حجة على صدق قوله ، وحقيقة نبوّته ؛ فلما أراهم أعرضوا وكذّبوا ، وقالوا : هذا سحر مستمرّ ، سحرنا محمد ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار ، وقال به أهل التأويل .

ذكر الآثار المروية بذلك ، والأخبار عمن قاله من أهل التأويل

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم « أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرّتين » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث ، عن أنس ، قال : انشقّ القمر فرقتين .

حدثنا ابن المثنى والحسن بن أبى يحيى المقدسى ، قالا : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : سمعت أنسا يقول : « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنى يعقوب الدورقىّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سمعت أنسا يقول : فذكر مثله .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّتين » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة عن أنس بن مالك ، أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، قال : « انشقّ القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنى إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضر بن شميل المازنىّ ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله ، قال : « تفلّق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين ، فكانت فرقة على الجبل ، وفرقة من ورائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن سليمان ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، مثل حديث إبراهيم فى القمر .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنى عمى يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن رجل ، عن عبد الله ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فانشقّ القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن سِماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : « رأيت الجبل من فرج القمر حين انشقّ » .

حدثنا الحسن بن يحيى المقدسى ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن المُغيرة ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش : هذا سحر بن أبى كَبْشة سحركم ، فسلوا السُّفّار ، فسألوهم ، فقالوا : نعم قد رأيناه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : « قد مضى انشقاق القمر »

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : عبد الله « خمس قد مضين : الدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبِّئت أن ابن مسعود كان يقول : قد انشقّ القمر .

قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبى عبد الرحمن السُلَمىّ ، قال : «نزلنا المدائن ، فكنا منها على فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبى ، وحضرت معه ، فخطبنا حُذيفة ، فقال : ألا إن الله يقول (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقّ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المِضْمار وغدا السباق ، فقلت لأبى : أتستبق الناس غدا ؟ فقال : يا بنىّ إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى ، فحضرنا ، فخطب حُذيفة ، فقال : ألا إن الله تبارك وتعالى يقول : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ، وَانْشَقَّ القَمَرُ) ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشقّ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سَبَق إلى الجنة » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبدالرحمن ، قال : « كنت مع أبى بالمدائن ، قال : فخطب أميرهم ، وكان عطاء يروى أنه حُذيفة ، فقال فى هذه الآية : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) قد اقتربت الساعة ، وانشقّ القمر ، قد اقتربت الساعة وانشقّ القمر ، اليوم المِضْمار ، وغدا السباق ، والسابق من سبق إلى الجنة ، والغاية النار ؛ قال : فقلت لأبى : غدا السباق ، قال : فأخبره » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : « انشقّ القمر ، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن الحُصَين بن عبد الرحمن ، عن ابن جُبَير ، عن أبيه (وَانْشَقَّ القَمَرُ) قال : انشقّ ونحن بمكة .

حدثنا محمد بن عسكر ، قال : ثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن عبد الحكم ، قالا : ثنا بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عِرَاك[1] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال : « انشقّ القمر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : « انشقّ القمر قبل الهجرة ، أو قال : قد مضى ذاك » .

حدثنا إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن على ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن على ، عن ابن عباس ، أنه قال فى هذه الآية (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) قال : ذاك قد مضى كان قبل الهجرة ، انشقّ حتى رأوا شِقَّيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) ضبطه فى التاج بوزن كتاب .

قوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) . . . إلى قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قال : قد مضى ، كان قد انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأعرض المشركون وقالوا : سحر مستمرّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) قال : رأوه منشقا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور وليث ، عن مجاهد (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) قال : انفلق القمر فلقتين ، فثبتت فلقة ، وذهبت فلقة من وراء الجبل ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : اشْهَدُوا » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ليث ، عن مجاهد « انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار فرقتين ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ ، فقال المشركون : سحر القمر حتى انشقّ » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، قال : « قدم رجل المدائن فقام فقال : إن الله تبارك وتعالى يقول : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) وإن القمر قد انشقّ ، وقد آذنت الدنيا بفراق ، اليوم المِضْمار ، وغدا السباق ، والسابق : من سبق إلى الجنة ، والغاية النار » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ) يحدث الله فى خلقه ما يشاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : «سأل أهلُ مكة النبىّ صلى الله عليه وسلم آية ، فانشقّ القمر بمكة مرّتين ، فقال (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ)» .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَانْشَقَّ القَمَرُ) قد مضى ، كان الشقّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأعرض عنه المشركون ، وقالوا : سِحْر مستمرّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : مضى انشقاق القمر بمكة .

وقوله (وَإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا) يقول تعالى ذكره : وإن ير المشركون علامة تدلهم على حقيقة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلالة تدلهم على صدقه فيما جاءهم به عن ربهم ، يعرضوا عنها ، فيولوا مكذّبين بها ، مُنكرين أن يكون حقا يقينا ، ويقولوا تكذيبا منهم بها ، وإنكارا لها أن تكون حقا : هذا سحر سَحَرَنا به محمد ، حين خَيَّلَ إلينا أنا نرى القمر منفلقا باثنين بسحره ، وهو سحر مستمرّ ، يعنى يقول : سحر مستمرّ ذاهب ، من قولهم : قد مرّ هذا السحر إذا ذهب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرّ) قال : ذاهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قال : إذا رأى أهل الضلالة آيةً من آيات الله قالوا : إنما هذا عمل السحر ، يوشك هذا أن يستمرّ ويذهب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرّ) يقول : ذاهب .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرّ) كما يقول أهل الشرك إذا كُسف القمر يقولون : هذا عمل السحرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (سِحْرٌ مُسْتَمِرّ) قال : حين انشقّ القمر بفِلقتين : فِلْقة من وراء الجبل ، وذهبت فلقة أخرى ، فقال المشركون حين رأوا ذلك : سحر مستمرّ .

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يوجه قوله (مُسْتَمِرّ) إلى أنه مستفعل من الإمرار من قولهم : قد مرّ الحبل : إذا صَلُب وقوى واشتدّ وأمررته أنا : إذا فتلته فتلا شديدا ، ويقول[1] : معنى قوله (وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) : سحر شديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ (٥)

يقول تعالى ذكره : وكذّب هؤلاء المشركون من قريش بآيات الله ، بعد ما أتتهم حقيقتها ، وعاينوا الدلالة على صحتها برؤيتهم القمر منفلقا فلقتين (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) يقول : وآثروا اتباع ما دعتهم إليه أهواء أنفسهم ، من تكذيب ذلك على التصديق بما قد أيقنوا صحته ، من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما جاءهم به من ربهم .

وقوله (وكُلُّ أمْرٍ مُسْتَقِرّ) يقول تعالى ذكره : وكلّ أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره ، ومتناهٍ نهايته ، فالخير مستقرّ بأهله فى الجنة ، والشرّ مستقرّ بأهله فى النار .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكُلّ أمْرٍ مُسْتَقِرّ) : أى بأهل الخير الخير ، وبأهل الشرّ الشرّ .

(١) فى الأصل : (أو) والظاهر أنه ليس قولا ثانياً فى معنى الآية ، وإنما هو بمعنى الأول .

وقوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) يقول تعالى ذكره : ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا بآيات الله، واتبعوا أهواءهم، من الأخبار عن الأمم السالفة ، الذين كانوا من تكذيب رسل الله على مثل الذى هم عليه ، وأحلّ الله بهم من عقوباته ماقصّ فى هذا القرآن ، ما فيه لهم مزدَجَر ، يعنى : مايردعهم ، ويزجُرُهم عماهم عليه مقيمون، من التكذيب بآيات الله، وهو مُفْتَعَلٌ من الزَّجْر.

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُزْدَجَرٌ) قال : مُنْتَهى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) : أى هذا القرآن .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) قال : المزدَجَر : المنتهى .

وقوله (حِكْمَةٌ بالِغَةٌ) يعنى بالحكمة البالغة : هذا القرآن ، ورُفعت الحكمةُ ردّا على « ما » التى فى قوله (وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الأنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ) .

وتأويل الكلام : ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذى فيه مزدَجَر ، حكمة بالغة . ولو رُفعت الحكمة على الاستئناف كان جائزا ، فيكون معنى الكلام حينئذ : ولقد جاءهم من الأنباء النبأ الذى فيه مزدَجَر ، ذلك حكمة بالغة ، أو هو حكمة بالغة ، فتكون الحكمة كالتفسير لها .

وقوله (فَما تُغْنِ النُّذُرُ) وفى « ما » التى فى قوله (فَما تُغْنِ النُّذُرُ) وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى الجحد، فيكون إذا وجهت إلى ذلك معنى الكلام: فليست تغنى عنهم النذر ، ولاينتفعون بها ، لإعراضهم عنها ، وتكذيبهم بها . والآخر : أن تكون بمعنى : أىّ ، فيكون معنى الكلام إذا وجهت إلى ذلك : فأىّ شىء تُغنى عنهم النُّذر . والنُّذر : جمع نَذِير ، كما الجُدُد : جمع جديد ، والحُصُر : جمع حَصير .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) : فأعرض يامحمد عن هؤلاء المشركين من قومك ، الذين إن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سِحْر مستمرّ، فإنهم يوم يدعو داعى الله إلى موقف القيامة ، وذلك هو الشىء النُّكُر (خُشَّعا أبْصارُهُمْ) يقول : ذليلة أبصارُهم خاشعة ، لاضرر بها (يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ)

وهى جمع جَدَث، وهى القبور، وإنما وصف جلّ ثناؤه بالخشوع الأبصار، دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين فى ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (خُشَّعا أبْصَارُهُمْ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (خاشِعا أبْصَارُهُمْ): أى ذليلة أبصارهم.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (خاشِعا أبْصَارُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين الكوفيين (خُشَّعا) بضم الخاء وتشديد الشين، بمعنى خاشع؛ وقرأه عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين (خاشِعاً أبْصَارُهُمْ) بالألف على التوحيد اعتبارا بقراءة عبد الله، وذلك أن ذلك فى قراءة عبد الله (خاشِعَةً أبْصَارُهُمْ)، وألحقوه وهو بلفظ الاسم فى التوحيد، إذ كان صفة بحكم فَعَلَ ويَفْعَل فى التوحيد إذا تقدّم الأسماء، كما قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ[1]

فوحّد حَسَنا وهو صفة للأوجه، وهى جمع؛ وكما قال الآخر:

يَرْمِى الفِجاجَ بِها الرُّكْبانُ مُعْتَرِضًا أعْناقَ بُزَّلِها مُرْخًى لَها الجُدُلُ[2]

فوحد معترضا، وهى من صفة الأعناق، والجمع والتأنيث فيه جائزان على ما بيّنا.

وقوله (كأنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) يقول تعالى ذكره: يخرجون من قبورهم كأنهم فى انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

وقوله (مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِ) يقول: مسرعين بنظرهم قِبَلَ داعيهم إلى ذلك الموقف. وقد بيّنا معنى الإهطاع بشواهده المغنية عن الإعادة، ونذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الرواية.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عثمان بن يسار، عن تميم بن حَذْلم، قوله: (مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِ) قال: هو التحميج.

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادى، ويروى لأبى دواد الإيادى، (هامش القرطبى ١٧: ١٢٩) والبيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٧) قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث، وهو له، أو قبل جمع مؤنث مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه، وقد أتى بذلك فى هذا الحرف، فقرأه ابن عباس: «خاشعا أبصارهم» حدثنى بذلك هشيم وأبو معاوية، عن وائل بن داود، عن مسلم بن يسار، عن ابن عباس، أنه قرأها «خاشعا». قال: وحدثنى هشيم، عن عوف الأعرابى، عن الحسن وأبى رجاء العطاردى: أن أحدهما قال: «خاشعا» والآخر: «خشعا». قال الفراء: وهى فى قراة عبد الله (ابن مسعود): «خاشعة أبصارهم». وقرأه الناس بعد: «خشعا أبصارهم»، وقد قال الشاعر: «وشباب حسن . . . .» البيت.

(٢) وهذا الشاهد كذلك من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٧) على أنه إذا تقدم الفعل وشبهه قبل اسم مؤنث (جمع تكسير) مثل الأنصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه. وقال الفراء تعليقا على هذا البيت: الجدل: جمع الجديل: وهو الزمام. فلو قال معترضات أو معترضة، لكان صوابا، ومرخاة ومرخيات. اهـ.

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سفيان ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى الضحى (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) قال : التحميج .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ) قال : هكذا أبصارهم شاخصة إلى السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعى) : أى عامدين إلى الداع .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُهْطِعِينَ) يقول : ناظرين .

وقوله (يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) يقول تعالى ذكره : يقول الكافرون بالله يوم يدع الداعى إلى شىء نكُر : هذا يوم عسر . وإنما وصفوه بالعسر لشدة أهواله وبَلْبَاله .

القول فى تأويل قوله تعالى

* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠)

⁂ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره ، وتهديد للمشركين من أهل مكة وسائر من أرْسَلَ إليه رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على تكذيبهم إياه ، وتقدمٌ منه إليهم إن هم لم ينيبوا من تكذيبهم إياه ، أنه مُحِلّ بهم ما أحل بالأمم الذين قصّ قصصهم فى هذه السورة من الهلاك والعذاب ، ومنجّ نبيه محمدا والمؤمنين به ، كما نجّى مَنْ قبله من الرسل وأتباعَهم من نقمه التى أحلّها بأممهم ، فقال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كذّبت يا محمد قبل هؤلاء الذين كذّبوك من قومك ، الذين إذا رأوْا آية أعرضوا وقالوا سحر مستمرّ ، قوم نوح ، فكذّبوا عبدنا نوحا إذ أرسلناه إليهم ، كما كذّبتك قريش إذ أتيتهم بالحقّ من عندنا ، وقالوا : هو مجنون وازدجر ، وهو افْتُعِل من زجرت ، وكذا تفعل العرب بالحرف إذا كان أوّله زايا ، صيروا تاء الافتعال منه دالا من ذلك قولهم : ازدجر من زجرت ، وازدلف من زلفت ، وازديد من زدت .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى زَجَروه ، فقال بعضهم : كان زجرهم إياه أن قالوا : استُطِير جنونا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : استطير جنونا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَازْدُجِرَ) قال : استُطير جنونا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : استعر جنونا .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : وأخبرنى شعبة بن الحجاج ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل كان زجرهم إياه ، وعيدهم له بالشتم والرجم بالقول القبيح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) قال : اتهموه وزجروه وأوعدوه : لئن لم يفعل ليكونن من المرجومين ، وقرأ (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرْجُومِينَ) .

وقوله (فَدَعا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فانْتَصِرْ) يقول تعالى ذكره : فدعا نوح ربه : إن قومى قد غلبونى ، تمرّدا وعتوّا ، ولا طاقة لى بهم ، فانتصِرْ منهم بعقاب من عندك ، على كفرهم بك .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : (فَفَتَحْنا) لما دعانا نوح مستغيثا بنا على قومه (أبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) وهو المندفق ، كما قال امرؤ القيس فى صفة غيث :

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) قال : ينصبّ انصبابا .

وقوله (وَفَجَّرْنا الأرْضَ عُيُونًا) يقول جلّ ثناؤه : وأسَلْنا الأرض عيونَ الماء .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (وَفَجَّرْنا الأرْضَ عَيُونا) قال : فجَّرنا الأرض الماءَ ، وجاء من السماء (فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ) يقول تعالى ذكره : فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه .

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، من مقطوعة فى ثمانية أبيات يصف فيها غيثا : (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ١١٠ – ١١١) قال شارحه : راح : عاد السحاب بالمطر آخر النهار . وتمريه : تستدره ، وأصله من مرى الضرع ، وهو مسحه باليد ليدر ، والسحاب حين تضربه ريح الصبا الباردة ، يتجمع ويتكاثف ، فيسقط مطرا ، ثم جاءت الجنوب عندهم محملة بالأمطار من بحر الهند ، فأضافت إلى هذا السحاب شؤبوبا آخر جنوبيا ، فتضاعف المطر وانهمر انهمارا . اهـ . وموضع الشاهد فى البيت : أن المنهمر فى قوله تعالى « بماء منهمر » معناه : المندفق الشديد الانصباب . اهـ .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ) قال : ماء السماء وماء الأرض . وإنما قيل : فالتقى الماء على أمر قد قُدِر ، والالتقاء لايكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعدا ، لأن الماء قد يكون جمعا وواحدا ، وأريد به فى هذا الموضع : مياه السماء ومياه الأرض، فخرج بلفظ الواحد ، ومعناه الجمع . وقيل : التقى الماء على أمر قد قُدر ،لأن ذلك كان أمرا قد قضاه الله فى اللوح المحفوظ .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، قال : كانت الأقوات قبل الأجساد ، وكان القدَر قبل البلاء ، وتلا (فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وحملنا نوحا إذ التقى الماء على أمر قد قُدر ، على سفينة ذات ألواح ودُسُر . والدسر : جمع دسار ؛ وقد يقال فى واحدها : دسير ، كما يقال : حَبِيك وحِباك ؛ والدِّسار : المسمار الذى تشدّ به السفينة ؛ يقال منه : دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، أخبرنى ابن لَهِيعة ، عن أبى صخر ، عن القُرَظى ، وسُئل عن هذه الآية (وحَمَلْناهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ) قال : الدُّسُر : المسامير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وحَمَلْناهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ) حدثنا أن دُسُرَها : مساميرها التى شُدّت بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ذَاتِ أَلْوَاحٍ) قال : معاريض السفينة ؛ قال : ودُسُر : قال دُسِرت بمسامير .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَدُسُرٍ) قال : الدسر : المسامير التى دُسرت بها السفينة ، ضُربت فيها ، شُدّت بها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَدُسُرٍ) يقول : المسامير .

وقال آخرون : بل الدُّسُر : صَدْر السفينة ، قالوا : وإنما وصف بذلك لأنه يدفع الماء ويدْسُرُه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وحَمَلْناهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ) قال : تدسُر الماء بصدرها ، أو قال : بُجؤْجُؤِها .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول فى قوله (وَدُسُرٍ) جؤجؤها تَدْسُرُ به الماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن أنه قال : تدسر الماء بصدرها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَدُسُرٍ) قال : الدُّسُر : كَلْكَل السفينة .

وقال آخرون : الدسر : عوارض السفينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) قال : ألواح السفينة ودسر عوارضها .

وقال آخرون : الألواح : جانباها ، والدُّسُر : طرفاها .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) أما الألواح فجانبا السفينة . وأما الدُّسُر فطرفاها وأصلاها .

وقال آخرون : بل الدُّسُر : أضلاع السفينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدُسُرٍ) قال : أضلاع السفينة .

وقوله (تَجْرِى بِأَعْيُنِنا) يقول جلّ ثناؤه : تجرى السفينة التى حملنا نوحا فيها بمرأًى منا ومنظر .

وذُكر عن سفيان فى تأويل ذلك ما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (تَجْرِى بِأَعْيُنِنا) يقول : بأمرنا (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) .

اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله فعلنا ذلك ثوابا لمن كان كُفر فيه ، بمعنى : كَفَرَ بالله فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ) قال : كَفَرَ بالله .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ) قال : لمن كان كفر فيه .

ووجه آخرون معنى « مَنْ » إلى معنى « ما » فى هذا المرضع ، وقالوا : معنى الكلام : جزاء لما كان كَفَرَ من أيادى الله ونِعمه ، عند الذين أهلكهم وغرّقهم من قوم نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَزَاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ) قال : لمن كان كفر نعم الله ، وكفر بأياديه وآلائه ورسله وكتبه ، فان ذلك جزاء له .

☆☆ والصواب من القول فى ذلك عندى ماقاله مجاهد ، وهو أن معناه : ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجّرنا الأرض عيونا ، فغرّقنا قوم نوح ، ونجينا نوحا عقابا من الله ، وثوابا للذى جُحِد وكُفِر ، لأن معنى الكفر : الجحود ، والذى جحد ألوهته ووحدانيته قوم نوح ، فقال بعضهم لبعض : (لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعًا ، ولاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْرًا) ، ومن ذهب به إلى هذا التأويل ، كانت من الله ، كأنه قيل : عوقبوا الله ولكفرهم به . ولو وَجَّه مُوَجِّه إلى أنها مراد بها نوح والمؤمنون به كان مذهبا ، فيكون معنى الكلام حينئذ ، فعلنا ذلك جزاء لنوح ولمن كان معه فى الفلك ، كأنه قيل : غرقناهم لنوح ولصنيعهم بنوح ما صنعوا من كفرهم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ تَرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)

☆☆ يقول تعالى ذكره : ولقد تركنا السفينة التى حملنا فيها نوحا ومن كان معه آية ، يعنى عِبْرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ، ليعتبروا ويتعظوا ، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلكم فى الكفر بالله ، وتكذيب رسله ، فيصيبهم مثل ماأصابهم من العقوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَاها آيَةً ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : أبقاها الله بباقَرْدَى من أرض الجزيرة ، عبرة وآية ، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرا ، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رمادا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَقَدْ تَرَكْنَاها آيَةً) قال : ألقى الله سفينة نوح على الجودىّ ، حتى أدركها أوائل هذه الأمة .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن مجاهد ، أن الله حين غرّق الأرض ، جعلت الجبال تشمخ ، فتواضع الجودىّ ، فرفعه الله على الجبال ، وجعل قرار السفينة عليه .

وقوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من ذى تذكر يتذكر ما قد فعلنا بهذه الأمة التى كفرت بربها ، وعصت رسوله نوحا ، وكذّبته فيما أتاهم به عن ربهم من النصيحة ، فيعتبر بهم ، ويحذر أن يَحِلّ به من عذاب الله بكفره بربه ، وتكذيبه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، مثل الذى حَلّ بهم ، فينيب إلى التوبة ، ويراجع الطاعة . وأصل مدّكر : مفتعل من ذكر ، اجتمعت فاء الفعل ، وهى ذال وتاء ، وهى

بعد الذال، فصيرتا دالا مشدّدة، وكذلك تفعل العرب فيما كان أوّله ذالا يتبعها تاء الافتعال، يجعلونهما جميعا دالا مشدّدة، فيقولون: ادّكرت ادّكارا، وإنما هو اذكرت اذتكارا، وفهل من مذتكر، ولكن قيل ادّكرت ومدّكر لما قد وصفت، قد ذُكر عن بعض بنى أسد أنهم يقولون فى ذلك مذّكر، فيقلبون الدال ويعتبرون الدال والتاء ذالا مشددة. وذُكر عن الأسود بن يزيد أنه قال: قلت لعبد الله بن مسعود: فهل من مدّكر، أو مذّكر، فقال: أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (مُذّكر) يعنى بذال مشددة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال: المدّكر: الذى يتذكر، وفى كلام العرب: المدّكر: المتذكر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان (فَهَلْ منْ مُدَّكِرٍ) قال: فهل من مذّكر.

وقوله (فَكَيْفَ كانَ عَذَابِى ونُذُرِ) يقول تعالى ذكره: فكيف كان عذابى لهؤلاء الذين كفروا بربهم من قوم نوح، وكذّبوا رسوله نوحا، إذ تمادوا فى غيهم وضلالهم، وكيف كان إنذارى بما فعلت بهم من العقوبة التى أحللت بهم، بكفرهم بربهم، وتكذيبهم رسوله نوحا، صلوات الله عليه، وهو إنذار لمن كفر من قومه من قريش، وتحذير منه لهم، أن يحلّ بهم على تماديهم فى غيهم، مثل الذى حلّ بقوم نوح من العذاب.

وقوله (وَنُذُرِ) يعنى: وإنذارى، وهو مصدر.

وقوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ) يقول تعالى ذكره: ولقد سهّلنا القرآن، بيّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه.

كما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ) قال: هوّناه.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ) قال: يسّرنا: بيّنا.

وقوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر.

وقد قال بعضهم فى تأويل ذلك: هل من طالب علم أو خير، فيُعان عليه، وذلك قريب المعنى مما قلناه، ولكنا اخترنا العبارة التى عبرناها فى تأويله، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول: فهل من طالب خير يُعان عليه.

حدثنا الحسين بن علىّ الصُّدَائىّ ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنى الحارث بن عبيد الإيادىّ ، قال : سمعت قتادة يقول فى قول الله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : هل من طالب خير يُعان عليه .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة أو أيوب بن سويد أو كلاهما ، عن ابن شَوْذَب ، عن مطر ، فى قوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : هل من طالب علم فيُعان عليه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : كذّبت أيضا عاد نبيهم هودا صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به عن الله ، كالذى كذّبت قوم نوح ، وكالذى كذّبتم معشر قريش نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع رسله ، (فَكَيْفَ كانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول : فانظروا معشر كفرة قريش بالله كيف كان عذابى إياهم ، وعقابى لهم على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله هودا ، وإنذارى بفعلى بهم مافعلت مَن سلك طرائقهم ، وكانوا على مثل ما كانوا عليه من التمادى فى الغىّ والضلالة .

وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا صَرْصَرًا) يقول تعالى ذكره : إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا فى طغيانهم وكفرهم بالله ، ريحا صرصرا ، وهى الشديدة العُصُوف فى بَرْد ، التى لصوتها صَرير ، وهى مأخوذة من شدة صوت هبوبها ، إذا سمع فيها كهيئة قول القائل : صَرّ ، فقيل منه : صَرْصَر ، كما قيل : (فَكُبكِبُوا فِيها) من فكُبُّوا ، وتَهْتَهْت من تَهَهْت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (رِيحا صَرْصَرًا) قال : ريحا باردة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا صَرْصَرًا) والصَّرصر : الباردة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الصَّرصر : الباردة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (رِيحا صَرْصَرًا) باردة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (رِيحا صَرْصَرًا) قال : شديدة ، والصرصر : الباردة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رِيحا صَرْصَرًا) قال : الصرصر : الشديدة .

وقوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) يقول : فى يوم شرّ وشؤم لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : النَّحْس : الشؤم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله فِي (يَوْمِ نَحْسٍ) قال النحس : الشرّ (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) فِي يوم شرّ .

وقد تأوّل ذلك آخرون بمعنى شديد ، ومن تأوّل ذلك كذلك ، فإنه يجعله من صفة اليوم ، ومن جعله من صفة اليوم ، فإنه ينبغى أن يكون قراءته بتنوين اليوم ، وكسر الحاء من النَّحْس ، فيكون (فِي يَوْمِ نَحِسٍ) كما قال جلّ ثناؤه (فِي أيَّامٍ نَحِسَاتٍ) ولا أعلم أحدا قرأ ذلك كذلك فى هذا الموضع ، غير أن الرواية التى ذكرت فى تأويل ذلك عمن ذكرت عنه ، على ماوصفنا ، تدلّ على أن ذلك كان قراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) قال : أيام شداد .

وحُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي يَوْمِ نَحْسٍ) يوم شديد .

وقوله (مُسْتَمِرٍّ) يقول : فى يوم شرّ وشؤم ، استمرّ بهم البلاء والعذاب فيه ، إلى أن وافى بهم جهنم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) يستمرّ بهم إلى نار جهنم .

وقوله (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) يقول : تقتلع الناس ثم ترمى بهم على رءُوسهم ، فتندقّ رقابهم ، وتَبِين من أجسامهم .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة شماليّا ، منهم ستة من أشدّ عاد وأجسمها ، منهم عمرو بن الحُلَىّ ، والحارث بن شداد ، والهِلْقام ، وابناتيقن ، وخَلَجان بن أسعد ، فأدلجوا العيال فى شِعْب بين جبلين ، ثم اصطفُّوا على باب الشِّعب ليردّ واالريح عمن بالشِّعب من العيال ، فجعلت الريح تخفِقُهم رجلا رجلا ، فقالت امرأة من عاد :

ذَهَبَ الدَّهْرُ بِعَمْرِو بْـــنِ حُلَىٍّ والهَنِيَّاتِ
ثُمَّ بالحارِثِ والهِلْـــقامِ طَلاَّعِ الثَّنِيَّاتِ

وَالَّذِى سَـــدَّ عَلَيْنَا الرِّ يحَ أيَّامَ البَلِيَّـــاتِ[1]

حدثنا العباس بن الوليد البيروتىّ ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ثنى إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق قال : لما هبّت الريح قام سبعة من عاد ، فقالوا : نردّ الريح ، فأتوا فم الشعب الذى يأتى منه الريح ، فوقفوا عليه ، فجعلت الريح تهبّ ، فتدخل تحت واحد واحد ، فتقتلعه من الأرض فترمى به على رأسه ، فتندقّ رقبته ، ففعلت ذلك بستة منهم ، وتركتهم كما قال الله (أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) وبقى الخَلَجان ، فأتى هودا فقال : ياهود ما هذا الذى أرى فى السحاب كهيئة البخاتىّ ؟ قال : تلك ملائكة ربى ، قال : مالى إن أسلمت ؟ قال : تَسْلَمَ ، قال : أيُقيدنى ربك إن أسلمت من هؤلاء ؟ فقال : ويْلَك أرأيت مَلَكا يُقَيد من جنوده ؟ فقال : وعزّته لو فعل ما رضيت . قال : ثم مال إلى جانب الجبل ، فأخذ بركن منه فهزّه ، فاهتزّ فى يده ، ثم جعل يقول :

لَمْ يَبْقَ إلاَّ الخَلَجانُ نَفْسُهُ يا لَكَ مِنْ يَوْمٍ دَهانِى أمْسُهُ
بِثابِتِ الوَطْءِ شَدِيدٍ وَطْسُهُ لَوْ لَمْ يَجِئْنِى جِئْتُهُ أحُسُّهُ[2]

قال : ثم هبت الريح فألحقته بأصحابه .

حدثنى محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا محمد بن سيف ، عن الحسن ، قال : لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد ، فأخذ بعضهم بأيدى بعض كما تفعل الأعاجم ، وغمزوا أقدامهم فى الأرض وقالوا : ياهود ، مَنْ يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقا ، فَأرْسَلَ الله عليهم الريح ، فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعِر .

حدثنى محمد بن إبراهيم ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا أشعث بن جابر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة ، قال : إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المِصْراعين من حجارة ، لو اجتمع عليها خمس مئة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يحملوها ، وإن كان الرجل منهم ليغمز قدمه فى الأرض ، فتدخل فى الأرض ، وقال : كأنهم أعجاز نخل ؛ ومعنى الكلام : فيتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فترك ذكر فيتركهم ، استغناء بدلالة الكلام عليه . وقيل : إنما شبههم بأعجاز نخل منقعر ، لأن رءوسهم كانت تَبِين من أجسامهم ، فتذهب لذلك رِقابهم ، وتبقى أجسادهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن هلال بن خبّاب ، عن مجاهد ، فى قوله (كأنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) قال : سقطت رءوسهم كأمثال الأخبية ، وتفرّدت ، أو وتفرّقت أعناقهم « قال أبو جعفر : أنا أشك » ، فشبهها بأعجاز نخل منقعر .

(١) هذه الأبيات لامرأة من عاد قوم هود عليه السلام (هامش القرطبى ١٧ : ١٣٦) . وقد ذكر المؤلف الأبيات فى قصة عاد حينما سلط الله عليهم الريح . والله أعلم بمن قالها ، وبمن رواها . وقوله (علينا) : زيادة لإصلاح الوزن ، وهى ساقطة من الأصل .

(٢) وهذان البيتان من الأشعار التى رواها أهل القصص فى قصة هلاك عاد قوم هود بالريح . وقد أوردها الثعلبى المفسر فى كتابه قصص الأنبياء المشهور بعرائس المجالس ص ٦٤ من طبعة الحلبى . اهـ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَنْزِعُ النَّاسَ كأنَّهُم أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) قال : هم قوم عاد حين صرعتهم الريح ، فكأنهم فلق نخل منقعر (فَكَيْفَ كانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره : فانظروا يامعشر كفار قريش ، كيف كان عذابى قوم عاد ، إذ كفروا بربهم ، وكذّبوا رسوله ، فإن ذلك سنة الله فى أمثالهم ، وكيف كان إنذارى بهم مَن أنذرت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ؟ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد سهلنا القرآن وهوّناه لمن أراد التذكر به والاتعاظ (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من متعظ ومنزجر بآياته .

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت ثمود قوم صالح بنذر الله التى أتتهم من عنده ، فقالوا تكذيبا منهم لصالح رسول ربهم : أبشرا منا نتبعه ، نحن الجماعة الكبيرة ، وهو واحد ؟

وقوله (إنَّا إذًا لَفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ) يقول : قالوا : إنا إذا باتباعنا صالحا إن اتبعناه وهو بشر منا واحد ، لفى ضلال : يعنون : لفى ذهاب عن الصواب ، وأخذ على غير استقامة . وسُعُر : يعنون بالسُّعُر : جمع سَعير .

وكان قتادة يقول : عنى بالسُّعُر : العناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّا إذًا لَفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ) : فى عناء وعذاب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّا إذًا لَفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ) قال : ضلال وعناء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ؟ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مكذّبى رسوله صالح صلى الله عليه وسلم من قومه ثمود : أألقى عليه الذكر من بيننا ؟ يعنون بذلك : أنزل الوحى وخصّ بالنبوّة من بيننا وهو واحد منا ، إنكارا منهم أن يكون الله يُرسل رسولا من بنى آدم .

وقوله (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ) يقول : قالوا : ماذلك كذلك ، بل هو كذّاب أشر ، يعنون بالأشر : المَرِح ذا التجبّر والكبرياء ، والمَرِح من النشاط .

وقد حدثنى الحسن بن محمد بن سعيد القرشىّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن أبى حماد : ما الكذّاب الأشر ؟ قال : الذى لايبالى ما قال ، وبكسر الشين من الأشِر وتخفيف الراء قرأت قرّاء الأمصار . وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرؤه : (كَذَّابٌ أَشُرٌ) بضم الشين ، وتخفيف الراء ، وذلك فى الكلام نظير الحِذر والحَذُر والعَجِل والعَجُل .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ) يقول تعالى ذكره : قال الله لهم : ستعلمون غدا فى القيامة مَنِ الكذّابُ الأشِر مِنكم مَعْشرَ ثمود ، ومن رسولنا صالح ، حين تردون على ربكم ، وهذا التأويل تأويل من قرأه (سَتَعْلَمُونَ) بالتاء ، وهى قراءة عامة أهل الكوفة سوى عاصم والكسائىّ . وأما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء ، وهى قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وعاصم والكسائى ، فإنه قال الله : (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ) وترك من الكلام ذكر قال الله ، استغناء بدلالة الكلام عليه .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما ، وصحتهما فى الإعراب والتأويل .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : إنا باعثو الناقة التى سألتها ثمودُ صالحا ، من الهَضْبة التى سألوه بَعْثَتَها منها ، آية لهم ، وحجة لصالح على حقيقة نبوّته ، وصدق قوله .

وقوله (فِتْنَةً لَهُمْ) يقول : ابتلاء لهم واختبارا ، هل يؤمنون بالله ، ويتبعون صالحا ، ويصدّقونه بما دعاهم إليه ، من توحيد الله إذا أرسل الناقة ، أم يكذّبونه ويكفرون بالله ؟

وقوله (فارْتَقِبْهُمْ) يقول تعالى ذكره لصالح : إنا مُرسلوا الناقة فتنة لهم ، فانتظرهم ، وتبصّر ماهم صانعوه بها (وَاصْطَبِرْ) يقول له : واصطبر على ارتقابهم ولا تعجل ، وانتظر ما يصنعون بناقة الله . وقيل : (وَاصْطَبِرْ) وأصل الطاء تاء ، فجعلت طاء ، وإنما هو افتعِل من الصبر .

وقوله (ونَبِّئْهُمْ أنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ونبئهم : أخبرهم أن الماء قسمة بينهم ، يوم غِبِّ الناقة ، وذلك أنها كانت ترد الماء يوما ، وتَغِبّ يوما ، فقال جلّ ثناؤه لصالح : أخبر قومك من ثمود ، أن الماء يوم غِبِّ الناقة قسمة بينهم ، فكانوا يقتسمون ذلك يوم غِبِّها ، فيشربون منه ذلك اليوم ، ويَتَزَوَّدُونَ فيه منه ليوم ورودها .

وقد وَجَّهَ تأويلَ ذلك قومٌ إلى أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة ، يوما لهم ، ويوما لها ، وأنه إنما قيل بينهم ، والمعنى : ماذكرت عندهم ، لأن العرب إذا أرادت الخبر عن فعل جماعة بنى آدم مختلطا بهم البهائم ، جعلوا الفعل خارجا مخرج فعل جماعة بنى آدم ، لتغليبهم فعل بنى آدم على فعل البهائم .

وقوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) يقول تعالى ذكره : كلّ شرب من ماء يوم غبّ الناقة ، ومن لبن يوم ورودها ، محتضَر يحتضَرونه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) قال : يحضُرون بهم الماء إذا غابت ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) قال : يحضُرون بهم الماء إذا غابت ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

القول في تأويل قوله تعالى

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)

⁂ يقول تعالى ذكره : فنادت ثمود صاحبهم عاقر الناقة قُدارَ بن سالف ، ليعقر الناقة ، حضّا منهم له على ذلك.

وقوله (فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ) يقول : فتناول الناقة بيده ، فعقرها .

وقوله (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول جلّ ثناؤه لقريش : (فكيف كان عذابي) إياهم معشر قريش حين عذّبتهم ، ألم أهلكهم بالرجفة ؟ (ونُذُرِ) : يقول : فكيف كان إنذاري مَنْ أنذرت من الأمم بعدهم ، بما فعلت بهم ، وأحللت بهم من العقوبة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ) قال : تناولها بيده (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) قال : يقال : إنه ولد زنْية ، فهو من التسعة الذين كانوا يُفسدون في الأرض ، ولا يصلحون ، وهم الذين قالوا لصالح (لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ) وَلَنَقْتُلَنَّهُمْ .

وقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً) وقد بيّنا فيما مضى أمر الصيحة ، وكيف أتتهم ، وذكرنا ما رُوي في ذلك من الآثار ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) يقول تعالى ذكره : فكانوا بهلاكهم بالصيحة بعد نضارتهم أحياء ، وحسنهم قبل بوارهم ، كيَبِس الشجر الذي حَظَرْتَه بحظيرٍ حَظَرته بعد حُسن نباته ، وخُضرة ورقه قبل يُبسه .

⁂ وقد اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) فقال بعضهم : عُني بذلك : العظام المحترقة ، وكأنهم وجّهوا معناه إلى أنه مثّل هؤلاء القوم بعد هلاكهم وبَلائهم ، بالشيء الذي أحرقه محرق في حظيرته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصَّلْت ، قال : ثنا أبو كُدينة ، قال : ثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) قال : كالعظام المحترقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) قال : المحترق . ولا بيان عندنا فى هذا الخبر عن ابن عباس ، كيف كانت قراءته ذلك ، إلا أنا وجَّهنا معنى قوله هذا على النحو الذى جاءنا من تأويله قولَه (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) إلى أنه كان يقرأ ذلك كنحو قراءة الأمصار ، وقد يحتمل تأويله ذلك كذلك ، أن يكون قراءته كانت بفتح الظاء من المحتظر ، على أن المحتظر نعت للهشيم ، أضيف إلى نعته ، كما قيل : (إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) وقد ذُكر عن الحسن وقتادة أنهما كانا يقرآن ذلك كذلك ، ويتأوّلانه هذا التأويل الذى ذكرناه عن ابن عباس .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنى أبى ، عن الحسن ، قال : كان قتادة يقرأ (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) يقول : المحترق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَكأنَّهُ كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) يقول : كهشيمٍ مُحْتَرِق .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك التراب الذى يتناثر من الحائط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَير (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) قال : التراب الذى يتناثر من الحائط .

وقال آخرون : بل هو حَظيرة الراعى للغنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق وأسنده ، قال (المُحْتَظِرِ) حظيرة : الراعى للغنم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) المحتظر : الحظيرة تُتَّخَذ للغنم فتيبس ، فتصير كهشيم المحتظر ، قال : هو الشوك الذى تحْظُر به العرب حول مواشيها من السِبَاع ، والهشيم : يابس الشجر الذى فيه شوك ذلك الهشيم .

وقال آخرون : بل عُنِى به هشيم الخيمة ، وهو ما تكسَّر من خشبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن مجاهد ، فى قوله (كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) قال : الرجل يَهْشِم الخيمة .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) الهشيم : الخيمة .

وقال آخرون : بل هو الورق الذى يتناثر من خشب الحطب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كَهَشِيمِ) قال : الهشيم : إذا ضربت الحظيرة بالعصا تهشَّم ذاك الورق فيسقط ، والعرب تسمى كلّ شىء كان رطبا فيبس هشيما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ، كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد هوّنا القرآن : بيّناه للذكر . يقول : لمن أراد أن يتذكر به فيتعظ (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من متّعظ به ومعتبر ، فيعتبر به ، فيرتدع عما يكرهه الله منه .

وقوله (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بالنُّذُرِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت قوم لوط بآيات الله التى أنذرهم وذكرهم بها .

وقوله (إنَّا أرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِبا) يقول تعالى ذكره : إنا أرسلنا عليهم حجارة .

وقوله (إلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ) يقول : غيرَ آل لوط الذين صدّقوه واتبعوه على دينه ، فإنا نجّيناهم من العذاب الذى عذّبنا به قومه الذين كذّبوه ، والحاصب الذى حصبناهم به بسَحَر ، (نِعمَةً مِنْ عِندَنا) : يقول : نعمة أنعمناها على لوط وآله ، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا .

وقوله (كَذَلكَ نَجْزِى مَنْ شَكَرَ) يقول : وكما أثبنا لوطا وآله ، وأنعمنا عليه ، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا ، كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه ، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا ، من جميع خلقنا . وأجرى قوله بسحر ، لأنه نكرة ، وإذا قالوا : فعلت هذا سَحَرَ بغير باء لم يجروه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنذر لوط قومه بطشتنا التى بطشناها قبل ذلك (فَتَمارَوْا بالنُّذُرِ) يقول : فكذّبوا بإنذاره ما أنذرهم من ذلك ، شكّا منهم فيه .

وقوله (فَتَمارَوْا) : تفاعلوا من المِرْية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتَمارَوْا بالنُّذُرِ) لم يصدّقوه ، وقوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) يقول جلّ ثناؤه : ولقد راود لوطا قومُه عن ضيفه الذين نزلوا به ، حين أراد الله إهلاكهم (فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) يقول : فطمسنا على أعينهم ، حتى صيرناها كسائر الوجه ، لا يُرَى لها شِقّ ، فلم يبصروا ضيفه . والعرب تقول : قد طَمَسَتِ الريحُ الأعلام : إذا دفنتها بما تسفى عليها من التراب ، كما قال كعب بن زُهَير :

مِنْ كُلّ نَضّاخَةِ الذِّفْرَى إذَا اعْتَرَقَتْ عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُول (١)

يعنى بقوله (طامِسُ الأعْلامِ) : مندفن الأعلام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) قال : عمّى الله عليهم الملائكة حين دخلوا على لوط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه فى عقوبتهم ليلةَ أتَوا لُوطا ، وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه ، فصفقهم بجناحه ، وتركهم عُميا يتردّدون .

حدثنى يونُس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ) قال : هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه ، طَمَسَ الله أعينهم ، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذى كانوا يعملون ، فقالوا : إنا لا نترك عملنا ، فإياك أن تُنْزِلَ أحدا أو تُضيفه ، أو تَدعه ينزل عليك ، فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا . قال : فلما جاءه المرسلون ، خرجت امرأته الشقية من الشقّ ، فأتتهم فدعتهم ، وقالت لهم : تعالَوا ، فإنه قد جاء قَوْمٌ لم أر قطّ أحسن وجوها منهم ، ولا أحسن ثيابا ، ولا أطيب أرواحا منهم ، قال : فجاءوه يُهرعون إليه ، فقال : إن هؤلاء ضيفى ، فاتقوا الله ولا تخزونى فى ضيفى ، قالوا : أولم ننهك عن العالمين ؟ أليس قد تقدمنا إليك ، وأعذرنا فيما بيننا وبينك ؟ قال : هؤلاء بناتى هنّ أطهرُ لكم ؛ فقال له جبريل عليه السلام : ما يهولك من هؤلاء ؟ قال : أما ترى ما يريدون ؟ فقال : إنا رسل ربك لن يصلُوا إليك ، لا تخَفْ ولا تحزَنْ ، إنا مُنَجُّوك وأهلك إلا امرأتك ، لتصنعنّ هذا

(١) البيت : لكعب بن زهير من لاميته المشهورة « بانت سعاد » التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد شرحناه ثلاث مرات فى (٢ : ٤٠٢ ، ٥ : ١٢٣ ، ٩ : ١٥٧) من هذه الطبعة ، فراجعه فى أحد هذه المواضع ، أو فيها كلها ، لزيادة الفائدة .

الأمر سرّا ، وليكونن فيه بَلاء؛ قال : فنشر جبريل عليه السلام جناحا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم ، فجعلوا يجول بعضهم فى بعض ، فذلك قول الله (فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله: (وَلَقَدْ رَوَادُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) جاءت الملائكة فى صُوَر الرجال ، وكذلك كانت تجىء ، فرآهم قوم لوط حين دخلوا القرية . وقيل : إنهم نزلوا بلوط ، فأقبلوا إليهم يريدونهم ، فتلقّاهم لوط يناشدهم الله أن لا يُخْزوه فى ضيفه ، فأبَوا عليه، وجاءوا ليدخلوا عليه ، فقالت الرسل للوط خَل بينهم وبين الدخول ، فإنا رُسُل ربك ، لن يصلوا إليك ، فدخلوا البيت، وطمس الله على أبصارهم ، فلم يَرَوْهم ؛ وقالوا : قد رأيناهم حين دخلوا البيت ، فأين ذهبوا ؟ فلم يَرَوْهم ورجعوا .

وقوله (فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره : فذوقوا معشر قوم لوط من سَذُوم ، عذابى الذى حلّ بكم ، وإنذارى الذى أنذرت به غيركم من الأمم ، من النكال والمَثُلات .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد صُبِّحَ قَوْمُ لوط بُكْرةً ، ذكر أن ذلك كان عند طلوع الفجر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (بُكْرَةً) قال : عند طلوع الفجر .

وقوله (عَذَابٌ) وذلك قلب الأرض بهم ، وتصيير أعلاها أسفلها بهم ، ثم إتباعهم بحجارة من سجيل منضود .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ) قال : حجارة رُمُوا بها .

وقوله (مُسْتَقِرٌّ) يقول : استقرّ ذلك العذاب فيهم إلى يوم القيامة ، حتى يوافوا عذاب الله الأكبر فى جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) يقول : صبحهم عذاب مستقرّ ، استقرّ بهم إلى نار جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) . . . الآية ، قال : ثم صبحهم بعد هذا ، يعنى بعد أن طمس الله أعينهم ، فهم فى ذلك العذاب إلى يوم

القيامة ، قال : وكلّ قومه كانوا كذلك، ألا تسمع قوله حين يقول : (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) ؟

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مُسْتَقِرّ) : استقرّ .

وقوله (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ) يقول تعالى ذكره لهم : فذوقوا معشر قوم لوط عذابي الذى أحللته بكم ، بكفركم بالله وتكذيبكم رسوله ، وإنذارى بكم الأمم سواكم ، بما أنزلته بكم من العقاب .

وقوله (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول تعالى ذكره : ولقد سهّلنا القرآن للذكر : لمن أراد التذكر به ، فهل من متعظ ومعتبر به ، فينزجر به عما نهاه الله عنه، إلى ما أمره به، وأذن له فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا، فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : ولقد جاء أتباعَ فرعون وقومَه إنذارُنا بالعقوبة، بكفرهم بنا وبرسولنا موسى صلى الله عليه وسلم (كَذَّبُوا بآياتِنا كُلِّها) يقول جلّ ثناؤه كذّب آل فرعون بأدلتنا التى جاءتهم من عندنا ، وحُجَجنا التى أتتهم بأنه لاإله إلاالله وحده كلها (فأخَذْناهُمْ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) يقول تعالى ذكره : فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديد لايُغْلَبُ ، مقتدرٍ على ما يشاء ، غير عاجز ولا ضعيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأخَذْناهُمْ أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) يقول : عزيز فى نقمته إذا انتقم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ؟ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ؟ (٤٤) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لكفار قريش الذين أخبر الله عنهم أنهم (إنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) : أكفاركم معشر قريش خير من أولئكم الذين أحللت بهم نقمتى من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وآل فرعون ، فهم يأمَنون أن ينجُوا من عذابى ونقمى على كفرهم بى ، وتكذيبهم رسولى . يقول : إنما أنتم فى كفركم بالله وتكذيبكم رسوله ، كبعض هذه الأمم التى وصفت لكم أمرهم ، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به ، كالذى نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) : أى ممن مضى .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرِمة (أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) يقول : أكفاركم يامعشر قريش خير من أولئكم الذين مضوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) قال : أكفاركم خير من الكفار الذين عذبناهم على معاصى الله ، أهؤلاء الكفار خير من أولئك ، وقال (أكَفَّارُكُم خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) استنفاها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ، أمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ؟) يقول : ليس كفاركم خيرا من قوم نوح وقوم لوط .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (أكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) قال : كفار هذه الأمة .

وقوله (أمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ) يقول جلّ ثناؤه : أم لكم براءة من عقاب الله مَعْشَرَ قريش ، أن يصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحى من الله فى الزُّبُر ، وهى الكتب .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا أبو عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الزُّبُرِ) يقول : الكتب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ) : فى كتاب الله براءة مما تخافون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة (أمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِى الزُّبُرِ) : يعنى فى الكتب .

وقوله (أمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) يقول تعالى ذكره : أيقول هؤلاء الكفار من قريش : نحن جميع منتصر ممن قصدنا بسوء ومكروه ، وأراد حربنا وتفريق جمعنا ، فقال الله جلّ ثناؤه : (سيهزم الجمع) يعنى جمع كفار قريش (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) يقول : ويولون أدبارهم المؤمنين بالله ، عند انهزامهم عنه . وقيل : الدبر فوحَّد ، والمراد به الجمع ، كما يقال : شربنا منهم الرأس : أى ضربنا منهم الرءوس ، إذ كان الواحد يؤدى عن معنى جمعه ، ثم إن الله تعالى ذكره صدّق وعده المؤمنين به فهزم المشركين به من قريش يوم بدر وولوهم الدُّبر .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب قال : لاأعلمه إلا عن عكرِمة أن عمر قال : لما نزلت (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ) جعلت أقول : أىّ جمع يهزم ؟ فلما كان يومُ بدْر رأيت النبىّ صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول : (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : يوم بدر .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ) يعنى جمعَ بدر (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ) . . . الآية « ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هُزِمُوا ، وَوَلَّوُا الدُّبُرَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : هذا يوم بدر .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يثب فى الدرع ويقول : هُزِمَ الجَمْعُ ، وَوَلَّوُا الدُّبُرَ » .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) قال : كان ذلك يوم بدر . قال : قالوا نحن جميع منتصر ، قال : فنزلت هذه الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ، ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون من أنهم لا يبعثون بعد مماتهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) للبعث والعقاب (وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ) عليهم من الهزيمة التى يهزمونها ، عند التقائهم مع المؤمنين ببدر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عمرو بن مرّة ، عن شهر بن حوشب ، قال : إن هذه الآية نزلت بهلاك (إِنَّمَا مَوْعِدُهُمُ السَّاعَةُ) ثم قرأ (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ) . . . إلى قوله (والسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ) .

وقول (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فى ضَلَٰلٍ وسُعُرٍ) يقول تعالى ذكره : إن المجرمين فى ذهاب عن الحق ، وأخذ على غير هدى (وَسُعُرٍ) يقول : فى احتراق من شدّة العناء والنَّصَب فى الباطل .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله فى (ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) قال : فى عناء .

وقوله (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ على وجُوهِهِمْ) يقول تعالى ذكره : يوم يُسحبُ هؤلاء المجرمون فى النار على وجوههم . وقد تأوّل بعضهم قوله (فِى النَّارِ على وجُوهِهِمْ) إلى النار . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَوْمَ يُسْحَبُونَ إلى النَّارِ على وُجُوهِهِمْ) .

وقوله (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) يقول تعالى ذكره : يوم يُسحبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم : ذوقوا مَسَّ سقَر ، وترك ذكر « يقال لهم » استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره .

فإن قال قائل : وكيف يُذاق مَسُّ سقر ، أوَله طعم فيُذاق ؟ فإن ذلك مختلف فيه ؛ فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام ، كما يقال : كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز ؟ وقال آخر : ذلك كما يقال : وجدتُ مسّ الحمى يُراد به أوّل ما نالنى منها ، وكذلك وجدت طعم عفوك . وأما سَقَرُ فإنها اسم باب من أبواب جهنم [1] وترك إجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة .

وقوله (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بقَدَرٍ) يقول تعالى ذكره : إنا خلقنا كل شىء بمقدار قدّرناه وقضيناه ، وفى هذا بيان ، أن الله جلّ ثناؤه ، توعّد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم فى القدر مع كفرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا هشام بن سعد ، عن أبى ثابت ، عن إبراهيم بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنه كان يقول : إنى أجد فى كتاب الله قوما يُسحَبون فى النار على وجوههم ، يقال لهم : (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) لأنهم كانوا يكذّبون بالقَدَر ، وإنى لأراهم ، فلا أدرى أشىء كان قبلنا ، أم شىء فيما بقى ؟ .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السَّهْمِىّ ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن أبى هريرة أن مشركى قريش خاصمت النبىّ صلى الله عليه وسلم فى القَدَر ، فأنزل الله (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بقَدَرٍ) .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى وأبو كُرَيب ، قالوا : ثنا وكيع بن الجرّاح ، قال : ثنا سفيان ، عن زياد ابن إسماعيل السَّهمىّ ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، قال : « جاء مشركو قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القَدَر ، فنزلت (إن المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السهمى ، عن محمد بن عباد ابن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، قال : « لما نزلت هذه الآية (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بقَدَرٍ) قال رجل : يارسول الله ففيم العمل ؟ أفى شىء نستأنفه ، أو فى شىء قد فرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرَى » .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : سمعت محمد بن

(١) الذى فى كتب اللغة : أنها اسم لجهنم .

كعب القُرَظِيّ يقول : لما تكلم الناس فى القَدَر نظرت ، فإذا هذه الآية أنزلت فيهم (إنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) . . . إلى قوله (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ويزيد بن هارون ، قالا : ثنا سفيان ، عن سالم ، عن محمد ابن كعب ، قال : مانزلت هذه الآية إلا تعييرا لأهل القَدَر (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ، إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن محمد بن كعب القُرَظى (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) قال : نزلت تعييرا لأهل القَدَر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زياد بن إسماعيل السَّهمى ، عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومىّ ، عن أبى هريرة ، قال : « جاء مشركو قريش إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر ، فنزلت : (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) » .

قال : ثنا مهران ، عن حازم ، عن أُسامة ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال : خلق الله الخلق كلهم بقدر ، وخلق لهم الخير والشرّ بقدر ، فخير الخير السعادة ، وشرّ الشرّ الشقاء ، بئس الشرّ الشقاء .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) فقال بعض نحويّى البصرة : نصب كلّ شىء فى لغة من قال : عبدَ الله ضربتُه ؛ قال : وهى فى كلام العرب كثير . قال : وقد رفعت كلّ فى لغة من رفع ، ورفعت على وجه آخر ، قال (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) فجعل خلقناه من صفة الشىء ؛ وقال غيره : إنما نصب كلّ لأن قوله خلقناه ، فعل لقوله « إنا » ، وهو أولى بالتقديم إليه من المفعول ، فلذلك اختير النصب ، وليس قيلُ عبد الله فى قوله : عبدَ الله ضربتُه شىء هو أولى بالفعل ، وكذلك إنَّا طعامَك أكلناه : الاختيارُ النصب ، لأنك تريد : إنا أكلنا طعامك ، الأكلُ أولى بأنا من الطعام . قال : وأما قول من قال : خلقناه وصف للشىء فبعيد ، لأن المعنى : إنا خلقناه كلّ شىء بقدر ، وهذا القول الثانى أولى بالصواب عندى من الأوّل ، للعلل التى ذكرت لصاحبها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ؟ (٥١) وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : وما أمرنا للشىء إذا أمرناه وأردنا أن نكوّنه إلا قولة واحدة : كن فيكون ، لامراجعة فيها ولا مُرادّة (كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ) يقول جلّ ثناؤه : فيوجد ما أمرناه وقلنا له : كن كسرعة اللمح بالبصر

لايُبطئُ ولا يتأخر ، يقول تعالى ذكره لمشركى قريش الذين كذّبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : ولقد أهلكنا أشياعكم مَعْشَرَ قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية ، على مثل الذى أنتم عليه من الكفر بالله ، وتكذيب رسله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول : فهل من مُتَّعظ بذلك ، منزجر ينزجر به .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) قال : أشياعكم من أهل الكفر من الأمم الماضية ، يقول : فهل من أحد يتذكر .

وقوله (وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) يقول تعالى ذكره : وكل شىء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفّار قريش فى الزُّبر ، يعنى فى الكتب التى كتبتْها الحفظة عليهم . وقد يحتمل أن يكون مرادا به فى أمّ الكتاب .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي الزُّبُرِ) قال : الكُتب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) قال : فى الكتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥) .

يقول تعالى ذكره : (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ) من الأشياء (مُسْتَطَرٌ) يقول : مُثْبَت فى الكتاب مكتوب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) يقول : مكتوب ، فإذا أراد الله أن ينزل كتابا نَسَخَتْه السَّفَرة .

قوله (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) قال : مكتوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن عمران بن حُدَير ، عن عكرمة ، قال : مكتوب فى كلّ سطر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُسْتَطَرٌ) قال : محفوظ مكتوب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) : أى محفوظ .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (مُسْتَطَرٌ) قال : مكتوب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) قال : مكتوب ، وقرأ (وما مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلاَّ على اللهِ رِزْقُها ، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدَعَها ، كُلٌّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ) ، وقرأ (وَما مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ، ما فَرَّطْنا فِى الكِتابِ مِنْ شَىْءٍ) إنما هو مفتعل من سَطَرْت : إذا كتبت سطرا .

وقوله (إنَّ المُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا عقاب الله بطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى بساتين يوم القيامة ، وأنهار ، ووحد النهر فى اللفظ ، ومعناه الجمع ، كما وحد الدُّبر ، ومعناه الأدبار فى قوله (يُوَلُّونَ الدُّبُرَ) . وقد قيل : إن معنى ذلك : إن المتقين فى سعة يوم القيامة وضياء ، فوجَّهوا معنى قوله (وَنَهَرٍ) إلى معنى النهار . وزعم الفرّاء أنه سمع بعض العرب ينشد :

إنْ تَكُ لَيْلِيًّا فإنّى نَهِرْ مَتَى أَتَى الصُّبْحُ فَلا أَنْتَظِرْ[1]

وقوله « نهر » على هذا التأويل مصدر من قولهم : نهرت أنهر نهرا . وعنى بقوله : « فإنى نهر » : أى إنى لصاحب نهار : أى لست بصاحب ليلة .

وقوله (فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ) يقول : فى مجلس حقّ لالغو فيه ولا تأثيم (عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) : يقول : عند ذى مُلك ، مقتدر على ما يشاء ، وهو الله ذوالقوّة المتين ، تبارك وتعالى .

آخر تفسير سورة اقتربت الساعة

---

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣١٩) عند قوله تعالى : « إن المتقين فى جنات ونهر » قال : فى ضياء وسعة . وسمعت بعض العرب ينشد : « إن تك ليليا . . . . البيت » اهـ . وفى (اللسان : نهر) : ورجل نهر : صاحب نهار ، على النسب ، كما قالوا : عمل وطعم ، قال : * لست بليلى ولكنى نهر * . قال سيبويه : قوله : « بليلى » يدل أن نهرا على النسب ، حتى كأنه قال : « نهارى » . ورجل نهر : أى صاحب نهار ، يغير فيه . قال الأزهرى . وسمعت العرب تنشد : « إن تك ليليا . . . بيت الشاهد » . قال : ومعنى نهر : أى صاحب نهار ، لست بصاحب ليل . وهذا الرجز أورده الجوهرى : * إن كنت ليليا فإنى نهر * قال ابن برى : البيت مغير . قال : وصوابه :

لَسْتُ بِلَيْلِىٍّ وَلَكِنِّى نَهِرْ لا أَدْلُجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكِرْ

تفسير سورة الرحمن عز ذكره

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : الرحمن أيها الناس ، برحمته إياكم علمكم القرآن ، فأنعم بذلك عليكم ، إذ بصّركم به ما فيه رضا ربكم ، وعرّفكم ما فيه سخطه ، لتطيعوه باتباعكم مايرضيه عنكم ، وعملكم بما أمركم به ، وبتجنبكم ما يُسخطه عليكم ، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه ، وتنجوا من أليم عقابه .

وروى عن قتادة فى ذلك ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان العَقَيلى ، قال : ثنا أبو العوام العِجْلىّ ، عن قتادة ، أنه قال فى تفسير (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآن) قال : نعمة والله عظيمة .

وقوله (خَلَقَ الإنْسانَ) يقول تعالى ذكره : خلق آدم ، وهو الإنسان فى قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (خَلَقَ الإنْسانَ) قال : الإنسان : آدم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَلَقَ الإنْسانَ) قال : الإنسان : آدم صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك الناس جميعا ، وإنما وحد فى اللفظ لأدائه عن جنسه ، كما قيل : إن الإنسان لفى خُسر ، والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب ، لاحتمال ظاهر الكلام إياهما .

وقوله (عَلَّمَهُ البَيانَ) يقول تعالى ذكره : علّم الإنسان البيان .

⁂ ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالبيان فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِي به بيان الحلال والحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلَّمَهُ البَيانَ) : علمه الله بيان الدنيا والآخرة ، بيّن حلاله وحرامه ، ليحتجّ بذلك على خلقه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة (عَلَّمَهُ البَيانَ) : الدنيا والآخرة ، ليحتجّ بذلك عليه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة ، فى قوله (عَلَّمَهُ البَيَانَ) قال : تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ ، وما يأتى ، وما يدع .

وقال آخرون : عُنِى به الكلام : أى أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَّمَهُ البَيَانَ) قال : البيان : الكلام .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معنى ذلك : أن الله علّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودُنياه ، من الحلال والحرام ، والمعايش والمنطق ، وغير ذلك ، مما به الحاجة إليه ، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك ، أنه علّمه من البيان بعضا دون بعض ، بل عمّ فقال : علّمه البيان ، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه .

وقوله (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : الشمس والقمر بحسبان ، ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنا الفِرْيابى ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب ومنازل يُرْسَلان .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يجريان بعدد وحساب .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب ومنازل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) : أى بحساب وأجل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يجريان فى حساب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : يُحْسَب بهما الدهر والزمان ؛ لولا الليل والنهار والشمس والقمر ، لم يدرِك أحد كيف يحسب شيئا ؟ لو كان الدهر ليلا كله كيف يُحْسَب ، أو نهارا كله كيف يُحْسَب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) قال : بحساب وأجل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهما يجريان بقَدَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن أبى الصهباء ، عن الضحاك ، فى قوله : (الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ) قال : بقَدَر يجريان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهما يدوران فى مثل قطب الرحا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خَلَف العَسْقلانىّ ، قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو يحيى عن مجاهد ؛ قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِحُسْبانٍ) قال : كحُسْبان الرحا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (بِحُسْبانٍ) قال : كحُسْبان الرحا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل ، لأن الحُسْبان مصدر من قول القائل : حَسَبْته حسابا وحُسْبانا ، مثل قولهم : كُفرته كفرانا ، وغُفْرته غُفْرانا . وقد قيل : إنه جمع حساب ، كما الشُّهبان : جمع شِهاب .

واختلف أهل العربية فيما رُفِع به الشمس والقمر ، فقال بعضهم : رفعا بحُسبان : أى بحساب ، وأضمر الخبر ، وقال : وأظنّ والله أعلم ، أنه قال : يجريان بحساب . وقال بعض من أنكر هذا القول منهم : هذا غلط ، بحسبان يُرَافع الشمس والقمر : أى هما بحساب ، قال : والبيان يأتى على هذا : علَّمه البيان أن الشمس والقمر بحُسبان ؛ قال : فلا يُحذف الفعل ويُضمر إلا شاذّا فى الكلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ (٩)

⁂ اختلف أهل التأويل فى معنى النجْم فى هذا الموضع مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق ، فقال بعضهم : عُنِى بالنجم فى هذا الموضع من النبات : ما نجم من الأرض ، مما يَنْبَسط عليها ، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (والنَّجْمُ) قال النجم : ما يُبَسط على الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والنَّجْمُ) قال : النجم : كلّ شىء ذهب مع الأرض فَرْشا ، قال : والعرب تسمى الثِّيل نجما .

حدثني محمد بن خلف العسقلانيّ ، قال : ثنا رَوّاد بن الجرّاح ، عن شريك ، عن السدىّ (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) قال : النجم : نبات الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والنَّجْمُ) قال : النجم : الذى ليس له ساق .

وقال آخرون : عُنِي بالنجم فى هذا الموضع : نجم السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (والنَّجْمُ) قال : نجم السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والنَّجْمُ) يعنى : نجم السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَوْر ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : إنما يريد النجم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، نحوه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِي بالنجم : ما نجم من الأرض من نبت ، لعطف الشجر عليه ، فكان بأن يكون معناه لذلك : ما قام على ساق وما لايقوم على ساق يسجدان لله ، بمعنى : أنه تسجد له الأشياء كلها ، المختلفة الهيئات من خلقه ، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره . وأما قوله (والشَّجَرُ) : فإن الشجر ما قد وصفت صفته قبل .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : الشجر : كل شىء قام على ساق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والشَّجَرُ) قال : الشجر : كلّ شىء قام على ساق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (والشَّجَرُ) قال : الشجر : شجر الأرض .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قال : الشجر الذي له سُوْق .

وأما قوله (يَسْجُدانِ) فإنه عُنِي به سجود ظلهما ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ طَوْعا وكَرْها وَظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ) .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا تميم بن عبد المؤمن ، عن زبرقان ، عن أبي رَزين وسعيد (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) قالا : ظلهما سجودهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال ثنا أبو العوام ، عن قتادة (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) ما نَزَّل من السماء شيئا من خلقه ، إلا عَبَّده له طوعا وكرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) قال : يسجد بكرة وعشيا . وقيل (والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) فثنى وهو خبر عن جمعين .

وقد زعم الفراء أن العرب إذا جمعت الجمعين من غير الناس ، مثل السدر والنخل ، جعلوا فعلهما واحدا ، فيقولون الشاء والنعم قد أقبل ، والنخل والسِّدر قد ارتوى ، قال : وهذا أكثر كلامهم ، وتثنيته جائزة .

وقوله (والسَّمَاءَ رَفَعَهَا) يقول تعالى ذكره : والسماء رفعها فوق الأرض .

وقوله (وَوَضَعَ المِيزَانَ) يقول : ووضع العدل بين خلقه فى الأرض . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبدالله (وخَفَضَ المِيزَانَ) والخفض والوضع : متقاربا المعنى فى كلام العرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَوَضَعَ المِيزَانَ) قال : العدل .

وقوله (أَلاَّ تَطْغَوْا فِى المِيزَانِ) يقول تعالى ذكره : ألا تظلموا وتبخَسُوا فى الوزن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلاَّ تَطْغَوْا فِى المِيزَانِ) اعدل يا بن آدم كما تحبّ أن يُعدَلَ عليك ، وأوف كما تحبّ أن يُوَفى لك ، فإن بالعدل صلاح الناس .

وكان ابن عباس يقول : يا معشر المَوالِى ، إنكم قد وليتم أمرين ، بهما هلك من كان قبلكم ، هذا المكيال والميزان .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن مغيرة ، عن مسلم ، عن أبى المغيرة ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى سُوق المدينة : يا معشر الموالى ، إنكم قد بُليتم بأمرين ، أهلك فيهما أمتان من الأمم : المِكْيال ، والميزان .

قال : ثنا مروان ، عن مغيرة ، قال : رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح ، فقال : أقم اللسان ، أقم اللسان ، أليس قد قال الله : (وأقِيمُوا الْوَزْنَ بالقِسْطِ ، وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) .

وقوله (وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ) يقول : وأقيموا لسان الميزان بالعدل .

وقوله (وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) يقول تعالى ذكره : ولا تنقصوا الوزن إذا وزنتم للناس وتظلموهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَانَ ، ألاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ ، وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) قال قتادة قال ابن عباس : يامعشرَ الموالى ، إنكم وليتم أمرين ، بهما هلك من كان قبلكم ، اتقى الله رجل عند مِيزانه ، اتقى الله رجل عند مِكياله ، فإنما يعدله شيء يسير ، ولا ينقصه ذلك ، بل يزيده الله إن شاء الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزَانَ) قال : نَقْصُه ، إذا نقصه فقد خَسَّره ، تخسيره : نقصه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ) والأرض وَطَّأها للخلق ، وهم الأنام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (للأَنامِ) يقول : للخلق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والأرْض وَضَعَها للأَنامِ) قال : كلّ شيء فيه الروح .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (والأرْضَ وَضَعَها للأَنامِ) قال : للخلق الجنّ والإنس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (للأَنامِ) قال : للخلائق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (للأَنامِ) قال : للخلق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَضَعَها للأَنامِ) قال : الأنام : الخلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (والأرْضَ وَضَعَها للأَنامِ) قال : للخلق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (فِيها فاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذَاتُ الأكْمَامِ) يقول تعالى ذكره: فى الأرض فاكهة ، والهاء والألف فيها من ذكر الأرض . (والنَّخْلُ ذاتُ الأكمامِ) والأكمام : جمع كِمّ ، وهو ما تكممت فيه .

⁂ واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك تكمم النخل فى الليف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (والنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ) فقال : سَعَفة من ليف عُصِبَتْ بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن (ذاتُ الأكمامِ) أكمامها : ليفها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ) : الليف الذى يكون عليها .

وقال آخرون : يعنى بالأكمام : الرُّفَات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ) قال : أكمامها : رُفاتها .

وقال آخرون : بل معنى الكلام : والنخل ذات الطلع المتكمِّم فى كِمامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (والنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ) وقيل له : هو الطلع ، قال : نعم ، وهو فى كِمٍّ منه حتى ينفتق عنه ؛ قال : والحبّ أيضا فى أكمام . وقرأ (وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أكمامِها) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام ، وهى متكممة فى ليفها ، وطلعها متكمم فى جفه ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها فى ليفها ، ولا تكمُّم طلعها فى جُفِّه ، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام .

⁂ والصواب أن يقال : عنى بذلك ذات ليف ، وهى به مُتكممة ، وذات طَلْع هو فى جُفِّه متكمِّم فيُعَمَّم ، كما عمّ جلّ ثناؤه .

وقوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانُ) يقول تعالى ذكره : وفيها الحبّ ، وهو حبّ البُرّ والشعير ذو الورق ، والتبن : هو العَصْف ، وإياه عنى علقمة بن عَبَدَة :

تَسْقِى مَذَانِبَ قَدْ مالَتْ عَصِيفَتُها حَدُورَها مِنْ أتِىِّ المَاءِ مَطْمُومُ[1]

(١) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ عن نسخة « مراد ملا » . وهذا بعد أن انتهت مراجعتنا على المصورة الأولى رقم ٢٦٠٥٩ لانتهاء أوراقها عند سورة القمر) أنشده أبو عبيدة عند قوله =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) يقول : التبن .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) قال : العصف : ورق الزرع الأخضر ، الذى قطع رؤوسه ، فهو يسمى العَصْف إذا يبس .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) البقل : من الزرع

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) وعَصْفُه : تِبْنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : العصف : التبن .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) قال : الحبّ البرّ والشعير ، والعَصْف : التِّبن .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك الخُراسانىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) قال : الحبّ : أوّل ما ينبت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) قال : العصف : الورق من كل شىء . قال : يقال للزرع إذا قُطع : عُصافة ، وكلّ ورق فهو عُصافة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو رَوْق عطية ابن الحارث ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ) قال : العصف : التبن .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس (ذُو العَصْفِ) قال : العصف : الزرع .

وقال بعضهم : العصف : هو الحبّ من البرّ والشعير بعينه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ) أما العصف : فهو البرّ والشعير .

= تعالى : « والحب ذو العصف والريحان » قال : تخرج له عصيفة ، وهى أذنته أعلاه ، وهو الهبود ، وأذنه إنما هى زيادته وكثرته وورقه الذى يتعصف . وهو كما قال علقمة بن عبدة « تسقى مذانب . . . البيت » . طمها : ملأها لم يبق فيها شىء ، وطم إناءه ملأه . وقال شارح مختار الشعر الجاهلى ٤٢٦ : المذانب جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الأرض ؛ والجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وعصيفتها : هى الورق الذى يجز فيؤكل ، ثم يسقى أصله ، ليعود ورقه . وجدورها : الذى انحدر من هذه المذانب واطمأن . والأثى : الجدول . وأراد به هنا : ما يسيل من الماء فى الجدول . والمطموم : المملوء بالماء .

وأما قوله (والرَّيْحانِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : هو الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زيد بن أخزم الطائى ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا عتبة بن يقظان ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كلّ ريحان فى القرآن فهو رزق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والرَّيْحانِ) قال : الرزق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (والرَّيْحانِ) : الرزق ، ومنهم من يقول : ريحاننا .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (والرَّيْحانِ) قال : الريح .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا أبو روق عطية ابن الحارث ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالرَّيْحانِ) قال : الرزق والطعام .

وقال آخرون : هو الرَّيحان الذى يشمّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال (الرَّيْحانِ) ما تنبت الأرض من الريحان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والرَّيْحانِ) أما الريحان : فما أنبتت الأرض من ريحان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (والرَّيْحانِ) قال : ريحانكم هذا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والرَّيْحانِ) : الرياحين التى توجد ريحها .

وقال آخرون : هو خُضرة الزرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والرَّيْحانِ) يقول : خُضرة الزرع .

وقال آخرون : هو ما قام على ساق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال (الرَّيْحانِ) ما قام على ساق .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِي به الرزق ، وهو الحبّ الذى يؤكل منه .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العصف ، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه ، والتبن إذا يبس ، فالذى هو أولى بالريحان ، أن يكون حبه الحارث منه ، إذ كان من جنس الشىء الذى منه العصف ، ومسموع من العرب تقول : خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه ، ويقال : سبحانَك وريحانَك : أي ورزقك ، ومنه قول النمر بن تَوْلب :

سَلامُ الإلهِ وَرَيْحانُهُ وجَنَّتُهُ وسَماءٌ دِرَرْ[1]

وذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : العصف : المأكول من الحبّ ، والريحان : الصحيح الذى لم يؤكل[2].

واختلفت القراء فى قراءة قوله (والرَّيْحانِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع ، عطفا به على الحبّ ، بمعنى : وفيها الحبّ ذو العصف ، وفيها الريحانُ أيضا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (والرَّيْحانِ) بالخفض عطفا به على العصف ، بمعنى : والحبّ ذو العصف وذو الريحان .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفض للعلة التى بينت فى تأويله ، وأنه بمعنى الرزق . وأما الذين قرءوه رفعا ، فإنهم وجّهوا تأويله فيما أرى ، إلى أنه الريحان الذى يشمّ ، فلذلك اختاروا الرفع فيه ، وكونه خفضا بمعنى : وفيها الحبّ ذو الورق والتبن ، وذو الرزق المطعوم : أولى وأحسن لما قد بيّناه قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) : فبأىّ نِعَم ربكما ، معشرَ الجنّ والإنس من هذه النعم تكذّبان ؟ .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سهل السراج ، عن الحسن (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) : فبأىّ نعمة ربكما تكذّبان ؟ .

قال عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : لابأيتها يا ربّ .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك النضرى ، قالا : ثنا يحيى بن سليمان الطائفىّ ، عن إسماعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن ،

(١) البيت للنمر بن تولب العكلى (اللسان : روح) ، وبعده :

غَمامٌ يُنَزِّلُ رِزْقَ العِبادْ فأحْيا البِلادَ وَطابَ الشَّجَرْ

وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٢ من المصورة ٢٦٣٩٠ بجامعة القاهرة) قال : والريحان والحب منه الذى يؤكل ، يقال : سبحانك وريحانك : أى رزقك ؛ قال النمر بن تولب « سلام الإله . . . . البيت » . اهـ . وفى (اللسان : درر) : والدرة فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضا ، وجمعها : درر ، وللسحاب درر : أى صب ، والجمع : درر ؛ قال النمر بن تولب : . . . البيتين . سماء درر : أى ذات درر . اهـ .

(٢) هذا من كلام الفراء فى معانى القرآن صفحة ٣٢٠ من المخطوطة .

أو قُرئت عنده ، فقال : « ما لِى أسْمَعُ الجِنَّ أحْسَنَ جَوَابا لِرَبِّها مِنْكُمْ ؟ قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « ما أتَيْتُ على قَوْلِ اللهِ : فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ إلاَّ قالَتِ الجِنُّ : لابِشَىْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنا نُكَذِّبُ » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأىّ نعمة الله تكذّبان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول للجنّ والإنس : بأىّ نِعم الله تكذّبان .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش وغيره ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : لابأيّها ربنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) قال : الآلاء : القدرة ، فبأىّ آلائه تكذّب خلقكم كذا وكذا ، فبأىّ قُدرة الله تكذّبان أيها الثَّقَلان ، الجنّ والإنس .

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) فخاطب اثنين ، وإنما ذكر فى أوّل الكلام واحد ، وهو الإنسان ؟ قيل : عاد بالخطاب فى قوله (فَبِأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) إلى الإنسان والجانّ ، ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا من الكلام ، وهو قوله (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) . وقد قيل : إنما جعل الكلام خطابا لاثنين ، وقد ابتدئ الخبر عن واحد ، لما قد جرى من فعل العرب ، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنين ، فيقولون : خلياها ياغلام ، وما أشبه ذلك مما قد بيّناه فى كتابنا هذا فى غير موضع .

وقوله (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ) يقول تعالى ذكره : خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال : وهو الطين اليابس الذى لم يطبخ ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار ؛ يعنى أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا ، كالذى قد طُبخ بالنار ، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار ، والفخار : هو الذى قد طُبخ من الطين بالنار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد الله بن يوسف الجبيرىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، يعنى الملائىّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ صَلْصالٍ كالفَخَّارِ) قال : هو من الطين الذى إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله آدم من طين لازب ، واللازب : اللَّزِج الطيب من بعد حمأ مسنون مُنْتن .

قال : وإنما كان حَمَأً مسنونا بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوّت ، قال : فهو قول الله تعالى (كالفَخَّارِ) يقول : كالشيء المنفرج الذى ليس بمصمت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : الصلصال : التراب المدقق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : الصَّلصال : التراب المدقَّق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) يقول : الطين اليابس .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) قال : الصلصال : طين خُلط برمل فكان كالفخار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) والصلصال : التراب اليابس الذى يُسمع له صلصلة فهو كالفخار ، كما قال الله عزّ وجلّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) قال : من طين له صلصلة كان يابسا ، ثم خلق الإنسان منه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) قال : يبس آدم فى الطين فى الجنة ، حتى صار كالصلصال ، وهو الفخار ، والحمأ المسنون : المنتن الريح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) قال : من تراب يابس له صلصلة .

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) قال : ماعُصِر ، فخرج من بين الأصابع ، ولو وجّه موجّه قوله صلصال إلى أنه فعلال من قولهم صلّ اللحم : إذا أنتن وتغيرت ريحه ، كما قيل من صرّ الباب صرصر ، وكبكب من كَبّ ، كان وجها ومذهبا .

وقوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول تعالى ذكره : وخلق الجانّ من مارج من نار ، وهو ما اختلط بعضه ببعض ، من بين أحمر وأصفر وأخضر ، من قولهم : مَرِج أمر القوم : إذا اختلط ، ومن قول النبىّ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ إذَا كُنْتَ فِى حُثالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وأمانَاتُهُمْ ! وَذلكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسانُهُ » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيرىّ أبو حفص ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من أوسطها وأحسنها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول : خلقه من لهب النار ، من أحسن النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) يقول : خالص النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : خلقت الجنّ الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون فى طرفها إذا ألهبت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من أحسن النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : اللهب الأصفر والأخضر ، الذى يعلو النار إذا أوقدت .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : والأحمر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : هو اللّهب المنقطع الأحمر .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك ، فى قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : أحسن النار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من لهب النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) : أى من لهب النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من لَهَب النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : المارج : اللهب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد من مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) قال : من لهب من نار .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٢١)

⁂ يقول تعالى ذكره : ذلكم أيها الثّقلان (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ) يعنى بالمشرقين : مشرق الشمس فى الشتاء ، ومشرقها فى الصيف .

وقوله (وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) يعنى : وربّ مغرب الشمس فى الشتاء ، ومغربها فى الصيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن ابن أبزى ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشارق الصيف ومغارب الصيف ، مشرقان تجرى فيهما الشمس ، ستون وثلاث مئة فى ستين وثلاث مئة برج ، لكلّ بُرْج مطلع ، لاتطلع يومين من مكان واحد . وفى المغرب ستون وثلاث مئة برج ، لكل برج مغيب ، لاتغيب يومين فى برج .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشرق الشتاء ومغربه ، ومشرق الصيف ومغربه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) فمشرقها فى الشتاء ، ومشرقها فى الصيف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : مشرق الشتاء ومغربه ، ومشرق الصيف ومَغْرِبه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ) قال : أقصر مشرق فى السنة ، وأطول مشرق فى السنة ؛ وأقصر مغرب فى السنة ، وأطول مغرب فى السنة .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول : فبأىّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس ، من هذه النعم التى

أنعم بها عليكم من تسخيره الشمس لكم فى هذين المشرقين والمغربين تجرى لكما دائبة بمرافقكما ، ومصالح دنياكما ومعايشكما تكذبان ؟ .

وقوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) يقول تعالى ذكره : مَرَجَ ربّ المشرقين وربّ المغربين البحرين يلتقيان ، يعنى بقوله (مَرَجَ) : أرسل وخلّى ، من قولهم : مَرَجَ فلان دابته : إذا خلاها وتركها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ) يقول : أرسل .

⁂ واختلف أهل العلم فى البحرين اللذين ذكرهما الله جلّ ثناؤه فى هذه الآية ، أىّ البحرين هما ؟ فقال بعضهم : هما بحران : أحدهما فى السماء ، والآخر فى الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) قال : بحر فى السماء ، وبحر فى الأرض .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) قال : بحر فى السماء والأرض ، يلتقيان كلّ عام .

وقال آخرون : عُنى بذلك بحر فارس وبحر الروم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زياد مولى مصعب ، عن الحسن (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) قال : بحر الروم ، وبحر فارس واليمن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) فالبحران : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ) قال بحر فارس وبحر الروم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنِى به بحر السماء ، وبحر الأرض ، وذلك أن الله

قال (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قَطْر ماء السماء ، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء .

وقوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) يقول تعالى ذكره : بينهما حاجز وبُعْدٌ ، لايُفسد أحدهما صاحبَه ، فيبغى بذلك عليه ، وكل شيء كان بين شيئين فهو بَرْزخ عند العرب ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) : لايبغى أحدهما على صاحبه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا فطر ، عن مجاهد ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : بينهما حاجز من الله ، لايبغى أحدهما على الآخر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) يقول : حاجز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) والبرزخ : هذه الجزيرة ، هذا اليَبَس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : البرزخ الذى بينهما : الأرض التى بينهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : حُجِز المالح عن العذب ، والعذب عن المالح ، والماء عن اليَبَس ، واليَبَس عن الماء ، فلايبغى بعضه على بعض ، بقوّته ولطفه وقُدرته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لايَبْغِيانِ) قال : منعهما أن يلتقيا بالبرزخ الذى جعل بينهما من الأرض . قال : والبرزخ بُعْد الأرض الذى جعل بينهما .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لايَبْغِيانِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لايبغى أحدهما على صاحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (لايَبْغِيانِ) : لايبغى أحدهما على صاحبه .

قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا فطر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهما لايختلطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَبْغِيانِ) قال : لايختلطان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لايبغيان على اليَبَس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَبْغِيانِ) على اليبس ، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغى ، فحجز أحدهما عن صاحبه ، بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى .

وقال آخرون : بل معناه : لايبغيان أن يلتقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَبْغِيانِ) قال : لايبغى أحدهما أن يلتقى مع صاحبه .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما فى هذه الآية أنهما لايبغيان ، ولم يخصص وصفهما فى شىء دون شىء ، بل عمّ الخبر عنهما بذلك ، فالصواب أن يُعَمّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : إنهما لايبغيان على شىء ، ولا يبغى أحدهما على صاحبه ، ولا يتجاوزان حدّ الله الذى حدّه لهما .

وقوله (فَبِأَىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم الله ربكما معشر الجنّ والإنس تكذّبان ، من هذه النعم التى أنعم عليكم من مَرْجه البحرين ، حتى جعل لكم بذلك حلية تلبسونها كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : يخرج من هذين البحرين اللذين مرجهما الله ، وجعل بينهما برزخا اللؤلؤ والمرجان واختلف أهل التأويل فى صفة اللؤلؤ والمرجان ، فقال بعضهم : اللؤلؤ : ما عَظُم من الدرّ ، والمرجان : ما صغُر منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) قال : اللؤلؤ : العظام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) أما اللؤلؤ فعظامه ، وأما المرجان فصغاره ، وإن لله فيهما خزانة دلّ عليها عامة بنى آدم ، فأخرجوا متاعا ومنفعة وزينة ، وبُلغة إلى أجل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) قال : اللؤلؤ الكبار من اللؤلؤ ، والمرجان : الصغار منه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) أما المرجان : فاللؤلؤ الصغار ، وأما اللؤلؤ : فما عظُم منه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) قال : اللؤلؤ : ما عظُم منه ، والمرجان : اللؤلؤ الصغار .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المرجان : هو اللؤلؤ الصغار .

وحدثنا عمرو بن سعيد بن بشار القرشى ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا عبد الله بن ميسرة الحرانىّ ، قال : ثنى شيخ بمكة من أهل الشأم ، أنه سمع كعب الأحبار يُسْأَلُ عن المرجان ، فقال : هو البسذ .

قال أبو جعفر : البسذ له شُعَب ، وهو أحسن من اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان من اللؤلؤ : الكبار ، واللؤلؤ منها : الصغار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، أو قيس بن وهب ، عن مرّة ، قال : المرجان : اللؤلؤ العظام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : المرجان ، قال : ما عظم من اللؤلؤ .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا زُهير ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن علىّ ، وعن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : المرجان : عظيم اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان : جيد اللؤلؤ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا شريك ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سألت مرّة عن اللؤلؤ والمرجان ، قال : المرجان : جيد اللؤلؤ .

وقال آخرون : المرجان : حَجَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون الأودى عن ابن مسعود (اللؤْلُؤُ وَالمَرْجانُ) قال : المرجان حجر .

والصواب من القول فى اللؤلؤ ، أنه هو الذى عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ ؛ وأما المرجان ، فإنى رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لايتدافعون أنه جمع مرجانة ، وأنه الصغار من اللؤلؤ ، وقد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمى أهل العلم ، والله أعلم بصواب ذلك .

وقد زعم بعض أهل العربية أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين ، ولكن قيل : يخرج منهما ، كما يقال : أكلت خبزا ولبنا ، وكما قيل :

وَرأيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفا وَرُمْحا[1]

وليس ذلك كماذهب إليه ، بل ذلك كما وصفتُ قبل من أن ذلك يخرج من أصداف البحر ، عن قطر السماء ، فلذلك قيل (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ) يعنى بهما : البحران .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازىّ ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن السماء إذا أمطرت ، فتحت الأصداف أفواهها ، فمنها اللؤلؤ .

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا أبو يحيى الحِمَّانىّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : إذا نزل القطر من السماء تفتَّحت الأصداف فكان لؤلؤا .

حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى ، قال : ثنا الفِرْيابىّ ، قال : ذكر سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : إن السماء إذا أمطرت تفتحت لها الأصداف ، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ .

حدثنا محمد بن إسماعيل الفزارى ، قال : أخبرنا محمد بن سوار ، قال : ثنا محمد بن سليمان الكوخىّ ابن أخى عبد الرحمن بن الأصبهانىّ ، عن عبد الرحمن الأصبهانى ، عن عكرِمة ، قال : مانزلت قطرة من السماء فى البحر ، إلا كانت بها لؤلؤة ، أو نبتت بها عنبرة ، فيما يحسب الطبرى .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) . وقد سبق استشهاد المؤلف به أكثر من مرة ، فارجع إليه فى الأجزاء (٣ : ٢٧٥ ، ٦ : ٢٨١ ، ٧ : ٢٩٤ ، ٩ : ٢٠٠ ، ١١ : ١٤٢ وشرحه مستوفى فى الجزأين ٣ ، ١١) . وأنشده الفراء هنا عند قوله تعالى : « وحور عين » وقال : خفضها أصحاب عبد الله (ابن مسعود) وهو وجه العربية ، وإن كان أكثر القراء على الرفع ؛ لأنهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم حور عين ، أوعندهم حور عين . والخفض على أن يتبع آخر الكلام بأوله ، وإن لم يحسن فى آخره ما حسن فى أوله ، أنشدنى بعض العرب :

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

فالعين لاتزجج ، إنما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى يعرف . وأنشدنى آخر : « ولقيت زوجك فى الوغى . . . . البيت » ، والرمح لايتقلد ، فرده على السيف . اهـ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة : (يُخْرَجُ) على وجه ما لم يسمّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض المكيين بفتح الياء .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعم ربكما معشر الثقلين ، التى أنعم بها عليكم ، فيما أخرج لكم من منافع هذين البحرين ، تكذّبان ؟

وقوله (وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ) يقول تعالى ذكره : ولربّ المشرقين والمغربين الجوارى ، وهى السفن الجارية فى البحار .

وقوله (المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (المُنْشِئات) بكسر الشين ، بمعنى : الظاهرات السير اللاتى يُقبلن ويُدبرن . وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة والمدينة وبعض الكوفيين (المُنْشَئاتُ) بفتح الشين ، بمعنى المرفوعات القلاع ، اللاتى تقبل بهنّ وتدبر .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى متقاربتاه ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

ذكر من قال فى تأويل ذلك ما ذكرناه فيه

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ) قال : مارُفع قَلْعه من السفن فهى منشئات ، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ) يعنى : السفن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ) يعنى السفن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأعْلامِ) قال : السفن .

وقوله (كالأعْلامِ) يقول : كالجبال ، شبّه السفن بالجبال ، والعرب تسمى كل جبل طويل علما ؛ ومنه قول جرير :

إذا قَطَعْنا عَلَمًا بَدَا عَلَمْ (١)

(١) البيت من مقطوعة من الرجز لجرير بن الخطفى (ديوانه ٥٢٠) وتمامه * حتى تناهين بنا إلى الحكم * يمدح الحكم بن أيوب الثقفى صهر الحجاج وابن عمه . يصف النوق التى حملته إليه ، ولذلك نرجح رواية « قطعن » بنون جمع النسوة على رواية « قطعنا » بضمير جماعة الذكور ، وإن كانت جائزة فى المعنى . والأعلام : جمع علم ، وهو الجبل الطويل ، سمى علما ، لأن المسافر يجعله علامة وأمارة =

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التى أنعمها عليكم ، بإجرائه الجوارى المنشئات فى البحر ، جارية بمنافعكم ، تكذّبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٣٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك ، ويبقى وجه ربك يامحمد ، ذو الجلال والإكرام ؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه ، فلذلك رفع ذو . وقد ذُكر أنها فى قراءة عبد الله بالياء (ذِي الجَلالِ والإكْرَامِ) على أنه من نعت الربّ وصفته .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نِعَم ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذّبان .

وقوله (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : إليه يَفزع بمسألة الحاجات كلّ من فى السموات والأرض ، من مَلَك وإنس وجنّ وغيرهم ، لاغنى بأحد منهم عنه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأْنٍ) لايستغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض ، يُحْيِي حَيًّا ، ويُميت مَيِّتًا ، ويربى صغيراً ، ويذلّ كبيراً ، وهو مَسْأَل حاجات الصالحين ، ومنتهى شكواهم ، وصريخ الأخيار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأْنٍ) قال : يعنى مسئلة عباده إياه الرزقَ والموت والحياة ، كلّ يوم هو فى ذلك .

وقوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شأْنٍ) يقول تعالى ذكره هو كلّ يوم فى شأن خلقه ، فيفرج كرب ذى كرب ، ويرفع قوما ، ويخفض آخرين ، وغير ذلك من شئون خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن خباب ، والأعمش عن مجاهد ، عن

= على الطريق . وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٣ – ا) وقال : كالأعلام : كالجبال ، قال جرير يصف الإبل : « إذا قطعن . . . . البيت » .

عبيد بن عمير (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يجيب داعيا ، ويعطى سائلا ، أو يفكّ عانيا ، أو يشفى سقيما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يفكّ عانيا ، ويشفى سقيما ، ويجيب داعيا .

وحدثنى إسماعيل بن إسرائيل الآل ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : من شأنه أن يعطى سائلا ، وَيُفكّ عانيا ، ويجيب داعيا ، ويشفى سقيما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : كلّ يوم هو يجيب داعيا ، ويكشف كربا ، ويجيب مضطرّا ، ويغفر ذنبا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) يجيب داعيا ، ويعطى سائلا ، ويفكّ عانيا ، ويتوب على قوم ويغفر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قال : يخلق مخلقا ، ويميت ميتا ، ويحدث أمرا .

حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزّى ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفِرْيابى ، قال : ثنا عمرو بن بكر السَّكْسَكىُّ ، قال : ثنا الحارث بن عَبْدة بن رباح الغسانىّ ، عن أبيه عبدة بن رَباح ، عن منيب ابن عبد الله الأزدىّ ، عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فقلنا : يارسول الله ، وما ذلك الشأن ؟ قال : « يَغْفِرُ ذَنْبا ، ويُفَرّجُ كَرْبا ، ويَرْفَعُ أقْوَاما ، وَيَضَعُ آخَرِينَ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة الثُّمالىّ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : إن الله خلق لوحا محفوظا من درّة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، عرضه مابين السماء والأرض ، ينظر فيه كلّ يوم ثلاث مئة وستين نظرة ، يخلق بكل نظرة ، ويُحيى ويميت ، ويُعزّ ويُذلّ ، ويفعل ما يشاء .

وقوله (فَبِأَىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ ؟) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس التى أنعم عليكم ، من صرفه إياكم فى مصالحكم ، وما هو أعلم به منكم ، من تقليبه إياكم فيما هو أنفع لكم ، تكذبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٣٢) يَمَعْشَرَ الْجِنِّ

وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ، لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثقلان) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (سَيَفْرُغُ لَكُمْ) بالياء وفتحها ردّا على قوله (يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ) ولم يقل : يسألنا من فى السموات ، فأتبعوا الخبر الخبر .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وأما تأويله : فإنه وعيد من الله لعباده وتهدّد ، كقول القائل الذى يتهدّد غيره ويتوعده ، ولا شغل له يشغله عن عقابه ، لأتفرغنّ لك ، وسأتفرّغ لك ، بمعنى : سأجدّ فى أمرك وأعاقبك ، وقد يقول القائل للذى لاشغل له ، قد فرغت لى ، وقد فرغت لشتمى : أى أخذت فيه وأقبلت عليه ، وكذلك قوله جلّ ثناؤه : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنحاسبكم ، ونأخذ فى أمركم أيها الإنس والجنّ ، فنعاقب أهل المعاصى ، ونثيب أهل الطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ) قال : وَعيد من الله للعباد ، وليس بالله شغل ، وهو فارغ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ) قال : دنا من الله فراغ لخلقه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُويبر ، عن الضحاك (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أيُّها الثَّقَلانِ) قال : وعيد ، وقد يُحتمل أن يوجه معنى ذلك إلى : سنفرُغ لكم من وعدناكم ماوعدناكم من الثواب والعقاب .

وقوله (فَبِأَيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ ؟) : فبأىّ نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعمها عليكم ، من ثوابه أهل طاعته ، وعقابه أهل معصيته ، تكذّبان ؟ .

وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا) : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض ، فتُعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم ، فجوزوا ذلك ، فإنكم لاتجوزونه إلا بسلطان من ربكم ، قالوا : وإنما هذا قول يقال لهم يوم القيامة . قالوا : ومعنى الكلام : سنفرغ لكم أيها الثقلان ، فيقال لهم : (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقّقت بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية ، ثم بالثالثة ، ثم بالرابعة ، ثم بالخامسة ، ثم بالسادسة ، ثم بالسابعة ، فصفوا صفا دون صف ، ثم ينزل الملك الأعلى على مُجَنِّبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قُطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) ، وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إلاّ بسُلْطانٍ) ، وذلك قوله (وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، والمَلَكُ على أرْجائها) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا هاربين من الموت ، فإن الموت مُدرككم ، ولا ينفعكم هربكم منه .

ذكر من قال ذلك

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ) . . . الآية ، يعنى بذلك أنه لايجيرهم أحد من الموت ، وأنهم ميتون لايستطيعون فرارا منه ، ولا مَحيصا ، لو نَفَذُوا أقطار السموات والأرض كانوا فى سُلطان الله ، ولأخذهم الله بالموت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يامَعْشَرَ الجِنّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إلاّ بسُلْطانٍ) يقول : إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموه ، لن تعلموه إلا بسلطان ، يعنى البينة من الله جلّ ثناؤه .

وقال آخرون : معنى قوله (لاتَنْفُذُونَ) لاتخرجون من سلطانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاتَنْفُذُونَ إلاّ بسُلْطانٍ) يقول : لاتخرجون من سلطانى .

وأما الأقطار فهى جمع قُطْر ، وهى الأطراف .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : من أطرافها .

وقوله جلّ ثناؤه (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها) يقول : من أطرافها .

وأما قوله (إلا بسُلْطانٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه ، فقال بعضهم : معناه : إلا ببينة ، وقد ذكرنا ذلك قبل .

وقال آخرون : معناه : إلا بحجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عكرِمة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ) قال : كلّ شىء فى القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بسُلْطانٍ) قال : بحجة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا بملك وليس لكم ملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (فانْفُذُوا لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ) قال : لاتنفذون إلا بملك وليس لكم ملك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ) قال : إلا بسلطان من الله ، إلا بملكة منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بسُلْطانٍ) يقول : إلا بملكة من الله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : إلا بحجة وبينة ، لأن ذلك هو معنى السلطان فى كلام العرب ، وقد يدخل الملك فى ذلك ، لأن الملك حجة .

وقوله (فَبِأىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ ؟) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما تكذّبان معشر الثقلين ، التى أنعمت عليكم ، من التسوية بين جميعكم ، لايقدرون على خلاف أمر أراده بكم ، تكذّبان .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٣٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : (يُرْسَلُ عَلَيكُمَا) أيها الثقلان يوم القيامة (شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) وهو لهبها من حيث تشتعل وتؤجّج بغير دخان كان فيه ؛ ومنه قول رُؤْبة بن العجّاج :

إنَّ لَهُمْ مِنْ وَقْعِنا أَقْيَاظا ونارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) يقول : لهب النار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) يقول : لهب النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : لهب النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : اللَّهَب المتقطع [2] .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشُّواظ : الأخضر المتقطع [2] من النار .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال الشُّواظ : هذا اللهب الأخضر المتقطع [2] من النار .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشواظ : اللهب الأخضر المتقطع من النار .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك : الشواظ : اللهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) : أى لهب من نار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : لهب من نار .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) قال : الشواظ : اللهب ، وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به .

---

(١) البيتان فى ديوان العجاج (طبع ليبسج ٨١) وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (الورقة ١٧٣) ولم يظهر اسم الشاعر ، قال عند قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » : شواظ (بضم أوله) وشواظ بكسر أوله (ضبط قلم) : واحد . وهو النار التى تأجج لادخان فيها . قال : « إن لهم من وقعنا . . . . البيتين » . وفى (اللسان : شوظ) الشواظ والشواظ (بضم الأول وكسر الثانى) : اللهب الذى لادخان فيه . وقال رؤبة : « إن لهم . . . البيتين » . وفى التنزيل العزيز « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » . قال الفراء : أكثر القراء قرءوا شواظ (بالضم) وكسر الحسن الشين ، كما قالوا لجماعة البقر صوار وصوار . اه .

(٢) المتقطع : كذا فى الأصل . وهو كذلك بالشوكانى (٥ : ١٣٤) .

وقال آخرون : الشُّواظ : هوالدخان الذى يخرج من اللهب .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (شُوَاظٌ مِنْ نارٍ) الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (شُوَاظٌ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ، غير ابن أبى إسحاق (شُوَاظٌ) بضم الشين ، وقرأ ذلك ابن أبى إسحاق ، وعبد الله بن كثير (شِوَاظٌ مِنْ نارٍ) بكسر الشين ، وهما لغتان ، مثل الصِّوار من البقر ، والصُّوار بكسر الصاد وضمها . وأعجب القراءتين إلىّ ضمّ الشين ، لأنها اللغة المعروفة ، وهى مع ذلك قراءة القرّاء من أهل الأمصار .

وأما قوله (وَنُحاسٌ) فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ به ، فقال بعضهم : عُنِى به الدخان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ) قال : النحاس : الدخان .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنُحَاسٌ) دخان النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَنُحاسٌ) قال : دخان .

وقال آخرون : عُنِى بالنحاس فى هذا الموضع : الصُّفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَنُحاسٌ) قال : النحاس : الصُّفر يعذّبون به .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَنُحاسٌ) قال : يذاب الصُّفر من فوق رءوسهم .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَنُحاسٌ) قال : يذاب الصُّفر ، فيصبّ على رأسه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَنُحاسٌ) يذاب الصُّفر ، فيصبّ على رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُحاسٌ) قال : توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذّبهما به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نارٍ و نحاسٌ) قال : يخوّفهم بالنار وبالنحاس .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال : عُنِى بالنحاس : الدخان ، وذلك أنه جلّ ثناؤه

ذكر أنه يُرسَلُ على هذين الحيَّين شُواظ من نار، وهو النار المحضة التى لايخلطها دخان، والذى هو أولى بالكلام، أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب، دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمى الدخان نُحاسا بضم النون، ونِحاسا بكسرها، والقرّاء مجمعة على ضمها، ومن النُّحاس بمعنى الدخان، قول نابغة بنى ذُبيان :

يَضُوءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيـــطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيهِ نُحاسا[1]

يعنى : دخانا .

وقوله (فَلا تَنْتَصِرَانِ) يقول تعالى ذكره : فلا تنتصران أيها الجنّ والإنس منه، إذا هو عاقبكما هذه العقوبة، ولا تستنقذان منه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فَلا تَنْتَصِرَانِ) قال : يعنى الجنّ والإنس .

قال : وقوله (فإذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ)؟ يقول تعالى ذكره : فإذا انشقّت السماء وتفطّرت، وذلك يوم القيامة، فكان لونها لون البرذَون الوَرْد الأحمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار، قال : ثنا محمد بن الصلت، قال : ثنا أبو كدينة، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس (فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ) قال : كالفرس الورد .

حدثنى محمد بن سعد، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فإذَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ) يقول : تغير لونها .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حبويه، قال : ثنا شهاب بن عباد، قال : ثنا إبراهيم بن حميد، عن إسماعيل ابن أبى خالد، عن أبى صالح فى قوله (وَرْدَةً كالدِّهَانِ) قال : كلون البرذَون الوَرْد، ثم كانت بعدُ كالدهان .

حُدِّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ) يقول : تتغير السماء، فيصير لونها كلون الدابة الوَرْدَة .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَرْدَةً كالدِّهَانِ) هى اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا محمد بن مروان، قال : ثنا ابن العوّام، عن قتادة، فى قوله (فإذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَانِ) قال : هى اليوم خضراء، ولونها يومئذ الحمرة .

---

(١) البيت لنابغة بنى جعدة (مجاز القرآن الورقة ١٧٣ – ب) وحرف الناسخ اسمه، فقال كنابغة بنى ذبيان فى تفسير المؤلف هذا . قال أبو عبيدة عند قوله تعالى : « ونحاس » : نحاس ونحاس (بضم أوله وكسره، ضبط قلم) والنحاس : الدخان ؛ قال نابغة بنى جعدة : « تضىء كضوء . البيت » وفى أوله : تضىء بالياء، لابالواو، كما كتبه ناسخ التفسير . وفى (اللسان : ضوأ) : ضاء السراج يضوء، وأضاء، يضىء، قال : واللغة الثانية هى المختارة . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَرْدَةً كالدِّهانِ) قال : إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ) قال : مشرقة كالدهان .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (كالدِّهانِ) فقال بعضهم : معناه كالدهن صافية الحمرة مشرقة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرْدَةً كالدِّهانِ) قال : كالدهن .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (كالدِّهانِ) يعني : خالصة .

وقال آخرون : عنى بذلك : فكانت وردة كالأديم ، وقالوا : الدِّهان : جماع ، واحدها دُهْن .

⁂ وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِي به الدُّهْن في إشراق لونه ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول تعالى ذكره : فبأيّ قدرة ربكما معشر الجنّ والإنس على ما أخبركم بأنه فاعل بكم ، تكذّبان ؟

القول في تأويل قوله تعالى

فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْئَلُ عن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : فيومئذ لايسأل الملائكةُ المجرمين عن ذنوبهم ، لأن الله قد حفظها عليها ، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض ربَّهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَيَوْمَئِذٍ لايُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانٌّ) يقول تعالى ذكره : لايسألهم عن أعمالهم ، ولا يسأل بعضهم عن بعض ، وهو مثل قوله (وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ) ومثل قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم (وَلا تُسْئَلُ عَنْ أصْحابِ الجَحِيمِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله (لايُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : حفظ الله عزّ وجلّ عليهم أعمالهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : كان مجاهد يقول : لايسأل الملائكة عن المجرم ، يُعْرَفون بسيماهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (فَيَوْمَئِذٍ لايُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ وَلا جانٌّ) قال : قد كانت مسئلة ، ثم ختم على ألسنة القوم ، فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما معشر الثقلين ، التى أنعم عليكم من عدله فيكم ، أنه لم يعاقب منكم إلا مجرما[1] .

وقوله (يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) يقول تعالى ذكره : تعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم وسيماهم التى يسوّمهم الله بها ، من اسوداد الوجوه ، وازرقاق العيون .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (يُعْرَفُ المُجْرِمونَ بِسِيماهُمْ) قال : يعرفون باسوداد الوجوه ، وزُرقة العيون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) قال : زُرْق العيون ، سود الوجوه .

وقوله (فَيُؤْخَذُ بالنَّواصِي والأقْدامِ) يقول تعالى ذكره : فتأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم ، فتسحبهم إلى جهنم ، وتقذفهم فيها (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما معشر الجنّ والإنس التى أنعم عليكم بها من تعريفه ملائكته أهل الإجرام من أهل الطاعة منكم حتى خصوا بالإذلال والإهانة المجرمين دون غيرهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء المجرمين الذين أخبر جلّ ثناؤه أنهم يعرفون يوم القيامة بسيماهم ، حين يؤخذ بالنواصى والأقدام : هذه جهنم التى يكذّب بها المجرمون ، فترك ذكر «يقال» ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه منه . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (هذه جهنم التى كنتم بها تكذّبان تصليانها ، لاتموتان فيها ولاتحييان)[2] .

وقوله (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول تعالى ذكره : يطوف هؤلاء المجرمون الذين وصف

(١) لعله سقط من قلم الناسخ كلمة « تكذبان » ، التى اعتاد المؤلف أن يختم بها مثل هذا التعبير فيما مضى من قول الله سبحانه « فبأى آلاء ربكما تكذبا » ؟

(٢) ذكر الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ صفحة ٣٢١) قراءة عبد الله ، وزاد فيها بعد قوله « تحييان » : تطوفان . اهـ . و « تطوفان » : هى بدء الآية التى بعدها : « يطوفون بينها ... الخ » .

صفتهم فى جهنم بين أطباقها (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : وبين ماء قد أسخن وأغلى ، حتى انتهى حرّه ، وأنى طبخه ؛ وكل شىء قد أدرك وبلغ فقد أنى ؛ ومنه قوله : (غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ) يعنى : إدراكه وبلوغه ، كما قال نابغة بنى ذُبيان :

وَيُخْضَبُ لِحْيَةٌ غَدَرَتْ وخانَتْ بأحْمَرَ مِنْ نَجِيعِ الجَوْفِ آنِى[1]

يعنى : مُدْرِك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : انتهى حرُّه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : غَلى حتى انتهى غليه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : قد بلغ أناه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : الآنى الذى قد انتهى حرّه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب ، عن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : الآنى : ما اشتدّ غليانه ونضجه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حَمِيمٍ آنٍ) هو الذى قد انتهى غَلْيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : أنى طبخها منذ يوم خلق الله السموات والأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) يقول : حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والأرض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (حَمِيمٍ آنٍ) يقول : حميم قد آن منتهى حرّه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (حَمِيمٍ آنٍ) قال : قد انتهى حرّه .

وقال بعضهم : عنى بالآنى : الحاضر .

---

(١) البيت لنابغة بنى ذبيان (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ١٩٤) من قصيدة يهجوبها يزيد بن عمرو ابن الصعق الكلابى فى قصة ذكرها شارحه فى ١٩٣ عند بدء القصيدة (وانظر شرح الأعلم ، والوزير أبى بكر البطليوسى على الأشعار الستة ، والجزء الأول من خزانة الأدب الكبرى ، لعبد القادر البغدادى ٢٠٤ – ٢٠٥) وقال شارح البيت : نجيع الجوف : الدم الخالص . والآنى : الشديد الحرارة ، وهو الذى بلغ أناه . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٣ – ب) : عند قوله تعالى « وبين حميم آن » : بلغ أناه فى شدة الحر . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَطُوفُونَ بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) قال : يطوفون بينها وبين حميم حاضر ، الآنى : الحاضر.

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول : فبأىّ نِعَم ربكما معشر الجنّ والإنس ، التى أنعمها عليكم بعقوبته أهل الكفر به ، وتكريمه أهل الإيمان به ، تكذّبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (٤٦) فَبِأَىِّ ءالاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٧) ذَواتا أَفْنانٍ (٤٨) فَبِأَىِّ ءالاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : ولمن اتقى الله من عباده ، فخاف مقامه بين يديه ، فأطاعه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، جنتان ، يعنى بستانين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم فى البيان عن تأويله ، غير أن معنى جميعهم يقول إلى هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه ، فأدّوا فرائضه ، الجنة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) يقول : خاف ثم اتقى ، والخائف : من ركب طاعة الله ، وترك معصيته .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) هو الرجل يَهُمُّ بالذنب ، فيذكر مقام ربه ، فينزع .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : الرجل يَهُمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدى الله ، فيتركه ، فله جنتان .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : الرجل يَهُمّ بالمعصية ، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : فى الذى إذا همّ بمعصية تركها .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن مجاهد ، قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى ، ثم يتركها مخافة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : يذنب الذنب ، فيذكر مقام ربه ، فيدعه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم فى هذه الآية (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له ، ودانوا له ، وتعبّدوا بالليل والنهار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : إن لله مقاما قد خافه المؤمنون .

حدثنى محمد بن موسى ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث القرشىّ ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، قال : ثنا سعيد الجريرىّ ، عن محمد بن سعد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإنْ زَنى وسَرَقَ وإنْ رَغِمَ أنْفِ أبى الدَّرْداءِ » .

وحدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبى حرملة ، عن عطاء بن يسار ، قال : أخبرنى أبو الدرداء « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرأ يوما هذه الآية (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقلت : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ قال (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : فقلت : يا رسول الله وإن زنى وإن سرق ؟ قال : (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقلت : وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ فقال : وَإنْ زَنى وإنْ سَرَقَ رَغِمَ أنْفِ أبى الدَّرْداءِ » .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى بكر ، عن أبى موسى ، عن أبيه ، قال حماد لاأعلمه إلا رفعه فى قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : جنتان من ذهب للمقرّبين أو قال : للسابقين ، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا سيار ، قال : قيل لأبى الدرداء فى هذه الآية (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقيل : وإن زنى وإن سرق ، فقال : وإن زنى وإن سرق . وقال : إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك ، عن سعيد الجريرىّ ، عن رجل ، عن أبى الدرداء « (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) فقال أبو الدرداء : وإن زنى وإن سرق ، قال : نعم ، وإن رغِمَ أنْفُ أبى الدرداء » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن الصلت ، عن عمرو بن ثابت ، عمن ذكره ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : وإن زنى وإن سرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : جنتا السابقين ، فقرأ (ذَوَاتا أفْنانٍ) فقرأ حتى بلغ (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) ثم رجع إلى أصحاب اليمين ، فقال : (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) فذكر فضلهما وما فيهما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) : قال : مقامه حين يقوم العباد يوم القيامة ، وقرأ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِينَ) وقال : ذاك مقام ربك .

وقوله (فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأيّ نعم ربكما أيها الثقلان ، التى أنعم عليكم ، بإثابته المحسن منكم ، ما وصف جلّ ثناؤه فى هذه الآيات ، تكذّبان ؟

وقوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) يقول : ذواتا ألوان ، واحدها فن ، وهو من قولهم : افتنّ فلان فى حديثه : إذا أخذ فى فنون منه وضروب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين ، بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قُتيبة ، قال : ثنا عبد الله بن النعمان ، عن عكرِمة (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ظلّ الأغصان على الحيطان ، قال : وقال الشاعر :

ماهاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَديلِ حَمامَةٍ تَدْعُو على فَنَنِ الغُصُونِ حَماما
تَدْعو أبَا فَرْحَيْنِ صادَفَ ضارِيًا ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قَطامَا (١)

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ذواتا ألوان .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) يقول : ألوان من الفاكهة .

(١) لم أقف على قائل البيتين ، وأنشد ابن برى فى (اللسان : هدر) البيت الأول منهما ولم ينسبه ، قال صاحب اللسان عن ابن سيده فى المحكم : الهديل : صوت الحمام ، وخص بعضهم به وحشها ، كالدباسى والقمارى ونحوها ، هدل يهدل هديلا . وأنشد ابن برى : . . . البيت قال : وقد جاء الهديل فى صوت الهدهد . اهـ . والفنن الغصن المستقيم طولا وعرضا . وقيل الغصن : القضيب ، يعنى المقضوب ، والفنن : ما تشعب منه . والجمع : الأفنان ثم الأفانين . وقال عكرمة فى قوله تعالى : « ذواتا أفنان » قال : ظل الأغصان على الحيطان . وقال أبو الهيثم : فسره بعضهم : ذواتا أغصان . وفسره بعضهم : ذواتا ألوان واحدها حينئذ : فن ، وفنن . قال أبو منصور : واحد الأفنان ، إذا أردت بها الألوان فن . وإذا أردت بها الأغصان : فواحدها فنن . اهـ . وقال فى قطم : والقطامى : الصقر ، ويفتح . وصقر قطام (كسحاب) وقطامى وقطامى (بفتح أوله وضمه) : لخم . قيس يفتحون ، وسائر العرب يضمون ، وقد غلب عليه اسما ، وهو مأخوذ من القطم ، وهو المشتهى اللحم وغيره . اهـ .

وقال آخرون : ذواتا أغصان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من أهل البصرة ، عن مجاهد (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ذواتا أغصان .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذواتا أطراف أغصان الشجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) يقول : فيما بين أطراف شجرها ، يعنى : يمسّ بعضها بعضا كالمعروشات ، ويقال : ذواتا فضول عن كلّ شىء .

وقال آخرون : بل عنى بذلك فضلهما وسعتهما على ماسواهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) يعنى : فضلهما وسعتهما على ما سواهما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ذَوَاتا أفْنانٍ) قال : ذواتا فضل على ماسواهما .

وقوله (فَبِأىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكما باثابته هذا الثواب أهل طاعته تكذّبان .

القول فى تأويل قوله تعالى

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٥٣)

يقول تعالى ذكره فى داتين الجنتين عينا ماء تجريان خلالهما ، فبأىّ آلاء ربكما تكذّبان ؟

وقوله (فِيهِما مِنْ كُلّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ) يقول تعالى ذكره : فيهما من كلّ نوع من الفاكهة ضربان ، فبأىّ آلاء ربكما التى أنعم بها على أهل طاعته من ذلك تكذّبان .

القول فى تأويل قوله تعالى

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) يتنعمون فيهما (مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ) ، فنصب متكئين على الحال من معنى الكلام الذى قبله ، لأن الذى قبله بمعنى الخبر عمن خاف مقام ربه ، أنه فى نَعْمة وسرور ، يتنعمون فى الجنتين .

وقوله (على فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ) يقول تعالى ذكره : بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج ، والإستبرق عند العرب : ما غلظ من الديباج وخشن .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : يسمى المتاع الذى ليس فى صفاقة الديباج ولا خشنة العَرَقة إستبرقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا يحيى بن أبى إسحاق ، قال : قال لى سالم بن عبد الله : ما الإستبرق ؟ قال : قلت : ما غلظ من الديباج ، وخشن منه .

حدثنا محمد بن بشار قال : ثنا يحيى بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، فى قوله (إسْتَبْرَقٍ) قال : الديباج الغليظ .

وحدثنا إسحاق بن زيد الخطابىّ ، قال : ثنا الفِرْيابىّ ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة بن يَرِيم ، عن ابن مسعود فى قوله (فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إسْتَبْرَقٍ) قال : قد أخبرتم بالبطائن ، فكيف لو أخبرتم بالظواهر ؟

حدثنا الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن اليمان ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن هبيرة ، قال : هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر ؟

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قيل له : هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر ؟ قال : هذا مما قال الله (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) وقد زعم أهل العربية أن البطانة قد تكون ظهارة ، والظِّهارة تكون بطانة ، وذلك أن كل واحد منهما قد يكون وجها . قال : وتقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء لظاهرها الذى نراه .

وقوله (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دانٍ) يقول : وثمر الجنتين الذى يجتنى قريب منهم ، لأنهم لا يتعبون بصعود نخلها وشجرها ، لاجتناء ثمرها ، ولكنهم يجتنونها من قعود بغير عناء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دانٍ) ثمارهم دانية ، لا يردّ أيديهم عنه بُعْدٌ ولا شَرْكٌ . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرَةً مِنَ الجَنَّةِ ، فَتَتَحَوَّلُ إلى فِيهِ ، حتى يُبَدِّلَ اللهُ مَكانَها خَيْرًا مِنْها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دانٍ) قال : لا يردّ يده بعد ولا شوك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ) يقول : ثمارها دانية .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ آلاء ربكما معْشَرَ الثَّقَلين ، التى أنعم عليكما من أثاب أهل طاعته منكم هذا الثواب ، وأكرمهم هذه الكرامة ، تكذّبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٥٧)

يقول تعالى ذكره فى هذه الفُرُش التى بطائنها من إستبرق (قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) وهنّ النساء اللاتى قد قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنى أبى ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، فى قوله (فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قَصُر طرفهنّ عن الرجال ، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ) . . . الآية ، يقول : قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يُرِدْن غيرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قاصِراتُ الطَّرْفِ) قال : لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ ، تقول : وعزّة ربى وجلاله وجماله إنْ أرى فى الجنة شيئا أحسن منكَ ، فالحمد لله الذى جعلكِ زوجى ، وجعلنى زوجَكَ .

وقوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) يقول : لم يمسهنّ إنس قبل هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ، وهم الذين قال فيهم (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) ولا جانّ : يقال منه : ماطَمَثَ هذا البعيرَ حبلٌ قطّ : أى ما مَسَّهُ[1] حبل .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : الطمث هو النكاح بالتدمية ، ويقول : الطمث هو الدم ، ويقول : طمثها إذا دماها بالنكاح . وإنما عُنِى فى هذا المرضع أنه لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جانّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) كذا فى (اللسان : طمث) . وفى الأصل : مشطه ، ولعله تحريف من الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) يقول : لم يُدْمِهِنّ إنس ولا جانّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن علىّ (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) قال : منذ خلقهن .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، عن مغيرة بن مسلم ، عن عكرمة ، قال : لاتقل للمرأة طامث ، فإن الطَّمْث هو الجماع ، إن الله يقول : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) قال : لم يَمَسَّهنّ شىء : إنس ولا غيره .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) قال : لم يَمَسَّهنّ .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عاصم ، قال : قلت لأبى العالية امرأة طامث ، قال : ما طامث ؟ فقال رجل : حائض ، فقال أبو العالية : حائض ، أليس يقول الله عزّ وجل (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) .

فإن قال قائل : وهل يجامع النساء الجنّ ، فيقال : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) ؟

فإن مجاهدا روى عنه ما حدثنى به محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا يحيى ابن يَعْلَى الأسلمىّ ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : إذا جامع الرجل ولم يسمّ ، انطوى الجانّ على إحليله ، فجامع معه ، فذلك قوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) .

وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية فى أن الجنّ يدخلون الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو حُمَيد أحمد بن المغيرة الحمصىّ ، قال : ثنى أبو حَيْوة شريح بن يزيد الحضرمىّ ، قال : ثنى أرطاة بن المنذر ، قال : سألت ضَمْرة بن حبيب : هل للجنّ من ثواب ؟ قال : نعم ، ثم نزع بهذه الآية (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانّ) فالإنسيات للإنس ، والجنيات للجنّ .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ آلاء ربكما ، معشر الجنّ والإنس من هذه النعم التى أنعمها على أهل طاعته ، تكذّبان ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ (٦٠) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ (٦١)

يقول تعالى ذكره : كأن هؤلاء القاصرات الطرف اللواتى هنّ فى هاتين الجنتين فى صفائهنّ الياقوت الذى يرى السلك الذى فيه من ورائه ، فكذلك يرى مخّ سوقهنّ من وراء أجسامهنّ ، وفى حسنهنّ الياقوت والمرجان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر الأثر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنى محمد بن حاتم ، قال : ثنا عبيدة ، عن حُمَيد ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ المَرأةَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ لَيُرَى بَياضُ ساقِها مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ وَمُخُّها ، وذلكَ أنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى يَقُولُ : (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) أمَّا الياقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لَرأيْتَهُ مِنْ وَرائِهِ »

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود : « إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير ، يُرَى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ ، ذلكم بأن الله يقول : (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) ألا وإنما الياقوت حجر ، فلو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته ، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر » .

قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) فى بياض المرجان .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أخبرنا عبد الله : « إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير ، فيرى بياض ساقها وحسنه ، ومخّ ساقها من وراء ذلك ، وذلك لأن الله قال (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) » ألا ترى أن الياقوت حجر فاذا أدخلت فيه سلكا ، رأيت السلك من وراء الحجر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : « إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة ، فيرى مخّ ساقها كما يُرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء » .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن السدىّ ، فى قوله (كأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) قال : صفاء الياقوت ، وحسن المرجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كأنهن الياقوت والمرجان) صفاء الياقوت فى بياض المرجان . ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دخل الجنة فله فيها زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء ثيابهما » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العرام ، عن قتادة (كأنهن الياقوت والمرجان) قال : شبه بهن صفاء الياقوت فى بياض المرجان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كأنهن الياقوت والمرجان) فى صفاء الياقوت وبياض المرجان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كأنهن الياقوت والمرجان) قال : كأنهن الياقوت فى الصفاء ، والمرجان فى البياض ، الصفاء : صفاء الياقوتة ، والبياض : بياض اللؤلؤ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كأنهن الياقوت والمرجان) قال : فى صفاء الياقوت وبياض المرجان .

وقوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يقول تعالى ذكره : فبأى نعم ربكما التى أنعم عليكم معشر الثقلين ، من إثابته أهل طاعته منكم بما وصف فى هذه الآيات ؟ تكذبان .

وقوله (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) يقول تعالى ذكره : هل ثواب خرف مقام الله عز وجل لمن خافه ، فأحسن فى الدنيا عمله ، وأطاع ربه ، إلا أن يحسن إليه فى الآخرة ربه ، بأن يجازيه على إحسانه ذلك فى الدنيا ، ما وصف فى هذه الآيات من قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) . . . إلى قوله (كأنهن الياقوت والمرجان) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العرام ، عن قتادة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) قال : عملوا خيرا فجوزوا خيرا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا عبيدة بن بكار الأزدى ، قال : ثنى محمد بن جابر ، قال : سمعت محمد بن المنكدر يقول فى قول الله جل ثناؤه (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) قال : هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) قال : ألا تراه ذكرهم ومنازلهم وأزواجهم ، والأنهار التى أعدها لهم ، وقال : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) حين أحسنوا فى هذه الدنيا ، أحسنا إليهم : أدخلناهم الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم بن أبى حفصة ، عن أبى يعلى ، عن محمد بن الحنفية (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) قال : هى مسجلة للبر والفاجر .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأيّ نعم ربكما معشر الثقلين التى أنعم عليكم، من إثابته المحسن منكم بإحسانه، تكذّبان؟

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦٣) مُدْهامَّتانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ (٦٥) فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ (٦٧)

يقول تعالى ذكره: ومن دون هاتين الجنتين اللتين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهما التى ذكر أنهما لمن خاف مقام ربه جنتان.

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَمِنْ دُونِهِما فى هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن دونهما فى الدَّرَج.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: ثنا عمرو بن أبى قيس، عن ابن أبى ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، فى قوله (وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ) قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها جنة أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال: (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ) وهى التى لاتعلم، أو قال: وهما التى لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهى التى لاتعلم الخلائق ما فيهما، أو ما فيها، يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يعقوب، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبير بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن دونهما فى الفضل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ): هما أدنى من هاتين لأصحاب اليمين.

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول: فبأيّ نعم ربكما التى أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف من هاتين الجنتين، تكذّبان؟

وقوله (مُدْهامَّتانِ) يقول تعالى ذكره: مسوادّتان من شدة خضرتهما.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (مُدْهامَّتانِ) يقول: خَضْراوان.

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرىّ ، ويقال : ملتفتان .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : أخبرنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد عن حارثة بن سليمان السلمىّ ، قال : سمعت ابن الزُّبَير وهو يفسِّر هذه الآية على المنبر ، وهو يقول : هل تدرون ما (مُدْهامَّتانِ ؟) خضراوان من الرِّىّ .

حدثنى محمد بن عمارة هو الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن حارثة بن سليمان ، هكذا قال ، قال ابن الزُّبَير (مُدْهامَّتانِ) خضراوان من الرىّ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن حارثة بن سليمان ، أن ابن الزُّبَير قال : (مُدْهامَّتانِ) قال : هما خَضْراوان من الرىّ .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرِّىّ .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرِّىّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَير (مُدْهامَّتانِ) قال : علاهما الرِّىّ من السواد والخضرة .

قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبَير (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : مسوادّتان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُدْهامَّتانِ) يقول : خضراوان من الرىّ ناعمتان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : خضراوان من الرِّىّ : إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مُدْهامَّتانِ) قال : ناعمتان .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان (مُدْهامَّتانِ) قال : مسوادّتان من الرىّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ) قال : جنتا السابقين ، فقرأ (ذَوَاتا أفْنانٍ) ، وقرأ (كَأنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ) ، ثم رجع

إلى أصحاب اليمين ، فقال (وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتَانِ) فذكر نضلهما وما فيهما ، قال (مُدْهامَّتَانِ) من الخضرة من شدة خضرتهما ، حتى كادتا تكونان سَوْداوين .

حدثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، فى قوله (مُدْهامَّتَانِ) قال : خضراوان .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأىّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكم بإثابته أهل الإحسان ما وصف فى هاتين الجنتين ؟ تكذّبان .

وقوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) يقول تعالى ذكره فى هاتين الجنتين اللتين من دون الجنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه ، عينان نضاختان ، يعنى فوّارتان .

⁂ واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى تنضخان به ، فقال بعضهم : تنضخان بالماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة ، فى قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) قال : تنضخان بالماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَضَّاخَتَانِ) قال : تنضخان بالماء .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) يقول : نضاختان بالماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) قال : ممتلئتان لاتنقطعان .

وقال آخرون : تنضخان الماء والفاكهة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) قال : بالماء والفاكهة .

وقال آخرون : نضاختان : بألوان الفاكهة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد (فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتَانِ) قال : نضاختان بألوان الفاكهة .

وقال آخرون : نضاختان بالخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ) يقول : نضاختان بالخير .

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى بذلك أنهما تنضخان بالماء ، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء .

وقوله (فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكم بإثابته محسنكم هذا الثواب الجزيل تكذّبان ؟ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ (٦٨) فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ (٧٠) فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ (٧١)

* يقول تعالى ذكره : وفى هاتين الجنتين المدهامّتين فاكهة ونخل ورمّان .

وقد اختلف فى المعنى الذى من أجله أعيد ذكر النخل والرمان ؛ وقد ذُكر قبلُ أن فيهما الفاكهة ، فقال بعضهم : أعيد ذلك لأن النخل والرمان ليسا من الفاكهة .

وقال آخرون : هما من الفاكهة ؛ وقالوا : قلنا هما من الفاكهة ، لأن العرب تجعلهما من الفاكهة . قالوا : فان قيل لنا : فكيف أعيدا وقد مضى ذكرهما مع ذكر سائر الفواكه ؟ قلنا : ذلك كقوله (حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى) فقد أمرهم بالمحافظة على كلّ صلاة ، ثم أعاد العصر تشديدا لها ، كذلك أعيد النخل والرمّان ترغيبا لأهل الجنة . وقال : وذلك كقوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) ، ثم قال (وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ ، وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ) ، وقد ذكرهم فى أوّل الكلمة فى قوله (مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبير ، قال : « نخل الجنة جذوعها من ذهب ، وعروقها من ذهب ، وكرانيفها من زمرذ ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، ورطبها كالدلاء ، أشدّ بياضا من اللبن ، وألين من الزُّبد ، وأحلى من العسل ، ليس له عَجَم » .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن وهب الذّمارىّ ، قال : « بلغنا أن فى الجنة نخلا جذوعها من ذهب ، وكرانيفها من ذهب ، وجريدها من ذهب ، وسعفها كسوة لأهل الجنة ، كأحسن حلل رآها الناس قطُّ ، وشماريخها من ذهب ، وعراجينها من ذهب ، وثفاريقها من ذهب ، ورطبها أمثال القِلال ، أشدّ بياضا من اللبن والفضة ، وأحلى من العسل والسكر ، وألين من الزُّبد والسَّمْن » .

وقوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول : فبأيّ نِعَم ربكما تكذّبان ؟ يقول : فبأيّ نعم ربكما التى أنعمها عليكم بهذه الكرامة التى أكرم بها محسنكم ، تكذّبان ؟ .

وقوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) يقول تعالى ذكره : فى هذه الجنان الأربع اللواتى اثنتان منهنّ لمن يخاف مقام ربه ، والأُخريان منهنّ من دونهما المدهامتان ، خيرات الأخلاق ، حِسان الوجوه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) يقول : فى هذه الجنان خيرات الأخلاق ، حِسان الوجوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (خَيْراتٌ حِسانٌ) قال : خيرات فى الأخلاق ، حِسان فى الوجوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال : الخيرات الحسان : الحور العين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوام ، عن قتادة (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال : خيرات الأخلاق ، حِسان الوجوه .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن أبى عبيد ، عن مسروق ، عن عبد الله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال : فى كل خَيْمة زوجة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفىّ الدِّمياطىّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة قالت «قلت : يا رسول الله أخبرنى عن قوله (فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ) قال : خَيْراتُ الأخْلاقِ ، حِسانُ الوُجُوهِ » .

قوله (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول : فبأيّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكما بما ذكر تكذّبان ؟ .

القول فى تأويل قوله تعالى

حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٧٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الخيرات الحسان (حُورٌ) يعنى بقوله حور : بِيض ، وهى جمع حوراء ، والحوراء : البيضاء .

وقد بيّنا معنى الحور فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القَتّات ، عن مجاهد (حُورٌ) قال : بيض .

قال : ثنا أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد (حُورٌ) قال : بيض .

قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (حُورٌ) قال : النساء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ) : الحوراء : العَيْناء الحسناء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان : الحور : سواد فى بياض .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : الحور : البيض ، قلوبهم وأنفسهم وأبصارهم .

وأما قوله (مَقْصُورَاتٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله ، إنهنّ قُصِرْن على أزواجهنّ ، فلا يبغين بهم بدلا ، ولا يرفعن أطرافهنّ إلى غيرهم من الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى القَتّات ، عن مجاهد : (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : قُصِر طرفُهنّ وأنفسُهنّ على أزواجهنّ .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ) قال : قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : قَصَرْن أنفسهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ ، فلا يُرِدن غيرهم .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله وابن اليمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : قصرن أنفسهنّ وقلوبهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : قصر طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (مَقْصُورَاتٌ) قال : مقصورات على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أنهنّ محبوسات فى الحِجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : محبوسات فى الخيام .

حدثنا جعفر بن محمد البزورى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، بمثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مَقْصُورَاتٌ) قال : محبوسات .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا أبو معشر السندىّ ، عن محمد بن كعب ، قال : محبوسات فى الحِجال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : لا يبرحن الخيام .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبارى ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : عذارَى الجنة .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو هشام قالا : ثنا عثام بن علىّ ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مَقْصُورَاتٌ) قال : المحبوسات فى الخيام : لا يخرجن منها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : محبوسات ، ليس بطوّافات فى الطرق .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وصفهنّ بأنهنّ مقصورات فى الخيام ، والقصر : هو الحبس ، ولم يخصص وصفهنّ بأنهنّ محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر ، بل عمّ وصفهنّ بذلك . والصواب أن يَعُمّ الخبر عنهنّ بأنهنّ مقصورات فى الخيام على أزواجهنّ ، فلا يردن غيرهم ، كما عَمّ ذلك .

وقوله (فِى الخِيامِ) يعنى بالخيام : البيوت ، وقد تسمى العرب هوادج النساء خياما ؛ ومنه قول لبيد :

شاقَتْكَ ظُعْنُ الحَىّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا فَتَكَنَّسُوا قُطُنا تَصِرُّ خِيامُها[1]

وأما فى هذه الآية فإنه عُنِى بها البيوت .

---

(١) هذا البيت للبيد ، قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ – ا) أنشده عند قوله تعالى : « حور مقصورات فى الخيام » قال : الحوراء : الشديدة بياض العين ، الشديدة سواد العين . مقصورات : أى خدرت فى الخيام . والخيام : البيوت . والهوادج أيضا : خيام ، قال لبيد * * شاقتك ظعن الحى يوم تحملت قد كنست قطنا تصر خيامها هذه رواية أبى عبيدة للبيت . وأما روايته فى شرحى الزوزنى والتبريزى للمعلقات ، فهى كرواية المؤلف فى « تحملوا » و « تكنست » . ومعنى شاقتك دعتك إلى الشوق إليها . والظعن : النساء اللواتى فى الهوادج ، وأصله الظعن ، بضمتين . وهو جمع ظينة ، وهى المرأة الظاعنة مع زوجها ، ثم يقال لها وهى فى بيتها : ظعينة ، وقد تجمع على الظعائن . وتحملوا : ارتحلوا بأحمالهم . وتكنسوا : دخلوا فى الهوادج ، وأصله : دخول الكناس ، والاستكنان به . والقطن : جمع قطين ، وهم الجماعة . والقطن أيضا : الخشم ، والعبيد ، والعيال . والصرير : صوت الباب والرحل وغير ذلك ، يقول : حننت إلى نساء الحى ، يوم ارتحل الحى ، ودخلوا فى الكنس ، أى الهوادج ، وكانت خيامهم تصر لجدتها ، وتعجلهم فى سيرهم . (انظر شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات) . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى ، عن سعيد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا عبد الملك بن ميسرة ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : الدرّ المجوّف .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الملك ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فُضَيل بن عَيّاش ، عن هشام ، عن محمد ، عن ابن عباس فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخيامِ) قال : الخيمة : لؤلؤة أربعة فراسخ فى أربعة فراسخ ، لها أربعة آلاف مِصراع من ذهب .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فِى الخِيامِ) قال : بيوت اللؤلؤ .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إدريس الأَوْدِىّ ، عن شمر ابن عطية ، عن أبى الأحوص ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أتدرون ما حور مقصورات فى الخيام ؟ الخيام : درّ مجوّف .

قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا مسعر ، عن عبد الملك ، عن أبى الأحوص ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الخِيامِ) قال : درّ مجوّف .

وبه عن أبى الأحوص قال : الخيمة : درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : الخيمة فى الجنة من درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف مصراع .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن قتادة ، عن خليد العصرىّ قال : لقد ذكر لى أن الخيمة لؤلؤة مجوّفة ، لها سبعون مِصْراعا ، كلّ ذلك من درّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، أنه قال : الخيام : درّ مجوّف .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : : الخيام : درّ مجوّف .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا وكيع ويعلى عن منصور ، عن مجاهد : فى الخيام : قال : الدرّ المجوف .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فِى الخِيامِ) قال : خيام درّ مجوّف .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حرب بن بشير ، عن عمرو بن ميمون ، قال : الخيام : الخيمة : درّة مجوّفة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، عن سَلَمة بن نُبَيط ، عن الضحاك ، قال : الخيمة : درّة مجوّفة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن اليمان ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب (فِي الخِيام) : فى الحجال .

قال : ثنا عبيد الله وابن اليمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع (فِي الخِيامِ) قال : فى الحجال .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن منصور ، عن مجاهد : (فِي الخِيامِ) قال : خيام اللؤلؤ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فِي الخِيامِ) الخيام اللؤلؤ والفضة ، كما يقال والله أعلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول : الخيمة درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف باب من ذهب .

وقال قتادة : كان يقال : مسكن المؤمن فى الجنة ، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال ، وأنهاره وجنانه وما أعدّ الله له من الكرامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : الخيمة : درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ ، لها أربعة آلاف باب من ذهب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال يقال : خيامهم فى الجنة من لؤلؤ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : الخيام : الدرّ المجوّف .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثني حِرْميّ بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن أبي مجلز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قول الله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : « دُرٌّ مُجَوَّفٌ » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان ابن مسعود يحدّث ، عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هِيَ الدُّرّ المُجَوَّفُ » يعنى الخيام فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيامِ) قال : فى خيام اللؤلؤ .

وقوله (فَبِأَيّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟) يقول : فبأيّ نعم ربكما التى أنعم عليكما من الكرامة ، بإثابة محسنكم هذه الكرامة تكذّبان ؟ .

وقوله (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ) يقول تعالى ذكره : لم يَمَسَّهنّ بنكاح فيدميهنّ ، إنس قبلهم ولا جانّ .

وقرأت قرّاء الأمصار (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) بكسر الميم فى هذا الموضع ، وفى الذى قبله . وكان الكسائىّ يكسر إحداهما ، ويضمّ الأخرى .

والصواب من القراءة فى ذلك : ماعليه قرّاء الأمصار ، لأنها اللغة الفصيحة ، والكلام المشهور من كلام العرب .

وقوله (فَبِأَىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذّبانِ ؟) يقول : فبأىّ نِعَم ربكما التى أنعم عليكم بها مماوصف ، تكذبان .

القول فى تأويل قوله تعالى

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٧٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : ينعم هؤلاء الذين أكرمهم جلّ ثناؤه هذه الكرامة التى وصفها فى هذه الآيات فى الجنتين اللتين وصفهما (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) .

⁂ واختلف أهل التأويل فى معنى الرفرف ، فقال بعضهم : هى رياض الجنة ، واحدتها : رفرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير أنه قال فى هذه الآية (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : رياض الجنة .

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا أبو نوح ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا سعيد بن جُبَير ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : رياض الجنة .

وقال آخرون : هى المحابس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) يقول : المحابس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : فضول المحابس والبسط .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : هى البسط . أهل المدينة يقولون : هى البسط .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كُهيل الحضرمىّ ، عن رجل يقال له غزوان : (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : فضول المحابس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هارون ، عن عنترة ، عن أبيه ، قال : فضول الفُرُش والمحابس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مروان ، فى قوله (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : فضول المحابس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف الخضر : المحابس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : محابس خضر .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : هى المحابس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قال : الرفرف : المحابس .

وقال آخرون : بل هى المرافق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : الرفرف : مرافق خُضْر ، وأما العبقرىّ فإنه الطنافس الثِّخان ، وهى جماع واحدها : عبقرية . وقد ذُكر أن العرب تسمى كلّ شىء من البسط عبقريًّا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : الزرابىّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : الزرابى الحسان .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قوله (عَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : عتاق الزرابىّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : العبقرىّ : الزرابىّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (عَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : الزرابىّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : العبقرىّ : الزرابىّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان ، قال : ثنا أبو العوّام ، عن قتادة (عَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : الزرابىّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (وعَبْقَرِىّ حِسانٍ) قال : زرابىّ.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَبْقَرِىّ حِسانٍ) قال : العبقرىّ : الطنافس .

وقال آخرون : العبقرىّ : الديباج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (وَعَبْقَرِىٍّ حِسانٍ) قال : هو الديباج والقرّاء فى جميع الأمصار على قراءة ذلك (على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىّ حِسانٍ) بغير ألف فى كلا الحرفين . وذُكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبر غير محفوظ ، ولا صحيح السند (على رَفارِفَ خُضْرٍ وعَباقِرِىَّ) بالألف والإجراء . وذُكر عن زُهير الفرقبى أنه كان يقرأ (على رَفارِفَ خُضْرٍ) بالألف وترك الإجراء (وَعَباقِرِىٍّ حِسانٍ) بالألف أيضا ، وبغير إجراء . وأما الرفارف فى هذه القراءة ، فإنها قد تحتمل وجه الصواب . وأما العباقرىّ ، فإنه لاوجه له فى الصواب عند أهل العربية ، لأن ألف الجماع لايكون بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح . وأما القراءة الأولى التى ذُكرت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلو كانت صحيحة لوجب أن تكون الكلمتان غير مجراتين .

وقوله (فَبِأَىّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) يقول تعالى ذكره : فبأىّ نِعم ربكما التى أنعم عليكم من إكرامه أهل الطاعة منكم هذه الكرامة ، تكذّبان .

وقوله (تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ) يقول تعالى ذكره : تبارك ذكر ربك يامحمد (ذِى الجَلالِ) يعنى ذى العظمة (والإكْرامِ) يعنى : ومن له الإكرام من جميع خلقه .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (ذِى الجَلالِ والإكْرامِ) يقول : ذو العظمة والكبرياء .

آخر تفسير سورة الرحمن عزّ وجلّ

تفسير سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَٰقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَٰذِبَةٌ (٣) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (إذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ) : إذا نزلت صيحة القيامة ، وذلك حين يُنفخ فى الصور لقيام الساعة .

كما حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ) يعنى : الصيحة .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ) الواقعة والطامة والصاخة ، ونحو هذا من أسماء القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) يقول تعالى: ليس لوقعة الواقعة تكذيب ولا مردودية ولا مَثْنوية. والكاذبة فى هذا الموضع مصدر ، مثل العاقبة والعافية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) : أى ليس لها مَثْنوية ، ولا رَجْعة ، ولا ارتداد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ) قال : مَثْنوية .

وقوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : الواقعة حينئذ خافضة ، أقواما كانوا فى الدنيا ، أعزّاء إلى نار الله .

وقوله (رَافِعَةٌ) يقول : رفعت أقواما كانوا فى الدنيا وُضَعاء إلى رحمة الله وجنته . وقيل : خفضت فأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى .

ذكر من قال فى ذلك ما قلنا

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ، ورفعت أولياء الله إلى الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) يقول : تخللت كلّ سهل وجبل ، حتى أسمعت القريب والبعيد ، ثم رفعت أقواما فى كرامة الله ، وخفضت أقواما فى عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : أسمعت القريب والبعيد ، خافضة أقواما إلى عذاب الله ، ورافعة أقواما إلى كرامة الله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله

(خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : خفضت وأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى ؛ قال : فكان القريب والبعيد من الله سواء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) قال : سمّعت القريب والبعيد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (خافِضَةٌ رَافِعَةٌ) خفضت فأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى ، فكان فيها القريب والبعيد سواء .

وقوله (إذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا) يقول تعالى ذكره : إذا زلزلت الأرض فحرّكت تحريكا من قولهم السهم يرتجّ فى الغرض ، بمعنى : يهتزّ ويضطرب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا) يقول : زلزلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (إذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا) قال : زلزلت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذَا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا) يقول : زلزلت زلزلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذا رُجَّتِ الأرْضُ رَجًّا) قال : زلزلت زلزالا .

وقوله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) يقول تعالى ذكره : فُتَّتِ الجبال فَتًّا ، فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول ، كما قال جلّ ثناؤه (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبا مَهِيلا) والبسيسة عند العرب : الدقيق والسويق تلتّ وتتخذ زادا .

وذُكر عن لصّ من غَطَفان أنه أراد أن يخبز ، فخاف أن يُعْجَل عن الخَبْز ، قبلّ الدقيق وأكله عجينا ، وقال :

لا تَخْبِزَا خَبْزًا وبُسَّا بَسَّا
مَلْسا بِذَوْدِ الحَلَسِيِّ مَلْسا[1]

(١) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ – ب) عند قوله تعالى : « وبست الجبال بسا » قال : مجازها كمجاز السويق المبسوس ، أى المبلول والعجين . قال لص من غطفان وأراد أن يخبز ، فخاف أن يعجل عن الخبز قبل الدقيق ، فأكله عجينا ، فقال : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا » . اهـ . وفى (اللسان : ملس) : والملس : السوق الشديد . وفى بس : وقال ثعلب : معنى : وبست الجبال بسا : خلطت بالتراب . وقال بعضهم : فتتت . وقال بعضهم : سويت . اهـ . ولم يورد أبو عبيدة البيت الثانى وأنشد صاحب اللسان البيت الأول ، وجاء بعده ببيت آخر ، وهو * ولا تطيلا بمناخ حبسا * وأنشد فى « ملس » البيت الثانى =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله : (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) يقول : فتتت فتا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فتتت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : كما يُبَسُّ السَّوِيقَ .

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا حفص بن عمر العَدَنِىّ ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فُتَّتْ فَتّا .

حدثنى إسماعيل بن موسى ابن بنت السُّدِّىّ ، قال : أخبرنا بشر بن الحكم الأحمسىّ ، عن سعيد بن الصَّلْت ، عن إسماعيل السدىّ وأبى صالح (وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا) قال : فُتتت فتا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : كما يُبَسّ السويق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : صارت كثيبا مهيلا كما قال الله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا) قال : فُتت فتا .

وقوله (فَكانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) اختلف أهل التأويل فى معنى الهباء ، فقال بعضهم : هو شعاع الشمس الذى يدخل من الكَرّة كهيئة الغبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَكانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) يقول : شعاع الشمس .

= * قال : والملس : السوق الشديد . يقال ملست بالإبل أملس (من باب قتل) ملسا : إذا سقتها سوقا فى خفية ، قال الراجز :
* ملسا بذود الحلسى ملسا * وقال ابن الأعرابى : الملس : ضرب من السير الرقيق . والملس : اللين من كل شىء . اهـ .
وأنشد الفراء فى معانى القرآن البيتين كرواية المؤلف . وقال (الورقة ٣٢٢) : « وبست الجبال بسا » : صارت كالدقيق ، وذلك قوله « وسيرت الجبال » . وسمعت العرب تنشد : « لاتخبزا خبزا . . . البيتين » . والبسيسة عندهم : الدقيق أو السويق ، يلت ويتخذ زادا . اهـ . وفى النوادر لأبى زيد (بيروت ١١) :

مَلْسا بِذَوْدِ الحُمَسِيّ مَلْسَا مِنْ غَدْوَةٍ حتى كأنّ الشَّمْسَا
بالأُفُقِ الغَرْبِىّ تُطْلَى وَرْسَا =

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : شعاع الشمس حين يدخل من الكَوّة .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : شعاع الشمس يدخل من الكَوّة ، وليس بشىء .

وقال آخرون : هو رَهَج الدوابّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : رَهَج الدوابّ .

وقال آخرون : هو ما تطاير من شرر النار الذى لاعين له .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) قال : الهباء : الذى يطير من النار إذا اضطرمت ، يطير منه الشرر ، فإذا وقع لم يكن شيئا .

وقال آخرون : هو يبيس الشجر الذى تذروه الرياح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) كَيبيس الشجر ، تذروه الرياح يمينا وشمالا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هَبَاءً مُنْبَثًّا) يقول : الهباء : ما تذروه الريح من حُطام الشجر .

وقد بيَّنا معنى الهباء فى غير هذا الموضع بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا المرضع .

وأما قوله (مُنْبَثًّا) فانه يعنى متفرّقا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩) وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكنتم أيها الناس أنواعا ثلاثة وضروبا .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً) قال : منازل الناس يوم القيامة .

= قال أبو زيد : الملس : السير الشديد . قال أبو حاتم : وأقول أنا لاعن أبى زيد : الملس السير السريع السهل . وقوله «تطلى ورسا قد اصفرت للغروب . اه .

وقوله (فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ) : وهذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة ، يقول جل ثناؤه : وكنتم أزواجاً ثلاثة : أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ، والسابقون ، فجعل الخبر عنهم ، مغنيا عن البيان عنهم ، على الوجه الذى ذكرنا ، لدلالة الكلام على معناه ، فقال : (فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصْحَابُ المَيْمَنَةِ) يعجب نبيه محمدا منهم ، وقال : (ما أصحَابُ اليَمِينِ) الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ، أىّ شىء أصحاب اليمين (وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَاب المَشأَمَةِ) يقول تعالى ذكره : وأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ، والعرب تسمى اليد اليسرى : الشُّؤْمى ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

فأنْحَى على شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذادَها بأظْمأَ مِنْ فَرْعِ الذُّوَابَةِ أسْحَما[1]

وقوله (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) وهم الزوج الثالث ، وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله ، وهم المهاجرون الأوّلون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العتكى ، عن عثمان بن عبدالله ابن سُراقة ، قوله (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : اثنان فى الجنة ، وواحد فى النار ، يقول : الحور العين للسابقين ، والعُرُب الأتراب (لأصحَابِ اليَمِينِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : منازل الناس يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ ، وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ) . . . إلى (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَوَّى بَيْنَ أصحَابِ اليَمِينِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، وَبَيْنَ أصحَابِ اليَمِينِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وكانَ السَّابِقُونَ مِنَ الأُمَمِ أكْثَرَ مِنْ سابِقِ هَذِهِ الأُمَّةِ» .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ) : أى ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم (وأصحَابُ المَشأَمَةِ ما أصحَابُ المَشأَمَةِ) : أى ماذا لهم وماذا أعدّ لهم (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) : أى من كلّ أمة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول : وجدت الهوى ثلاثة أثلاث ،

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . ورويت فى مدح قيس ابن معد يكرب . وأنحى : اعتمد ، يقال : أنحى البعير : اعتمد فى سيره على أيسره . واليد الشؤمى : اليسرى . وأظمأ : أسمر ذابل . والفرع : الشعر . والذؤابة : شعر الناصية . وأسحم : أسود . يصف ثورا اجتمعت عليه كلاب الصيد ، فذادها عنه بقرنه الذابل المحدد ، وهو أشد سوادا من خصلة الشعر . والشاهد فى قوله شؤمى يديه أى يسراهما . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى « وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » : أصحاب الميسرة ، ويقال لليد اليسرى : الشؤمى ؛ ويقال : هو الجانب الأيسر . وسميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ، والشأم أنها عن شمال الكعبة . اهـ .

فالمرء يجعل هواه علمه ، فيديل هواه على علمه ، ويقهر هواه علمَه، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل ، والعلم ذليل ، الهوى غالب قاهر ، فالذى قد جعل الهوى والعلم فى قلبه ، فهذا من أزواج النار ، وإذا كان ممن يريد الله به خيرا استفاق واستنبه ، فإذا هو عون للعلم على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى ، فإذا حسُنت حال المؤمن ، واستقامت طريقته كان الهوى ذليلا ، وكان العلم غالبا قاهرا ، فإذا كان ممن يريد الله به خيرا ، ختمَ عمله بإدالة العلم ، فتوفاه حين توفاه ، وعلمه هو القاهر ، وهو العامل به ، وهواه الذليل القبيح ، ليس له فى ذلك نصيب ولا فعل . والثالث : الذى قبح الله هواه بعلمه ، فلا يطمع هواه أن يغلب العلم ، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب ، فهذا الثالث ، وهو خيرهم كلهم ، وهو الذى قال الله عزّ وجلّ فى سورة الواقعة (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) قال : فزوجان فى الجنة، وزوج فى النار ، قال : والسابق الذى يكون العلم غالبا للهوى ، والآخر : الذى ختم الله بإدالة العلم على الهوى ، فهذان زوجان فى الجنة ، والآخر : هواه قاهر لعلمه ، فهذا زوج النار .

واختلف أهل العربية فى الرافع أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ، فقال بعض نحويّ البصرة : خبر قوله (فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ ، وأصحَابُ المَشْأمَةِ ما أصحَابُ المَشْأمَةِ) قال : ويقول : زيد ما زيد، يريد : زيد شديد . وقال غيره : قوله (ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ) لاتكون الجملة خبره ، ولكن الثانى عائد على الأوّل ، وهو تعجب ، فكأنه قال : أصحاب الميمنة ماهم ، والقارعة ماهى ، والحاقة ماهى ؟ فكان الثانى عائد الأوّل ، وكان تعجبا ، والتعجب بمعنى الخبر ، ولو كان استفهاما لم يجز أن يكون خبرا للابتداء ، لأن الاستفهام لايكون خبرا ، والخبر لايكون استفهاما ، والتعجب يكون خبرا ، فكان خبرا للابتداء . وقوله : زيد وما زيد ، لايكون إلا من كلامين ، لأنه لاتدخل الواو فى خبر الابتداء ، كأنه قال : هذا زيد وما هو : أى ما أشدّه وما أعلمه .

⁂ واختلف أهل التأويل فى المعنيين بقوله (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فقال بعضهم : هم الذين صلوا للقبلتين .

حدثنا ابن حُمَيد، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خارجة ، عن قرة ، عن ابن سيرين (والسَّابقون السَّابِقُونَ) الذين صلوا للقبلتين .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبوعمرو ، قال : ثنا عثمان بن أبى سودة ، قال (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) : أوّلهم رواحا إلى المساجد ، وأسرعهم خفوقا فى سبيل الله .

والرفع فى السابقين من وجهين : أحدهما : أن يكون الأوّل مرفوعا بالثانى، ويكون معنى الكلام حينئذ: والسابقون الأوّلون ، كما يقال : السابق الأوّل ، والثانى أن يكون مرفوعا بأولئك المقرّبون ، يقول جلّ ثناؤه : أولئك الذين يقرّبهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة .

وقوله (فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يقول : فى بساتين النعيم الدائم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : جماعة من الأمم الماضية ، وقليل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الآخرون وقيل لهم الآخرون : لأنهم آخر الأمم (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) يقول : فوق سُرر منسوجة ، قد أُدخل بعضها فى بعض ، كما يُضَنُ حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تُساقُ مَعَ الحَيِّ عِيرًا فعِيرَا!

ومنه وضين الناقة ، وهو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا ، كالحلق حلق الدرع . وقيل : وضين ، وإنما هو مرضون ، صرف من مفعول إلى فعيل ، كما قيل : قتيل لمقتول . وحُكى سماعا من بعض العرب : أزيار الآجر موضون بعضها على بعض ، يراد مشرج صفيف .

وقيل : إنما قيل لها سُرر موضونة ، لأنها مشبكة بالذهب والجوهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرمرلة بالذهب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرمرلة بالذهب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : يعنى الأسرّة المرملة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال : الموضونة : المرملة بالذهب .

---

(١) وهذا البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٩٩) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى . وقبل البيت :

وأعْـدَدْتَ للْحَرْبِ أوْزَارَهَا رِماحًا طِوَالاً وَخَيْلاً ذُكُورَا

وأوزار الحرب : عدتها ، ودرع موضونة منسوج بعضها على بعض ، وتساق مع الحى : تحمل . يقول : أعددت للحرب عدتها ، من الرماح الطوال ، والخيل الجياد ، والدروع الكثيفة التى نسجت نسجا مضاعفا ، تحمل فوق الجمال ، عيرا من ورائها عير . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٤ – ب) عند قوله تعالى « على سرر موضونة » : بعضها على بعض ، مداخلة كما توضن حلق الدرع بعضها فى بعض مضاعفة . وقال الأعشى : « ومن نسج داود . . . البيت » . والوضين : البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا ، كالحلق حلق الدروع ، فهو وضين ، وضع فى موضع موضون ، كما يقولون قتيل فى موضع مقتول . قال :

* إليك تعدو قلقا وضينها *

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مشبكة بالدرّ والياقوت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَوْضُونَةٍ) قال : مرمولة بالذهب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) والموضونة : المرمرلة ، وهى أوْثَرُ السرر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (مَوْضُونَةٍ) قال مرمرلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) قال : مرملة مشبكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) الوضن : التشبيك والنسج ، يقول : وسطها مشبك منسوج .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) المرضونة : المرملة بالجلد ، ذاك الرضين ، منسوجة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها مصفوفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) يقول : مصفوفة .

وقوله (مُتَّكِئِينَ عليها مُتَقابِلِينَ) يقول تعالى ذكره متكئين على السُّرر المرضونة ، متقابلين بوجوههم ، لاينظر بعضهم إلى قفا بعض .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) قال : لاينظر أحدهم فى قفا صاحبه . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، فى قراءة عبد الله ، يعنى ابن مسعود (مُتَّكِئِينَ عَلَيْها ناعِمِينَ) .

وقد بينا ذلك فى غير هذا المرضع ، وذكرنا ما فيه من الرواية .

وقوله (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ) يقول تعالى ذكره : يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرّبهم الله فى جنات النعيم ، وِلْدان على سنّ واحدة ، لايتغيرون ولا يموتون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُخَلَّدُونَ) قال : لايموتون .

وقال آخرون : عُنِي بذلك أنهم مُقَرّطون مسوّرون .

⁂ والذى هو أولى بالصواب فى ذلك: قول من قال معناه: إنهم لايتغيرون ، ولا يموتون، لأن ذلك أظهر معنييه ، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يَشْمَط : إنه لمخلد ، وإنما هو مُفَعَّل من الخلد .

وقوله (بأكْوَابٍ وأباريقَ) والأكواب : جمع كوب ، وهو من الأباريق ما اتسع رأسه ، ولم يكن له خرطوم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بأكوابٍ) قال : الأكواب : الجرار من الفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (بأكْوَابٍ وأباريقَ) قال : الأباريق: ما كان لها آذان ، والأكواب ما ليس لها آذان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال: الأكواب ليس لها آذان .

حدثنا يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال: سئل الحسن عن الأكواب ، قال : هى الأباريق التى يصبّ لهم منها .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، قال : مر أبو صالح صاحب الكلبىّ ، قال : فقال أبى ، قال لى الحسن وأنا جالس: سله ، فقلت : ما الأكواب ؟ قال : جرار الفضة المستديرة أفواهها ، والأباريق ذوات الخراطيم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (بأكْوَابٍ) قال : ليس لها عُرًى ولا آذان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بأكْوَابٍ وأباريقَ) والأكواب التى يغترف بها ليس لها خراطيم ، وهى أصغر من الأباريق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بأكْوَابٍ وأباريقَ) قال : الأكواب التى دون الأباريق ليس لها عُرًى .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الأكواب جرار ليست لها عُرًى ، وهى بالنبطية كوبا ، وإياها عنى الأعشى بقوله :

صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ ودَنّ[1]

(١) وهذا الشاهد كذلك لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ١٧) والصريفية : الخمر المنسوبة إلى صريفون ، وهو موضع بالعراق مشهور بجودة خمره . وقيل سماها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ ، كاللبن الصريف . وقيل نسبت إلى صريفين ، وهو نهر يتخلج من الفرات . والصريف أيضا : الخمر التى لم تمزج بالماء . والكوب : الكوز لاعروة له . والدن : وعاء الخمر . والزبد : ما يعلو الخمر من الرغوة إذا تحركت فى الدن ، أو صبت من الإبريق فى الكأس .

وأما الأباريق : فهى التى لها عُرًى .

وقوله (وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ) : وكأس خمر من شراب مَعِين ، ظاهر للعيون ، جار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ) : قال الخمر .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) : أى من خمر جارية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) الكأس : الخمر .

حدثنا أبو سنان ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (وكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) قال : الخمر الجارية .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، مثله .

وقوله (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) يقول : لاتصدع رءوسهم عن شربها فتسكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسماعيل بن موسى السدىّ ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قوله (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) قال : لاتصدّع رءوسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) ليس لها وجع رأس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) قال : لاتصدّع رءوسهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) يقول : لاتصدّع رءوسهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لايُصَدَّعُونَ عَنْها) يعنى : وجع الرأس .

وقوله (وَلا يُنْزِفُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاى ، ووجهوا ذلك إلى أنه لاتنزف عقولهم . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (لايُنْزِفُونَ) بكسر الزاى ، بمعنى : ولا ينفد شرابهم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فيها الصواب .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على نحو اختلاف القرّاء فيه . وقد ذكرنا اختلاف أقوالهم فى ذلك ،

وبيّنا الصواب من القول فيه فى سورة الصافات ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا سنذكر قول بعضهم فى هذا الموضع ، لئلا يظنّ ظانّ أن معناه فى هذا الموضع مخالف معناه هنالك .

ذكر قول من قال منهم معناه : لا تنزف عقولهم

حدثنا إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (وَلا يُنْزِفُونَ) قال : لاتنزف عقولهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلا يُنْزِفُون) قال : لاتنزف عقولهم .

وحدثنا ابن حميد ، مرة أخرى فقال : ولا تذهب عقولهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَلا يُنْزَفُونَ) لا تنزف عقولهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا يُنْزِفُونَ) قال : لايُغلب أحد على عقله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، فى قوله (وَلا يُنْزِفُونَ) قال : لايغلب أحد على عقله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة فى قول الله (وَلا يُنْزِفُونَ) قال : لاتغلب على عقولهم .

وقوله (وَفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التى يتخيرونها من الجنة لأنفسهم ، وتشتهيها نفوسهم (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) يقول : ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من الطير الذى تشتهيه نفوسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وحُورُ عِينٌ) فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض المدنيين (وحُورٍ عِينٍ) بالخفض اتباعا لإعرابها إعراب ماقبلها من الفاكهة واللحم ، وإن كان ذلك مما لايُطاف به ، ولكن لما كان معروفا معناه المراد أتبع الآخرُ الأوّلَ فى الإعراب ، كما قال بعض الشعراء :

إذَا ما الغانياتُ بَرَزْنَ يَوْما وَزَجَّجْنَ الْحَرَاجِبَ والعُيُونا (١)

(١) هذا الشاهد من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) وتقدم الكلام عليه مع الشاهد « ورأيت زوجك فى الوغى . . . البيتين) . وفى (اللسان : زجج) وزججت المرأة حاجبها بالمزج : دققته وطولته . وقيل : أطالته بالإثمد . وقوله : « إذا ما الغانيات . . . البيت » إنما أراد : وكحلن العيونا ، كما قال : * شراب ألبان وتمر وأقط * أراد : وآكل تمر وأقط ، ومثله كثير . =

فالعيون تكتحل، ولا تُزَجَّج إلا الحواجب ، فردّها فى الإعراب على الحواجب ، لمعرفة السامع معنى ذلك ، وكما قال الآخر :

تَسْمَعُ للأَحْشاءِ مِنْهُ لَغَطَا وللْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَدَا (١)

والجسأة : غلظ فى اليد ، وهى لاتُسمع .

وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة ومكة والكوفة وبعض أهل البصرة بالرفع (وحُورٌ عِينٌ) على الابتداء ، وقالوا : الحور العين لايُطاف بهنّ ، فيجوز العطف بهنّ فى الإعراب ، على إعراب فاكهة ولحم ، ولكنه مرفوع ، بمعنى : وعندهم حُورٌ عِينٌ ، أو لهم حور عين .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء ، مع تقارب معنييهما ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب . والحُوْر : جماعة حَوْراء : وهى النقية العين ، الشديدة سوادها . والعِين : جمع عَيْناء ، وهى النجلاء العين فى حُسن .

وقوله (كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ) يقول : هنّ فى صفاء بياضهنّ وحسنهنّ ، كاللؤلؤ المكنون الذى قد صِين فى كن .

وقوله (جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : ثوابا لهم من الله بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، وعِوضا من طاعتهم إياه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن عُيَيْنة ، عن عمرو ، عن الحسن (وحور عِينٌ) قال : شديدة السواد : سواد العين ، شديدة البياض : بياض العين .

= وقال الشاعر : « علفتها تبنا . . . البيت » أى وسقيتها ماء باردا . يريد أن ماجاء من هذا ، فإنما يجىء على إضمار فعل آخر ، يصح المعنى عليه . ومثله قول الآخر : « ياليت زوجك . . . . البيت » تقديره : وحاملا رمحا . قال ابن برى ذكر الجوهرى عجز بيت على زججت المرأة حاجبيها * وزججن الحواجب والعيونا * قال : هو للراعى وصوابه : يزججن . وصدره :

وهِزَّةِ نشْوَةٍ مِن حىّ صِدْقٍ يُزَجِّجْنَ الْحَواجِبَ والعُيُونا

وبعده : أَنَخْنَ جِمالَهُنَّ بذَاتِ غِسْلٍ سَرَاةَ اليَوْمِ يَمْهَدْنَ الكُدُونا

ذات غسل : موضع . ويمهدن : يوطئن . والكدون : جمع كدن ، وهو ما توطىء به المرأة مركبها ، من كساء ونحوه .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٢٣) . وفى (اللسان : لغط :) اللغط (بسكون الغين وتحريكها) : الأصوات المبهمة المختلفة ، والجلبة لاتفهم . وفى (اللسان : جسأ) : جسأ الشىء يجسأ جسوءا فهو جاسىء : صلب وخشن . وجسأت يده من العمل تجسأ جسأ : صلبت . والاسم الجسأة ، مثل الجرعة . والجسأة فى الثواب : يبس المعطف ، ودابة جاسئة القوائم . وفى (اللسان : بدد) : وفرس أبد : بين البدد ، أى بعيد ما بين اليدين . وقيل هو الذى فى يديه تباعد عن جنبيه ، وهو البدد ، وبعير أبد ، وهو الذى فى يديه فتل (بالتحريك) . وموضع الشاهد فى البيت : أنه عطف الجسأة والبدد . وهما مما يرى لا مما يسمع ، على «لغطا» وهو مما يسمع ، وذلك على تقدير فعل ، أى وترى لليدين جسأة وبددا . فهو إذن كنظائره من الشواهد التى ذكرها الفراء فى هذا الموضع . وفى الأصل (دئدا) فى موضع (بددا) وهو من تحريف النساخين .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سُفيان ، عن رجل ، عن الضحاك (وحُورٌ عِينٌ) قال : بِيض عِين ، قال : عظام الأعين .

حدثنا ابن عباس الدورىّ ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، قال : الحُور : سُود الحَدَق .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد الأسلمىّ ، عن عباد بن منصور الباجىّ ، أنه سمع الحسن البصرىّ يقول : الحُور : صوالح نساء بنى آدم .

قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن ليث بن أبى سليم ، قال : بلغنى أن الحور العين خُلقن من الزعفران .

حدثنا الحسن بن يزيد الطحان ، قال : حدثتنا عائشة المرأة ليث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : خلق الحُور العين من الزعفران .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا عمرو بن سعد ، قال : سمعت ليثا ، ثنى ، عن مجاهد ، قال : حور العين خُلقن من الزعفران .

وقال آخرون : بل معنى قوله (حُورٌ) : أنهنّ يحار فيهنّ الطرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد (وَحُورٌ عِينٌ) قال : يحار فيهنّ الطرف .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ) قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أحمد بن الفرج الصَّدَفىّ الدِّمْياطىّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سَلَمة ، قالت : « قلت يارسول الله ، أخبرنى عن قول الله (كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ) قال : صفاؤُهُنّ كَصَفاءِ الدُّرّ الَّذِي فِي الأصْدافِ ، الَّذِي لا تَمَسُّهُ الأيْدى » .

وقوله (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلا تأثِيماً) يقول : لايسمعون فيها باطلا من القول ولا تأثيما ، يقول : ليس فيها ما يُؤثمهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلا تأثِيما) والتأثيم لايُسمع ، وإنما يُسمع اللغو ، كما قيل : أكلت خُبزا ولبنا ، واللبن لايُؤكل ، فجازت إذ كان معه شىء يؤكل .

وقوله (إلاّ قِيلاً سَلاما سَلاما) يقول : لايسمعون فيها من القول إلا قِيلا سلاما : أى اسلم مما تكره ، وفى نصب قوله (سَلاما سَلاما) وجهان : إن شئت جعلته تابعا للقِيل ، ويكون السلام حينئذ هو القِيل ، فكأنه قيل : لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، إلاّ سلاما سلاما ، ولكنهم يسمعون سلاما سلاما . والثانى : أن

يكون نصبه بوقوع القيل عليه ، فيكون معناه حينئذ: إلا قيلَ سلامٍ ، فإن نوّن نصب قوله (سَلامًا سَلاما ، بوقوع قِيلٍ عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وأصحَابُ اليَمِينِ) وهم الذين يُؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين ، الذين أُعطوا كتبهم بأيمانهم يامحمد (ما أصحَابُ اليَمِينِ) أىّ شىء هم وما لهم ، وماذا أعدّ لهم من الخير ، وقيل : إنهم أطفال المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام المخزومىّ ، قال : ثنا عبدالواحد ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا عثمان بن قيس ، أنه سمع زاذان أبا عمرو يقول : سمعت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : (وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ) قال : أصحاب اليمين : أطفال المؤمنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَاب اليَمِينِ) : أى ماذا لهم ؟ وماذا أعدّ لهم ؟ ثم ابتدأ الخبر عما ذا أعدّ لهم فى الجنة ، وكيف يكون حالهم إذا هم دخلوها ؟ فقال : هم (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يعنى : فى ثمر سِدْر مُوقَرٍ حملا ، قد ذهب شوكه .

وقد اختلف فى تأويله أهل التأويل ، فقال بعضهم : يعنى بالمخضود : الذى قد خُضد من الشوك ، فلا شوك فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : خَضْده وَقْره من الحمل ، ويقال : خُضِد حتى ذهب شوكه ، فلا شوك فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : زعم محمد بن عكرمة قال : لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن عكرمة ، فى قوله : (فِى سِدْرٍ مَخْضودٍ) قال : لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عوف ، عن قسامة بن زهير ، فى قوله (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : خُضِد من الشوك ، فلا شوك فيه .

حدثنا أبو حُمَيد الحِمْصِىّ أحمدُ بن المغيرة ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن عمرو بن عبدالله

الأحوصيّ ، عن السفر بن نُسَير ، فى قول الله عزّ وجلّ (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : خُضِد شوكه ، فلا شوك فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : كنا نحدّث أنه المُوقَر ، الذى لاشوك فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا قتادة فى قوله (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : ليس فيه شوك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : لاشوك له .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عكرِمة (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : لاشوك فيه .

وحدثنى به ابن حُمَيد مرّة أخرى ، عن مهران بهذا الإسناد ، عن عكرِمة ، فقال : لاشوك له ، وهو المُوقَر .

وقال آخرون : بل عُنِى به أنه المُوقَر حَمْلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مَخْضُودٍ) قال : يقولون هذا الموقَرُ حَمْلا .

حدثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو حُذَيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : الموقَر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : الموقَر .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يقول : مُوقَر .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير (فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال : ثمرها أعظم من القِلال .

وقوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) أما القرّاء فعلى قراءة ذلك بالحاء (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) وكذا هو فى مصاحف أهل الأمصار . ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه كان يقرأ (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ) بالعين :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهرىّ ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا زكريا ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه رضى الله عنه ، قرأها (طَلْعٍ مَنْضُودٍ) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا مجاهد ، عن الحسن بن سعد ، عن قيس بن

سعد ، قال : قرأ رجل عند علىّ (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) فقال علىّ : ما شأن الطَّلْح ، إنما هو : (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ) ، ثم قرأ (طَلْعُها هَضِيمٌ) فقلنا : أوّلا نحوّلها ، فقال : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحوّل .

وأما الطلح فإن المَعْمَر بن المُثَنَّى كان يقول : هو عند العرب شجر عظام ، كثير الشوك ، وأنشد لبعض الحُداة :

بَشَّرَها دَلِيلُها وَقالا غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ والْحِبالا[1]

وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون : إنه هو الموز .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سليمان التيمىّ ، عن أبى سعيد ، مولى بنى رَقاش ، قال : سألت ابن عباس عن الطلح ، فقال : هو الموز .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمىّ ، قال : ثنا أبو سعيد الرقاشىّ ، أنه سمع ابن عباس يقول : الطلح المنضود : هو الموز .

حدثنى يعقوب وأبو كُرَيب ، قالا : ثنا ابن عُلَيَة ، عن سليمان ، قال : ثنا أبو سعيد الرَّقاشىّ ، قال : قلت لابن عباس : ما الطلح المنضود ؟ قال : هو الموز .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو سعيد الرقاشىّ ، قال : سألت ابن عباس عن الطلح ، فقال : هو الموز .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن التيمى ، عن أبى سعيد الرقاشىّ ، عن ابن عباس (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الكلبىّ ، عن الحسن بن سعيد ، عن علىّ رضى الله عنه (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن رجل من أهل البصرة أنه سمع ابن عباس يقول فى الطلح المنضود : هو الموز .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : موزكم ، لأنهم كانوا يُعْجبون بوجّ وظلاله ، من طلحه وسدره .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو حُذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، عن عوف ، عن قسامة ، قال : الطلح المنضود : هو الموز .

---

(١) هذا الشاهد من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ — ا من المصورة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة « مراد ملا » بالآستانة) . أنشده عند قوله تعالى « وطلح منضود » قال : زعم المفسرون أنه الموز . وأما العرب فالطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك . وقال الحادى : « بشرها دليلها . . . . البيتين » . اهـ . وأما الحبال بالحاء ، كما فى رواية المؤلف ، فهى جمع حبل ، وهو الرمل : المرتفع ينقاد مسافة طويلة فى الأرض . وبالجيم فى رواية أبى عبيدة ، وهى جمع جبل . يبشر ناقته بأنها ستبلغ وطنها غدا ، وترى فيه ما ألفته من شجر الطلح ، والرمال أو الجبال .

قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قول الله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : الموز .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) كنا نحدّث أنه الموز .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال الله أعلم ، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح .

وقوله (مَنْضُودٍ) يعنى أنه قد نُضِدَ بعضُه على بعض ، وجمع بعضه إلى بعض :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال : بعضه على بعض .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) متراكم ، لأنهم يعجبون بوجّ وظلاله من طلحه وسدره .

وقوله (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) يقول : وهم فى ظلّ دائم لاتنسخه الشمس فتذهبه ، وكلّ ما لاانقطاع له فإنه ممدود ، كما قال لبيد :

غَلَبَ البَقاءَ وكنْتُ غيرَ مُغَلَّبٍ دَهْرٌ طَوِيلٌ دائمٌ مَمْدُودُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار ، وقال به أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : خمس مئة ألف سنة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى بنى مخزوم ، عن أبى هريرة ، قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام ، اقرءوا إن شئتم (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) فبلغ ذلك كعبا ، فقال : صدق والذى أنزل التوراة على لسان موسى ، والفرقان على لسان محمد ، لو أن رجلا ركب حُقّة أو جِذعة ، ثم دار بأصل تلك الشجرة مابلغها ، حتى يسقط هرِما ، إن الله غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ، وما فى الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن زياد مولى لبنى مخزوم ، أنه سمع أبا هريرة يقول : ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : وما فى الجنة من نهر .

---

(١) البيت للبيد نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ – ب) وفى روايته : « الغراء » فى موضع « البقاء » فى رواية المؤلف . يقول : غلب الدهر الطويل البقاء فى الدنيا ، ولم يكن شىء ليغلبنى غير الدهر . أنشده أبو عبيدة عند قوله تعالى « وظل ممدود » قال : أى لاتنسخه الشمس ، دائم . يقال للدهر الممدود والعيش إذا كان لاينقطع . قال لبيد : « غلب البقاء . . . البيت » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : مسيرة سبعين ألف سنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو يحيى بن سليمان ، عن هلال بن علىّ ، عن عبد الرحمن بن أبى عَمرة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، عن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّها مِئَةُ عامٍ ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، عن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فى ظِلِّها مِئَةُ عامٍ لايَقْطَعُها ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى الضحى ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةُ عامٍ لايَقْطَعُها ، شَجَرَةُ الخُلْدِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا الضحاك يحدّث ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها سَبْعِينَ أو مِئَةِ عامٍ ، هِيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لايَقْطَعُها » .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبدة وعبد الرحمن ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ سَنَةٍ لايَقْطَعُها ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ قَوْلُهُ : وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا فردوس ، قال : ثنا ليث ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةُ سَنَةٍ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا المحاربيّ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةُ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد ، قال : ثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وبمثله عن خلاس .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا أبو حصين ، قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق ، يعني الضبيّ ، فحدّث أبو صالح ، فقال : حدثني أبو هريرة ، قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، فقال أبو صالح : أتُكَذِّب أبا هريرة ، فقال : ما أُكَذِّب أبا هريرة ، ولكني أكذّبك ؛ قال : فشقّ على القرّاء يومئذ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال : حدثنا ، عن أنس بن مالك ، قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها .

قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، مثل ذلك أيضا .

وقوله (وَماءٍ مَسْكُوبٍ) يقول تعالى ذكره : وفيه أيضا ماء مسكوب ، يعني مصبوب سائل في غير أخدود .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَماءٍ مَسْكُوبٍ) قال : يجري في غير أخدود .

القول في تأويل قوله تعالى

وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (٣٥) فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٣٨)

يقول (وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ) يقول تعالى ذكره : (وَفِيها فاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)

لاينقطع عنهم شيء منها أرادوه فى وقت من الأوقات ، كما تنقطع فواكه الصيف فى الشتاء فى الدنيا ، ولا يمنعهم منها ، ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها ، أو بعدها منهم ، كما تمتنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ، ببعدها على الشجرة منهم ، أو بما على شجرها من الشوك ، ولكنها إذا اشتهاها أحدهم وقعت فى فيه ، أو دنت منه حتى يتناولها بيده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

وقد ذكرنا الرواية فيما مضى قبلُ ، ونذكر بعضا آخر منها :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ) قال : لايمنعه شوك ولا بُعْد .

كما يقال : بناء مرفوع .

وكالذى حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا رُشْدَين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن درّاج أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) قال : إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض ، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عمرو ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنَّ ارْتِفاعهَا ... ثم ذكر مثله » .

وقوله (إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً ، فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا عُرُبا) يقول تعالى ذكره : إنا خلقناهن خلقا فأوجدناهن ؛ قال أبو عبيدة : يعنى بذلك : الحُور العين اللاتى ذكرهن قبل ، فقال (وَحُورٌ عِينٌ كأمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ ، إنا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً) . وقال الأخفش : أضمر « هن » ولم يذكرهن قبل ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً) قال : خلقناهن خلقا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن جابر الجُعفىّ ، عن يزيد بن مرّة ، عن سلمة بن يزيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً) قال : مِنَ الثَّيِّبِ والأبْكارِ .

وقوله (فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا) يقول : فصيرناهن أبكارا عَذارَى ، بعد إذ كنّ (١) .

كما حدثنا حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن أبان الرقاشىّ ، عن أنس بن مالك ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً) قال : عَجائِزَ كُنَّ فِى الدُّنْيا عُمْشا رُمْصًا » .

(١) لعله حذف خبر « كن » اعتمادا على التصريح به فى الحديث الذى بعده ؛ أى بعد إذ كن عجائز .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عُبيدة ، عن يزيد بن أبان الرقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً . قال : أنْشأَ عَجائِزَ كُنَّ فِي الدُّنْيا عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا محمد بن ربيعة الكلابيّ ، عن موسى بن عُبيدة الرَّبَذِيّ ، عن يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : (إنَّا أنْشأناهُنَّ إنْشاءً) قال : مِنْهُنَّ العَجائِزُ اللاَّتِى كُنَّ فِى الدُّنْيا عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا سوار بن عبد الله بن داود ، عن موسى بن عبيدة الرَّبَذِيّ ، عن يزيد الرَّقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً) قال : هُنَّ اللَّوَاتِى كُنَّ فِى الدُّنْيا عَجائِزَ عُمْشا رُمْصًا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثناعمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا) قال : فهنّ العُجُزُ الرُّمْصُ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فِى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً ، فجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا) قال : إن منهن العُجُزَ الرُّجَّفَ ، أنشأهن الله فى هذا الخلق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً) قال قتادة : كان صفوان بن محرز يقول : إن منهنّ العُجُزَ الرُّجَّف ، صيرهنّ الله كما تسمعون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قوله (أبْكارًا) يقول : عَذارى .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفِيّ الدِّمياطيّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمّ سلَمة ، زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنها قالت : « قلت يا رسول الله ، أخبرنى عن قول الله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً ، فَجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا عُرُبا أتْرَابا ، لأصْحَابِ اليَمِينِ) قال : هُنَّ اللَّوَاتى قُبِضْنَ فِى الدُّنْيا عَجائِزَ رُمْصًا شُمْطا ، خَلَقَهُنَّ اللهُ بَعْدَ الكِبَرِ ، فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى » .

حدثنا أبو عبيد الوَصَّابِيّ ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ثابت بن عَجلان ، قال : سمعت سعيد بن جُبَير ، يحدّث عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّا أنْشأْناهُنَّ إنْشاءً ، فَجَعَلْناهُنَّ أبْكارًا عُرُبا أتْرَابا) قال : هن من بنى آدم ، نساء كنّ فى الدنيا ، ينشئهنّ الله أبكارا عَذارى عُرُبا .

وقوله (عُرُبا) يقول تعالى ذكره : فجعلناهنّ أبكارا غَنِجات ، متحببات إلى أزواجهنّ ، يحسنّ التبعُّل ، وهى جمع ، واحدهن عَرُوب ، كما واحد الرسل رسول ، وواحد القُطُف قَطُوف ؛ ومنه قول لبيد :

وفِي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غيرُ فاحِشَةٍ رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشَى دونَها البَصَرُ[1]

(١) هذا البيت للبيد الشاعر ، نسبه إليه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٥ – ب) أنشده عند قوله تعالى « عربا أترابا » قال : =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، وإسماعيل بن صُبيح ، عن أبى إدريس ، عن ثور ابن زيد ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (عُرُبا أترَابا) قال : المَلَقة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (عُرُبا) يقول : عواشق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عُرُبا) قال : العُرُب المتحببات المتودّدات إلى أزواجهنّ .

حدثنى سليمان بن عبيد الله الغَيلانى ، قال : ثنا أيوب ، قال : أخبرنا قرة ، عن الحسن ، قال : العُرُب : العاشق .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سِمَاك ، عن عكرِمة ، أنه قال فى هذه الآية (عُرُبا) قال : العُرُب : المَغْنوجة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شعبة ، عن سِمَاك ، عن عكرِمة ، قال : هى المغنوجة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرِمة ، فى قوله (عُرُبا) قال : غَنِجات .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى إسحاق التيمىّ ، عن صالح بن حيان ، عن أبى بُرَيدة (عُرُبا) قال : الشَّكِلة بلغة مكة ، والغِنجة بلغة المدينة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : سمعت إبراهيم التيمى ، يعنى ابن الزبرقان ، عن صالح ابن حيان ، عن أبى يزيد بنحوه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن تميم بن حَذْلم ، قوله (عُرُبا) قال : حسن تبعُّل المرأة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن تميم بن حذلم ، فى (عُرُبا) قال : العَرِبة : الحسنة التبعل . قال : وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل : إنها لعَرِبة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أُسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه (عُرُبا) قال : حسنات الكلام .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، قال : عواشق .

= واحدها عروب ، وهى الحسنة التبعل (أى المودة للزوج) قال لبيد « وفى الحدوج . . . » البيت . وفى الأصل : الجزوع ، وهو خطأ من الناسخ . وفى القرطبى (١٧ : ٢١١) الخباء ، ولا بأس بها . ورواية البيت فى فتح القدير للشوكانى (٥ : ١٤٩) .

* رَيَّا الرَّوادِفِ يُعْشِي ضَوْءُها البَصَرَا *

قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، وعكرِمة ، مثله .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن حُصَين ، عن مجاهد فى (عُرُبا) قال : العُرُب المتحببات .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (عُرُبا) قال : العُرُب : العواشق .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبَير ، مثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن غالب أبى الهُذَيل ، عن سعيد بن جُبَير (عُرُبا) قال : العُرُب اللاتى يشتهين أزواجهنّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : المشتهية لبعولتهنّ .

قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عثمان بن الأسود ، عن عبد الله بن عبيد الله ، قال : العُرُب : التى تشتهى زوجها .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، عن عبد الله بن عبيد بن عُمير (عُرُبا) قال : العَرِبة : التى تشتهى زوجها . ؛ ألا ترى أن الرجل يقول للناقة : إنها لعَرِبة ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عُرُبا) قال : عُشَّقا لأزواجهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عُرُبا أترَابا) يقول : عشق لأزواجهنّ ، يحببن أزواجهنّ حبا شديدا .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، يقول : سمعت الضحاك يقول : العُرُب : المتحببات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (عُرُبا أترَابا) قال : متحببات إلى أزواجهن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عُرُبا) قال : العُرُب : الحسنة الكلام .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سُئل الأوزاعىّ ، عن (عُرُبا) قال : سمعت يحيى يقول : هنّ العواشق .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفىّ الدِّمياطِىّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن أبى كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أمّ سلمة ، قالت : « قلت يا رسول الله ، أخبرنى عن قوله (عُرُبا أترَابا) قال : عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِّباتٍ ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ » .

حدثنى محمد بن حفص أبو عبيد الوصَّابِىُّ ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ثابت بن عجلان ، قال : سمعت سعيد بن جُبَير يحدّث عن ابن عباس (عُرُبا) والعَرَب : الشَّوْق .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأه بعض قرّاء المدينة وبعض قرّاء الكوفيين عُرُبًا، بضم العين والراء. وقرأه بعض قرّاء الكوفة والبصرة (عُرْبًا) بضم العين، وتخفيف الراء، وهى لغة تميم وبكر، والضم فى الحرفين: أولى القراءتين بالصواب، لما ذكرت من أنها جمع عروب، وإن كان فعول أو فعيل أو فعال إذا جُمع جُمع على فُعُل بضم الفاء والعين، مذكرا كان أو مؤنثا، والتخفيف فى العين جائز، وإن كان الذى ذكرت أقصى الكلامين عن وجه التخفيف.

وقوله (أتْرَابًا) يعنى أنهنّ مستويات على سنّ واحدة، واحدتهنّ تِرْب، كما يقال: شَبَه وأشْباه. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسين بن الحارث، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس، قال: الأتراب: المستويات.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (أتْرَابًا) قال: أمثالا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أتْرَابًا) يعنى: سنًّا واحدة.

حدثنى ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، فى قوله (أتْرَابًا) قال: الأتراب: المستويات.

وقوله (لأصْحَابِ اليَمِينِ) يقول تعالى ذكره: أنشأنا هؤلاء اللواتى وصف صفتهنّ من الأبكار، للذين يؤخذ بهم ذات اليمين من موقف الحساب إلى الجنة.

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ (٤١)

يقول تعالى ذكره: الذين لهم هذه الكرامة التى وصف صفتها فى هذه الآيات، ثُلَّتان، وهى جماعتان وأمتان وفرقتان: (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ)، يعنى جماعة من الذين مَضَوا قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم: (وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ)، يقول: وجماعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال به أهل التأويل.

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال الحسن (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ) من الأمم (وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ): أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ) قال : أمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، قال : ثنا الحسن ، عن حديث عمران ابن حصين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث ، ثم رجعنا إلى أهلينا ، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرِضَتْ عَلَيَّ الأنْبِياءُ اللَّيْلَةَ بأتْباعِها مِنْ أُمَمِها ، فَكانَ النَّبِيُّ يَجِيءُ مَعَهُ الثُّلَّةُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مَعَهُ العِصابَةُ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ والنَّبِيُّ مَعَهُ النَّفَرُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِهِ ، والنَّبِيُّ ما مَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ أحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، حتى أُتِيَ عَلَيَّ مُوسَى بنَ عِمْرانَ في كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ ؛ فَلَمَّا رأيْتُهُمْ أعْجَبُونِي ، فَقُلْتُ : أيْ رَبِّ ، مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قال : هَذا أخُوكَ مُوسَى بنَ عِمْرانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ ، فقُلْتُ رَبِّ ، فأيْنَ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ : انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ ، فإذا ظِرابُ مَكَّةَ قَدْ سُدَّتْ بِوُجُوهِ الرِّجالِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قِيلَ : هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ ، فَقِيلَ أرَضِيتَ ؟ فَقُلْتُ : رَبِّ ، رَضِيتُ ، رَبِّ رَضِيتُ ، قِيلَ انْظُرْ عَنْ يَسارِكَ ، فإذا الأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجالِ ، فَقُلْتُ : رَبِّ مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قِيلَ هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ ، فَقِيلَ أرَضِيتَ ؟ فَقُلْتُ رَضِيتُ ، رَبِّ رَضِيتُ ؛ فَقِيلَ : إنَّ مَعَ هَؤُلاءِ سَبْعِينَ ألْفا مِنْ أُمَّتِكَ ، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لاحِسابَ عَلَيْهِمْ ؛ قال : فأنشأ عُكَّاشة بن محصن ، رجل من بني أسد بن خُزيمة ، فقال : يا نبيّ الله ادعُ ربك أن يجعلني منهم ، قال : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ ، ثم أنشأ رجل آخر فقال : يا نبيّ الله ادع ربك أن يجعلني منهم ، قال : سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : فِدًى لَكُمْ أبِي وأُمِّي ، إنْ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ فَكُونُوا ، فإنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ ، فَكُونُوا مِنْ أهْلِ الظِّرابِ ، فإنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أهْلِ الأُفُقِ ، فإنِّي رأيْتُ ثَمَّ أُناسا يَتَهَرَّشُونَ (١) كَثِيرًا ، أو قال يَتَهَوَّشُونَ ؛ قال : فتراجع المؤمنون ، أو قال : فتراجعنا على هؤلاء السبعين ، فصار من أمرهم أن قالوا : نراهم ناسا وُلدوا في الإسلام ، فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه ، فَنَمى حديثهم ذاك إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لَيْسَ كَذاكَ ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ ، وَلا يَكْتَوُونَ ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ». ذُكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « إنِّي لأرْجُو أنْ يَكُونَ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ أُمَّتِي رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ ، فَكَبَّرنا ، ثم قال : إنِّي لأرْجُو أنْ تَكُونُوا الشَّطْرَ ، فكبرنا ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) ».

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحسن بن بشر البجلي ، عن الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن

(١) كذا في الأصل . وفي (النهاية : هرش) : يتهارشون ، هكذا رواه بعضهم ، وفسره بالتقاتل . وهو في مسند أحمد بالواو بدل الراء ، والتهاوش : الاختلاط . اهـ . (وقال في هوش) : وفي حديث الإسراء : فإذا بشر كثير يتهاوشون ، الهوش : الاختلاط ، أي يدخل بعضهم في بعض .

عن عمران بن حصين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : «تحدّثنا لَيْلَةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكرينا أو أكثرنا ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فإذَا الظِّرَابُ ظِرابُ مَكَّةَ مَسْدُودَةٌ بِوُجُوهِ الرِّجالِ . وقال أيضا : فإنّى رأيْتُ عِنْدَهُ أُناسا يَتَهاوَشُونَ كَثِيرًا ؛ قال : فقلنا : من هؤلاء السبعون ألفا ؟ فاتفق رأينا على أنهم قوم وُلدوا فى الإسلام ، ويموتون عليه ؛ قال : فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ لايَكْتَوُونَ ؛ وقال أيضا : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى لأَرْجُو أنْ تكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ ، فكبر أصحابه ، ثم قال : إنّى لأَرْجُو أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ ، فكبر أصحابه ؛ ثم قال : إنّى لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ ، ثم قرأ (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : كلهم فى الجنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه بلغه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : «أتَرْضَوْنَ أنْ تكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ ؟ قالوا : نعم ، قال : أتَرْضَوْنَ أنْ تكُونُوا ثُلُثَ أهْلِ الجَنَّةِ ؟ قالوا : نعم ، قال : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إنّى لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَ أهْلِ الجَنَّةِ ، ثم تلا هذه الآية (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن بُدَيل بن كعب أنه قال : « أهل الجنة عشرون ومئة صفّ ، ثمانون صفا منها من هذه الآمة » .

وفى رفع (ثُلَّةٌ) وجهان : أحدهما الاستئناف ، والآخر بقوله : لأصحاب اليمين ثلتان ، ثلة من الأوّلين . وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبر من وجه عنه صحيح ، أنه قال : الثُّلَّتانِ جَمِيعا مِنْ أُمَّتِى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبان بن أبى عياش ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس « (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : هُمَا جَمِيعا مِنْ أُمَّتِى » .

وقوله (وأصْحَابُ الشِّمالِ ما أصْحَابُ الشِّمالِ) يقول تعالى ذكره معجّبا نبيه محمدا من أهل النار (وأصْحَابُ الشِّمالِ) الذين يؤخذ بهم ذات الشمال ، من موقف الحساب إلى النار (ما أصْحَابُ الشِّمالِ) ماذا لهم ، وماذا أعدّ لهم ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأصْحَابُ الشِّمالِ ما أصْحَابُ الشِّمالِ) : أى ماذا لهم ، وماذا أُعدّ لهم ؟

وقوله (فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ) يقول : هم فى سَموم جهنم وحَميمها .

وقوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) يقول تعالى ذكره : وظلّ من دُخان شديد السواد . والعرب تقول لكلّ شىء وصفتَه بشدّة السواد : أسود يَحْموم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، قال : ثنى يزيد ابن الأصمّ ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : هو ظلّ الدخان .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا قَبيصة بن ليث ، عن الشيبانىّ ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الشيبانىّ ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الشيبانى ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : هو الدخان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إبراهيم بن طُهمان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَظِلٍّ منْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) يقول : من دُخان حَميم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرِمة ، أنه قال فى هذه الآية (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك ، فى قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : دخان حميم .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى مالك ، بمثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : الدخان .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (مِنْ يَحْمُومٍ) قال : من دخان حميم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان الشيبانىّ ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن ابن عباس ، ومنصور ، عن مجاهد (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قالا : دخان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : من دخان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) : كنا نُحَدّث أنها ظلّ الدخان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) قال : ظلّ الدخان دخان جهنم ، زعم ذلك بعض أهل العلم .

وقوله (لاباردٍ وَلا كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ليس ذلك الظلّ ببارد ، كبرد ظلال سائر الأشياء ، ولكنه حارّ ، لأنه دخان من سعير جهنم ، وليس بكريم ، لأنه مؤلم من استظلّ به ، والعرب تُتْبع كلّ منفىّ عنه صفة حمد ، نفى الكرم عنه ، فتقول : ماهذا الطعام بطيب ولا كريم ، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم ، وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا النضر ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لاباردٍ وَلا كَرِيمٍ) قال : كلّ شراب ليس بعذب ، فليس بكريم .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاباردٍ وَلا كَرِيمٍ) قال : لابارد المنزل ، ولا كريم المنظر .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الذين وصف صفتهم من أصحاب الشمال ، كانوا قبل أن يصيبهم من عذاب الله ما أصابهم فى الدنيا ، مترفين ، يعنى منعمين .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُتْرَفِينَ) يقول : منعمين .

وقوله (وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ) يقول جلّ ثناؤه : وكانوا يقيمون على الذنب العظيم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، يُصِرّون : يدمنون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن : قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يُدْهنون ، أو يُدْمنون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكانُوا يُصِرُّونَ) قال : لايتوبون ولا يستغفرون ، والإصرار عند العرب على الذنب : الإقامة عليه ، وترك الإقلاع عنه .

وقوله (عَلَى الْحِنْثِ العَظِيمِ) يعنى : على الذنب العظيم ، وهو الشرك بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَلَى الْحِنْثِ العَظِيمِ) قال : على الذنب .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (الْحِنْثِ العَظِيمِ) قال : الشرك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (على الْحِنْثِ العَظِيمِ) يعنى : الشرك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْحِنْثِ العَظِيمِ) قال : الذنب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ) قال : الحنث العظيم : الذنب العظيم ، قال : وذلك الذنب العظيم : الشرك ، لايتوبون ولايستغفرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكانُوا يُصِرُّونَ على الْحِنْثِ العَظِيمِ) ، وهو الشرك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، (على الْحِنْثِ العَظِيمِ) قال : الذنب العظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : وكانوا يقولون كفرا منهم بالبعث ، وإنكارا لإحياء الله خلقه من بعد مماتهم : أئذا كنا ترابا فى قبورنا من بعد مماتنا ، وعظاما نخرة ، أئنا لمبعوثون منها أحياء ، كما كنا قبل الممات ، أو آباونا الأوّلون الذين كانوا قبلنا ، وهم الأوّلون ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء إن الأوّلين من آبائكم والآخرين منكم ومن غيركم ، لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ، وذلك يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب الشمال : ثم إنكم أيها الضالُّون عن طريق الهدى ، المكذّبون بوعيد الله ووعده ، لآكلون من شجر من زقوم .

وقوله (فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ) يقول : فمالئون من الشجر الزَّقوم بطونهم .

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الشجر فى قوله (فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ) : أى من الشجر ، (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) لأن الشجر تؤنث وتذكر ، وأنث لأنه حمله على الشجرة ، لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع ، فتقول العرب : نبتت قبلنا شجرة مرّة وبقلة رديئة ، وهم يعنون الجميع . وقال بعض نحوىّ الكوفة (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) ، وفى قراءة عبد الله (لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ مِنْ

زَقُّومٍ) على واحده ، فمعنى شجر وشجرة واحد ، لأنك إذا قلت أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة أو أكثر من ذلك ، فهو جائز ، ثم قال (فَمالِئُونَ مِنْها البُطُونَ) يريد من الشجرة ؛ ولو قال : فمالئون منه ، إذا لم يذكر الشجر ، كان صوابا يذهب إلى الشجر فى منه ، ويؤنث الشجر ، فيكون منها كناية عن الشجر ، والشجر يؤنث ويذكر ، مثل التمر يؤنث ويذكر .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : القول الثانى ، وهو أن قوله (فَمالِئُونَ مِنْها) مراد به من الشجر ، أنث للمعنى ، وقال (فَشارِبُونَ عَلَيْهِ) مذكرا للفظ الشجر .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ (٥٤) فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : فشاربٌ أصحابُ الشمال على الشجر من الزَّقوم إذا أكلوه فملئوا منه بطونهم ، من الحميم الذى انتهى غليه وحرّه . وقد قيل : إن معنى قوله (فَشارِبُونَ عَلَيْهِ) : فشاربون على الأكل من الشجر من الزقوم .

وقوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (شُرْبَ الهِيمِ) بضم الشين . وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والبصرة والشأم (شَرْبَ الهِيمِ)[1] اعتلالا بأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لأيام منى : « إنّها أيّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ » .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، مع تقارب معنييهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته ، لأن ذلك فى فتحه وضمه ، نظير فتح قولهم : الضَّعف والضُّعف وضمه . وأما الهِيم ، فإنها جمع أهيم ، والأنثى هيماء ؛ والهيم : الإبل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء . ومن العرب من يقول : هائم ، والأنثى هائمة ، ثم يجمعونه على هيم ، كما قالوا : عائط وعِيط ، وحائل وحُوْل ؛ ويقال : إن الهيم : الرمل ، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شربَ الرمل الماء .

ذكر من قال عنى بالهيم الإبل العطاش

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (شُرْبَ الهِيمِ) يقول : شرب الإبل العطاش .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : الإبل الظماء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن عمران بن حُدَير ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : هى الإبل المِراض ، تَمَصّ الماء مَصًّا ولا تَرْوَى .

(١) يريد بفتح الشين ، يفهم من كلامه بعد فى توجيه القراءة . وقد صرح الفراء بكلمة « بالفتح » فيما نقله عن الكسائى عن يحيى ابن سعيد الأموى ، عن ابن جريج (معانى القرآن : مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٣٢٤) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : الإبل يأخذها العُطاش ، فلا تزال تشرب حتى تهلك .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : هى الإبل يأخذها العُطاش .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن عباس ، قال : هى الإبل العِطاش .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (شُرْبَ الهِيمِ) قال : الإبل الهيم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) الهِيم : الإبل العطاش ، تشرب فلا تروى ، يأخذها داء يقال له الهُيام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : داء بالإبل لا تَرْوَى معه .

ذكر من قال هى الرملة

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ) قال : السَّهْلة[1] .

وقوله (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصفت لكم أيها الناس ، إن هؤلاء المكذّبين الضالين يأكلونه من شجر من زَقُّوم ، يشربون عليه من الحميم ، هو نزلهم الذى ينزلهم ربهم يوم الدين ، يعنى : يوم يدين الله عباده .

وقوله (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ) يقول تعالى ذكره لكفار قريش والمكذّبين بالبعث : نحن خلقناكم أيها الناس ولم تكونوا شيئا ، فأوجدناكم بشرا ، فهلا تصدّقون من فعل ذلك بكم فى قيله لكم : إنه يبعثكم بعد مماتكم وبِلاكم فى قبوركم ، كهيأتكم قبل مماتكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ ، وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث : أفرأيتم أيها المُنكرون قُدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم ، النطفَ التى تُمْنون فى أرحام نسائكم ، أأنتم تخلقون تلك أم نحن الخالقون .

وقوله (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) يقول تعالى ذكره : نحن قدرنا بينكم أيها الناس الموت ، فعجّلناه لبعض ، وأخّرناه عن بعض ، إلى أجل مسمى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) فى (اللسان : سهل) عن الجوهرى : السهلة ، بكسر السين : رمل ليس بالدقاق . وقال قبله : السهلة والسهل : تراب كالرمل يجىء به الماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ) قال : المستأخر والمستعجل .

وقوله (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أنْ نُبَدِّلَ أمْثالَكُمْ) ، يقول تعالى ذكره (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) أيها الناس فى أنفسكم وآجالكم ، فمفتات علينا فيها فى الأمر الذى قدّرناه لها من حياة وموت ، بل لا يتقدم شىء من أجلنا ، ولا يتأخر عنه .

وقوله (على أنْ نُبَدِّلَ أمْثالَكُمْ) يقول : على أن نبدّل منكم أمثالكم بعد مهلككم ، فنجىء بآخرين من جنسكم .

وقوله (وَنُنْشِئَكُمْ فِيما لا تَعْلَمُونَ) يقول : ونبد لكم عما تعلمون من أنفسكم ، فيما لا تعلمون منها من الصور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَنُنْشِئَكُمْ) فى أىّ خلق شئنا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد علمتم أيها الناس الإحداثة الأولى التى أحدثناكموها ، ولم تكونوا من قبل ذلك شيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (النَّشْأَةَ الأُولى) قال : إذ لم تكونوا شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأةُ الأُولى) يعنى خلق آدم ، لستَ سائلا أحدا من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأةَ الأُولى) قال : هو خلق آدم .

حدثنى محمد بن موسى الحرسى ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجونى يقرأ هذه الآية (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأةَ الأُولى) قال : هو خلق آدم .

وقوله (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره: فهلا تذكرون أيها الناس، فتعلموا أن الذى أنشأكم النشأة الأولى ، ولم تكونوا شيئا ، لايتعذّر عليه أن يعيدكم من بعد مماتكم وفنائكم أحياء .

وقوله (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس الحرث الذى تحرثونه (أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) يقول : أأنتم تصيرونه زرعا ، أم نحن نجعله كذلك ؟

وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشىّ ، قال : ثنا مسلم بن أبى مسلم الحرمىّ ، قال : ثنا مخلد بن الحسين ، عن هاشم ، عن محمد ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُولَنَّ زَرَعْتُ وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟) .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذى زرعناه حُطاما ، يعنى هشيما لايُنتفع به فى مطعم وغذاء .

وقوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فظلتم تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم ، من المصيبة باحتراقه وهلاكه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تعجبون .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تعجبون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تعجبون .

وقال آخرون : معنى ذلك : فظلتم تلاومون بينكم ، فى تفريطكم فى طاعة ربكم جلّ ثناؤه ، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) يقول : تلاومون .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب البكرىّ ، عن عكرِمة (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تلاومون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تندمون على ماسلف منكم فى معصية الله التى أوجب لكم عقوبته ، حتى نالكم فى زرعكم ما نالكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال : تندمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تندمون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظلتم تعجبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) قال تعجبون حين صنع بحرثكم ماصنع به ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) وقرأ قول الله (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) قال : هؤلاء ناعمين ، وقرأ قول الله جلّ ثناؤه (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) . . . إلى قوله (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى (فَظَلْتُمْ) : فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه ، ويلهى به ، فكذلك ذلك . وكأنّ معنى الكلام : فأقمتم تتعجبون ، يُعَجِّب بعضكم بعضا مما نزل بكم .

وقوله (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : إنا لموَلع بنا .

ذكر من قال ذلك

⁂ حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : أخبرنى الحسين بن واقد ، قال : ثنى يزيد النحوىّ ، عن عكرِمة ، فى قول الله تعالى ذكره (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) قال : إنا لمولَع بنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) أى لمولع بنا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنا لمعذّبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) : أى معذّبون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنا لملقون للشرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) قال : مُلْقون للشرّ .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : إنا لمعذّبون ، وذلك أن الغرام عند العرب : العذاب ؛ ومنه قول الأعشى :

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَرَاما وَإنْ يُعْـــطِ جَـزِيلاً فإنَّهُ لا يُبالى[1]

يعنى بقوله : يكن غراما : يكن عذابا . وفى الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه ، وهو : فظلتم تفكهون ، « تقولون » إنا لمغرمون ، فترك تقولون من الكلام لما وصفنا .

وقوله (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) يعنى بذلك تعالى ذكره ، أنهم يقولون : ما هلك زرعنا وأصبنا به من أجل (إنَّا لَمُغْرَمُونَ) ولكنا قوم محرومون ، يقول : إنهم غير مجدودين ، ليس لهم جَدّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) قال : حُورِفنا فحرمنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) قال : أى محارَفون .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (٦٨) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس الماء الذى تشربون ، أأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض ، أم نحن منزلوه لكم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله المُزن ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنَ المُزْنِ) قال السحاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (أأَنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) : أى من السَّحاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أأَنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) قال : المزن : السحاب اسمها أنزلتموه من المزن ، قال : السحاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله (أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ) قال : المزن : السماء والسحاب .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة . وقد مر الاستشهاد به فى الجزء التاسع عشر ص ٣٥ من هذه الطبعة . فراجعه ثمة . وأنشده المؤلف هنا عند قوله تعالى « إنا لمغرمون » وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٦ — ا) معذبون ، وأنشد بيت بشر بن أبى خازم :

ويوم النسار ويوم الجفا ركان عذابا وكان غراما

وقد مر تفسير هذا البيت فى (١٩ : ٣٦) من هذه الطبعة ، فراجعه ثمة .

وقوله (لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجا) يقول تعالى ذكره : لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذى أنزلناه لكم من المزن مِلحا ، وهو الأُجاج ، والأُجاج من الماء : ما اشتدّت ملوحته ، يقول : لو نشاء فعلنا ذلك به ، فلم تنتفعوا به فى شرب ولا غرس ولا زرع .

وقوله (فَلَوْلا تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب ، لشربكم ومنافعكم ، وصلاح معايشكم ، وتركه أن يجعله أُجاجا لاتنتفعون به .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : أفرأيتم أيها الناس النار التى تستخرجون من زَنْدكم ، أأَنْتُمْ أنْشأْتُم شَجَرَتَها) يقول : أأنتم أحدثتم شجرتها ، واخترعتم أصلها؟ (أمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ ؟) يقول : أم نحن اخترعنا ذلك وأحدثناه ؟

وقوله (نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً) يقول : نحن جعلنا النار تذكرة لكم ، تذكرون بها نار جهنم ، فتعتبرون وتتعظون بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَذْكِرَةً) قال : تذكرة النار الكبرى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفَرأَيْتُمُ النَّارَ التى تُورُونَ ، أأَنْتُمْ أنْشأْتُمْ شَجَرَتَها أمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً) للنار الكبرى .

ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « نارُكُمْ هَذِهِ التى تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نارِ جَهَنَّمَ ، قالوا : يا نبىّ الله إن كانت لكافيةً ، قال : قَدْ ضُرِبَتْ بالمَاءِ ضَرْبَتَيْنِ ، أوْ مَرَّتَيْنِ ، لِيَسْتَنْفِعَ بِها بَنُو آدَمَ ، وَيَدْنُوا مِنْها » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (تَذْكِرَةً) قال : للنار الكبرى التى فى الآخرة .

وقوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى المقوين ، فقال بعضهم : هم المسافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : يعنى المسافرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) قال للمُرْمل : المسافر .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : للمسافرين .

وقال آخرون : عُنِى بالْمُقْوِين : المستمتعون بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) للمستمتعين : الناس أجمعين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) للمستمتعين : المسافر والحاضر .

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خَصِيف فى قوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : للخلق .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : الجائعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَتاعا لِلْمُقْوِينَ) قال : المقوى : الجائع . فى كلام العرب يقول : أقويت منه كذا وكذا : ما أكلت منه كذا وكذا شيئا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : عُنِى بذلك للمسافر الذى لا زاد معه ، ولا شىء له ، وأصله من قولهم : أقوت الدار : إذا خلت من أهلها وسكانها ؛ كما قال الشاعر :

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَها هُوجُ الرِّياحِ بِهابِى التُّرْبِ مَوَّارِ[1]

يعنى بقوله « أقوى » : خلا من سكانه ، وقد يكون المقوى : ذا الفرس القوىّ ، وذا المال الكثير فى غير هذا الموضع .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدته التى مطلعها « عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار » وهو البيت الثانى بعد المطلع . ذكرها وليم الورد البروسى فى العقد الثمين ، ص ٢٦٩ وجعلها من الشعر المنحول إلى النابغة . والقصيدة سبعة وأربعون بيتا . واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى « ومتاعا للمقوين » قال : عنى بذلك المسافر الذى لا زاد معه ولا شىء ، وأصله من أقوت الدار : إذا خلت من أهلها وسكانها ، كما قال الشاعر : « أقوى وأقفر . . . البيت » . يعنى بقوله « أقفر » : خلا من سكانه . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٧٤) * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فسبح يامحمد بذكر ربك العظيم ، وتسميته .

وقوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف أهل التأويل، فى تأويل قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) فقال بعضهم : عُنِى بقوله (فَلا أُقْسِمُ) : أقسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد ابن جُبَير (فَلا أُقْسِمُ) قال : أقسم .

وقال بعض أهل العربية : معنى قوله (فَلا) فليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف القسم بعد، فقيل أُقسم.

وقوله (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن ، وقالوا : أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما متفرّقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَين ، عن حكيم بن جُبَير ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس، قال : « نزل القرآن فى ليلة القدر ، من السماء العليا إلى السماء الدنيا، جملة واحدة، ثم فُرِّق فى السنين بعد . قال : وتلا ابن عباس هذه الآية (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : نزل متفرّقا» .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن عكرِمة : أن القرآن نزل جميعا ، فوضع بمواقع النجوم ، فجعل جبريل يأتى بالسورة ، وإنما نزل جميعا فى ليلة القدر .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مجاهد (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : هو مُحْكَم القرآن .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) قال : مستقرّ الكتاب أوّله وآخره .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا أقسم بمساقط النجوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال فى السماء ، ويقال : مطالعها ومساقطها .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) : أى مساقطها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بمنازل النجوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : بمنازل النجوم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بانتثار النجوم عند قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : قال الحسن : انكدارها وانتثارها يوم القيامة .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها فى السماء ، وذلك أن المواقع جمع موقع ، والموقع : المَفْعِل ، من وقع يقع موقعا ، فالأغلب من معانيه ، والأظهر من تأويله ، ماقلنا فى ذلك ، ولذلك قلنا : هو أولى معانيه به .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة : بموقع ، على التوحيد ، وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : بمواقع ، على الجماع .

والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القسم الذى أقسمت لقسم لو تعلمون ماهو ، وما قدره ، قسم عظيم ، من المؤخر الذى معناه التقديم ، وإنما هو : وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظَمه .

وقوله (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) يقول تعالى ذكره : فلا أقسم بمواقع النجوم : إن هذا القرآن لقرآن كريم ، والهاء فى قوله « إنه » من ذكر القرآن .

وقوله (فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : هو فى كتاب مصون عند الله لا يمسه شىء من أذًى من غبار ولا غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا شريك ، عن حكيم ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) الكتاب الذى فى السّماء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ) قال : القرآن فى كتابه المكنون الذى لا يمسه شىء من تراب ولا غبار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لا يَمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ) زعموا أن الشياطين تنزّلت به على محمد ، فأخبرهم الله أنها لا تقدر على ذلك ، ولا تستطيعه ، وما ينبغى لهم أن ينزلوا بهذا ، وهو محجوب عنهم ، وقرأ قول الله (وَما يَنْبَغى لَهُمْ وَما يَسْتَطِيعُونَ ، إنَّهُم عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكِىّ ، عن جابر بن زيد وأبى نهيك ، فى قوله (فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ) قال : هو كتاب فى السماء .

قوله (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : لا يمسّ ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهّرهم الله من الذنوب .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الذين عنُوا بقوله (إلاَّ المُطَهَّرُونَ) فقال بعضهم : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : « إذا أراد الله أن ينزل كتابا نسخته السفرة ، فلا يمسه إلا المطهرون ، قال : يعنى الملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَير (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة الذين فى السماء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَير (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جُبَير (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكى ، عن جابر بن زيد وأبى نهيك فى قوله (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) يقول : الملائكة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرُونَ) قال الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال الملائكة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن أبي العالية (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة .

وقال آخرون : هم حملة التوراة . والإنجيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال : حَمَلة التوراة والإنجيل .

وقال آخرون في ذلك : هم الذين قد طهروا من الذنوب ، كالملائكة والرسل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن أبي العالية الرياحيّ ، في قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال : ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب .

حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال : الملائكة والأنبياء والرسل التي تنزل به من عند الله مطهرة ، والأنبياء مطهرة ، فجبريل ينزل به مُطَهر ، والرسل الذين تجيئهم به مُطَهَّرون ، فذلك قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) والملائكة والأنبياء والرسل من الملائكة ، والرسل من بني آدم ، فهؤلاء ينزلون به مطهرون ، وهؤلاء يتلونه على الناس مطهرون ، وقرأ قول الله (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) قال : بأيدي الملائكة الذين يُحْصُون على الناس أعمالهم .

وقال آخرون : عُنِي بذلك : أنه لا يمسه عند الله إلا المطهَّرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ذاكم عند ربّ العالمين ، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرَّجِس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ؛ فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسيّ النجس ، والمنافق الرَّجِس . وقال في حرف ابن مسعود (ما يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) .

⁂ والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله جلّ ثناؤه ، أخبر أنه لا يمسّ الكتاب المكنون إلا المطهرون ، فعمّ بخبره المطهرين ، ولم يخصُص بعضا دون بعض ، فالملائكة من المطهرين ، والرسل والأنبياء من المطهرين ، وكل من كان مطهرا من الذنوب ، فهو ممن استُثني ، وعُني بقوله (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : هذا القرآن تنزيل من ربّ العالمين ، نزّله من الكتاب المكنون .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله العَتَكِيّ ، عن جابر بن زيد وأبي نهيك ، في قوله (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : القرآن ينزل من ذلك الكتاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : أفبهذا القرآن الذى أنبأتكم خبره ،وقصصت عليكم أمره أيها الناس ، أنتم تلينون القول للمكذّبين به ، ممالأة منكم لهم على التكذيب به والكفر .

⁂ واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم فى ذلك نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) قال : تريدون أن تمالئوهم فيه ، وتركنوا إليهم .

وقال آخرون : بل معناه : أفبهذا الحديث أنتم مكذّبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) يقول : مكذّبون غير مصدّقين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) يقول :مكذّبون .

وقوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول : وتجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب ، وذلك كقول القائل الآخر : جعلت إحسانى إليك إساءة منك إلىّ ، بمعنى : جعلت : شكر إحسانى ، أو ثواب إحسانى إليك ، إساءة منك إلىّ .

وقد ذُكر عن الهيثم بن عدىّ : أن من لغة أزد شنوءة : ما رزق فلان : بمعنى ماشكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف فيه منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى عبد الأعلى الثعلبىّ ، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ ، عن علىّ رضى الله عنه (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : شكركم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلى الثّعلبىّ ، عن

أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ رفعه (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : شكركم ، تقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا ، وبنجم كذا وكذا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكر ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن أبى عبد الرحمن ، عن علىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ، قال : يَقُولُونَ مُطِرْنا بنَوْءِ كَذا وكَذا » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : « ما مُطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا ، يقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس « أنه كان يقرأ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) ثم قال : ما مُطر الناس ليلة قطّ ، إلا أصبح بعض الناس مشركين يقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا . قال : وقال وتجعلون شكركم أنكم تكذّبون » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) يقول : شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة تقولون : مُطرنا بنوء كذا وكذا ؛ قال : فكان ذلك منهم كفرا بما أنعم عليهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، قال : أحسبه أو غيره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومُطِروا يقول : مُطرنا ببعض عَثانين الأسد ، فقال : كَذَبْتَ بَلْ هُوَ رِزْقُ اللهِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ ، أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِها ، فَيُصْبِحُ بِها قَوْمٌ كافِرِينَ يَقُولُونَ : مُطِرْنا بنَوْءِ كَذَا وكَذَا » قال محمد : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبى هريرة ، وقد أخبرنى من شهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يستسقى ، فلما استسقى ، التفت إلى العباس ، فقال : يا عباس يا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء بها يزعمون أنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال : فما مضت سابعة حتى مُطروا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن أبى عبد الرحمن ، عن علىّ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : كان يقرؤها : (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول : جعلتم رزق الله بنوء النجم ، وكان رزقهم فى أنفسهم بالأنواء ، أنواء المطر إذا نزل عليهم المطر ، قالوا : رُزقنا بنوء كذا وكذا ، وإذا أمسك عنهم كذّبوا ، فذلك تكذيبهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : كان ناس يُمطرون فيقولون : مُطرنا بنوء كذا ، مُطرنا بنوء كذا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) قال : قولهم فى الأنواء : مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا ، يقول : قولوا هو من عند الله وهو رزقه .

حُدثت ، عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول : جعل الله رزقكم فى السماء ، وأنتم تجعلونه فى الأنواء .

حدثنى أبو صالح الصرارىّ ، قال : ثنا أبو جابر ، محمد بن عبد الملك الأزدىّ ، قال : ثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم عن أبى أُمامة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مامُطِرَ قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إلاَّ أَصْبَحَ قَوْمٌ بِها كافِرِينَ ». ثم قال : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) يقول قائِلٌ مُطِرْنا بِنَجْمِ كَذَا وكَذَا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتجعلون حظكم منه التكذيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) أما الحسن فكان يقول : بئسما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) خَسِرَ عبد لايكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب .

وقوله (فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) يقول تعالى ذكره : فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم (وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) يقول : ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذ إليهم ينظر ، وخرج الخطاب هاهنا عاما للجميع ، والمراد به : من حضر الميت من أهله وغيرهم ، وذلك معروف من كلام العرب ، وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل ، كأنهم أهله وأصحابه ، والمراد به بعضهم غائبا كان أو شاهدا ، فيقول : قتلتم فلانا ، والقاتل منهم واحد ، إما غائب ، وإما شاهد .

وقد بيَّنا نظائر ذلك فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا .

يقول (ونَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُمْ) يقول : ورسلنا الذين يَقْبِضون روحه أقرب إليه منكم ، (وَلَكِنْ لاتُبْصِرُونَ) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : قيل (فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ، وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) كأنه قد سمع منهم ، والله أعلم : إنا نقدر على أن لا نموت ، فقال : (فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) ، ثم قال (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) أى غير مَجْزِيِّين ترجعون تلك النفوس ، وأنتم ترون كيف تخرج عند ذلك ، إن كنتم صادقين بأنكم تمتنعون من الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٨٧) فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : فهلا إن كنتم أيها الناس غير مدينين .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (مَدِينِينَ) فقال بعضهم : غير محاسبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) يقول : غير محاسبين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (غَيرَ مَدِينِينَ) قال : محاسبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) : أى محاسبين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) قال : كانوا يجحدون أن يُدانوا بعد الموت ، قال : وهو مالك يوم الدين ، يوم يُدان الناس بأعمالهم ، قال : يدانون : يحاسبون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) قال : وغير محاسبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) قال : غير مبعوثين ، غير محاسبين .

وقال آخرون : معناه : غير مبعوثين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) غير مبعوثين يوم القيامة ، ترجعونها إن كنتم صادقين .

وقال آخرون : بل معناه : غير مجزيين بأعمالكم .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : غير محاسَبين فمجْزِيِّين بأعمالكم من قولهم : كما تَدِين تُدان ، ومن قول الله : (مالكِ يَوْمِ الدِّينِ) .

وقوله (تَرْجِعُونَها إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : تردّون تلك النفوس من بعد مصيرها إلى الحلاقيم ،

إلى مستقرّها من الأجساد إن كنتم صادقين ، إن كنتم تمتنعون من الموت والحساب والمجازاة ، وجواب قوله (فَلَوْلا إذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) ، وجواب قوله (فَلَوْلا إنْ كُنْتُمْ غَيرَ مَدِينِينَ) جواب واحد . وهو قوله (تَرْجِعُونَها) وذلك نحو قوله (فإمَّا يأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى ، فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) جعل جواب الجزاءين جوابا واحدا .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (تَرْجِعُونَها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْجِعُونَها) قال : لتلك النفس (إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقوله (فأمَّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) يقول تعالى ذكره : فأما إن كان الميت من المقرّبين الذين قرّبهم الله من جواره فى جنانه (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) يقول : فله رَوْح ورَيْحان .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَرَوْحٌ) بفتح الراء ، بمعنى : فله برد . (وَرَيْحانٌ) يقول : ورزق واسع فى قول بعضهم ، وفى قول آخرين فله راحة وريحان . وقرأ ذلك الحسن البصرىّ (فَرُوحٌ) بضم الراء ، بمعنى : أن رُوحه تخرج فى ريحانة .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالفتح ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، بمعنى : فله الرحمة والمغفرة ، والرزق الطيب الهنىّ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فراحة ومستراح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) يقول : راحة ومُسْتراح .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فأمَّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : يعنى بالرَّيحان : المستريح من الدنيا (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) يقول : مغفرة ورحمة .

وقال آخرون : الرَّوْح : الراحة ، والرَّيْحان : الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَرَوْحٌ) قال : راحة . وقوله (وَرَيْحانٌ) قال : الرزق .

وقال آخرون : الرَّوْح : الفرح ، والرَّيْحان : الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، فى قوله (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : الرَّوْح : الفرح ، والرَّيحان : الرزق .

وأما الذين قرءوا ذلك بضم الراء فإنهم قالوا : الرُّوح : هى رُوح الإنسان ، والرَّيحان : هو الريحان المعروف . وقالوا : معنى ذلك : أن أرواح المقرّبين تخرج من أبدانهم عند الموت بريحان تشمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : تخرج رُوحه فى ريحانة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المقرّبين) قال : لم يكن أحد من المقرّبين يفارق الدنيا ، والمقرّبون السابقون ، حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ، ثم يُقبض .

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الراء : الرَّوْح : الرحمة ، والرَّيحان : الريحان المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) قال : الروح : الرحمة ، والريحان : يُتَلَقى به عند الموت .

وقال آخرون منهم : الرَّوْح : الرحمة ، والرَّيحان : الاستراحة .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ) الرَّوْح : المغفرة والرحمة ، والرَّيحان : الاستراحة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن منذر الثورىّ ، عن الربيع بن خثيم (فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ) قال : هذا عند الموت (فَرَوْحٌ وَرَيحانٌ) قال : يُجاء له من الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) قال : ذلك فى الآخرة ، فقال له بعض القوم قال : أما والله إنهم ليرون عند الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا قُرة ، عن الحسن ، بمثله .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : عُنِى بالرَّوْح : الفرح والرحمة والمغفرة ، وأصله من قولهم : وجدت رَوْحا : إذا وجد نسيما يستروح إليه من كرب الحرّ . وأما الرَّيحان ، فإنه عندى الريحان الذى يُتَلَقى به عند الموت ، كما قال أبو العالية والحسن ، ومن قال فى ذلك نحو قولهما ، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه .

وقوله (وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) يقول : وله مع ذلك بستان نعيم يتنعم فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وجنة نعيم ، قال : قد عُرِضت عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٦٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)

يقول تعالى ذكره : (وأمَّا إنْ كانَ) الميت (مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) الذين يُؤخذ بهم إلى الجنة من ذات أيمانهم (فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) .

ثم اختلف فى معنى قوله (فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) فقال أهل التأويل فيه ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) فسلام لك من أصحاب اليمين قال : سلام من عند الله ، وسلَّمت عليه ملائكة الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) قال : سَلِم مما يكره .

وأما أهل العربية ، فإنهم اختلفوا فى ذلك ، فقال بعض نحوِيِّى البصرة (وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) : أى فيقال سلم لك . وقال بعض نحوِيِّى الكوفة : قوله : (فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ) : أى فذلك مسلم لك ، أنك من أصحاب اليمين ، وألقيت « أن » ونوى معناها ، كما تقول : أنت مصدّق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إنى مسافر عن قليل ، وكذلك يجب معناه أنك مسافر عن قليل ، ومصدّق عن قليل . قال : وقوله (فَسَلامٌ لَكَ) معناه : فسلم لك أنت من أصحاب اليَمِينِ . قال : وقد يكون كالدعاء له ، كقوله : فسَقيا لك من الرجال . قال : وإن رفعت السلام فهو دعاء ، والله أعلم بصوابه .

وقال آخر منهم قوله (فأمَّا إنْ كانَ مِنْ المُقَرَّبِينَ) فإنه جمع بين جوابين ، ليعلم أن أما جزاء . قال : وأما قوله (فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ)[1] قال (وهذا أصل الكلمة) : مسلم لك هذا ، ثم حذفت « أن » وأقيم مِنْ مُقامها . قال : وقد قيل : فسلام لك ، أنت من أصحاب اليَمِينِ ، فهو على ذاك : أى سلام لك ، يقال : أنت من أصحاب اليمين ، وهذا كله على كلامين . قال : وقد قيل مسلم : أى كما تقول : فسلام لك من القوم ، كما تقول : فسُقيا لك من القوم ، فتكون كلمة واحدة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فسلام لك إنك من أصحاب اليمين ، ثم حُذفت واجتزئ بدلالة من عليها منها ، فسلمت من عذاب الله ، ومما تكره ، لأنك من أصحاب اليمين .

---

(١) جمهور كلام المؤلف الذى نقله عن أهل العربية من نحاة الكوفة هنا : هو من كلام الفراء فى معانى القرآن ، (الورقة ٣٢٥ من مصورة الجامعة) نقل بعضه بنصه وتصرف فى بعضه بلفظه .

وقوله (وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) يقول تعالى : وأما إن كان الميت من المكذّبين بآيات الله ، الجائرين عن سبيله ، فله نزل من حميم ، قد أغلى حتى انتهى حرّه ، فهو شرابه . (وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ) يقول : وحريق النار يُحْرق بها ؛ والتصلية : التفعلة من صَلَّاه الله النار ، فهو يصليه تصلية ، وذلك إذا أحرقه بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٩٦) .

⁂ يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقرّبين وأصحاب اليمين ، وعن المكذّبين الضالين ، وما إليه صائرة أمورهم (لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) يقول : لهو الحقّ من الخبر اليقين ، لاشكّ فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) قال : الخبر اليقين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ، إنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ) حتى ختم ، إن الله تعالى ليس تاركا أحدا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن . فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا ، فنفعه ذلك يوم القيامة . وأما الكافر ، فأيقن يوم القيامة ، حين لاينفعه .

واختلف أهل العربية فى وجه إضافة الحقّ إلى اليقين ، والحقّ يقين ، فقال بعض نحويى البصرة ، قال : حقّ اليقين ، فأضاف الحقّ إلى اليقين ، كما قال (ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ) : أى ذلك دين الملّة القيمة ، وذلك حقّ الأمر اليقين . قال : وأما هذا رجل السَّوءِ ، فلا يكون فيه هذا الرجل السَّوء ، كما يكون فى الحقّ اليقين ، لأن السَّوء ليس بالرجل ، واليقين هو الحقّ . وقال بعض أهل الكوفة : اليقين نعت للحقّ ، كأنه قال : الحقّ اليقين ، والدين القيم ، فقد جاء مثله فى كثير من الكلام والقرآن (وَلَدَارُ الآخِرَةِ — والدارُ الآخِرَةُ) قال : فإذا أضيف توهم به غير الأوّل .

وقوله (فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى .

آخر تفسير سورة الواقعة

تفسير السورة التى يذكر فيها الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) أن كلّ ما دونه من خلقه يسبحه تعظيما له ، وإقرارا بربوبيته ، وإذعانا لطاعته ، كما قال جلّ ثناؤه (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : ولكنه جلّ جلاله العزيز فى انتقامه ممن عصاه ، فخالف أمره ، مما فى السموات والأرض من خلقه (الحَكِيمُ فِى تَدْبِيرِهِ) أمرهم ، وتصريفه إياهم فيما شاء وأحبّ .

وقوله (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : له سلطان السموات والأرض وما فيهنّ ، ولا شىء فيهنّ يقدر على الامتناع منه ، وهو فى جميعهم نافذ الأمر ، ماضى الحكم .

وقوله (يُحْيِي ويُمِيتُ) يقول : يحيى ما يشاء من الخلق ، بأن يوجده كيف يشاء ، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا بنفخ الروح فيها ، من بعد تارات يقلّبها فيها ، ونحو ذلك من الأشياء ، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة ، بعد بلوغه أجله فيفنيه (وَهُوَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : وهو على كل شئ ذو قدرة ، لايتعذّر عليه شىء أراده ، من إحياء وإماتة ، وإعزاز وإذلال ، وغير ذلك من الأمور .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : هو الأوّل قبل كل شىء بغير حدّ ، والآخر يقول : والآخر بعد كل شىء بغير نهاية . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه كان ولا شىء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها ، كما قال جلّ ثناؤه (كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ) . وقوله (والظَّاهِرُ) يقول : وهو الظاهر على كل شىء دونه ، وهو العالى فوق كل شىء ، فلا شىء أعلى منه (والباطِنُ) يقول : وهو الباطن جميعَ الأشياء ، فلا شىء أقرب إلى شىء منه ، كما قال (وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك ، والخبر الذى روى فيه

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ) « ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى أصحابه ، إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها الرَّقِيعُ [1] ، مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : مَسِيرَةَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ فقالوا مثل ذلك ، قال : فَوْقَهَا سَمَاءٌ أُخْرَى وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، قال : هَلْ تَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ فقالوا مثل قولهم الأوّل ، قال : فإنَّ فَوْقَ ذلكَ العَرْشَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ مِثْلُ ما بَيْنَ السَّماءَيْنِ ، قال : هَلْ تَدْرُونَ ما الَّتِى تَحْتَكُمْ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّها الأرْضُ ، قال : فَهَلْ تَدْرُونَ ما تَحْتَهَا ؟ قالوا له مثل قولهم الأوّل ، قال : فإنَّ تَحْتَهَا أرْضًا أُخْرَى ، وَبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، حتى عدّ سبع أرَضِين ، بين كلّ أرْضين مسيرة خمس مئة سنة ، ثم قال : وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ دُلِّىَ أحَدُكُمْ بِحَبْلٍ إلى الأرْضِ الأُخْرَى لَهَبَطَ على اللهِ ، ثُمَّ قرأ (هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وَهُوْ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٍ) » .

وقوله (وَهُوَ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وهو بكلّ شىء ذو علم ، لايخفى عليه شىء ، فلا يعزُب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ، ولا فى السماء ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ ، إلا فى كتاب مبين .

وقوله (هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ فِى سِتَّةِ أيَّامٍ) يقول تعالى ذكره : هو الذى أنشأ السموات السبع والأرضين ، فدبَّرهنّ وما فيهنّ ، ثم استوى على عرشه ، فارتفع عليه وعلا .

وقوله (يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِى الأرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها) يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته ، وأنه لايخفى عليه خافية من خلقه (يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِى الأرْضِ) من خلقه . يعنى بقوله (يَلِجُ) : يدخل (وَما يَخْرُجُ مِنْها ، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ) إلى الأرض من شىء قطّ (وَما يَعْرُجُ فِيها) فيصعد إليها من الأرض (وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَما كُنْتُمْ) يقول : وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم ، ويعلم أعمالكم ، ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سمواته السبع (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : والله بأعمالكم التى تعملونها من حسن وسَيِّئ ، وطاعة ومعصية ، ذو بصر ، وهو لها محصٍ ، ليجازى المحسن منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته (يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) .

(١) فيه سقط كما لا يخفى وفى الدر وابن كثير : قال هذا العنان ، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لايشكرونه ولايدعونه ، ثم قال : تدرون ما فوقكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال فإنها الرقيع . الخ .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ ، وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ ، وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱللَّيْلِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦)

يقول تعالى ذكره : له سلطان السموات والأرض نافذ فى جميعهنّ ، وفى جميع ما فيهنّ أمره (وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ) يقول جلّ ثناؤه : وإلى الله مصير أمور جميع خلقه ، فيقضى بينهم بحكمه .

وقوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ) يعنى بقوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ) يدخل ما نقص من ساعات الليل فى النهار ، فيجعله زيادة فى ساعاته (وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) يقول : ويدخل ما نقص من ساعات النهار فى الليل ، فيجعله زيادة فى ساعات الليل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

وقد ذكرنا الرواية بما قالوا فيما مضى من كتابنا هذا ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك إن شاء الله تعالى .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ) قال : قصر هذا فى طول هذا ، وطول هذا فى قصر هذا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فى اللَّيْلِ) قال : دخول الليل فى النهار ، ودخول النهار فى الليل .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، فى قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فى اللَّيْلِ)قال : قصر أيام الشتاء فى طول ليله ، وقصر ليل الصيف فى طول نهاره .

وقوله (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول : وهو ذو علم بضمائر صدور عباده ، وما عزمت عليه نفوسهم من خير أو شرّ ، أو حدّثت بهما أنفسهم ، لايخفى عليه من ذلك خافية .

القول فى تأويل قوله تعالى

ءَامِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : آمنوا بالله أيها الناس ، فأقرّوا بوحدانيته وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فصدّقوه فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، يقول جلّ ثناؤه : وأنفقوا مما خوّلكم الله من المال الذى أورثكم عمن كان قبلكم ، فجعلكم خلفاءهم فيه ، فى سبيل الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) قال : المعمَّرين فيه بالرزق .

وقوله (فالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وأَنْفَقُوا) يقول : فالذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وأنفقوا مما خولهم الله عمن كان قبلهم ورزقهم من المال ، فى سبيل الله (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : لهم ثواب عظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : (وَما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ باللهِ) ، وما شأنكم أيها الناس لا تقرّون بوحدانية الله ، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته ، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ، ما قطع عذركم ، وأزال الشكّ من قلوبكم ، (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) قيل : عُنِى بذلك ؛ وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم فى صلب آدم ، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) قال : فى ظهر آدم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق غير أبى عمرو (وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ) بفتح الألف من أخذ ونصب الميثاق ، بمعنى : وقد أخذ ربكم ميثاقكم . وقرأ ذلك أبو عمرو : (وقَدْ أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ) بضمّ الألف ورفع الميثاق ، على وجه ما لم يسمّ فاعله .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان فتح الألف من أخذ ونصب الميثاق أعجب القراءتين إلىّ فى ذلك ، لكثرة القَرَأة بذلك ، وقلة القُرَّاء بالقراءة الأخرى .

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم تريدون أن تؤمنوا بالله يوما من الأيام ، فالآن أحرى الأوقات ، أن تؤمنوا لتتابع الحجج عليكم بالرسول وإعلامه ، ودعائه إياكم إلى ما قد تقرّرت صحته عندكم بالأعلام والأدلة والميثاق المأخوذ عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ، وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩)

يقول تعالى ذكره : الله الذى ينزّل على عبده محمد (آياتٍ بَيِّنَاتٍ) يعنى مفصّلات (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ) يقول جلّ ثناؤه : ليخرجكم أيها الناس من ظُلمة الكفر إلى نور الإيمان ، ومن الضلالة إلى الهُدى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ) قال : من الضلالة إلى الهدى .

وقوله (وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : وإن الله بإنزاله على عبده ما أنزل عليه من الآيات البيّنات لهدايتكم ، وتبصيركم الرشاد ، لذو رأفة بكم ورحمة ، فمن رأفته ورحمته بكم فعل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ، وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره : وما لكم أيها الناس أن لاتنفقوا مما رزقكم الله فى سبيل الله ، وإلى الله صائرٌ أموالكم إن لم تنفقوها فى حياتكم فى سبيل الله ، لأن له ميراث السموات والأرض ، وإنما حثهم جلّ ثناؤه بذلك على حظهم ، فقال لهم : أنفقوا أموالكم فى سبيل الله ، ليكون ذلك لكم ذخرا عند الله من قبل أن تموتوا ، فلا تقدروا على ذلك ، وتصير الأموال ميراثا لمن له السموات والأرض .

وقوله (لايَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ) .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لايستوى منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ) قال : آمن فأنفق ، يقول : من هاجر ليس كمن لم يهاجر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) يقول : من آمن .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : يقول غير ذلك .

وقال آخرون : عنى بالفتح فتح مكة ، وبالنفقة : النفقة في جهاد المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ ، أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) قال : كان قتالان ، أحدهما أفضل من الآخر ، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح فتح مكة ، أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) قال : فتح مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم في هذه الآية (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) قال : فتح مكة .

وقال آخرون : عنى بالفتح في هذا الموضع : صلح الحديبية .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية ، يقول تعالى ذكره (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ) . . . الآية .

حدثني حُمَيد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، في هذه الآية ، قوله (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ) قال : فتح الحديبية ، قال : فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : « فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية . وأُنزلت (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) . . . إلى (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فقالوا : يا رسول الله ، فتحٌ هو ؟ قال : نَعَمْ عَظِيمٌ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية ، ثم تلا هذا الآية (لايَسْتَوِي مِنْكُمْ) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية : « يُوشِكُ أنْ يأتِىَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعمالَكُمْ مَعَ أعمالِهِمْ ، قلنا : من هم يا رسول الله ، أقريش هم ؟ قال : لا ، وَلَكِنْ أهْلُ اليَمَنِ أرَقُّ أفْئِدَةً ، وألْيَنُ قُلُوبا ، فقلنا : هم خير منا يا رسول الله ؟ فقال : لَوْ كانَ لأحَدِهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ فأنْفَقَهُ ، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ ، ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنا وَبَينَ النَّاسِ ، لايَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ) . . . الآية ، إلى قوله : (وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) » .

حدثنى ابن البَرْقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنى زيد بن أسلم ، عن أبى سعيد التمار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُوشِكُ أنْ يأتِىَ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعمالَكُمْ مَعَ أعمالِهِمْ ، فقلنا : مَنْ هم يا رسول الله ، أقريش ؟ قال : لا ، هُمْ أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوبا ، وأشار بيده إلى اليمن ، فقال : هُم أهْلُ اليَمَنِ ، ألا إنَّ الإيمانَ يَمانٍ ، والْحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ ، فقلنا : يا رسول الله هم خير منا ؟ قال : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ كانَ لأحَدِهِمْ جَبَلُ ذَهَبٍ يُنْفِقُهُ ، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِكُمْ وَلا نَصِيفَهُ ، ثم جمع أصابعه ، ومدّ خنصره وقال : ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ مابَيْنَنا وَبَينَ النَّاسِ ، لايَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ ، أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا ، وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى » .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : أن يقال : معنى ذلك : لايستوى منكم أيها الناس من أنفق فى سبيل الله من قبل فتح الحُديبية للذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى رويناه عن أبى سعيد الخُدرىّ عنه ، وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك ، وقاتل وترك ذكر من أنفق بعد ذلك ، وقاتل استغناء بدلالة الكلام الذى ذُكر عليه من ذكره (أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنفقوا فى سبيل الله من قبل فتح الحديبية ، وقاتلوا المشركين أعظم درجة فى الجنة عند الله من الذين أنفقوا من بعد ذلك وقاتلوا .

وقوله (وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) يقول تعالى ذكره : وكلّ هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وعد الله الجنة ، بإنفاقهم فى سبيله ، وقتالهم أعداءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا وآمَنُوا ، وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) قال : الجنة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى) قال : الجنة .

وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بما تعملون من النفقة فى سبيل الله ، وقتال أعدائه ، وغير ذلك من أعمالكم التى تعملون ، خبير لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ ، أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : من هذا الذى ينفق فى سبيل الله فى الدنيا محتسبا فى نفقته ، مبتغيا ما عند الله ، وذلك هو القرض الحسن ، يقول : فيضاعف له ربه قرضه ذلك الذى أقرضه ، بإنفاقه فى سبيله ، فيجعل له بالواحدة سبع مئة . وكان بعض نحوّيى البصرة يقول فى قوله (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) فهو كقول العرب : لى عندك قرض صدق ، وقرض سَوْء إذا فعل به خيرا ؛ وأنشد فى ذلك بيتا للشنفرى :

سَنَجْزِى سَلامانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَها بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمْ فأزَلَّتِ [١]

(وَلَهُ أجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : وله ثواب وجزاء كريم ، يعنى بذلك الأجر : الجنة ، وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل فى ذلك فى فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ، بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ، ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أيْدِيهِمْ وبأيمانِهِمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضىء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) . . . الآية ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ المَدِينَةِ إلى عَدَنَ أبْيَنَ فَصَنْعاءَ ، فَدُونَ ذلكَ ، حتى إنَّ مِنَ المُؤْمِنِينَ مَنْ لايُضِيءُ نُورَهُ إلاَّ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

---

(١) نسب المؤلف البيت إلى الشنفرى . وسلامان بن مفرج قبيلة من العرب . والقرض كما فى (اللسان : قرض) بفتح القاف وكسرها : ما يتجازى به الناس بينهم ، ويتقاضونه ، وجمعه قروض ، وهو ما أسلفه من إحسان ، ومن إساءة . قال أمية بن أبى الصلت :

كلُّ امْرِئٍ سوْفَ يُجْزَى قرْضَه حَسَنا أوْ سَيِّئا وَمَدِينا مِثْلَ ما دَانا

قد سبق استشهاد المؤلف ببيت أمية هذا فى (٢ : ٥٩٢) من هذه الطبعة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى يذكر عن المنهال ، عن عمرو ، عن قيس ابن سكن ، عن عبد الله ، قال : « يُؤتَوْن نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم ، وأدناهم نورا على إبهامه يطفأ مرّة ويقدُ مرّة » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم ، وبأيمانهم : كتبهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ) : كتبهم ، يقول : الله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وأما نورهم فهداهم .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن الضحاك ، وذلك أنه لو عُنِى بذلك النور الضوء المعروف ، لم يخصّ عنه الخبر بالسعى بين الأيدى والأيمان دون الشمائل ، لأن ضياء المؤمنين الذى يؤتونه فى الآخرة يضىء لهم جميع ما حولهم ، وفى خصوص الله جلّ ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم ، دون الشمائل ، ما يدلّ على أنه معنىّ به غير الضياء ، وإن كانوا لا يَخْلُون من الضياء .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ماوصفنا : وكلاّ وعد الله الحسنى يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم ، وفى أيمانهم كتب أعمالهم تطاير .

ويعنى بقوله (يَسْعَى) يمضى ، والباء فى قوله (وبأيمانِهِمْ) بمعنى فى . وكان بعض نحويّ البصرة يقول : الباء فى قوله (وبأيمانهِمْ) بمعنى على أيمانهم .

وقوله (يَوْمَ تَرَى) من صلة وعد .

وقوله (بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التى تبشرون بها جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فأبشروا بها .

وقوله (خالِدِين فِيها) يقول : ماكثين فى الجنات ، لاينتقلون عنها ولا يتحوّلون .

وقوله (ذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمِ) يقول : خلودهم فى الجنات التى وصفها هو النجح العظيم الذى كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله ، ودخول الجنة خالدين فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : هو الفوز العظيم فى يوم يقول المنافقين والمنافقات ، واليوم من صلة الفوز للذين آمنوا بالله ورسله : انظرونا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (انْظُرُونا) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (انْظُرُونا) موصولة بمعنى : انتظرونا ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة (أنْظِرُونا) مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى : أخرونا ، وذكر الفرّاء أن العرب تقول : أنظرنى وهم يريدون : انتظرنى قليلا ؛ وأنشد فى ذلك بيت عمرو بن كلثوم :

أبا هِنْـدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وأنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا[1]

قال : فمعنى هذا : انتظرنا قليلا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع كقولك للرجل : اسمع منى حتى أخبرك .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : الوصل ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، إذا أريد به انتظرنا ، وليس للتأخير فى هذا الموضع معنى ، فيقال : أنظرونا ، بفتح الألف وهمزها .

وقوله (نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) يقول : نستصبح من نوركم ، والقَبَس : الشُّعلة .

وقوله (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فالْتَمِسُوا نُورًا) يقول جلّ ثناؤه : فيجابون بأن يقال لهم : ارجعوا من حيث جئتم ، واطلبوا لأنفسكم هنالك نورا ، فإنه لاسبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالمُنافِقاتُ) . . . إلى قوله (وَبِئْسَ المَصِيرُ) قال ابن عباس : بينما الناس فى ظلمة ، إذ بعث الله نورا ؛ فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا تبعوهم ، فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حينئذ : انظرونا نقتبس من نوركم ، فإنا كنا معكم فى الدنيا ؛ قال المؤمنون : ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور .

---

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى) يخاطب عمرو بن هند ملك الحيرة . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن . قال عند قوله تعالى « للذين آمنوا انظرونا » : وقرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة : « أنظرونا من أنظرت . وسائر القراء على (انظرونا) بتخفيف الألف . ومعنى (انظرونا) : انتظرونا . ومعنى « أنظرونا » : أخرونا ، كما قال : « أنظرنى إلى يوم يبعثون » . وقد تقول العرب (أنظرنى » وهم يريدون انتظرنى ، تقوية لقراءة يحيى . قال الشاعر « أبا هند . . . . البيت » ، فمعنى هذه : انتظرنا قليلا نخبرك ، لأنه ليس هاهنا تأخير ، إنما هو استماع ، كقولك للرجل : اسمع منى حتى أخبرك . اهـ . وفى (اللسان : نظر) والنظر : الانتظار . يقال : نظرت فلانا وانتظرته : بمعنى واحد فإذا قلت : انتظرت ، فلم يجاوزك فعلك ، فمعناه : وقفت وتمهلت . ومنه قوله تعالى « انظرونا نقتبس من نوركم » قرئ انظرونا وأنظرونا بقطع الألف . فمن قرأ « انظرونا » بضم الألف ، فمعناه : انتظرونا . ومن قرأ « أنظرونا » فمعناه : أخرونا . وقال الزجاج : قيل معنى « أنظرونا » انتظرونا أيضا . ومنه قول عمرو بن كلثوم : « أبا هند . . . . البيت » . اهـ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : فى قوله (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا) . . . الآية ، كان ابن عباس يقول : بينما الناس فى ظلمة ثم ذكر نحوه .

وقوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) يقول تعالى ذكره : فضرب الله بين المؤمنين والمنافقين بسُور ، وهو حاجز بين أهل الجنة وأهل النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) قال : كالحجاب فى الأعراف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) السور : حائط بين الجنة والنار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) قال : هذا السور الذى قال الله (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) .

وقد قيل : إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنا أبو سنان ، قال : كنت مع علىّ ابن عبد الله بن عباس ، عند وادى جهنم ، فحدّث عن أبيه أنه قال (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) فقال : هذا موضع السور عند وادى جهنم .

حدثنى إبراهيم بن عطية بن رُدَيح بن عطية ، قال : ثنى عمى محمد بن رُدَيح بن عطية ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أبى العوّام ، عن عُبادة بن الصامت أنه كان يقول : (بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) ، قال : هذا باب الرحمة .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سَلَمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبى العوّام مؤذّن بيت المقدس ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إن السور الذى ذكره الله فى القرآن : (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) هو السور الشرقىّ ، باطنه المسجد ، وظاهره وادى جهنم .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المُغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا شريح أن كعبا كان يقول فى الباب الذى فى بيت المقدس : إنه الباب الذى قال الله (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) .

وقوله (لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) يقول تعالى ذكره : لذلك السور باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبل ذلك الظاهر العذاب : يعنى النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ) : أى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) قال : الجنة وما فيها .

وقوله (يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قالُوا بَلَى) يقول تعالى ذكره : ينادى المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور ، فبقوا فى الظلمة والعذاب ، وصار المؤمنون فى الجنة ، ألم نكن معكم فى الدنيا نصلى ونصوم ، وننا كحكم ونوارثكم ؟ قالوا : بلى ، يقول : قال المؤمنون : بلى ، بل كنتم كذلك ، ولكنكم فَتَنتم أنفسكم ، فنافقتم ، وفتنتهم أنفسهم فى هذا الموضع : كانت النفاق .

وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) قال : النفاق ، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ، ويغشَوْنهم ، ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتا ، ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويماز بينهم حينئذ .

وقوله (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول : وتلبثتم بالإيمان ، ودافعتم بالإقرار بالله ورسوله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَرَبَّصْتُمْ) قال : بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَبَّصْتُمْ) يقول : تربصوا بالحق وأهله .

وقوله (وَارْتَبْتُمْ) يقول : وشككتم فى توحيد الله ، وفى نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَارْتَبْتُمْ) : شكوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَارْتَبْتُمْ) كانوا فى شكّ من الله .

وقوله (وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِيُّ) يقول : وخدعتكم أمانىّ نفوسكم ، فصدّتكم عن سبيل الله وأضلتكم، (حتى جاءَ أَمْرُ اللهِ) يقول : حتى جاء قضاء الله بمناياكم ، فاجتاحتكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَغَرَّتْكُمُ الأَمانِيُّ حتى جاءَ أَمْرُ اللهِ) كانوا على خُدْعة من الشيطان ، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار .

وقوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) يقول : وخدعكم بالله الشيطان ، فأطمعكم بالنجاة من عقوبته ، والسلامة من عذابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : (الغَرُورُ) : أى الشيطان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ) : أى الشيطان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا بن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرورُ) : الشيطان .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمنين لأهل النفاق ، بعد أن مَيَّز بينهم فى القيامة (فالْيَوْمَ) أيها المنافقون (لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) يعنى : عوضا وبدلا ؛ يقول : لايؤخذ ذلك منكم بدلا من عقابكم وعذابكم ، فيخلصكم من عذاب الله (وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : ولا تؤخذ الفدية أيضا من الذين كفروا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْيَوْمَ لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى المنافقين ، ولا من الذين كفروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فالْيَوْمَ لايُؤْخَذُ مِنْكُمْ) من المنافقين ، (وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) معكم (مأْوَاكُمُ النَّارُ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ) فقرأت ذلك عامة القرّاء بالياء (يُؤْخَذُ) ، وقرأه أبو جعفر القارئ بالتاء .

وأولى القراءتين بالصواب : الياء وإن كانت الأخرى جائزة .

وقوله (مأْوَاكُمُ النَّارُ) يقول : مَثْواكم ومسكنكم الذى تسكنونه يوم القيامة النار .

وقوله (هِيَ مَوْلاكُمْ) يقول : النار أولى بكم .

وقوله (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) يقول : وبئس مصير من صار إلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ؟ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا) : ألم يحن للذين صدّقوا الله ورسوله أن تلين قلوبهم لذكر الله ، فتخضع قلوبهم له ، ولما نزل من الحقّ ، وهو هذا القرآن الذى نزّله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) قال : تطيع قلوبهم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) [1] .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ) . . . الآية . ذُكر لنا أن شدّاد بن أوس كان يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ أوَّلَ ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان شدّاد بن أوس يقول : « أوَّلَ ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ » .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَما نَزَلَ مِنَ الحَقّ) فقرأته عامة القرّاء غير شيبة ونافع بالتشديد نزّل ، وقرأه شيبة ونافع ، وما نَزَل بالتخفيف ، وبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب ، لتقارب معنييهما .

وقوله (وَلا يَكُونُوا كالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ) يقول تعالى ذكره : ألم يأن لهم أن ولا يكونوا ، يعنى الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (كالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ) يعنى من بنى إسرائيل ، ويعنى بالكتاب الذى أوتوه من قبلهم التوراة والإنجيل .

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ ، وفى الدر عن عكرمة : ألم يحن للذين آمنوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، قال : جاء عِتْريس ابن عُرْقوب إلى ابن مسعود ، فقال : ياعبد الله ، هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ، فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبه معروفا ، ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه ؛ قال : فجعل رجل منهم كتاب الله فى قَرْن ، ثم جعل القَرْن بين ثُنْدوتيه ؛ فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به ، ويومئ إلى القرن الذى بين ثُندوتيه ، ومالى لا أومن بهذا الكتاب ، فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القَرن .

ويعنى بقوله (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ) مابينهم وبين موسى صلى الله عليه وسلم ، وذلك الأمد : الزمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (الأَمَدُ) قال : الدهر .

وقوله (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) عن الخيرات ، واشتدّت على السكون إلى معاصى الله (وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) يقول جلّ ثناؤه : وكثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاسقون .

القول فى تأويل قوله تعالى

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : (اعْلَمُوا) أيها الناس (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ) الميتة التى لاتنبت شيئا (بَعْدَ مَوْتِهَا) يعنى : بعد دُثورها ودروسها ، يقول : وكما نحيى هذه الأرض الميتة بعد دروسها ، كذلك نهدى الإنسان الضّالّ عن الحقّ إلى الحقّ ، فنوفّقه ونُسَدّده للإيمان حتى يصير مؤمنا من بعد كفره ، ومهتديا من بعد ضلاله .

وقوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : قد بيّنا لكم الأدلة والحجج لتعقلوا .

وقوله (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا ، ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال ، بمعنى إن المتصدّقين والمتصدّقات ، ثم تُدغم التاء فى الصاد ،

فتجعلها صادا مشدّدة ، كما قيل (يا أيها المُزَّمِّلْ) يعنى المتزمل . وقرأ ابن كثير وعاصم (إنَّ المُصَدِّقِين والمُصَدِّقات) بتخفيف الصاد ، وتشديد الدال ، بمعنى : إن الذين صدقوا الله ورسوله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، صحيح معنى كلّ واحدة منهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد فى الحرفين : أعنى فى الصاد والدال ، إن المتصدّقين من أموالهم والمتصدّقات (وأقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) بالنفقة فى سبيله ، وفيما أمر بالنفقة فيه ، أو فيما ندب إليه (يُضَاعَفُ لَهُمْ ، ولَهُمْ أجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : يضاعف الله لهم قروضهم التى أقرضوها إياه ، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة ، (ولَهُمْ أجْرٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم ثواب من الله على صدقهم وقروضهم إياه كريم ، وذلك الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١٩)

يقول تعالى ذكره : والذين أقرّوا بوحدانية الله ، وإرساله رسله ، فصدّقوا الرسل وآمنوا بما جاءوهم به من عند ربهم ، أولئك هم الصِّدّيقون .

وقوله (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : والشهداء عند ربهم : منفصل من الذى قبله ، والخبر عن الذين آمنوا بالله ورسله ، متناه عند قوله (الصِّدِّيقُونَ) ، والصدّيقون مرفوعون بقوله : هم ، ثم ابتدئ الخبر عن الشهداء فقيل : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ، والشهداء فى قولهم مرفوعون بقوله (لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بالله وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) قال : هذه مفصولة (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) قال : هى للشهداء خاصة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، قال : هى خاصة للشهداء .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى الضحى (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) ثم استأنف الكلام فقال : الشهداء عند ربهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) هذه مفصولة ، سماهم الله صدّيقين بأنهم آمنوا بالله وصدّقوا رسله ، ثم قال : (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) ، هذه مفصولة .

وقال آخرون : بل قوله « والشهداء » من صفة الذين آمنوا بالله ورسله ؛ قالوا : إنما تناهى الخبر عن الذين آمنوا عند قوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ، ثم ابتدئ الخبر عما لهم ، فقيل : لهم أجرهم ونورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنا أبو قيس أنه سمع هُذَيلا يحدّث ، قال : ذكروا الشهداء ، فقال عبد الله : الرجل يقاتل للذِّكْر ، والرجل يقاتل لِيُرَى مكانُه ، والرجل يقاتل للدنيا ، والرجل يقاتل للسمعة ، والرجل يقاتل للمغنم ؛ قال شعبة شيئا هذا معناه : والرجل يقاتل يريد وجه الله ، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد ، وقرأ عبد الله هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، وليث عن مجاهد (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) قال : كلّ مؤمن شهيد ، ثم قرأها .

حدثنى صالح بن حرب أبو معمر ، قال : ثنا إسماعيل بن يحيى ، قال : ثنا ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مُؤْمِنُوا أُمَّتِى شُهَدَاءُ » قال : ثم تلا النبىّ صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال : بالإيمان على أنفسهم بالله .

وقال آخرون : الشهداء عند ربهم فى هذا الموضع : النبيون الذين يشهدون على أممهم من قول الله عزّ وجلّ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » .

☆ والذى هو أولى الأقوال عندى فى ذلك بالصواب : قول من قال : الكلام والخبر عن الذين آمنوا متناه عند قوله (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) وأن قوله (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) خبر مبتدأ عن الشهداء .

وإنما قلنا : إن ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه فى الظاهر ، وأنّ الإيمان غير موجب فى المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره ، إلا أن يُراد به شهيد ، على ما آمن به وصدّقه ، فيكون ذلك وجها ، وإن كان فيه بعض البعد ، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه ، إذا أطلق

بغير وصل ، فتأويل قوله (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) إذن والشهداء الذين قُتلوا فى سبيل الله ، أو هلكوا فى سبيله عند ربهم ، لهم ثواب الله إياهم فى الآخرة ونورهم .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : والذين كفروا بالله وكذّبوا بأدلته وحججه ، أولئك أصحاب الجحيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : اعلموا أيها الناس أن متاع الحياة الدنيا المعجلة لكم ، ماهى إلا لعب ولهو تتفكّهون به ، وزينة تتزيّنون بها ، وتفاخر بينكم ، يفخر بعضكم على بعض بما أولى فيها من رياشها (وتَكاثُرٌ فى الأمْوَالِ والأوْلادِ) يقول تعالى ذكره : ويباهى بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَباتُه ثُمَّ يَهِيجُ) يقول تعالى ذكره : ثم ييبس ذلك النبات (فَتَرَاه مُصْفَرًّا) بعد أن كان أخضرَ نضيرا .

وقوله (ثُمَّ يَكُونُ حُطاما) يقول تعالى ذكره : ثم يكون ذلك النبات حطاما ، يعنى به أنه يكون نبتا يابسا متهشما (وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وفى الآخرة عذاب شديد للكفار (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ) لأهل الإيمان بالله ورسوله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) . . . الآية ، يقول : صار الناس إلى هذين الحرفين فى الآخرة .

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ) ذكر ما فى الدنيا ، وأنه على ما وصف ، وأما الآخرة فإنها إما عذاب ، وإما جنة . قال : والواو فيه وأو بمنزلة واحدة .

وقوله (وَما الْحَياةُ الدُّنْيا إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ) يقول تعالى ذكره : وما زينة الحياة الدنيا المعجلة لكم أيها الناس ، إلا متاع الغرور .

حدثنا علىّ بن حرب الموصلى ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « مَوْضِعُ سَوْطٍ فِى الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَما فيها » .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ، أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : (سابِقُوا) أيها الناس (إلى) عمل يوجب لكم (مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْضِ ، أُعِدَّتْ) هذه الجنة (لِلَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ) يعنى الذين وحّدوا الله ، وصدّقوا رسله .

وقوله (ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) يقول جلّ ثناؤه : هذه الجنة التى عرضها كعرض السماء والأرض التى أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله ، فضل الله تفضّل به على المؤمنين ، والله يؤتى فضله من يشاء من خلقه ، وهو ذو الفضل العظيم عليهم ، بما بسط لهم من الرزق فى الدنيا ، ووهب لهم من النِّعم ، وعرّفهم موضع الشكر ، ثم جزاهم فى الآخرة على الطاعة ماوصف أنه أعدّه لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ما أصابكم أيها الناس من مصيبة فى الأرض بجدوبها وقحوطها ، وذهاب زرعها وفسادها (وَلا فِي أنْفُسِكُمْ) بالأوصاب والأوجاع والأسقام (إلاّ فِي كِتابٍ) يعنى إلا فى أمّ الكتاب . (مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) يقول : من قبل أن نبرأ الأنفس ، يعنى من قبل أن نخلقها . يقال : قد برأ الله هذا الشىء ، بمعنى : خلقه فهو بارئه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ وَلا فِي أنْفُسِكُمْ إلاّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) قال : هو شىء قد فُرِغ منه من قبل أن نبرأ النفس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرْضِ) أما مصيبة الأرض : فالسنون . وأما فى أنفسكم : فهذه الأمراض والأوصاب (مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) : من قبل أن نخلقها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ما أصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأرْضِ) قال : هى السنون (ولا فِى أنْفُسِكُمْ) قال : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خَدْش عود ، ولا نَكْبة قدم ، ولا خَلَجَانُ عِرْقٍ ، إلا بذنب ، وما يعفو عنه أكثر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن منصور بن عبد الرحمن ، قال : كنت جالسا مع الحسن ، فقال رجل : سله عن قوله (ما أصاب مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأرْضِ ولا فى أنْفُسِكُمْ إلاَّ فى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) فسألته عنها ، فقال : سبحان الله ، ومن يشكّ فى هذا ؟ كلّ مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله ، من قبل أن تبرأ النسمة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما أصاب مِنْ مُصِيبَةٍ فى الأرْضِ وَلا فِى أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) يقول هو شىء قد فُرِغ منه من قبل أن نبرأها : من قبل أن نبرأ الأنفس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله جلّ ثناؤه (فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) قال : من قبل أن نخلقها . قال : المصائب والرزق والأشياء كلها مما تحبّ وتكره فَرَغ الله من ذلك كله قبل أن يبرأ النفوس ويخلقها .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : ما أصاب من مصيبة فى دين ولا دنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (ما أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأرْضِ وَلا فِى أنْفُسِكُمْ إلاَّ فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرأَها) يقول : فى الدين والدنيا ، إلا فى كتاب من قبل أن نخلقها .

واختلف أهل العربية فى معنى « فى » التى بعد قوله « إلا » ، فقال بعض نحويّ البصرة : يريد والله أعلم بذلك : إلا هى فى كتاب ، فجاز فيه الإضمار . قال : ويقول : عندى هذا ليس إلا ، يريد إلا هو . وقال غيره منهم ، قوله (فِى كِتابٍ) من صلة ما أصاب ، وليس إضمار « هو » بشىء ، وقال : ليس قوله عندى هذا ليس إلا مثله ، لأن إلا تكفى من الفعل ، كأنه قال : ليس غيره .

وقوله (إنَّ ذلكَ على اللهِ يَسِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن خلق النفوس ، وإحصاء ما هى لاقية من المصائب على الله سهل يسير .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)

⁂ يعنى تعالى ذكره : ما أصابكم أيها الناس من مصيبة فى أموالكم ولا فى أنفسكم ، إلا فى كتاب قد كُتب ذلك فيه من قبل أن نخلق نفوسكم (لِكَيْلا تَأْسَوْا) يقول : لكيلا تحزنوا (على ما فاتَكُمْ) من الدنيا ، فلم تدركوه منها (وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) منها .

ومعنى قوله (بِما آتاكُمْ) إذا مدّت الألف منها : بالذى أعطاكم منها ربكم ، وملّككم وخوّلكم ؛ وإذا قُصرت الألف ، فمعناها : بالذى جاءكم منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) من الدنيا (وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) منها .

حُدثت عن الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، عن قيس ، عن سِماك ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) قال : الصبر عند المصيبة ، والشكر عند النعمة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سِماك البكرىّ ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ) قال : ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ، ومن أصابه خير فجعله شكرا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (لِكَيْلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ) قال : لاتأسَوا على ما فاتكم من الدنيا ، ولا تفرحوا بما آتاكم منها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بِما آتاكُمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والكوفة (بِما آتاكُمْ) بمدّ الألف . وقرأه بعض قرّاء البصرة (بِما أتاكُمْ) بقصر الألف ؛ وكأنّ من قرأ ذلك بقصر الألف اختار قراءته كذلك ، إذ كان الذى قبله على ما فاتكم ، ولم يكن على ما أفاتكم ، فيردّ الفعل إلى الله ، فألحق قوله (بِمَا آتاكُمْ) به ، ولم يردّه إلى أنه خبر عن الله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان صحيح معناهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت أختار مدّ الألف لكثرة قارئى ذلك كذلك ، وليس للذى اعتلّ به منه معتلو قارئيه بقصر الألف كبير معنى ، لأن ما جعل من ذلك خبرا عن الله ، وما صرف منه إلى الخبر عن غيره ، فغير خارج جميعه عند سامعيه من أهل العلم أنه من فعل الله تعالى ، فالفائت من الدنيا من فاته منها شىء ، والمدرك منها ما أدرك عن تقدّم الله عزّ وجلّ وقضائه ، وقد بين ذلك جلّ ثناؤه لمن عقل عنه بقوله (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إلاّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها) فأخبر أن الفائت منها بإفاتته إياهم فاتهم ، والمدرك منها بإعطائه إياهم أدركوا ، وأن ذلك محفوظ لهم فى كتاب من قبل أن يخلقهم .

وقوله (وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) يقول : والله لايحبّ كلّ متكبر بما أوتى من الدنيا ، فخور به على الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : والله لايحبّ كلّ مختال فخور ، الباخلين بما أوتوا فى الدنيا على اختيالهم ، به وفخرهم بذلك على الناس ، فهم يبخلون بإخراج حق الله الذى أوجبه عليهم فيه ، ويشحّون به ، وهم مع بخلهم به أيضا يأمرون الناس بالبخل .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يُدْبِرْ مُعْرِضًا عن عظة الله (فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يدبر معرضا عن عظة الله ، تاركا العمل بما دعاه إليه من الإنفاق فى سبيله ، فرحا بما أوتى من الدنيا ، مختالا به فخورا بخيلا ، فإن الله هو الغنىّ عن ماله ونفقته ، وعن غيره من سائر خلقه ، الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه .

واختلف أهل العربية فى موضع جواب قوله (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ) فقال بعضهم : استغنى بالأخبار التى لأشباههم ولهم فى القرآن ، كما قال : (وَلَوْ أنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ ، أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ ، أوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى) ، ولم يكن فى ذا الموضع خبر ، والله أعلم بما ينزّل هو كما أنزل ، أو كما أراد أن يكون . وقال غيره من أهل العربية : الخبر قد جاء فى الآية التى قبل هذه (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) عطف بجزاءين على جزاء ، وجعل جوابهما واحدا ، كما تقول : إن تقم وإن تحسن آتك ، لا أنه حذف الخبر

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (فإنَّ الله الغَنِيُّ) بحذف « هو » من الكلام ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم بغير « هو » . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الْحَمِيدُ) بإثبات هو فى القراءة ، وكذلك « هو » فى مصاحفهم .

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : لقد أرسلنا رسلنا بالمفصّلات من البيان والدلائل ، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع ، والميزان بالعدل .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الكِتابَ وَالمِيزَانَ) قال : الميزان : العدل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والميزان) بالحقّ [1] ؛ قال : الميزان : ما يعمل الناس ، ويتعاطون عليه فى الدنيا من معايشهم التى يأخذون ويعطون ، يأخذون بميزان ، ويعطون بميزان ، يعرف ما يأخذ وما يعطى . قال : والكتاب فيه دين الناس الذى يعملون ويتركون ، فالكتاب للآخرة ، والميزان للدنيا .

وقوله (لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْطِ) يقول تعالى ذكره : ليعمل الناس بينهم بالعدل .

وقوله (وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنالهم الحديد فيه بأس شديد : يقول : فيه قوّة شديدة ، ومنافع للناس ، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدوّ ، وغير ذلك من منافعه.

وقد حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عِلْباء بن أحمر ، عن عكرِمة عن ابن عباس ، قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم صلوات الله عليه : السِّندان والكلبتان ، والميقَعة ، والمِطْرقة.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) قال : البأس الشديد : السيوف والسلاح الذى يقاتل الناس بها (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) بعد يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأنْزَلْنا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ للنَّاسِ) وجنة وسلاح ، وأنزله ليعلم الله من ينصره .

وقوله (وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالغَيْبِ) يقول تعالى ذكره : أرسلنا رسلنا إلى خلقنا ، وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليعدلوا بينهم ، وليعلم حزب الله من ينصر دين الله ورسله بالغيب منه عنهم.

وقوله (إنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله قوىّ على الانتصار ممن بارزه بالمعاداة ، وخالف أمره ونهيه ، عزيز فى انتقامه منهم ، لايقدر أحد على الانتصار منه مما أحلّ به من العقوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ، وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ، فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ أرْسَلْنَا) أيها الناس (نُوحاً) إلى خلقنا ، وإبراهيم خليله إليهم رسولا (وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ) وكذلك كانت النبوّة فى ذرّيتهما ، وعليهم أنزلت الكتب : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، وسائر الكتب المعروفة (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ) يقول : فمن ذرّيتهما مهتد إلى

(١) لعله والميزان ، والميزان بالحق .

الحقّ مستبصر (وكَثِيرٌ مِنْهُمْ) يعنى من ذرّيتهما (فاسِقُونَ) يعنى ضُلّال ، خارجون عن طاعة الله إلى معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا، وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ، وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (٢٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم أتبعنا على آثارهم برسلنا الذين أرسلناهم بالبيّنات على آثار نوح وإبراهيم برسلنا ، وأتبعنا بعيسى بن مريم (وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) يعنى : الذين اتبعوا عيسى على منهاجه وشريعته (رأْفَةً) وهو أشدّ الرحمة (وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها) يقول : أحدثوها (ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) يقول : ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم (إلاّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ) يقول : لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الذين لم يَرْعَوُا الرهبانية حقّ رعايتها ، فقال بعضهم : هم الذين ابتدعوها ، لم يقوموا بها ، ولكنهم بدّلوا وخالفوا دين الله الذى بعث به عيسى : فتنصّروا وتهوّدوا .

وقال آخرون : بل هم قوم جاءوا من بعد الذين ابتدعوها ، فلم يرعوها حقّ رعايتها ، لأنهم كانوا كفارا ولكنهم قالوا : نفعل كالذى كانوا يفعلون من ذلك أوّليا ، فهم الذين وصف الله بأنهم لم يرعوها حق رعايتها .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الأحرف إلى الموضع الذى ذكرنا أن أهل التأويل فيه مختلفون فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رأفَةً ورَحْمَةً) فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تُكتب عليهم ، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله (فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها) قال : لم تُكتب عليهم ، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) قال فلم ؟ قال : ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوّعا ، فما رَعَوْها حق رعايتها .

ذكر من قال : الذين لم يرعوا الرهبانية حقّ رعايتها كانوا غير الذين ابتدعوها ، ولكنهم كانوا المريدى الاقتداء بهم

حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : كانت ملوك بعد عيسى بدّلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقيل لملكهم : ما نجد شيئا أشدّ علينا من شتم يشتمناه هؤلاء ، إنهم يقرءون (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) هؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به فى قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا به ، قال : فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل ، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدّلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك فدعونا ؛ قال : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ، فلا نرد عليكم ، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح فى الأرض ، ونهيم ونشرب كما تشرب الوحوش ، فإن قدرتم علينا بأرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دورا فى الفيافى ، ونحتفر الآبار ، ونحترث البقول ، فلا نردّ عليكم ، ولا نمرّ بكم ، وليس أحد من أولئك إلا وله حميم فيهم ؛ قال : ففعلوا ذلك ، فأنزل الله جل ثناؤه . (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) الآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم ، لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ؛ قال : فلما بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا قليل ، انحطّ رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وجاء صاحب الدار من داره ، وآمنوا به وصدّقوه ، فقال الله جلّ ثناؤه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين لإيمانهم بعيسى ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم به . قال (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) القرآن ، واتباعهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ وقال : (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) .

حدثنا يحيى بن أبى طالب ، قال : ثنا داود بن المحبّر ، قال : ثنا الصعق بن حزن ، قال : ثنا عقيل الجعدىّ ، عن أبى إسحاق الهمدانىّ ، عن سويد بن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْتَلَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا على إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، نَجَا مِنْهُمْ ثَلاثٌ ، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ : فِرْقَةٌ مِنَ الثَّلاثِ وَازَتِ المُلُوكَ وَقَاتَلَتْهُمْ على دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ ، وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوَازَاةِ المُلُوكِ ، فَأَقَامُوا بَيْنَ ظَهْرَانَىْ قَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَقَتَلَتْهُمُ المُلُوكُ ، وَنَشَرَتْهُمْ بِالمَنَاشِيرِ ؛ وَفِرْقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوَازَاةِ المُلُوكِ ، وَلا بِالمُقَامِ بَيْنَ ظَهْرَانَىْ قَوْمِهِمْ ، يَدْعُونَهُمْ إلى دِينِ اللهِ وَدِينِ عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَلَحِقُوا بِالبَرَارِى وَالجِبَالِ ، فَتَرَهَّبُوا فِيهَا ، فَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

(وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) قال : ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله (فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) قال : ما رعاها الذين من بعدهم حقّ رعايتها (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) قال : وهم الذين آمنوا بى ، وصدّقونى . قال (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ) قال : فهم الذين جحدونى وكذّبونى .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها) قال الآخرون ممن تَعَبَّدَ من أهل الشرك ، وفنى من فنى منهم ، يقولون : نتعبّد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، وهم فى شركهم لاعلم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم .

ذكر من قال : الذين لم يرعوها حقّ رعايتها : الذين ابتدعوها

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً) . . . إلى قوله (حَقَّ رِعايَتِها) يقول : ما أطاعونى فيها ، وتكلّموا فيها بمعصية الله ، وذلك أن الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما استخرج أهل الإيمان ، ولم يبق منهم إلا قليل ، وكثر أهل الشرك ، وذهب الرسل وقهروا ، اعتزلوا فى الغيران ، فلم يزل بهم ذلك حتى كفرت طائفة منهم ، وتركوا أمر الله عزّ وجلّ ودينه ، وأخذوا بالبدعة وبالنصرانية وباليهودية ، فلم يرعوها حقّ رعايتها ، وثبتت طائفة على دين عيسى ابن مريم صلوات الله عليه ، حين جاءهم بالبينات ، وبعث الله عزّ وجلّ محمدا رسولا صلى الله عليه وسلم ، وهم كذلك فذلك قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) . . . إلى (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ) كان الله عزّ وجلّ كتب عليهم القتال قبل أن يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ فلما استخرج أهل الإيمان ، ولم يبق منهم إلا القليل ، وكثر أهل الشرك ، وانقطعت الرسل ، اعتزلوا الناس ، فصاروا فى الغيران ، فلم يزالوا كذلك حتى غيرت طائفة منهم ، فتركوا دين الله وأمره وعهده الذى عَهِدَهُ إليهم ، وأخذوا بالبدع ، فابتدعوا النصرانية واليهودية ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : (ما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) وثبتت طائفة منهم على دين عيسى صلوات الله عليه ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا به .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبى مريم ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلىّ يقول : إن الله كتب عليكم صيام رمضان ، ولم يكتب عليكم قيامه ، وإنما القيام شىء ابتدعتموه ، وإن قوما ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم ، ابتغوا بها رضوان الله ، فلم يَرْعَوها حقّ رعايتها ، فعابهم الله

بتركها ، فقال : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ ، فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : أن يقال : إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يَرْعَوُا الرهبانية حَقَّ رعايتها ، بعض الطوائف التى ابتدعتها ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم ؛ قال : فدلّ بذلك على أن منهم من قد رعاها حقّ رعايتها ، فلو لم يكن منهم من كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذى قال جلّ ثناؤه (فَآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ) إلا أن الذين لم يَرْعَوْها حقّ رعايتها ، ممكن أن يكونوا كانوا على عهد الذين ابتدعوها ، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم ، لأن الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رَعَوها ، فجائز فى كلام العرب أن يقال : لم يَرْعَها القوم على العموم . والمراد منهم البعض الحاضر وقد مضى نظير ذلك فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب .

وقوله (فَآتَيْنا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ) يقول تعالى ذكره : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم على ابتغائهم رضوان الله ، وإيمانهم به وبرسوله فى الآخرة ، وكثير منهم أهل معاصٍ ، وخروج عن طاعته ، والإيمان به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أجْرَهُمْ) قال : الذين رعوا ذلك الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين ، التوراة والإنجيل ، خافوا الله بأداء طاعته ، واجتناب معاصيه ، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى الذين آمنوا من أهل الكتاب .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى : الذين آمنوا من أهل الكتاب .

وقوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يُعطكم ضعفين من الأجر ، لإيمانكم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم حين بَعَثَ نبيا . وأصل

الكِفل : الحظّ ، وأصله : ما يكتفل به الراكبُ ، فيحبسه ويحفظه عن السقوط ؛ يقول : يُحَصِّنكم هذا الكِفْل من العذاب ، كما يُحَصِّن الكِفْل الراكب من السقوط .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين ، لإيمانهم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، وتصديقهم بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتصديقهم به .

قال : ثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجْرَين : إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإيمانهم بعيسى صلى الله عليه وسلم ، والتوراة والإنجيل .

وبه عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ؛ وهارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : ضعفين .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : « بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم جعفرا فى سبعين راكبا إلى النجاشىّ يدعوه ، فقدم عليه ، فدعاه فاستجاب له وآمن به ؛ فلما كان عند انصرافه ، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته ، وهم أربعون رجلا : ائذن لنا ، فنأتى هذا النبىّ ، فنسلم به ، ونساعد هؤلاء فى البحر ، فأنا أعلم بالبحر منهم ، فقدموا مع جعفر على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد تهيأ النبىّ صلى الله عليه وسلم لوقعة أُحُد ؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخَصاصة وشدّة الحال ، استأذنوا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا نبىّ الله إن لنا أموالا ، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة ، فإن أذنت لنا انصرفنا ، فجئنا بأموالنا ، وواسينا المسلمين بها . فأَذِنَ لهم ، فانصرفوا ، فأتوا بأموالهم ، فواسوا بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (وِمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فكانت النفقة التى واسَوْا بها المسلمين ؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله (يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) فَخَروا على المسلمين ، فقالوا : يا معشر المسلمين ، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله أجره مرّتين ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فما فضلكم علينا ، فأنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) فجعل لهم أجرهم ، وزادهم النورَ والمغفرة ، ثم قال (لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ) » وهكذا قرأها سعيد بن جُبَير (لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ على شَىْءٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : ضعفين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : والكِفْلان أجران ، بإيمانهم الأوّل ، وبالكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) يعنى الذين آمنوا من أهل الكتاب (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : أجرين بإيمانكم بالكتاب الأوّل ، والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : أجرين : أجر الدنيا ، وأجر الآخرة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن سفيان ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عن أبى موسى (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : الكِفلان : ضعفان من الأجر ، بلسان الحَبَشة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن الشعبىّ ، قال : « إن الناس يوم القيامة على أربع منازل : رجل كان مؤمنا بعيسى ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فله أجران . ورجل كان كافرا بعيسى ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فله أجر . ورجل كان كافرا بعيسى ، فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فباء بغضب على غضب . ورجل كان كافرا بعيسى من مشركى العرب ، فمات بكفره قبل محمد فباء بغضب » .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : « سألت سعيد بن عبد العزيز ، عن الكِفْل كم هو ؟ قال : ثلاثُ مئة وخمسون حسنة ، والكفلان : سبعُ مِئَةِ حَسَنَة . قال سعيد : سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبرا من أحبار اليهود : كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة ؟ قال : كِفْل ثلاث مِئة وخمسون حسنة ؛ قال : فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ، ثم ذكر سعيد قول الله عزّ وجلّ فى سورة الحديد (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) فقلت له : الكِفلان فى الجمعة مثل هذا ؟ قال : نعم » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا معمر بن راشد ، عن فراس ، عن الشعبىّ ، عن أبى بُردة بن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رَجُلٌ آمَنَ بالكتابِ الأوَّلِ والكتابِ الآخِرِ ، وَرَجُلٌ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ فأدَّبَها وأحْسَنَ تأْدِيبَهَا ، ثُمَّ أعتقَها فتزوَّجَها ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أحْسَنَ عِبادَةَ رَبِّهِ ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنى صالح بن صالح الهَمْدانى ، عن عامر ، عن أبى بُرْدة بن أبى موسى ، عن أبى موسى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن صالح بن صالح ، سمع الشعبىّ يحدّث ، عن أبى بُرْدة ، عن أبى موسى الأشعرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عبد الحكم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الفرات ، عن يحيى بن أيوب ، قال : قال يحيى ابن سعيد ، أخبرنا نافع ، أن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّمَا آجالُكُمْ فِي آجالِ مَنْ خَلا مِنَ الأُمَمِ ، كَمَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إلى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وإنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ عُمَّالاً ، فَقالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ بُكْرَةٍ إلى نِصْفِ النَّهارِ على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ ألا فَعَمِلَتِ اليَهُودُ ، ثُمَّ قالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْرِ على قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ ألا فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ، ثُمَّ قالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إلى مَغارِبِ الشَّمْسِ على قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ؟ ألا فَعَمِلْتُمْ » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ ، أوقال : أُمَّتِى وَمَثَلُ اليَهُودِ والنَّصَارَى ، كَمَثَلِ رَجُلٍ قالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِى مِنْ غَدْوَةٍ إلى نِصْفِ النَّهارِ على قِيرَاطٍ ؟ قالَتِ اليَهُودُ : نَحْنُ ، فَعَمِلُوا ؛ قال : فَمَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهارِ إلى صَلاةِ العَصْرِ على قِيرَاطٍ ؟ قالَتِ النَّصَارَى : نَحْنُ ، فَعَمِلُوا ؛ وأنْتُمُ المُسْلِمُونَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ على قِيرَاطَيْنِ ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى ، وقالُوا : نَحْنُ أكْثَرُ عَمَلاً ، وأقَلُّ أجْرًا ، قالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أُجُورِكُمْ شَيْئًا ؟ قالُوا : لا ، قال : فَذَاكَ فَضْلِى أُوتِيهِ مَنْ أشاءُ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى الليث وابن لهيعة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبى أُمامة الباهلىّ ، أنه قال : شَهِدت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حِجَّة الوداع ، فقال قولا كثيرا حسنا جميلا ، وكان فيها : « مَنْ أسْلَمَ مِنْ أهْلِ الكِتابَيْنِ فَلَهُ أجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، ولَهُ مِثْلُ الَّذِى لَنا ، وعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْنا ؛ وَمَنْ أسْلَمَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَلَهُ أجْرُهُ ، ولَهُ مِثْلُ الذى لَنا ، وعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْنا » .

وقوله : (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) اختلف أهل التأويل فى الذى عنى به النور فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى به القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : الفرقان ، واتباعهم النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : الفرقان ، واتباعهم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كُرَيب وأبو هشام ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) قال : القرآن .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد ، مثله .

وقال آخرون : عُنِى بالنور فى هذا الموضع : الهُدَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَمْشُونَ بِهِ) قال : هُدًى .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذِكْره ، وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورا يمشون به ، والقرآن ، مع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم نور لمن آمن بهما وصدّقهما ، وهدى ، لأن من آمن بذلك ، فقد اهتدى .

وقوله (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) يقول : ويصفح لكم عن ذنوبكم فيسترها عليكم (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله ذو مغفرة ورحمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللهِ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَّشَآءُ ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) .

⁂ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، يفعل بكم ربكم هذا لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على شىء من فضل الله الذى آتاكم وخصّكم به ، لأنهم كانوا يرون أن الله قد فضّلهم على جميع الخلق ، فأعلمهم الله جلّ ثناؤه أنه قد آتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة ، ما لم يؤتهم ، وأن أهل الكتاب حسدوا المؤمنين لما نزل قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال الله عزّ وجلّ : فعلتُ ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لايقدرون على شىء من فضل الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ) . . . الآية ، قال : لما نزلت هذه الآية ، حَسَدَ أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله عزّ وجلّ (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ) . . . الآية ، قال : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّمَا مَثَلُنا وَمَثَلُ أهْلِ الكِتابَيْنِ قَبْلَنا ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ يَعْمَلُونَ إلى اللَّيْلِ على قِيرَاطٍ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهارُ سَئِمُوا عَمَلَهُ وَمَلُّوا ، فحاسَبَهُمْ ، فأعْطَاهُمْ عَلى قَدْرِ ذَلكَ ، ثُمَّ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ إلَى اللَّيْلِ عَلى قِيرَاطَيْنِ ، يَعْمَلُونَ لَهُ بَقِيَّةَ عَمَلِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : ما شأنُ هَؤُلاءِ أقَلُّهُمْ عَمَلاً ، وأكْثَرُهُمْ أجْرًا ؟ قال : مالي أُعْطِي مَنْ شِئْتُ ، فأرْجُو أنْ نَكُونَ نَحْنُ أصْحَابَ القِيرَاطَيْنِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) قال : بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين ، فأنزل الله (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

حدثنا أبو عمار ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ) الذين يتسمعون (ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، مثله .

وقيل (لِئَلاَّ يَعْلَمَ) إنما هو ليعلم . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (لِكَيْ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ) لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كلّ كلام دخل فى أوّله أو آخره جحد غير مصرّح ، كقوله فى الجحد السابق ، الذى لم يصرّح به (ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ) ، وقوله (وَما يُشْعِرُكُمْ أنَّها إذَا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ) ، وقوله (وَحَرَامٌ عَلى قَرْيَةٍ أهْلَكْناها) . . . الآية ، ومعنى ذلك : أهلكناها أنهم يرجعون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أبو هارون الغَنَوىّ ، قال : قال خطاب ابن عبد الله (لِئَلاَّ يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ) .

قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى المعلىّ ، قال : كان سعيد بن جُبَير يقول (لِكَيْلا يَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ)

وقوله (وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وليعلموا أن الفضل بيد الله دونهم ، ودون غيرهم من الخلق (يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) يقول : يُعْطى فضله ذلك من يشاء من خلقه ، ليس ذلك إلى أحد سواه (وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) يقول تعالى ذكره : والله ذو الفضل على خلقه ، العظيم فضله .

آخر تفسير سورة الحديد

تمّ الجزء السابع والعشرون من تفسير الإمام محمد ابن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الثامن والعشرون

وأوله : تفسير سورة المجادلة

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثامن والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس

الجزء الثامن والعشرين من جامع البيان لمحمد ابن جرير الطبرى

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المجادلة	
١	قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها . . .	١
٢	الذين يظاهرون منكم من نسائهم	٦
٣	والذين يظاهرون من نسائهم . . .	٧
٤	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . . .	٩
٥	إن الذين يحادُّون الله كبتوا . . .	١١
٦	يوم يبعثهم الله جميعا . . .	١٢
٧	ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات . . .	١٢
٨	ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجْوَى . . .	١٣
٩	يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم . . .	١٥
١٠	إنما النجوَى من الشيطان . . .	١٥
١١	يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا ...	١٦
١٢	يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول . . .	١٩
١٣	أأشفقتم أن تقدموا بين يدىْ نجواكم ...	٢٢
١٤	ألم تر إلى الذين تولَّوا قوما غضب الله . .	٢٢
١٥	أعدّ الله لهم عذابا شديدا . . .	٢٣
١٦	اتخذوا أيمانهم جُنّة فصدّوا . . .	٢٣
١٧	لن تغنىَ عنهم أموالهم . . .	٢٤
١٨	يوم يبعثهم الله جميعا . . .	٢٤
١٩	استحوذ عليهم الشيطان . . .	٢٥
٢٠	إن الذين يحادّون الله ورسوله . . .	٢٥
٢١	كتب الله لأغلبنّ . . .	٢٥
٢٢	لا تجد قوما يؤمنون بالله . . .	٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الحشر	
١	سبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض ...	٢٧
٢	هو الذى أخرج الذين كفروا . . .	٢٧
٣	ولولا أن كتب الله عليهمُ الجلاء . . .	٣١
٤	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . .	٣١
٥	ما قطعتم من لينة أو تركتموها . . .	٣٢
٦	وما أفاء الله على رسوله . . .	٣٥
٧	ما أفاء الله على رسوله من أهل القُرى ...	٣٦
٨	للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا . . .	٤٠
٩	والذين تبوءوا الدا ر والإيمان . . .	٤٠
١٠	والذين جاءوا من بعدهم يقولون . . .	٤٤
١١	ألم تر إلى الذين نافقوا . . .	٤٥
١٢	لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم . . .	٤٦
١٣	لأنتم أشد رهبة فى صدورهم . . .	٤٧
١٤	لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة . . .	٤٧
١٥	كمثل الذين من قبلهم قريبا . . .	٤٨
١٦	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان . . .	٤٨
١٧	فكان عاقبتهما أنهما فى النار . . .	٥١
١٨	يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله . . .	٥١
١٩	ولا تكونوا كالذين نسُوا الله . . .	٥٢
٢٠	لايستوى أصحاب النار . . .	٥٣
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل . . .	٥٣
٢٢	هو الله الذى لا إله إلا هو . . .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	هو الله الذى لا إله إلا هو . . .	٥٤
٢٤	هو الله الخالق البارئ المصوِّر . . .	٥٦

سورة الممتحنة

١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدُوّى ...	٥٧
٢	إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء . . .	٦١
٣	لن تنفعكم أرحامُكم ولا أولادكم . . .	٦١
٤	قد كانت لكم أُسوة حسنة فى إبراهيم ...	٦٢
٥	ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا . . .	٦٣
٦	لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنة . . .	٦٣
٧	عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين . . .	٦٤
٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم . . .	٦٥
٩	إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم . . .	٦٧
١٠	يأيها الذين آمنوا إذا جاءكمُ المؤمنات ...	٦٧
١١	وإن فاتكم شىء من أزواجكم . . .	٧٤
١٢	يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات . . .	٧٧
١٣	يأيها الذين آمنوا لاتتولّوا قوما . . .	٨١

سورة الصفّ

١	سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض...	٨٣
٢	يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ...	٨٣
٣	كبُر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون .	٨٣
٤	إن الله يحبُّ الذين يقاتلون فى سبيله صفا ...	٨٥
٥	وإذ قال موسى لقومه يا قوم . . .	٨٦
٦	وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل ...	٨٧
٧	ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ...	٨٧
٨	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم . . .	٨٧
٩	هو الذى أرسل رسوله بالهدى . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم . . .	٨٩
١١	تؤمنون بالله ورسوله . . .	٨٩
١٢	يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات . . .	٩٠
١٣	وأخرى تحبونها نصر من الله . . .	٩٠
١٤	يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ...	٩٠

سورة الجمعة

١	يسبِّح لله ما فى السموات وما فى الأرض...	٩٣
٢	هو الذى بعث فى الأمِّيين رسولا منهم ...	٩٣
٣	وآخرين منهم لما يلحقوا بهم . . .	٩٥
٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . .	٩٥
٥	مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها . . .	٩٧
٦	قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم . . .	٩٨
٧	ولا يتمنونه أبدا بما قدمتْ أيديهم . . .	٩٨
٨	قل إن الموت الذى تفرُّون منه . . .	٩٩
٩	يأيها الذين آمنوا إذا نُودى للصلاة ...	٩٩
١٠	فإذا قُضِيت الصلاة فانتشروا . . .	١٠٢
١١	وإذا رأوا تجارة أو لَهْوا انفضوا إليها...	١٠٣

سورة المنافقين

١	إذا جاءك المنافقون قالوا . . .	١٠٦
٢	اتخذوا أيمانهم جُنة فصدوا . . .	١٠٦
٣	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا . . .	١٠٧
٤	وإذا رأيتهم تُعجِبُك أجسامهم . . .	١٠٧
٥	وإذا قيل لهم تعالَوا يستغفر لكم . . .	١٠٨
٦	سواء عليهم أستغفرت لهم . . .	١١٠
٧	هم الذين يقولون لا تنفِقُوا على من ...	١١١
٨	يقولون لئن رجعنا إلى المدينة . .	١١٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩	يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم . . .	١١٧
١٠	وأنفقوا من ما رزقناكم . . .	١١٧
١١	ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلُها . . .	١١٧

سورة التغابن

١	يسبِّح لله ما فى السموات وما فى الأرض	١١٩
٢	هو الذى خلقكم فمنكم كافر . . .	١١٩
٣	خلق السموات والأرض بالحق . .	١٢٠
٤	يعلم ما فى السموات والأرض . . .	١٢٠
٥	ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل	١٢٠
٦	ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات...	١٢٠
٧	زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . . .	١٢١
٨	فآمنوا بالله ورسوله والنور . . .	١٢١
٩	يوم يجمعكم ليوم الجمع . . .	١٢٢
١٠	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	١٢٢
١١	ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله . . .	١٢٣
١٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول . .	١٢٣
١٣	الله لا إله إلا هو . . .	١٢٣
١٤	يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ...	١٢٤
١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة . . .	١٢٦
١٦	فاتقوا الله ما استطعتم . . .	١٢٦
١٧	إن تُقرضوا الله قرضا حسنا . .	١٢٨

سورة الطلاق

١	يا أيها النبى إذا طلقتم النساء . . .	١٢٨
٢	فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن . . .	١٢٨
٣	ويرزقه من حيث لا يحتسب . . .	١٢٨
٤	واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ...	١٤٠
٥	ذلك أمر الله أنزله إليكم . . .	١٤٤
٦	أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم...	١٤٤
٧	سيجعل الله بعض عسْر يُسرا . . .	١٥٠
٨	وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ...	١٥٠
٩	فذاقت وبال أمرها . . .	١٥٠
١٠	أعد الله لهم عذابا شديدا . . .	١٥١
١١	رسولا يتلو عليكم آيات الله . . .	١٥١
١٢	الله الذى خلق سبع سموات . . .	١٥٣

سورة التحريم

١	يا أيها النبىّ لم تحرم ما أحل الله لك . . .	١٥٥
٢	قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم . . .	١٥٩
٣	وإذ أسرّ النبىّ إلى بعض أزواجه حديثا...	١٥٩
٤	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما...	١٦٠
٥	عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزوجا...	١٦٣
٦	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم . . .	١٦٥
٧	يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ...	١٦٦
٨	يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله . . .	١٦٦
٩	يا أيها النبى جاهد الكفار . . .	١٦٩
١٠	ضرب الله مثلا للذين كفروا . .	١٦٩
١١	وضرب الله مثلا للذين آمنوا . . .	١٧١
١٢	ومريم ابنت عمران . . .	١٧٢

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة

تفسير سورة المجادلة

١ تأويل قوله تعالى « قد سمع الله ». وبيان المرأة التى نزلت فيها هذه الآيات .

٧ الظهار ومعنى العود فيه ، والكفارة التى تلزم بذلك .

١٢ النجوى ، ومعنى كون الله مع من يتناجى .

١٦ المجالس التى أمر الله بالتفسح فيها .

١٩ ما كان أوجبه الله تعالى من الصدقة أمام مناجاة الرسول .

٢٢ تأويل قوله « ألم تر إلى الذين تولّوا قوما » . . . الآية . وأنها نزلت فى المنافقين الذين تولوا اليهود .

تفسير سورة الحشر

٢٧ خروج بنى النضير من المدينة وما فعله المؤمنون من التخريب فى أرضهم .

٣٥ حكم الفىء وما يجب فى تقسيمه .

٤٠ ما فعله الأنصار من إيثار الغير على أنفسهم .

٤٤ تأويل قوله « والذين جاؤا من بعدهم » . ومن المراد بهم .

٤٩ العابد الذى تحيل عليه الشيطان حتى كفر . بعد عبادة ستين سنة .

تفسير سورة الممتحنة

٥٨ ما كتبه حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة عند ما أراد رسول الله فتحها .

الصفحة

٦٥ تأويل قوله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم » . . . الآية وبيان الذين عُنُوا بهذه الآية .

٦٧ ما كان يفعله رسول الله بالنساء المهاجرات من الامتحان .

٦٩ تحريم المؤمنات على المشركين والمشركات على المؤمنين ، وما يجب بذله لزوج كل .

٧٨ ما كان يأخذه رسول الله من البيعة على النساء عند إسلامهن .

تفسير سورة الصف

٨٣ ما وبخ الله به الإنسان على قوله فعلت ولم يفعل .

٨٨ تأويل قوله « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ». وبيان أنه لا ينافى إظهار الدين أن يكون بعده جحد .

٩٢ الحوار بين الذين اتبعوا عيسى وما فعلوا بعد رفعه .

تفسير سورة الجمعة

٩٥ تأويل قوله تعالى « وآخرين منهم » . . . الآية والخلاف فى المراد بهؤلاء الآخرين .

١٠١ عدد الأذان فى يوم الجمعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠٣ تأويل قوله . « وإذا رأو » . . . الآية ، وبيان أسباب النزول .

الصفحة

١٠٦ تفسير سورة المنافقين

١٠٨ طرف من تاريخ عبد الله بن أبيّ وما فعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١١٩ تفسير سورة التغابن

١٢٤ تأويل « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم » وبيان أسباب النزول .

تفسير سورة الطلاق

بيان الطلاق السنىّ والبدعىّ ، وذكر طرف من العدد .

١٣٦ ما يجب للمطلقة من السكنى .

١٣٦ حكم الإشهاد عند المراجعة .

الصفحة

١٤٠ عدة الآيسة والتى لم تحض ، وعدة الحامل المتوفى عنها زوجها .

١٤٦ الخلاف فى النفقة لا تكون لكل مطلقة أو للمبتوتة الحامل .

١٥٣ ما ورد فى أبعاد السموات والأرض .

تفسير سورة التحريم

١٥٥ ما كان حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه .

١٦١ تأويل قوله « إن تتوبا إلى الله » . . . الآية ، ومرجع الضمير فى الآية .

١٦٧ التوبة النصوح .

٣ ـ فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ج	
هَجَّا	٤٢
لَمْجا	٤٢
مَنْجا	٤٢
ر	
والنَّحْرُ	٥١
مُسْتَطِيرُ	٣٤
ق	
يَتَرَقْرَقُ	٣٣
ل	
مُحْوِلِ	١١٧
م	
نَهِيمُ	٥٧
ن	
مُهِينَا	٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (١)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قَدْ سَمِعَ اللهُ) يامحمد (قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) والتى كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زوجها امرأة من الأنصار .

⁂ واختلف أهل العلم فى نسبها واسمها ، فقال بعضهم : خَوْلة بنت ثعلبة ، وقال بعضهم : اسمها خُوَيلة بنت ثعلبة .

وقال آخرون : هى خُوَيلة بنت خُوَيلد . وقال آخرون : هى خويلة بنت الصامت . وقال آخرون : هى خويلة ابنة الدليج . وكانت مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زوجها ، وزوجها أوس بن الصامت ، مراجعتها إياه فى أمره ، وما كان من قوله لها : أنت علىّ كظهر أمى ، ومحاورتها إياه فى ذلك ، وبذلك قال أهل التأويل ، وتظاهرت به الرواية .

ذكر من قال ذلك ، والآثار الواردة به

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول : « إن خُويلة ابنة الدليج أتت النبىّ صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شِقّ رأسه ، فقالت : يا رسول الله ، طالت صحبتى مع زوجى ، ونفضت له بطنى ، وظاهرَ منى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتِ عَلَيْهِ ؛

فقالت : أشكو إلى الله فاقتى . ثم قالت : يا رسول الله، طالت صحبتى ، ونفضت له بطنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَرُمْتِ عَلَيْهِ . فجعل إذا قال لها : حَرُمْتِ عليه ، هتفت وقالت : أشكو إلى الله فاقتى . قال : فنزل الوحى ، وقد قامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر ، فأومأت إليها عائشة أن اسكتى ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى أخذه مثل السُّبات ، فلما قضى الوحى ، قال : ادْعى زَوْجَكِ ، فتَلاها عَلَيْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها ، وَتَشْتَكِى إلى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما) . . . إلى قوله (وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) : أى يرجع فيه (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا) ، أتَسْتَطِيعُ رَقَبَةً ؟ قال : لا ، قال : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ متتابِعَيْنِ) قال : يا رسول الله ، إنى إذا لم آكل فى اليوم ثلاث مرّات خشيت أن يعْشُوَ بصرى ؛ قال : (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لا يارسول الله ، إلا أن تعينى ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطعم » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذُكر لنا أن خُويلة بنة ثعلبة ، وكان زوجها أوس بن الصامت قد ظاهر منها ، فجاءت تشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت ظاهر منى زوجى حين كبر سنى ، ورقّ عظمى ، فأنزل الله فيها ما تسمعون : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) فقرأ حتى بلغ (لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ، وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ، ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) يريد أن يَغْشى بعد قوله ذلك ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُحَرِّرَ مُحَرَّرا قال : مالى بذلك يدان ، أو قال : لا أجد ، قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ؟ قال : لا والله إنه إذا أخطأه المأكل كلّ يوم مرارا يكلّ بصره ، قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لا والله ، إلا أن تعينى منك بعون وصلاة ؛ قال بشر ، قال يزيد : يعنى دعاء ؛ فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، فجمع الله له ، والله غفور رحيم » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قول الله : (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما) قال : ذاك أوس بن الصامت ، ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة ، قالت : « يا رسول الله كبر سنى ، ورقّ عظمى ، وظاهر منى زوجى . قال : فأنزل الله (الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ) . . . إلى قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) يريد أن يغشى بعد قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا) فدعاه إليه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟ قال : لا ؛ قال : أفَتَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ قال : إنه إذا أخطأه أن يأكل كلّ يوم ثلاث مرّات يكلّ بصره ؛ قال : أتَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا ؟ قال : لا ، إلا أن يعيننى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعون وصلاة ، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ، وجمع الله له أمره ، والله غفوررحيم » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية : أنت علىّ كظهر أمى حَرُمت فى الإسلام ، فكان أوّل من ظاهر فى الإسلام أوس بن الصامت ، وكانت تحتة ابنة عمّ له يقال لها خُوَيلة بنت خُوَيلد وظاهر منها ، فأُسْقِطَ فى يديه ، وقال : ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ علىّ ، وقالت له مثلَ ذلك . قال : فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت عنده ماشطة تمشُط رأسه ، فأخبرته ، فقال : يا خُوَيْلَةُ ما أُمِرْنا فى أمْرِكِ بِشَىْءٍ ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا خُوَيْلَةُ أبْشِرِى ، قالت : خيرا ، قال : فقرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) . . . إلى قوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسَّا) قالت : وأىّ رقبة لنا ؟ والله مايجد رقبة غيرى . قال (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ) قالت : والله لولا أنه يشرب فى اليوم ثلاث مرّات لذهب بصره ، قال (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) قال : من أين ؟ ما هى إلا أكلة إلى مثلها ، قال : فرعاه بشطر وَسْق ثلاثين صاعا ، والوَسْق ستون صاعا ، فقال : لِيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينا وَلْيُرَاجِعْكِ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله « (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) . . . إلى قوله (فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) ، وذلك أن خَوْلة بنت الصامت امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها ، فقال : أنت علىّ مثلُ ظهر أمى ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجى كان تزوّجنى وأنا أحبّ (١) ، حتى إذا كبرتُ ودخلت فى السنّ قال : أنت علىّ مثل ظهر أمى ، فتركنى إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لى رُخصة يا رسول الله تَنْعَشنى وإياه بها ، فحدّثنى بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أُمِرْتُ فى شأْنِكِ بِشَىْءٍ حتى الآنَ ، وَلَكِنِ ارْجِعى إلى بَيْتِكِ ، فإنْ أُومَرْ بِشَىْءٍ لأغْمِمْهُ عَلَيْكِ إنْ شاءَ اللهُ ، فرجعت إلى بيتها ، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب رخصتها ورخصة زوجها (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) . . . إلى قوله (وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ) ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها ؛ فلما أتاه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَرَدْتَ إلى يَمِينِكَ الَّتِى أقْسَمْتَ عَلَيْها ؟ فقال : وهل لها كفّارة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟ قال : إذاً يذهب مالى كله ، الرقبة غالية وأنا قليل المال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ؟ قال : لا والله ، لولا أنى آكل فى اليوم ثلاث مرّات لكلّ بصرى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينا) ؟ قال : لا والله إلا أن تعيننى على ذلك بعَرَق وصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى مُعِينُكَ بِخَمْسَةَ عَشَرَ صَاعا ، وأنا داعٍ لَكَ بالبَرَكَةِ ، فأصلح ذلك بينهما » .

قال : وجعل فيه تحرير رقبة لمن كان مُوسرا لايكفر عنه إلا تحرير رقبة إذا كان موسرا ، من قبل أن يتماسا ،

(١) الذى فى الدر : وأنا أحب الناس إليه .

فإن لم يكن موسرا فصيام شهرين متتابعين ، لايصلح له إلا الصوم إذا كان معسرا ، إلا أن لايستطيع ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وذلك كله قبل الجماع .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى معشر المدنىّ ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال « كانت خَوْلة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت ، وكان رجلا به لَمَمٌ ، فقال فى بعض هِجْراته[1] : أنت علىّ كظهر أمى ، ثم ندم على ما قال ، فقال لها : ما أظنك إلا قد حَرُمت علىّ ، قالت : لاتقل ذلك ، فوالله ما أحبّ الله طلاقا . قالت : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ، فقال : إنى أجدُنى أستحيى منه أن أسأله عن هذا ، فقالت فدعنى أن أسأله ، فقال لها : سليه ؛ فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا نبىّ الله ، إن أوس بن الصامت أبو ولدى ، وأحبّ الناس إلىّ ، قد قال كلمة والذى أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا ، قال : أنت علىّ كظهر أمى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أراكِ إلاّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، قالت : لاتقل ذلك يانبىّ الله ، والله ما ذكر طلاقا ، فرادّت النبىّ صلى الله عليه وسلم مرارا ، ثم قالت : اللهمّ إنى أشكو اليوم شدّة حالى ووحدتى ، ومايشُقّ علىّ من فراقه ، اللهمّ فأنزل على لسان نبيك ، فلم ترِم[2] مكانها حتى أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) - إلى أن ذكر الكفارات ، فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أعْتِقْ رَقَبَةً ، فقال : لا أجد ، فقال : صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ ، قال : لاأستطيع ، إنى لأصوم اليوم الواحد فيشُقّ علىّ ، قال : أطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينا ، قال : أما هذا فنعم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحاق « (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) قال : نزلت فى امرأة اسمها خَوْلة ؛ وقال عكرِمة اسمها خُوَيلة بنة ثعلبة ، وزوجها أوس ابن الصامت ، جاءت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أراكِ إلاّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، وهو حينئذ يغسل رأسه ، فقالت : انظر جُعِلتُ فداك يا نبىّ الله ، فقال : ما أراكِ إلاّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ، فقالت : انظر فى شأنى يا رسول الله ، فجعلت تجادله ، ثم حوّل رأسه ليغسله ، فتحوّلت من الجانب الآخر ، فقالت : انظر جعلنى الله فداك يانبىّ الله ، فقالت الغاسلة : أقصرى حديثك ومخاطبتك ياخُويلة ، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متربِّدا ليُوحَى إليه ، فأنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) . . . حتى بلغ (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال قتادة : فحرّمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) . . . حتى بلغ (بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قال أيوب : أحسبه ذكره عن عكرِمة ، أن الرجل قال : يا نبىّ الله ما أجد رقبة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أنا بِزائِدِكَ ، فأنزل الله عليه : (صِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَماسّا) فقال : والله يا نبىّ الله ما أطيق الصوم ، إنى إذا لم آكل فى اليوم كذا وكذا أكلة ، لقيت ولقيت ، فجعل يشكو إليه ، فقال : ما أنا بِزائِدِكَ ، فنزلت : (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) » .

(١) الهجرة ، بكسر الهاء : اسم من الهجر بفتحها ، وهو صرمه لزوجه .

(٢) لم ترم مكانها لم تبرحه . رام المكان يريمه : من باب ضرب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) قال : تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهى تشتكى إلى الله عند كِبَره وكبرها ، حتى انتفض وانتفض رحمها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) قال محمدا فى زوجها قد ظاهر منها ، وهى تشتكى إلى الله ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلىّ تسألنى عن خويلة ابنة أوس بن الصامت ، وإنها ليست بابنة أوس بن الصامت ، ولكنها امرأة أوس ، وكان أوس امرأ به لَمَمٌ ، وكان إذا اشتدّ به لَمَمُه تظاهر منها ، وإذا ذهب عنه لممه لم يقل من ذلك شيئا ، فجاءت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه ، وتشتكى إلى الله ، فأنزل الله ما سمعت ، وذلك شأنهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن إسحاق ، يحدّث عن معمر بن عبد الله ، عن يوسف بن عبد الله بن سلام ، قال : « حدثتنى خُوَيلة امرأة أوس بن الصامت ، قالت : كان بينى وبينه شىء ، تعنى زوجها ، فقال : أنت علىّ كظهر أمى ، ثم خرج إلى نادى قومه ، ثم رجع ، فراودنى عن نفسى ، فقالت : كلا والذى نفسى بيده ، حتى ينتهى أمرى وأمرك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقضى فىّ وفيك أمره ، وكان شيخا كبيرا رقيقا ، فغلبته بما تغلب به المرأة القوية الرجل الضعيف ثم خرجت إلى جارة لها ، فاستعارت ثيابها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلست بين يديه ، فذكرت له أمره ، فما برحت حتى أُنزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالت : لايقدر على ذلك ، قال : إنا سنعينه على ذلك بفَرَق من تمر ، قلت : وأنا أعينه بفَرَق آخر ، فأطعم ستين مسكينا » .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن تميم ، عن عروة ، عن عائشة قالت : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى ناحية البيت تشكو زوجها ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) . . . إلى آخر الآية » .

حدثنى عيسى بن عثمان الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : « تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها ، إن المرأة لتناجى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أسمعُ بعض كلامها ، ويخفى علىّ بعض كلامها إذ أنزل الله (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) » .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة بن الزبير ، قال : قالت عائشة : « تبارك الذى وسع سمعه كلّ شىء ، إنى لأسمع كلام

خولة ابنة ثعلبة ، ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول : يا رسول الله، أكل شبابى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر سنى ، وانقطع ولدى ، ظاهر منى ، اللهمّ إنى أشكو إليك ، قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) قال : زوجها أوس بن الصامت » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات إن خولة تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخفى علىّ أحيانا بعض ما تقول ، قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة « أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت ، وكان امرأ به لَمَم ، وكان إذا اشتدّ به لممه ظاهر من امرأته ، فأنزل الله عزّ وجلّ آية الظهار » .

حدثنى يحيى بن بشر القرقسانىّ ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الأموىّ ، قال : ثنا خَصِيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « كان ظهار الجاهلية طلاقا ، فأوّل من ظاهر فى الإسلام أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت ، من امرأته الخزرجية ، وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك ؛ فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقا ، فأتت به نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله إن أوسا ظاهر منى ، وإنا إن افترقنا هلكنا ، وقد نثرت بطنى منه ، وقدمت صحبته ، فهى تشكو ذلك وتبكى ، ولم يكن جاء فى ذلك شىء ، فأنزل الله عزّ وجلّ (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجادِلُكَ فِى زَوْجِها) . . . إلى قوله : (وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتَقْدِرُ عَلى رَقَبَةٍ تُعْتِقُها ؟ فقال : لا والله يارسول الله ، ما أقدر عليها ، فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنه ، ثم راجع أهله » .

وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُحاوِلُكَ فِى زَوْجِها) .

وقوله (وَتَشْتَكِى إلى اللهِ) يقول : وتشتكى المجادلة ما لديها من الهمّ بظهار زوجها منها إلى الله ، وتسأله الفرج (وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما) يعنى تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمجادلة خَوْلة بنة ثعلبة (إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه ، وغير ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعملون ، ويعمل جميع عباده .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ، إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ، وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)

⁂ يقول تعالى ذكره : الذين يحرّمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم ، فيقولون لهنّ : أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا ، وذلك كان طلاق الرجل امرأته فى الجاهلية .

كذلك حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبى قِلابة ، قال : كان الظهار طلاقا فى الجاهلية ، الذى إذا تكلم به أحدهم لم يرجع فى امرأته أبدا ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة سوى نافع ، وعامة قرّاء الكوفة خلا عاصم : (يَظَّاهَرُونَ) بفتح الياء وتشديد الظاء وإثبات الألف ، وكذلك قرءوا الأخرى بمعنى يتظاهرون ، ثم أدغمت التاء فى الظاء فصارتا ظاء مشدّدة . وذُكر أنها فى قراءة أُبىّ (يَتَظاهَرُونَ) وذلك تصحيح لهذه القراءة وتقوية لها . وقرأ ذلك نافع وأبو عمرو كذلك ، بفتح الياء وتشديد الظاء ، غير أنهما قرآه بغير ألف : (يَظَّهَّرُونَ) ، وقرأ ذلك عاصم (يُظاهِرُونَ) بتخفيف الظاء وضمّ الياء وإثبات الألف .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن كلّ هذه القراءات متقاربات المعانى . وأما (يَظَّاهَرُونَ) فهو من تظاهر ، فهو يتظاهر . وأما (يَظَّهَّرُونَ) فهو من تظهّر فهو يتظهّر ، ثم أدغمت التاء فى الظاء فقيل : يظَّهر ، وأما (يُظاهِرُونَ) فهو من ظاهر يظاهر ، فبأية هذه القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ فمصيب .

وقوله (ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ما نساؤهم اللائى يُظاهرون منهنّ بأمهاتهم ، فيقولوا لهنّ : أنتنّ علينا كظهر أمهاتنا ، بل هنّ لهم حلال .

وقوله (إنْ أُمَّهاتُهُمْ إلاَّ اللاَّئِى وَلَدْنَهُمْ) لا اللائى قالوا لهنّ ذلك .

وقوله (وإنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ القَوْلِ وَزُورًا) يقول جلّ ثناؤه : وإن الرجال ليقولون منكرا من القول الذى لاتُعرف صحته ، وزُورا : يعنى كذبا .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُنْكَرًا مِنْ القَوْلِ وَزُورًا) قال : الزُّور : الكذب (وَإنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذا تابوا منها وأنابوا ، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ، ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : والذين يقولون لنسائهم : أنتنّ علينا كظهور أمهاتنا .

وقوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) اختلف أهل العلم فى معنى العود لما قال المُظاهِر ، فقال بعضهم : هو الرجوع فى تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته التى كانت له حلالا قبل تظاهره ، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه ، بعزمه على غشيانها ووطئها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال : يريد أن يغشى بعد قوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) قال : حرّمها ، ثم يريد أن يعود لها فيطأها .

وقال آخرون نحو هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إمساكه إياها بعد تظهيره منها ، وتركه فراقها ، عود منه لما قال ، عزم على الوطء أو لم يعزم . وكان أبو العالية يقول : معنى قوله (لِمَا قالُوا) : فيما قالوا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سمعت أبا العالية يقول فى قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) : أى يرجع فيه .

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، فقال بعض نحوىّ البصرة فى ذلك المعنى : فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، فمن لم يجد فصيام ، فإطعام ستين مسكينا ، ثم يعودون لما قالوا إنا لانفعله فيفعلونه ، هذا الظهار ، يقول : هى علىّ كظهر أمى ، وما أشبه هذا من الكلام ، فإذا أعتق رقبة أو أطعم ستين مسكينا عاد لما قد قال : هو علىّ حرام يفعله . وكأن قائل هذا القول كان يرى أن هذا من المقدّم الذى معناه التأخير .

وقال بعض نحوىّ الكوفة (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) يصلح فيها فى العربية : ثم يعودون إلى ما قالوا ، وفيما قالوا ، يريدون النكاح ، يريد : يرجعون عما قالوا ، وفى نقض ما قالوا . قال : ويجوز فى العربية أن تقول : إن عاد لما فعل ، تريد : إن فعل مرّة أخرى ، ويجوز إن عاد لما فعل : إن نقض ما فعل ، وهو كما تقول : حلف أن يضربك ، فيكون معناه : حلف لايضربك ، وحلف ليضربنّك .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : معنى اللام فى قوله (لِمَا قالُوا) بمعنى « إلى » أو « فى » ، لأن معنى الكلام : ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه ، وإن قيل معناه : ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا ، أو فى تحليل ما حرّموا فصواب ، لأن كلّ ذلك عود له ، فتأويل الكلام : ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم .

وقوله (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) يقول : فعليه تحرير رقبة ، يعنى عتق رقبة عبد أو أمة ، من قبل أن يماسّ الرجل المظاهر امرأته التى ظاهر منها أو تماسه .

واختلف فى المعنىّ بالمَسِيس فى هذا الموضع نظير اختلافهم فى قوله (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) وقد ذكرنا ذلك هنالك .

وسنذكر بعض ما لم يذكره هنالك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا) فهو الرجل يقول لامرأته : أنت علىّ كظهر أمى ،

فإذا قال ذلك ، فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح ولا غيره ، حتى يكفر عن يمينه بعتق رقبة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، والمسّ : النكاح ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وإن هو قال لها : أنت علىّ كظهر أمى إن فعلتِ كذا وكذا ، فليس يقع فى ذلك ظهار حتى يحنث ، فإن حنث فلايقربها حتى يكفِّر ، ولا يقع فى الظهار طلاق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن أنه كان لايرى بأسا أن يغشى المظاهر دون الفرج .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : قال سفيان : إنما المظاهرة عن الجماع ، ولم ير بأسا أن يقضى حاجته دون الفرج ، أو فوق الفرج ، أو حيث يشاء ويباشر .

وقال آخرون : عُنِى بذلك كلّ معانى المَسيس ، وقالوا : الآية على العموم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا وهيب ، عن يونس ، قال : بلغنى عن الحسن أنه كره للمظاهر المَسيس .

وقوله (ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ) يقول تعالى ذكره : أوجب ربكم ذلك عليكم عظة لكم تتعظون به ، فتنتهون عن الظهار وقول الزور (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم التى تعملونها أيها الناس ذو خبرة لايخفى عليه شىء منها ، وهو مجازيكم عليها ، فانتهوا عن قول المنكر والزور .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ، فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ، ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : فمن لم يجد منكم ممن ظاهر من امرأته رقبة يحرّرها ، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، والشهران المتتابعان هما اللذان لافصل بينهما بإفطار فى نهار شىء منهما إلا من عذر ، فإنه إذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم ، فقال بعضهم : إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر ، بنى على ما مضى من الصوم .

وقال آخرون : بل يستأنف ، لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين .

ذكر من قال : إذا أفطر بعذر وزال العذر بنى وكان متابعا

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال فى رجل صام من كفارة الظهار ، أو كفارة القتل ، ومرض فأفطر ، أو أفطر من عذر ، قال : عليه أن يقضى يوما مكان يوم ، ولا يستقبل صومه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، بمثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، فى المظاهِر الذى عليه صوم شهرين متتابعين ، فصام شهرا ، ثم أفطر ، قال : يتمّ ما بقى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيِّب ، فى رجل صام من كفارة الظهار شهرا أو أكثر ثم مرض ، قال : يعتدّ بما مضى إذا كان له عذر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سالم بن نوح ، قال : ثنا عمر بن عامر ، عن قتادة ، عن الحسن فى الرجل يكرِن عليه الصوم فى قتل أو نذر أو ظهار ، فصام بعضه ثم أفطر ، قال : إن كان معذورا فإنه يقضى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : إن أفطر من عذر أتمّ ، وإن كان من غير عذر استأنف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج ، عن عطاء ، قال : من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر ، قال : يقضى ما بقى عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن جُرَيج ، عن عطاء بن أبى رباح وعمرو ابن دينار ، فى الرجل يفطر فى اليوم الغيم ، يظنّ أن الليل قد دخل عليه فى الشهرين المتتابعين ، أنه لا يزيد على أن يبدّله ، ولا يستأنف شهرين آخرين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : إن جامع المعتكف وقد بقى عليه أيام من اعتكافه ، قال : يتمّ ما بقى ، والمظاهِر كذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : إذا كان شيئا ابتلى به ، بنى على صومه ، وإذا كان شيئا هو فعله استأنف ، قال سفيان : هذا معناه .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن عامر فى رجل ظاهر ، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض ، قال : يتمّ ما بقى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل عن الشعبىّ بنحوه .

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب قالا : ثنا هشيم ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، فى رجل عليه صيام شهرين متتابعين ، فصام فمرض فأفطر ، قال : يقضى ولا يستأنف .

ذكر من قال : يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر ، قال : يستأنف ، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : إذا مرض فأفطر استأنف ، يعنى كان من عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هشيم ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : يستأنف .

⁂ وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال : ينى المفطر بعذر ، ويستقبل المفطر بغير عذر ، لإجماع

الجميع على أن المرأة إذا حاضت فى صومها الشهرين المتتابعين بعذر ، فمثلُه ، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قِبل الله ، فكلّ عذر كان من قِبل الله فمثله .

وقوله (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا) يقول تعالى ذكره : فمن لم يستطع منهم الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا ، وقد بيَّنا وجه الإطعام فى الكفارات فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ذَلكَ لِتُؤْمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى فرضتُ على من ظاهر منكم مافرضت ، فى حال القدرة على الرقبة ، ثم خففت عنه مع العجز بالصوم ، ومع فقد الاستطاعة على الصوم بالإطعام ، وإنما فعلته كى تُقِرّ الناس بتوحيد الله ورسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويصدّقوا بذلك ، ويعملوا به ، وينتهوا عن قول الزور والكذب (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الحدود التى حدّها الله لكم ، والفروض التى بينها لكم ، حدود الله ، فلا تتعدّوها أيها الناس . (وَلِلْكافِرِينَ) بها ، وهم جاحدو هذه الحدود وغيرها من فرائض الله ، أن تكون من عند الله (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : عذاب مؤلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ، وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله فى حدوده وفرائضه ، فيجعلون حدودا غير حدوده ، وذلك هو المحادّة لله ولرسوله .

وأما قتادة فإنه كان يقول فى معنى ذلك ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادُون الله ورسوله .

وأما قوله (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإنه يعنى : غيظوا وأُخزوا كما غيظ الذين من قبلهم من الأمم الذين حادّوا الله ورسوله ، وخُزوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) خُزوا كما خزى الذين من قبلهم .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معنى (كُبِتُوا) أهلكوا .

وقال آخر منهم : يقول : معناه غيظوا وأخزوا يوم الخندق (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يريد مَن قاتل الأنبياء من قبلهم .

وقوله (وَقَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ) يقول : وقد أنزلنا دلالات مفصّلات ، وعلامات محكمات ، تدلّ على حقائق حدود الله .

وقوله (وللْكافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول تعالى ذكره : ولجاحدى تلك الآيات المبيّنات التى أنزلناها على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنكريها ، عذاب يوم القيامة مهين : يعنى مذلّ فى جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)

يقول تعالى ذكره : وللكافرين عذاب مهين فى (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً) وذلك (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعا) من قبورهم لموقف القيامة (فَيُنَبِّئُهُمْ) الله (بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ) يقول تعالى ذكره : أحصى الله ما عملوا ، فعدّه عليهم ، وأثبته وحفظه ، ونَسِيَهُ عاملوه ، والله على كلّ شىء شهيد : يقول : (وَاللهُ) جلّ ثناؤه (على كُلّ شَيْءٍ) عملوه وغير ذلك من أمر خلقه (شَهِيدٌ) ، يعنى شاهد يعلمه ، ويحيط به ، فلا يعزُب عنه شىء منه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يامحمد بعين قلبك فترى (أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِى السَّمَوَاتِ وَما فِى الأَرْضِ) من شىء ، لايخفى عليه صغير ذلك وكبيره ؛ يقول جلّ ثناؤه : فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم ، ثم وصف جلّ ثناؤه قربه من عباده وسماعه نجواهم ، وما يكتمونه الناس من أحاديثهم ، فيتحدثونه سرّا بينهم ، فقال (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) من خلقه (إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ) يسمع سرّهم ونجواهم ، لايخفى عليه شىء من أسرارهم (وَلا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ) يقول : ولايكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك (وَلا أَدْنَى مِنْ ذلكَ) يقول : ولا أقلّ من ثلاثة (وَلا أكْثَرَ) من خمسة (إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ) إذا تناجَوا (أيْنَما كانُوا) يقول : فى أىّ موضع ومكان كانوا .

وعُنى بقوله (هُوَ رَابِعُهُمْ) بمعنى أنه مشاهدهم بعلمه ، وهو على عرشه .

كما حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنى نصر بن ميمون المضروب ، قال : ثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن الضحاك ، فى قوله (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) . . . إلى قوله (هُوَ

مَعَهُمْ) قال : هو فوق العرش ، وعلمه معهم (أَيْنَمَا كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ ، إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

وقوله (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه أو يسخطه يوم القيامة (إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : إن الله بنجواهم وأسرارهم ، وسرائر أعمالهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور عباده عليم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ) فقرأت قرّاء الأمصار ذلك (ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى) بالياء ، خلا أبى جعفر القارئ ، فإنه قرأه (ما تَكُونُ) بالتاء . والياء هى الصواب فى ذلك ، لإجماع الحجة عليها ، ولصحتها فى العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ، وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ، وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) من اليهود (ثُمَّ يَعُودُونَ) فقد نهى الله عزّ وجلّ إياهم عنها ، ويتناجون بينهم بالإثم والعدوان ومعصية الرسول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) قال : اليهود .

قوله (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول جلّ ثناؤه : ثم يرجعون إلى ما نُهُوا عنه من النجوى ، (وَيَتَنَاجَوْنَ بالإثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) يقول جلّ ثناؤه : ويتناجَون بما حرّم الله عليهم من الفواحش والعدوان ، وذلك خلاف أمر الله ومعصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَيَتَنَاجَوْنَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين والبصريين (وَيَتَنَاجَوْنَ) على مثال يتفاعَلُون ، وكان يحيى وحمزة والأعمش يقرءون (وَيَنْتَجُونَ) على مثال يفتعِلون . واعتلّ الذين قرءوه (يَتَنَاجَوْنَ) بقوله : إذا تناجيتم ، ولم يقل : إذا انتجيتم .

وقوله (وَإذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا جاءك يامحمد هؤلاء الذين نُهُوا عن النجوى ، الذين وصف الله جلّ ثناؤه صفتهم ، حَيَّوك بغير التحية التى جعلها الله لك تحية ، وكانت تحيتهم التى كانوا يحيونه بها التى أخبر الله أنه لم يحيه بها فيما جاءت به الأخبار ، أنهم كانوا يقولون : السامُ عليك .

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا ابن حُمَيد وابن وكيع قالا : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « جاء ناسٌ من اليهود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السامُ عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السامُ عليكم ، وفعل الله بكم وفعل ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يا عائشةُ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحْشَ ، فقلت : يا رسول الله ، ألست ترى ما يقولون ؟ فقال : أَلَسْتِ تَرَيْنَنِى أَرُدُّ عَلَيْهِمْ ما يَقُولُونَ ؟ أقُولُ : وَعَلَيْكُمْ » ، وهذه الآية فى ذلك نزلت (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ ، وَيَقُولُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنا اللهُ بِمَا نَقُولُ ، حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان اليهود يأتون النبىّ صلى الله عليه وسلم فيقولون : السامُ عليكم ، فيقول : وَعَلَيْكُمْ ، قالت عائشة : السامُ عليكم وغَضَبُ اللهِ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، قالت : إنهم يقولون : السامُ عليكم ، قال : إنّى أقُولُ : وَعَلَيْكُمْ ، فنزلت : (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : فإن اليهود يأتون النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السام عليكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : كانت اليهود يأتون النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السامُ عليكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) . . . إلى (فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حيوه : سام عليكم ، فقال الله : (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : يقولون : سام عليكم ، قال : هم أيضا يهود .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : اليهود كانت تقول : سامٌ عليكم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى « أن عائشة فَطَنَت إلى قولهم ، فقالت : وعليكم السامة واللعنة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَهْلاً يا عائشةُ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فى الأمْرِ كُلِّهِ ، فقالت : يا نبىّ الله ألم تسمع ما يقولون ؟ قال : أفَلَمْ تَسْمَعِى ما أرُدُّ عَلَيْهِمْ ؟ أقُولُ : وَعَلَيْكُمْ » .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك « أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودى فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم هَلْ تَدْرُونَ ماقالَ ؟ قالوا سَلّم يارسول الله ، قال : بَلْ قالَ : سأمٌ عَلَيْكُمْ ، أى تسأمون دينكم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أقُلْتَ سأمٌ عَلَيْكُمْ ؟ قال : نعم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكَ » : أى عليك ما قلت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ) قال : « هؤلاء يهود ، جاء ثلاثة نفر منهم إلى باب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فتناجَوا ساعة ، ثم استأذن أحدهم ، فأذن له النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : السام عليكم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكَ ، ثُمّ الثانى ، ثُمّ الثّالِثُ » قال ابن زيد : السام : الموت .

وقوله جل ثناؤه . (وَيَقُولُونَ فى أنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ) يقول جلّ ثناؤه : ويقول محيوك بهذه التحية من اليهود : هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيعجل عقوبته لنا على ذلك ، يقول الله : حَسْب قائلى ذلك يامحمد جهنم ، وكفاهم بها يصلونها يوم القيامة ، فبئس المصير جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إذَا تَناجَيْتُمْ) بينكم (فَلا تَتَناجَوْا بالإثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) لكن (تَناجَوا بالبِرِّ) يعنى بطاعة الله وما يقرّبكم منه (والتَّقْوَى) يقول : وباتقائه بأداء ما كلّفكم من فرائضه واجتناب معاصيه (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى إلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وخافوا الله الذى إليه مصيركم ، وعنده مجتمعكم ، فى تضييع فرائضه ، والتقدّم على معاصيه ، أن يعاقبكم عليه عند مصيركم إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : إنما المناجاة من الشيطان . ثم اختلف أهل العلم فى النجوى التى أخبر الله أنها من الشيطان ، أىّ ذلك هو ؟ فقال بعضهم : عُنِى بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطانِ

لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كان المنافقون يتناجَون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ، ويكبُر عليهم ، فأنزل الله فى ذلك القرآن (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا) . . . الآية .

وقال آخرون بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ) قال : « كان الرجل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ، ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم لا يمنع ذلك من أحد . قال : والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد ، وكان إبليس يأتى القوم فيقول لهم : إنما يتناجَون فى أمور قد حضرت ، وجموع قد جمعت لكم وأشياء ، فقال الله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) . . . إلى آخر الآية » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون ، يشقّ عليهم ، فنزلت (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أحلام النوم التى يراها الإنسان فى نومه فتحزنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن داود البلخى ، قال : سئل عطية ، وأنا أسمع الرؤيا ، فقال : الرؤيا على ثلاث منازل ، فمنها وسوسة الشيطان ، فذلك قوله (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ) ومنها ما يحدّث نفسه بالنهار ، فيراه بالليل ؛ ومنها كالأخذ باليد .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى به مناجاة المنافقين بعضهم بعضا بالإثم والعدوان ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدّم بالنهى عنها بقوله (إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) ثم عما فى ذلك من المكروه على أهل الإيمان ، وعن سبب نهيه إياهم عنه ، فقال : (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا) فبين بذلك(١) إذ كان النهى عن رؤية المرء فى منامه كان كذلك ، وكان عقيب نهيه عن النجوى ، بصفة أنه من صفة ما نهى عنه .

وقوله (وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وليس التناجى بضارّ المؤمنين شيئا إلا بإذن الله ، يعنى بقضاء الله وقدره .

وقوله (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وعلى الله فليتوكل فى أمورهم أهل الإيمان به ، ولا يحزنوا من تناجى المنافقين ومن يكيدهم بذلك ، وأن تناجيَهم غير ضارّهم إذا حفظهم ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ ،

(١) المراد من هذه العبارة أن عدم تأتى النهى عن الرؤيا المنامية ، وتقدم النهى عن المناجاة بمعنى المسارة ، يوضحان ما اختاره ، من أن النجوى معناه المسارة ، تأمل .

وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ) يعنى بقوله : تفسّحوا : توسعوا ، من قولهم : مكان فسيح : إذا كان واسعا .

واختلف أهل التأويل فى المجلس الذى أمر الله المؤمنين بالتفسح فيه ، فقال بعضهم : ذلك كان مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ) قال : مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان يقال ذاك خاصة .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ) . . . الآية ، كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنُّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ) قال : كان هذا للنبىّ صلى الله عليه وسلم ومَن حوله خاصة يقول : استوسعوا حتى يصيب كلّ رجل منكم مجلسا من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهى أيضا مقاعد للقتال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ) قال : كان الناس يتنافسون فى مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم فقيل لهم : (إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ فافْسَحُوا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فافْسَحُوا ، يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) قال : هذا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان الرجل يأتى فيقول : افسحوا لى رحمكم الله ، فيضنّ كلّ أحد منهم بقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله بذلك ، ورأى أنه خير لهم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك فى مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجْلِسِ فافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) : قال : ذلك فى مجلس القتال .

⁂ والصواب من القول فى ذلك: أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا فى المجلس ، ولم يخصص بذلك مجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم دون مجلس القتال ، وكلا الموضعين يقال له مجلس ، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس القتال .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (تَفَسَّحُوا فِي المَجلِسِ) على التوحيد، غير الحسن البصرى وعاصم ، فإنهما قرآ ذلك (فِي المَجَالِسِ) على الجماع ، وبالتوحيد قراءة ذلك عندنا، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فافْسَحُوا) يقول : توسعوا (يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ) يقول : يوسع الله منازلكم فى الجنة ؛ (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) يقول تعالى ذكره : وإذا قيل ارتفعوا ، وإنما يُراد بذلك : وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدوّ ، أو صلاة ، أوعمل خير ، أو تفرّقوا عن رسول لله صلى الله عليه وسلم ، فقوموا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) إلى (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) قال: إذا قيل : انشُزوا فانشُزوا إلى الخير والصلاة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فانْشُزُوا) قال : إلى كلّ خير ، قتال عدوّ ، أو أمر بالمعروف ، أو حقّ ما كان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) يقول : إذا دُعيتم إلى خير فأجيبوا . وقال الحسن : هذا كله فى الغزو .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) كان إذا نودى للصلاة تثاقل رجال ، فأمرهم الله إذا نودِى للصلاة أن يرتفعوا إليها ، يقوموا إليها .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) قال : انشزوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هذا فى بيته إذا قيل انشزوا ، فارتفعوا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإن له حوائجَ ، فأحبّ كلّ رجل منهم أن يكون آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (إذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا) .

وإنما اخترت التأويل الذى قلت فى ذلك ، لأن الله عزّ وجلّ أمر المؤمنين إذا قيل لهم انشزوا ، أن ينشزوا ، فعمّ بذلك الأمر جميعَ معانى النشوز من الخيرات ، فذلك على عمومه ، حتى يخصه مايجب التسليم له .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (فانْشُزُوا) بضم الشين ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسرها .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، بمنزلة يعكُفون ويعكِفون ، ويعرُشون ويعرِشون ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) يقول تعالى ذكره : يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم ، بطاعتهم ربَّهم فيما أمرهم به من التفسح فى المجلس إذا قيل لهم تفسحوا ، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها ، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ، بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) إن بالعلم لأهله فضلا ، وإن له على أهله حقا ، ولعمرى للحقّ عليك أيها العالم فضل ، والله معطى كل ذى فضل فضله .

وكان مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير يقول : فضل العلم أحبّ إلىّ من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع .

وكان عبد الله بن مطرف يقول : إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوما وصلاة وصدقة ، والآخر أفضل منه بونا بعيدا ، قيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : هو أشدّهما وَرَعا لله عن محارمه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ) فى دينهم ، إذا فعلوا ما أمروا به .

وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذوخبرة ، لايخفى عليه المطيع منكم ربَّه من العاصى ، وهو مُجازٍ جميعكم بعمله ، المحسن بإحسانه ، والمسىء بالذى هو أهله ، أو يعفو .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، إذا ناجيتم رسول الله ، فقدّموا أمام نجواكم صدقة تتصدّقون بها على أهل المسكنة والحاجة (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : وتقديمكم الصدقة أمام نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير لكم عند الله ، (وأطْهَرُ) لقلوبكم من المآثم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) :

قال : نُهُوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، قدّم دينارا فتصدّق به ، ثم أنزلت الرُّخصة فى ذلك .

حدثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربى ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : قال عليّ رضى الله عنه : إن فى كتاب الله عزّ وجلّ لآية ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : فُرضت ، ثم نُسخت .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : نُهوا عن مناجاة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يتصدّقوا ، فلم يناجه إلا عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، قدّم دينارا صدقةً تصدّق به ، ثم أنزلت الرخصة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، كان عندى دينارٌ فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم تصدّقت بدرهم ، فنُسخت ، فلم يعمل بها أحد قبلى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسئلة ، فوعظهم الله بهذه الآية ، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدّم بين يديه صدقة ، فاشتدّ ذلك عليهم ، فأنزل الله عزّ وجلّ الرخصة بعد ذلك (فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال : إنها منسوخة ، ما كانت إلا ساعة من نهار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) . . . إلى (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : كان المسلمون يقدّمون بين يدى النجوى صدقة ، فلما نزلت الزكاة نُسخ هذا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) وذاك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ؛ فلما قال ذلك صبر كثير من الناس ، وكفوا عن المسئلة ، فأنزل

الله بعد هذا (فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ) فوسَّع الله عليهم ، ولم يضيق .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن أبى المغيرة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن علىّ بن علقمة الأنمارىّ ، عن علىّ ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما تَرَى ؟ دِينارٌ؟قال : لايطيقون ، قال : نِصْفُ دِينارٍ ؟ قال : لايطيقون ، قال : ما تَرَى ؟ قال : شعيرةٌ ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : إنَّكَ لَزَهِيدٌ ، قال علىّ رضى الله عنه : فبى خفف الله عن هذه الأمة . وقوله (إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) فنزلت (أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) لئلا يناجى أهل الباطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيشُقّ ذلك على أهل الحقّ ، قالوا : يا رسول الله ما نستطيع ذلك ولا نطيقه ، فقال الله عزّ وجلّ (أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ ، فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ ، وآتُوا الزَّكاةَ) وقال : (لاخَيْرَ فى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ، إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ ، أوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) ، من جاء يناجيك فى هذا فاقبل مناجاتَه ، ومن جاء يناجيك فى غير هذا فاقطع أنت ذاك عنه ،لاتناجه . قال : وكان المنافقون ربما ناجَوا فيما لاحاجة لهم فيه ، فقال الله عزّ وجلّ (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ،وَيَتَناجَوْنَ بالإثْمِ والعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) قال : لأن الحبيث يدخل فى ذلك .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عِكرِمة والحسن البصرىّ قالا : قال فى المجادلة : (إذَا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ، ذلكَ خَيْرٌ لَكُمْ وأطْهَرُ ، فإنْ لَمْ تَجِدُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فنسختها الآية التى بعدها ، فقال(أأشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقاتٍ ، فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ ، وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

وقوله (فإنْ لَمْ تَجِدُوا) يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا ما تتصدّقون به أمام مناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : فإن الله ذو عفو عن ذنوبكم إذا تبتم منها ،رحيم بكم أن يعاقبكم عليها بعد التوبة ، وغير مؤاخذكم بمناجاتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تقدّموا بين يدى نجواكم إياه صدقة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ، وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : أشقّ عليكم وخشيتم أيها المؤمنون بأن تقدموا بين يدى نجواكم رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات الفاقة ، وأصل الإشفاق فى كلام العرب : الخوف والحذر ، ومعناه فى هذا الموضع : أخشيتم بتقديم الصدقة الفاقة والفقر .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أأَشْفَقْتُمْ) قال : شقّ عليكم تقديم الصدقة ، فقد وُضِعَتْ عنكم ، وأمروا بمناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صدقة حين شقّ عليهم ذلك .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد المكىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أأَشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ، فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فأقِيمُوا الصَّلاةَ ، وآتُوا الزَّكاةَ) فريضتان واجبتان لارجعة لأحد فيهما ، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة فى النجوى .

وقوله (فإذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيْكُمْ) يقول تعالى ذكره : فإذ لم تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات ، ورزقكم الله التوبة من تركككم ذلك ، فأدّوا فرائض الله التى أوجبها عليكم ، ولم يضعها عنكم ، من الصلاة والزكاة (وأَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ، فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه .

(وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : والله ذو خبرة وعلم بأعمالكم ، وهو مُحصيها عليكم ، ليجازيكم بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر بعين قلبك يا محمد ، فترى إلى القوم الذين تولّوْا قوما غضب الله عليهم ، وهم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) إلى آخر الآية ، قال : هم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) قال : هم اليهود تولاهم المنافقون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ) قال : هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود ، والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود ، وقرأ قول الله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ) حتى بلغ (وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) لئن كان ذلك لايفعلون وقال : هؤلاء المنافقون قالوا : لاندع حلفاءنا وموالينا يكونون معا لنصرتنا وعزّنا ، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة ، فقال الله عزّ وجلّ (فَعَسَى اللهُ أنْ يأتِيَ بالفَتْحِ أوْ أمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) حتى بلغ (فِى صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ) ، وقرأ حتى بلغ (أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) قال : لايبرزون .

وقوله (ما هُمْ مِنْكُمْ) يقول تعالى ذكره : ما هؤلاء الذين تولّوا هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم يعنى : من أهل دينكم وملتكم ، ولا منهم ، ولا هم من اليهود الذين غضب الله عليهم ، وإنما وصفهم بذلك منكم جلّ ثناؤه ، لأنهم منافقون ، إذا لقوا اليهود ، قالوا (إنَّا مَعَكُمْ إنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ - وَإذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) .

وقوله (وَيَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : ويحلفون على الكذب ، وذلك قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نشهد إنك لرسول الله وهم كاذبون غير مصدّقين به ، ولا مؤمنين به ، كما قال جلّ ثناؤه (وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ) . وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت فى رجل منهم عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر بلغه عنه ، فحلف كذبا .

ذكر الخبر الذى رُوى بذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يَنْظُرُ بِعَيْنِ شَيْطانٍ ، أو بِعَيْنَىْ شَيْطانٍ ، قال : فدخل رجل أزرق ، فقال له : علام تسبنى أو تشتمنى ؟ قال : فجعل يحلف ، قال : فنزلت هذه الآية التى فى المجادلة (وَيَحْلِفُونَ على الكَذِبِ وَهَمْ يَعْلَمُونَ) ، والآية الأخرى .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : أعدّ الله لهؤلاء المنافقين الذين تولّوا اليهود عذابا فى الآخرة شديدا (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا بغشهم المسلمين ، ونصحهم لأعدائهم من اليهود .

وقوله (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) يقول جلّ ثناؤه : جعلوا حلفهم وأيمانهم جنة يستجنون بها من القتل ، ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم ، وذلك أنهم إذا اطُّلِع منهم على النفاق ، حلفوا للمؤمنين بالله إنهم لمنهم (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول جلّ ثناؤه : فصدّوا بأيمانهم التى اتخذوها جُنة ، المؤمنين عن سبيل الله فيهم ، وذلك أنهم كفرة ، وحكم الله وسبيله فى أهل الكفر به من أهل الكتاب القتل ، أو أخذ الجزية ، وفى عبدة الأوثان القتل ، فالمنافقون يصدّون المؤمنين عن سبيل الله فيهم بأيمانهم إنهم مؤمنون ، وإنهم منهم ، فيحولون بذلك بينهم وبين قتلهم ، ويمتنعون به مما يمتنع منه أهل الإيمان بالله .

وقوله (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) يقول : فلهم عذاب مُذِلّ لهم فى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : لن تغنى عن هؤلاء المنافقين يوم القيامة أموالهم ، فيفتدوا بها من عذاب الله المهين لهم ولا أولادهم ، فينصرونهم ويستنقذونهم من الله إذا عاقبهم (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : هؤلاء الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ، وهم المنافقون ، أصحاب النار ، يعنى أهلها الذين هم فيها خالدون ، يقول : هم فى النار ماكثون إلى غير نهاية .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرهم هم أصحاب النار ، يوم يبعثهم الله جميعا ، فيوم من صلة أصحاب النار . وعُنى بقوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا) من قبورهم أحياء كهيئاتهم قبل مماتهم ، فيحلفون له كما يحلفون لكم كاذبين مبطلين فيها .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَيَحْلِفُونَ لَهُ) قال : إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا) . . . الآية ، والله حالف المنافقون ربهم يوم القيامة ، كما حالفوا أولياءه فى الدنيا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سِماك بن حرب البكرىّ ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِص عنه الظلّ ، فقال : إنَّهُ سيأتيكُمْ رَجُلٌ ، أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بعَيْنِ شَيْطان ، فَلا تُكَلِّمُوهُ ، فلم يلبث أن جاء ، فاطّلع فإذا رجل أزرق ، فقال له : عَلامَ تَشْتُمُنِى أنْتَ وَفُلانٌ وَفُلانٌ ؟ قال : فذهب فدعا أصحابه ، فحلفوا ما فعلوا ، فنزلت (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَميعا ، فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ ، ألا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ) .

وقوله (وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ) يقول : ويظُنون أنهم فى أيمانهم وحلفهم بالله كاذبين ، على شىء من الحقّ ، (أَلا إنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ) فيما يحلفون عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)

يعنى تعالى ذكره بقوله (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ) غلب عليهم الشيطان (فأنْساهُمْ ذِكْرَ الله ، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ) يعنى جنده وأتباعه (ألا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : ألا إن جند الشيطان وأتباعه هم الهالكون المغبونون فى صَفْقتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخالفون الله ورسوله فى حدوده ، وفيما فرض عليهم من فرائضه فيعادونه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : يعادون الله ورسوله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُحادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) قال : يعادون ، يشاقُّون .

وقوله (أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يحادّون الله ورسوله فى أهل الذلة ، لأن الغلبة لله ورسوله .

وقوله (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِى) يقول : قضى الله وخطّ فى أمّ الكتاب ، لأغلبنّ أنا ورسلى مَن حادّنى وشاقّنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِى) ... الآية ، قال : كتب الله كتابا وأمضاه .

وقوله (إنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ) يقول : إن الله جلّ ثناؤه ذو قوّة وقدرة على كلّ من حادّه ورسوله ، أن يهلكه ، ذو عزّة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه ، أو عاقبه ، أو أصابه فى نفسه بسوء .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (لاتَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ) لاتجد يامحمد قوما يصدّقون الله ، ويقرّون باليوم الآخر ، يوادّون من حادّ الله ورسوله ، وشاقّهما وخالف أمر الله ونهيه (وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ) يقول : ولو كان الذين حادّوا الله ورسوله آباءهم (أَوْ أبْناءَهُمْ ، أَوْ إخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية أن الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر ، فلذلك تولّوا الذين تولّوهم من اليهود .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ) لاتجد يامحمد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادّون من حادّ الله ورسوله : أى من عادى اللهَ ورسولَه .

وقوله (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين لايوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، كتب الله فى قلوبهم الإيمان .

وإنما عُنِى بذلك : قضى لقلوبهم الإيمان ، ففى بمعنى اللام ، وأخبر تعالى ذكره أنه كتب فى قلوبهم الإيمان لهم ، وذلك لمَّا كان الإيمان بالقلوب ، وكان معلوما بالخبر عن القلوب أن المراد به أهلها ، اجتزى بذكرها مِنْ ذكر أهلها .

وقوله (وأيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) يقول : وقوّاهم ببرْهان منه ونور وهدى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) يقول : ويدخلهم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها) يقول : ماكثين فيها أبدا (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بطاعتهم إياه فى الدنيا (وَرَضُوا عَنْهُ) فى الآخرة بإدخاله إياهم الجنةَ (أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ) يقول : أولئك الذين هذه صفتهم جند الله وأولياؤه (ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ) يقول : ألا إن جند الله وأولياءه (هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : هم الباقون المُنْجَحون بإدراكهم ما طلبوا والتمسوا ... ببيعتهم فى الدنيا ، وطاعتهم ربهم .

آخر تفسير سورة المجادلة

تفسير سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١)

⁂ يعنى بقوله جلّ ثناؤه (سَبَّحَ لِلهِ) صلى لله ، وسجد له (ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ) من خلقه. (وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : وهو العزيز فى انتقامه ممن انتقم من خلقه، على معصيتهم إياه ، الحكيم فى تدبيره إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٢)

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِى أخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأوَّلِ الْحَشْرِ) الله الذى أخرج الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى النَّضير من ديارهم ، وذلك خروجهم عن منازلهم ودورهم ، حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على أن يؤمّنهم على دمائهم ونسائهم وذراريّهم، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من أموالهم، ويُخلّوا له دورهم، وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر، فذلك قول الله عزّ وجلّ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ).

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله عزّ وجلّ (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال: النَّضير، حتى قوله (وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ).

ذكر ما بيّن ذلك كلّه فيهم

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قيل: الشام، وهم بنو النَّضير، حىّ من اليهود، فأجلاهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خَيْبَرَ، مرجعَه من أحد.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن الزُّهرىّ (مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال: هم بنو النضير، قاتلهم النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من شىء إلا الحَلْقَة، والحَلْقة: السلاح، كانوا من سِبْط لم يصبهم جَلاء فيما مضى، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم فى الدنيا بالقتل والسِّباء.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال: هؤلاء النَّضير حين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سَلَمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن رُومان، قال: نزلت فى بنى النَّضير سورة الحشر بأسرها، يُذكّرفيها ما أصابهم الله عزّ وجل به من نقمته، وما سلّط عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما عَمِل به فيهم، فقال (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) . . . الآيات.

وقوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) يقول تعالى ذكره: لأوّل الجمع فى الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزُّهرىّ، قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال: كان جَلاؤهم أوّل الحشر فى الدنيا إلى الشام.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « تجىء نار من مَشرِق الأرض ، تَحْشُر الناس إلى مغاربها ، فتبيت معهم حيث باتُوا ، وتَقِيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تَخَلَّف » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أَجلَى بنى النضير ، قال : (امْضُوا فهذا أوّلُ الحَشْرِ ، وإنّا على الأثَرِ) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال : الشام حين ردّهم إلى الشام ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنا مُصَدِّقا لِمَا مَعَكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوها فَنَرُدَّها على أدْبارِها) قال : من حيث جاءت ، أدبارها أن رجعت إلى الشام ، من حيث جاءت رُدّوا إليه .

وقوله (ما ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظننتم أن يخرج هؤلاء الذين أخرجهم الله من ديارهم من أهل الكتاب ، من مساكنهم ومنازلهم ، (وَظَنُّوا أنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ) وإنما ظنّ القوم فيما ذُكِر ذلك ، أن عبد الله بن أُبىّ وجماعة من المنافقين ، بعثوا إليهم لما حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمرونهم بالثبات فى حصونهم ، ويَعِدونهم النصر .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، أن رهطا من بنى عوف ابن الخزرج ، منهم عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول ، ووُدِيعة ومالك ابنا نوفل ، وسُوِيد وداعس ، بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربّصوا لذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وكانوا قد تحصنوا فى الحصون من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل بهم .

وقوله (فأتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) يقول تعالى ذكره : فأتاهم أمرُ الله من حيث لم يحتسبوا أنه يأتيهم ، وذلك الأمر الذى أتاهم من الله من حيث لم يحتسبوا ، قذف فى قلوبهم الرعب ، بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم فى أصحابه ، يقول جلّ ثناؤه : وقذف فى قلوبهم الرعب .

وقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيدِى المؤْمِنِينَ) يعنى جلّ ثناؤه بقوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ) بنى النضير من اليهود ، وأنهم يُخْرِبون مساكنهم ، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذُكر فى منازلهم مما يستحسنونه ، أو العمود أو الباب ، فينزعون ذلك منها بأيديهم وأيدى المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بأيْدِيهِمْ وأيْدِى المُؤْمِنِينَ) جعلوا يخربونها من أجوافها ، وجعل المؤمنون يُخْرِبون من ظاهرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهرىّ ، قال : لما صالحوا النبىّ صلى الله

عليه وسلم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها ، فكان ذلك خرابها . وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من داخلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، قال : احتملوا من أموالهم ، يعنى بنى النضير ، ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، قال : فذلك قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) قال : هؤلاء النضير ، صالحهم النبىّ صلى الله عليه وسلم على ما حملت الإبل ، فجعلوا يقلعون الأوتاد يخربون بيوتهم .

وقال آخرون : إنما قيل ذلك كذلك ، لأنهم كانوا يخربون بيوتهم ، ليبنوا بنقضها ما هدم المسلمون من حصونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) قال : يعنى بنى النضير ، جعل المسلمون كلما هدموا شيئا من حصونهم ، جعلوا ينقضون بيوتهم ويخربونها ، ثم يبنون ما يخرب المسلمون ، فذلك هلاكهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ) يعنى أهل النضير ، جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم ، جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، ثم يبنون ما خرّب المسلمون .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراق سوى أبى عمرو (يُخْرِبُونَ) بتخفيف الراء ، بمعنى يخرجون منها ، ويتركونها مُعَطَّلة خرابا . وكان أبو عمرو يقرأ ذلك يخرّبون بالتشديد فى الراء ، بمعنى يُهَدّمون بيوتهم . وقد ذُكر عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ والحسن البصرىّ ، أنهما كانا يقرءان ذلك نحو قراءة أبى عمرو . وكان أبو عمرو فيما ذُكر عنه ، يزعم أنه إنما اختار التشديد فى الراء ، لما ذكرت من أن الإخراب : إنما هو ترك ذلك خرابا بغير ساكن ، وإن بنى النضير لم يتركوا منازلهم ، فيرتحلوا عنها ، ولكنهم خرّبوها بالنقض والهدم ، وذلك لا يكون فيما قال إلا بالتشديد .

وأَوْلَى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى . قراءة من قرأه بالتخفيف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يقول : التخريب والإخراب بمعنى واحد ، وإنما ذلك فى اختلاف اللفظ لا اختلاف فى المعنى .

وقوله (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) يقول تعالى ذكره : فاتعظوا يا معشر ذوى الأفهام بما أحلّ الله

بهؤلاء اليهود الذين قذف الله فى قلوبهم الرعب ، وهم فى حصونهم من نقمته ، واعلموا أن الله ولىّ من والاه ، وناصر رسوله على كلّ من ناوأه ، ومُحِلٌّ من نقمته به نظيرَ الذى أحلّ ببنى النضير . وإنما عُنِى بالأبصار فى هذا الموضع أبصار القلوب ، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون ، الإبصار بالعيون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : ولولا أن الله قضى وكتب على هؤلاء اليهود من بنى النضير فى أمّ الكتاب الجلاء ، وهو الانتقال من موضع إلى موضع ، وبلدة إلى أخرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) : خروج الناس من البلد إلى البلد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) والجلاء : إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى . قال : ويقال الجَلاء : الفِرار ، يقال منه : جلا القوم من منازلهم ، وأجْلَيتهم أنا .

وقوله (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره (ولَوْلا أن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) من أرضهم وديارهم ، لعذّبهم فى الدنيا بالقتل والسَّبْى ، ولكنه رفع العذاب عنهم فى الدنيا بالقتل ، وجعل عذابهم فى الدنيا الجلاء (وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ما حلّ بهم من الخزى فى الدنيا ، بالجلاء عن أرضهم ودورهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : كان النضير من سِبْطٍ لم يصبهم جلاء فيما مضى ، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذّبهم فى الدنيا بالقتل والسبى .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان (وَلَوْلا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) وكان لهم من الله نقمة لعذّبهم فى الدنيا : أى بالسيف (وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) مع ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا، وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ): قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم، حتى بلغ منهم كلّ مَبْلَغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يَحْقِن لهم دماءهم، وأن يُخْرجهم من أرضهم وأوطانهم، ويُسَيرهم إلى أذرعاتِ الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسِقاء.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله: (وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ) أهل النَّضير، حاصرهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ منهم كلّ مَبْلَغ، فأعطَوا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ما أراد، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فهذا الجلاء.

وقوله (ذلكَ بأَنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول تعالى ذكره: هذا الذى فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم، من إخراجهم من ديارهم، وقذف الرعب فى قلوبهم من المؤمنين، وجعل لهم فى الآخرة عذاب النار، بما فعلوا هم فى الدنيا، من مخالفتهم الله ورسوله فى أمره ونهيه، وعصيانهم ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم. (وَمَنْ يُشاقِّ اللهَ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) يقول تعالى ذكره: ومن يخالف الله فى أمره ونهيه، فإن الله شديد العقاب.

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ، وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره: ما قطعتم من ألوان النخل، أو تركتموها قائمة على أصولها.

اختلف أهل التأويل فى معنى اللِّينة، فقال بعضهم: هى جميع أنواع النخل سوى العَجْوة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبى هند، عن عكرِمة: (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال: النخلة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرِمة أنه قال فى هذه الآية (ما قَطَعْتُم مِنْ لِينَةٍ) أو تركتموها قال: اللينة: ما دون العَجْوة من النخل.

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال: اللينة: ما خالف العجوةَ من التمر.

وحدثنا به مرّة أخرى فقال: من النخل.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد، عن قتادة، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال: النخل كله ما خلا العَجْوة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) واللينة: ما خلا العَجْوة من النخل.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعمر ، عن الزُّهرىّ (ماقَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) : ألوان النخل كلها إلا العجوة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة دون العجوة .

وقال آخرون : النخل كله لينة ، العجوة منه وغير العجوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : نخلة .

قال : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هى مَغانم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : النخلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : النخلة ، عجوة كانت أو غيرها ، قال الله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : الذى قطعوا من نخل النضير حين غدرت النضير .

وقال آخرون : هى لَوْن من النخل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : اللينة : لون من النخل .

وقال آخرون : هى كرام النخل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان فى (ماقَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) قال : من كرام نخلهم .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : قول من قال : اللينة : النخلة ، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة ، وإياها عَنى ذو الرُّمَّة بقوله :

طِراقُ الخَوَافِى وَاقِعٌ فَوْقَ لِينَةٍ نَدَى لَيْلِهِ فِى رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ [1]

(١) البيت لذى الرمة (اللسان : ريع) والرواية فيه « ريعة » فى موضع « لينة » واللينة : النخلة ، وكل شىء من النخل سوى العجوة فهو من اللين . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية » ، وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فارجع إليه فى (١٩ : ٩٣) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : اللينة من اللَّون ، واللَّيان فى الجماعة واحدها اللينة . قال : وإنما سميت لينة لأنه فِعْلة من فَعَل ، وهو اللون ، وهو ضرب من النخل ، ولكن لما انكسر ماقبلها انقلبت إلى الياء . وكان بعضهم ينكر هذا القول ، ويقول : لو كان كما قال لجمعوه : اللَّوان لا اللَّيان .

وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : جمع اللِّينة لِين ، وإنما أُنزلت هذه الآية فيما ذُكر من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قطع نخل بنى النضير وحرّقها ، قالت بنو النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه ، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها ؟ فأنزل الله هذه الآية ، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك ، فعن أمر الله فعل .

وقال آخرون : بل نزل ذلك لاختلاف كان من المسلمين فى قطعها وتركها .

ذكر من قال : نزل ذلك لقول اليهود للمسلمين ماقالوا

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، يعنى ببنى النضير ، تحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل ، والتحريق فيها ، فنادَوْه يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عزّ وجلّ (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِها فبإِذْنِ اللهِ ، وَلِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ) .

ذكر من قال : نزل ذلك لاختلاف كان بين المسلمين فى أمرها

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها) . . . الآية ، أى ليغظهم ، فقطع المسلمون يومئذ النخل ، وأمسك آخرون ، كراهية أن يكون إفسادا ، فقالت اليهود : آلله أذن لكم فى الفساد ، ، فأنزل الله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِها) قال : نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هى مغانم المسلمين ، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : « قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير ، وفى ذلك نزلت (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ) . . . الآية ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

وَهانَ عَلى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ[1]

(١) البيت لحسان بن ثابت (معجم ما استعجم للبكرى : رسم البويرة ٢٨٥) قال البويرة ، بضم أوله ، وبالراء المهملة ، على لفظ التصغير ، وهى من تيماء . قال أبو عبيدة فى كتاب الأموال : أحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير ، وقطع زهو البويرة ، فنزل فيهم : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ، وليخزى الفاسقين » . قال حسان : « لهان على سراة . . . البيت » . قال ذلك حسان ، لأن قريشا هم الذين حملوا كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة ، على نقض العقد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج معهم إلى الخندق ، وعند ذلك اشتد البلاء والخوف على المسلمين . اه .

وقوله (فَبِإِذْنِ اللهِ) يقول : فبأمر الله قطعتم ماقطعتم ، وتركتم ما تركتم ، وليغيظ بذلك أعداءه ، ولم يكن فسادا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (فَبِإِذْنِ اللهِ) : أى فبأمر الله قُطِعت ، ولم يكن فسادا ، ولكن نقمة من الله ، وليخزيَ الفاسقين .

وقوله (وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ) وليذلّ الخارجين عن طاعة الله عزّ وجلّ ، المخالفين أمره ونهيه ، وهم يهود بنى النضير .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٦)

يقول تعالى ذكره : والذى ردّه الله على رسوله منهم ، يعنى من أموال بنى النضير ، يقال منه : فاء الشىء على فلان : إذا رجع إليه ، وأفأته أنا عليه : إذا رددته عليه . وقد قيل : إنه عُنِى بذلك أموال قُرَيظة. (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيلٍ وَلا رِكابٍ) يقول : فما أوضعتم فيه من خيل ولا إبل ، وهى الركاب . وإنما وصف جلّ ثناؤه الذى أفاءه على رسوله منهم بأنه لم يوجف عليه بخيل ، من أجل أن المسلمين لم يلقوا فى ذلك حربا ، ولا كلفوا فيه مئونة ، وإنما كان القوم معهم ، وفى بلدهم ، فلم يكن فيه إيجاف خيل ، ولا ركاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) . . . الآية ، يقول : ماقطعتم إليها واديا ، ولا سرتم إليها سيرا ، وإنما كان حوائط لبنى النضير ، طُعْمة أطعمها الله رسوله . ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَعْطَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَهِيَ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ، وأَيُّمَا قَرْيَةٍ فَتَحَهَا المُسْلِمُونَ عَنْوَةً فَإِنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِهِ ، وَمَا بَقِيَ غَنِيمَةٌ لِمَنْ قَاتَلَ عَلَيْهَا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزُّهرىّ ، فى قوله (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) قال : « صالح النبىّ صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى قد سماها لاأحفظها ، وهو محاصِرٌ قوما آخرين ، فأرسلوا إليه بالصلح ، قال : (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) يقول : بغير قتال . قال الزهرىّ : فكانت بنو النضير للنبىّ صلى الله عليه وسلم خالصة ، لم يفتحوها عَنْوة ،

بل على صلح، فقسمها النبيّ صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، لم يعط الأنصار منها شيئا، إلا رجلين كانت بهما حاجة».

حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان (وَما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ) يعني بني النضير (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ، وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ) قال: يذكر ربهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كُراع ولا عُدّة في قريظة وخيبر، ما أفاء الله على رسوله من قريظة، جعلها لمهاجرة قريش.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَما أفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ، وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال: أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير، وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولاركاب، فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يُوجَف بها. قال: والإيجاف: أن يُوضِعوا السير، وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من ذلك خيبر وَفدك وقُرَى عَرَبِيةٌ، وأمر الله رسوله أن يُعِدّ لينبع، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسّمها؟ فأنزل الله عزّ وجلّ عذره، فقال: (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتامَى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) ثم قال: (وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا)... الآية.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ): يعني يوم قُرَيظة.

وقوله (وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ) أعلمك أنه كما سلّط محمدا صلى الله عليه وسلم على بني النضير، يخبر بذلك جلّ ثناؤه أن ما أفاء الله عليه من أموال لم يوجِف المسلمون بالخيل والركاب، من الأعداء مما صالحوه عليه، له خاصة يعمل فيه بما يرى. يقول: فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما صار إليه أموال بني النضير بالصلح لاعَنوة، فتقع فيها القسمة (وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول: والله على كلّ شيء أراده ذو قدرة، لايُعجزه شيء، وبقُدرته على ما يشاء سلّط نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ماسلط عليه من أموال بني النضير، فحازه عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى

مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ، وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ، وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٧)

⁂ يعنى بقوله جلّ ثناؤه (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى) الذى ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركى القرى .

واختلف أهل العلم فى الذى عُنِى بهذه الآية من الألوان ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك الجِزْية والخَراج :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال: قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَساكِينِ) حتى بلغ (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى) . . . الآية ، ثم قال : هذه الآية لهؤلاء ، ثم قرأ (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى) حتى بلغ (لِلْفُقَرَاءِ ، والَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ ، والَّذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ) ثم قال استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ، فليس أحد إلا له حق ، ثم قال لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسير حُمُرَه نصيبُه ، لم يعرق فيها جبينه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر فى قوله (ما أَفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى)[1] حتى بلغنى أنها الجزية ، والخراج : خَراج أهل القرى .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الغنيمة التى يصيبها المسلمون من عدوّهم من أهل الحرب بالقتال عَنْوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) مايوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عَنْوة . (فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ . وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا) قال : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ماوضعه الله عليه .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الغنيمة التى أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب ، وأخذت بالغَلَبة ، وقالوا : كانت الغنائم فى بدوّ الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله فى هذه الآيات ، دون الموجفين عليها ، ثم نسخ ذلك بالآية التى فى سورة الأنفال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) قال :

(١) لعل لفظ « حتى » زائد من النساخ .

كان الفيء فى هؤلاء ، ثم نسخ ذلك فى سورة الأنفال ، فقال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الأنفال ، وجعل الخمس لمن كان له الفيء فى سورة الحشر ، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس ، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ، ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس ، فخمس لله وللرسول ، وخمس لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل ؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما هذين السهمين : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم قرابته ، فحملا عليه فى سبيل الله ، صدقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم ، وقالوا قوله (ما أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) . . . الآيات ، بيان قسم المال الذى ذكره الله فى الآية التى قبل هذه الآية ، وذلك قوله (ما أَفَاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ من خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التى قبلها ، وذلك أن الآية التى قبلها مال جعله الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره ، لم يجعل فيه لأحد نصيبا ، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعمر ، عن الزهرىّ ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : أرسل إلىّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدخلت عليه ، فقال : إنه قد حضر أهلُ أبيات من قومك ، وإنا قد أمرنا لهم برَضْخ ، فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين مر بذلك غيرى ، قال : اقبضه أيها المرء ، فبينا أنا كذلك ، إذ جاء «يَرْفأ» مولاه ، فقال عبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وعثمان ، وسعد يستأذنون ، فقال : ائذن لهم ؛ ثم مكث ساعة ، ثم جاء فقال : هذا علىّ والعباس يستأذنان ، فقال : ائذن لهما ؛ فلما دخل العباس قال : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا الغادر الخائن الفاجر ، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بنى النضير ، فقال القوم : اقض بينهما يا أمير المؤمنين ، وأرحْ كلّ واحد منهما من صاحبه ، فقد طالت خصومتهما ، فقال : أنشدكم الله الذى بإذنه تقوم السموات والأرض ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لانُورَثُ ، ما تَرَكْناهُ صَدَقَة » قالوا : قد قال ذلك ؛ ثم قال لهما : أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ؟ قالا : نعم ؛ قال : فسأخبركم بهذا الفيء ، إن الله خصّ نبيه صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعطه غيره ، فقال (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، فوالله ما احتازها دونكم ، ولا استأثر بها دونكم ، ولقد قسمها عليكم ، حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منه سنتهم ، ثم يجعل مابقى فى مال الله ، فإذا كانت هذه الآية التى قبلها مضت ، وذكر المال الذى خصّ الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجعل لأحد معه شيئا ، وكانت هذه الآية خبرا عن

المال الذى جعله الله لأصناف شتى ، كان معلوما بذلك أن المال الذى جعله لأصناف من خلقه ، غير المال الذى جعله للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة ، ولم يجعل له شريكا .

وقوله (وَلِذِى القُرْبَى) يقول : ولذى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى المطلب واليتامى ، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لامال لهم ؛ والمساكين : وهم الجامعون فاقة وذلّ المسئلة ، وابن السبيل : وهم المنقطَع بهم من المسافرين ، فى غير معصية الله عزّ وجلّ .

وقد ذكرنا الرواية التى جاءت عن أهل التأويل بتأويل ذلك فيما مضى من كتابنا .

وقوله (كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : وجعلنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصناف ، كيلا يكون ذلك الفىء دُولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم ، يصرفه هذا مرّة فى حاجات نفسه ، وهذا مرّة فى أبواب البرّ وسُبُل الخير ، فيجعلون ذلك حيث شاءوا ، ولكننا سننا فيه سنة لاتُغير ولا تُبدّل .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبى جعفر القارئ (كَيْلا يَكُونَ دُولَةً) نصبا على ما وصفت من المعنى ، وأن فى يكون ذكر الفىء . وقوله (دُولَةً) نصب خبر يكون . وقرأ ذلك أبوجعفر القارئ (كَيْلا يَكُونَ دُولَةٌ) على رفع الدُّولة ، مرفوعة بيكون ، والخبر قوله : بين الأغنياء منكم . وبضمّ الدال من (دُولة) قرأ جميع قرّاء الأمصار ، غير أنه حُكى عن أبى عبد الرحمن الفتح فيها .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك ، إذا ضمت الدال أو فتحت ، فقال بعض الكوفيين : معنى ذلك : إذا فتحت : الدَّولة ، وتكون للجيش يهزم هذا هذا ، ثم يهزم الهازم ، فيقال : قد رجعت الدَّولة على هؤلاء . قال : والدُّولة برفع الدال : فى الملك والسنين التى تغير وتبدّل على الدهر ، فتلك الدُّولة والدُّول . وقال بعضهم : فرق مابين الضمّ والفتح : أن الدولة : هى اسم الشىء الذى يتداول بعينه ، والدَّولة : الفعل .

والقراءة التى لاأستجيز غيرها فى ذلك (كَيْلا يَكُونَ) بالياء (دُولَةً) بضم الدال ونصب الدولة ، على المعنى الذي ذكرت فى ذلك ، لإجماع الحجة عليه ، والفرق بين الدُّولة والدَّولة بضم الدال وفتحها : ما ذكرت عن الكوفىّ فى ذلك .

وقوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أفاء الله عليه من أهل القرى ، فخذوه (وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ) من الغُلول وغيره من الأمور (فَانْتَهُوا) . وكان بعض أهل العلم يقول نحو قولنا فى ذلك ، غير أنه كان يوجه معنى قوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) إلى ما آتاكم من الغنائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قال : يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله ، واحذروا عقابه فى خلافكم على رسوله ، بالتقدّم على ما نهاكم عنه ، ومعصيتكم إياه (إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ) يقول : إن الله شديد عقابه لمن عاقبه من أهل معصيته لرسوله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا، وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ، أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دُولة بين الأغنياء منكم ، ولكن يكون للفقراء المهاجرين . وقيل : عُنى بالمهاجرين : مهاجرة قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِه) من قُرَيظة جعلها لمهاجرة قريش .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبَير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قالا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِلْفُقَرَاءِ المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) قال : هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر ، خرجوا حبا لله ولرسوله ، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجل كان يَعْصِب الحجر على بطنه ، ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرُها .

وقوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأمْوَالِهِمْ) ، وقوله (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانا) موضع يبتغون نصب ، لأنه فى موضع الحال . وقوله (وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) يقول : وينصرون دين الله الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم . وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) يقول هؤلاء الذين وصف صفتهم من الفقراء المهاجرين هم الصادقون فيما يقولون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ) يقول : اتخذوا المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فابتنوها منازل ، (وَالإِيمَانَ) بالله ورسوله (مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى : من قبل المهاجرين . (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) : يحبون من ترك منزله ، وانتقل إليهم من غيرهم ، وعُنِى بذلك : الأنصار يحبون المهاجرين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال : الأنصار نعت . قال محمد بن عمرو : سفاطة أنفسهم . وقال الحارث : سخاوة أنفسهم عند ما روى عنهم من ذلك ، وإيثارهم إياهم ، ولم يصب الأنصار من ذلك الفىء شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا) يقول : مما أعطوا إخوانهم هذا الحىّ من الأنصار ، أسلموا فى ديارهم ، فابتنوا المساجد والمسجد ، قبل قدوم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأحسن الله عليهم الثناء فى ذلك ، وهاتان الطائفتان الأوّلتان من هذه الآية ، أخذتا بفضلهما ، ومضتا على مَهَلهما ، وأثبت الله حظهما فى الفىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ) قال : هؤلاء الأنصار يحبون من هاجر إليهم من المهاجرين . وقوله (وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا) يقول جلّ ثناؤه : ولا يجد الذين تبوّءوا الدار من قبلهم ، وهم الأنصار فى صدورهم حاجة ، يعنى حسدا مما أوتوا ، يعنى مما أُوتى المهاجرون من الفىء ، وذلك لما ذُكر لنا من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلا رجلين من الأنصار ، أعطاهما لفقرهما ، وإنما فعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدّث أن بنى النضير خلّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سماك بن خَرَشة ذكر فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ

حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) المهاجرون . قال، وتكلم فى ذلك : (يعنى أموالَ بنى النضير) بعضُ من تكلَّم من الأنصار ، فعاتبهم الله عزّ وجلّ فى ذلك فقال : (وَما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « إنَّ إخْوانَكُمْ قَدْ تَرَكُوا الأَمْوالَ وَالأَوْلادَ وَخَرَجُوا إلَيْكُمْ ، فقالوا : أموالنا بينهم قطائع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ غَيْرَ ذَلكَ ؟ قالوا : وما ذلك يارسول الله، قال : هُمْ قَوْمٌ لايَعْرِفُونَ العَمَلَ فَتَكْفُونَهُمْ وَتُقاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَ، فقالوا : نعم يا رسول الله » .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : (وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبوداود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا) قال : الحسد .

قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (حاجَةً فِي صُدُورِهِمْ) قال : حسدا فى صدورهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ) يقول تعالى ذكره : وهو يصف الأنصار الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين (وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ) يقول : ويُعْطُون المهاجرين أموالهم ، إيثارا لهم بها على أنفسهم (وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) يقول : ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم . والخَصاصة مصدر ، وهى أيضا اسم ، وهو كلّ ما تخلَّلته ببصرك ، كالكَوّة والفُرْجة فى الحائط ، تجمع خَصاصات وخِصاص ، كما قال الراجز :

قَدْ عَلِمَ المَقاتِلاتُ هَجَّا
والنَّاظراتُ مِنْ خَصَاصٍ لَمْجا
لأُورِيَنَّها دُلَجا أوْ مَنْجَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة، قال : « جاء

(١) هذه ثلاثة أبيات من مشطور الرجز لم أجدها فى معانى القرآن للفراء، ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ،ولافى اللسان . ولست على بينة من صحة بعض ألفاظها . والمؤلف استشهد بها فى هذا الموضع على أن الخصاص جمع خصاصة . وفى (اللسان : الخصاص) : الفرج بين الأثافى والأصابع ، وقالوا لخروق المصفاة والمنخل خصاص . وخصاص المنخل والباب والبرقع وغيره : خلله ، واحدته : خصاصة (وكله بفتح الخاء) .

رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليضيفه ، فلم يكن عنده ما يضيفه ، فقال : ألا رجل يضيف هذا رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طَلْحة ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نوّمى الصبية ، وأطفئى المصباح ، وأريه بأنك تأكلين معه ، واتركيه لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلت ، فنزلت (وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ».

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن فضيل ، عن غَزْوان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، أن رجلا من الأنصار بات به ضيف ، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته : نَوِّمى الصِّبْية ، وأطفئى المصباح ، وقرّبى للضيف ما عندك ، قال : فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : من وقاه الله شحّ نفسه ، (فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) المخلّدون فى الجنة . والشحّ فى كلام العرب : البخل ، ومنع الفضل من المال ؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم :

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذَا أُمِرَّتْ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيها مُهِينا!

يعنى بالشحيح : البخيل ، يقال : إنه لشحيح بين الشُّحّ والشَّحّ ، وفيه شَحَّة شديدة وشَحاحة . وأما العلماء فإنهم يرون أن الشحّ فى هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا المسعودىّ ، عن أشعث ، عن أبى الشعثاء ، عن أبيه ، قال : أتى رجل ابن مسعود فقال : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ، قال : وما ذاك ، قال أسمع الله يقول (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) وأنا رجل شحيح ، لايكاد يخرج من يدى شىء ، قال : ليس ذاك بالشحّ الذى ذكر الله فى القرآن ، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلما ، ذلك البخل ، وبئس الشىء البخل .

حدثنى يحيى بن إبراهيم ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن جامع ، عن الأسود ابن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنى أخشى أن تكون أصابتنى هذه الآية (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) والله ما أُعطى شيئا أستطيع منعه ، قال : ليس ذلك بالشحّ ، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك بغير حقه ، ولكن ذلك البخل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جُبَير ، عن أبى الهياج الأسدى ، قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلا يقول : اللهمّ قنى شُحّ نفسى ، لايزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إنى إذا وُقيت شحّ نفسى لم أسرق ، ولم أزن ، ولم أفعل شيئا ، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف .

حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال :

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات) واللحز : الضيق الصدر السيىء الخلق اللئيم . والشحيح : البخيل : الحريص . والجمع الأشحة والأشحاء ، والفعل : شح يشح . والمصدر : الشح ، وهو البخل معه حرص . يقول : ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهينا لما له فيها ، أى فى شربها ، إذا أمرت عليه الخمر ، أى أديرت عليه . وقد استشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ثنا مجمّع بن جارية الأنصاريّ، عن عمه يزيد بن جارية الأنصاريّ ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أدَّى الزَّكاةَ ،وَقَرَى الضَّيْفَ، وأعْطَى فِى النَّائِبَةِ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا زياد بن يونس أبوسلامة ، عن نافع بن عمر المكىّ ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمر ، قال : إن نجوتُ من ثلاث طمعت أن أنجو . قال عبد الله بن صفوان: ما هنّ أنبّيك فيهنّ ،قال: أُخرج المال العظيم ،فأُخرجه ضِرارا،ثم أقول : أُقرِض ربى هذه الليلة ، ثم تعود نفسى فيه حتى أعيدَه من حيث أخرجته ، وإن نجوت من شأن عثمان ، قال ابن صفوان : أما عثمان فقُتل يوم قُتل ، وأنت تحبّ قتله وترضاه ، فأنت ممن قتله ؛ وأما أنت فرجل لم يقك الله شحّ نفسك ، قال : صدقت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : من وقى شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا ، ولم يقربه، ولم يدْعُه الشحّ أن يحبس من الحلال شيئا ، فهو من المفلحين ، كما قال الله عزّ وجلّ .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : من لم يأخذ شيئا لشىء نهاه الله عزّ وجلّ عنه ، ولم يدعه الشحّ على أن يمنع شيئا من شىء أمره الله به ، فقد وقاه الله شحّ نفسه ، فهو من المفلحين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ، رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره : والذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين الأوّلين (يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمَانِ)من الأنصار . وعُنِى بالذين جاءوا من بعدهم المهاجرون ، أنهم يستغفرون لإخوانهم من الأنصار .

وقوله (وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا) يعنى غمرا وضغنا . وقيل :عُنى بالذين جاءوا من بعدهم : الذين أسلموا من بعد الذين تبوّءوا الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الذين أسلموا نعتوا أيضا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم ذكر الله الطائفة الثالثة ، فقال :

(وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا)، حتى بلغ (إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) إنما أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسبهم.

وذُكر لنا «أن غلاما لحاطب بن أبى بلتعة جاء نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يانبيّ الله ليدخلنّ حاطب فى حيّ النار، قال: كذبت إنه شهد بدرا والحُديبية». وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ لَعَلَّهُ قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا اطَّلَعَ اللهُ فِيهِ إلى أهْلِهِ، فأشْهَدَ مَلائِكَتَهُ: إنّى قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبادى هؤُلاءِ، فَلْيَعْمَلُوا ما شاءُوا» فما زال بعضنا منقبضا من أهل بدر، هائبا لهم. وكان عمر رضى الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون، وهذا الحيّ من الأنصار، أحسن الله عليهم الثناء.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله (وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا) قال: لاتُورِثْ قلوبَنا غلا لأحد من أهل دينك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن ابن أبى ليلى، قال: كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأوّلون (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمَانِ، وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنا إنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة.

وقوله (لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل الذين جاءوا من بعد الذين تبوّءوا الدار والإيمان أنهم قالوا: لاتجعل فى قلوبنا غلا لأحد من أهل الإيمان بك ياربنا.

قوله (إنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) يقول: إنك ذو رأفة بخلقك، وذو رحمة بمن تاب واستغفر من ذنوبه.

القول فى تأويل قوله تعالى

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ، وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١)

يقول تعالى ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك يامحمد، فترى إلى الذين نافقوا وهم فيما ذُكر عبد الله بن أُبىّ بن سَلُول، ووُدَيعة، ومالك ابنا نوفل، وسُوَيد وداعس، بَعَثوا إلى بنى النضير حين نزل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للحرب: أنِ اثبتُوا وتمنَّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله فى قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيهم، ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة.

حدثنا بذلك ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان .

وقال مجاهد فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا) قال : عبدُ الله بن أُبىّ بن سلول ، ورفاعة أو رافعة بن تابوت . وقال الحارث : رفاعة بن تابوت ، ولم يشكّ فيه ، وعبد الله بن نَبْتل ، وأوس بن قَيْظِىّ .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرِمة ، أو عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا) يعنى عبد الله بن أُبىّ بن سلول وأصحابه ، ومن كان منهم على مثل أمرهم .

وقوله (يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ) : يعنى بنى النضير .

كما حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرِمة ، أو عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس (يَقُولُونَ لإخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ) : يعنى : بنى النضير .

وقوله (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) يقول : لئن أخرجتم من دياركم ومنازلكم ، وأُجْليتم عنها ، لنخرُجَنّ معكم ، فنجلى عن منازلنا وديارنا معكم .

وقوله (وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أحَدًا أبَدًا) يقول : ولا نطيع أحدا سألنا خذلانكم ، وتركَ نصرتكم ، ولكنا نكون معكم (وَإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ) يقول : وإن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه لننصرنّكم معشرَ النضير عليهم .

وقوله (وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) يقول : والله يشهد إن هؤلاء المنافقين الذين وعدوا بنى النضير النصرةَ على محمد صلى الله عليه وسلم (لَكاذِبُونَ) فى وعدهم إياهم مَا وَعَدُوهم من ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ ، وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : لئن أُخرج بنو النضير من ديارهم ، فأَجْلوا عنها لايخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروجَ من ديارهم ، ولئن قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم لاينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر ، ولئن نصر المنافقون بنى النضير ليولُّنّ الأدبار منهزمين عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هاربين منهم ، قد خذلوهم (ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) يقول : ثم لاينصر الله بنى النضير على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بل يخذلهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ، بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنتم أيها المؤمنون أشدّ رهبة فى صدور اليهود من بنى النضير ، مِنَ الله : يقول : هم يرهبونهم أشدّ من رهبتهم من الله (ذَلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ) يقول تعالى ذكره : هذه الرهبة التى لكم فى صدور هؤلاء اليهود ، التى هى أشدّ من رهبتهم من الله ، من أجل أنهم قوم لايفقهون قدر عظمة الله ، فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ، ولا يرهبون عقابه ، قدر رهبته منكم .

وقوله (لايُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاَّ فى قُرًى مُحَصَّنَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : لايقاتلكم هؤلاء اليهود بنى النضير مجتمعين ، إلا فى قرى محصنة بالحصون ، لايبرُزون لكم بالبراز . (أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) يقول : أو من خلف حيطان .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والمدينة (أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) على الجماع ، بمعنى الحيطان . وقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة (مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) على التوحيد ، بمعنى الحائط .

والصواب من القول عندى فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (بأسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) يقول جلّ ثناؤه : عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضا شديدة (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا) يعنى المنافقين وأهل الكتاب ، يقول : تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم ، (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) يقول : وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا .

وقوله (ذَلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْقِلُونَ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى وصفت لكم من أمر هؤلاء اليهود والمنافقين ، وذلك تشتيت أهوائهم ، ومعاداة بعضهم بعضا ، من أجل أنهم قوم لايعقلون مافيه الحظّ لهم ، مما فيه عليهم البخس والنقص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لايُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعا إلاَّ فى قُرًى مُحَصَّنَةٍ أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ، بأسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْقِلُونَ) قال : تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم ، مختلفة أهواؤهم ، مختلفة أعمالهم ، وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحقّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المنافقون يخالف دينهم دين النضير .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : هم المنافقون وأهل الكتاب .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثل ذلك .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) قال : المشركون وأهل الكتاب .

وذُكر أنها فى قراءة عبد الله (وَقُلُوبُهُمْ أَشَتُّ) بمعنى : أشدّ تشتتا : أى أشدّ اختلافا .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيٓءٌ مِّنكَ ، إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء اليهود من بنى النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم ، من إحلال عقوبته بهم (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : كشبههم .

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالذين من قبلهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك بنو قَينُقاع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعنى بنى قَينُقاع .

وقال آخرون : عنى بذلك مشركو قريش ببدر :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) قال : كفار قريش .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : إن الله عزّ وجلّ مثّل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم ، من مكذّبى رسوله صلى الله عليه وسلم ، الذين أهلكهم بسُخْطه ، وأمر بنى قَينُقاع ووقعة بدر ، كانا قبل جلاء بنى النضير ، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم ، ولم يخصص الله عزّ وجل

منهم بعضا فى تمثيل هؤلاء بهم دون بعض ، وكلٌّ ذائق وبال أمره ، فمن قربت مدته منهم قبلهم ، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل .

وقوله (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) يقول : نالهم عقاب الله على كفرهم به .

وقوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم فى الآخرة مع مانالهم فى الدنيا من الخزى عذاب أليم ، يعنى : موجع .

وقوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ : إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : مثل هؤلاء المنافقين الذين وَعدوا اليهود من النضير النصرة ، إن قوتلوا ، أو الخروج معهم إن أُخرجوا ، ومَثَل النضير فى غرورهم إياهم بإخلافهم الوعد ، وإسلامهم إياهم عند شدّة حاجتهم إليهم ، وإلى نُصرتهم إياهم ، كمثل الشيطان الذى غرّ إنْسانا ، ووعده على اتباعه وكفره بالله ، النصرة عند الحاجة إليه ، فكفر بالله واتبعه وأطاعه ، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه ، وقال له : إنى أخاف الله ربّ العالمين فى نُصرتك .

وقد اختلف أهل التأويل فى الإنسان الذى قال الله جلّ ثناؤه (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ) هو إنسان بعينه ، أم أريد به المثل لمن فعل الشيطان ذلك به ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك إنسان بعينه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت عبد الله بن نهيك ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : « إن راهبا تعبّد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنها ، ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القسّ فيداويها ، فجاءوا بها ، قال : فداواها ، وكانت عنده ؛ فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعييتنى ، أنا صنعت بك هذا فأطعنى أنجك مما صنعتُ بك ، اسجد لى سجدة ، فسجد له ؛ فلما سجد له قال : إنى برىء منك ، إنى أخاف الله ربّ العالمين . فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ) » .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عُمارة ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله بن مسعود « فى هذه الآية (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ) قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب ، قال : فنزل الراهب ، ففجر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان ، فقال له اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مُصَدّق يُسمع كلامُك ، فقتلها ثم دفنها ؛ قال : فأتى الشيطان إخوتها فى المنام ، فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ؛ فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها فى مكان كذا وكذا ؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدرى أقصها عليكم ،

أم أترك ؟ قالوا : لا ، بل قُصَّها علينا ؛ قال : فقصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ؛ قالوا : فما هذا إلا لشيء ، فانطلقوا فاستعدَوْا مَلِكَهُم على ذلك الراهب ، فأَتَوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به ، فلقيه الشيطان فقال : إنى أنا الذى أوقعتك فى هذا ، ولن ينجيك منه غيرى ، فاسجد لى سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه ؛ قال : فسجد له ؛ فلما أَتَوا به ملكَهم تبرأ منه ، وأُخِذ فقتل » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ) . . . إلى (وَذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ) قال عبد الله بن عباس : « كان راهب من بنى إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته ، وكان يُؤتى من كلّ أرض ، فيُسئل عن الفقه ، وكان عالما ، وإن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت حسنة من أحسن الناس ، وإنهم أرادوا أن يسافروا ، فكبر عليهم أن يخلفوها ضائعة ، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون بها ؛ فقال أحدهم : أدلكم على من تتركونها عنده ؟ قالوا : من هو ؟ قال : راهب بنى إسرائيل ، إن ماتت قام عليها ، وإن عاشت حفظها حتى ترجعوا إليه ؛ فعمدوا إليه فقالوا : إنا نريد السفر ، ولا نجد أحدا أوثق فى أنفسنا ، ولا أحفظَ لما وُلِّى منك لما جُعِل عندك ، فإن رأيت أن نجعل أختنا عندك ، فإنها ضائعة شديدة الوجع ، فإن ماتت فقم عليها ، وإن عاشت فأصلح إليها حتى نرجع ، فقال : أكفيكم إن شاء الله ؛ فانطلقوا ، فقام عليها فداواها حتى برأت ، وعاد إليها حسنها ، فاطلع إليها ، فوجدها متصنعة ، فلم يزل به الشيطان يزين له أن يقع عليها ، حتى وقع عليها ، فحملت ، ثم ندَّمه الشيطان ، فزيَّن له قتلها ؛ قال : إن لم تقتلها افتضحت ، وعُرِف شبهك فى الولد ، فلم يكن لك معذرة ، فلم يزل به حتى قتلها ؛ فلما قدم إخوتها سألوه مافعلت ؟ قال : ماتت فدفنتها ، قالوا : قد أحسنت ، ثم جعلوا يرون فى المنام ، ويُخْبَرون أن الراهب هو قتلها ، وأنها تحت شجرة كذا وكذا ، فعمدوا إلى الشجرة ، فوجدوها تحتها قد قتلت ، فعمدوا إليه فأخذوه ، فقال له الشيطان : أنا زيَّنت لك الزنا وقتلها بعد الزنا ، فهل لك أن أن أنجيك ؟ قال : نعم ، قال : أفتطيعنى ؟ قال : نعم ، قال : فاسجد لى سَجْدة واحدة ، فسجد له ثم قُتِل . فذلك قوله (كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنّى بَرِيءٌ مِنْكَ) الآية » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : « كان رجل من بنى إسرائيل عابدا ، وكان ربما داوى المجانين ، فكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فجىء بها إليه ، فتُركت عنده ، فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن عُلِم بهذا افتضحت ، فاقتلها وادفنها فى بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه ، فقال : ماتت ، فلم يتهموه لصلاحه فيهم ، فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمت ، ولكنه وقع عليها ، فقتلها ودفنها فى بيته فى مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها ، فقالوا : ما نتهمك ، فأخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ، فوجدوها حيث دفنها ، فأُخذ وسُجن ، فجاءه الشيطان فقال : إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه ، فتخرج منه ، فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان ، وكفر بالله ، فأُخذ وقُتل ، فتبرأ الشيطان منه حينئذ . قال : فما أعلم هذه الآية إلا نزلت فيه

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) » .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك الناس كلهم ، وقالوا : إنما هذا مثل ضُرِب للنضير فى غرور المنافقين إياهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ) عامَّة الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فكان عُقبى أمر الشيطان والإنسان الذى أطاعه ، فكفر بالله أنهما خالدان فى النار ، ماكثان فيها أبدا (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) يقول : وذلك ثواب اليهود من النضير ، والمنافقين الذين وعدوهم النصرة ، وكلّ كافر بالله ، ظالم لنفسه على كفره به ، أنهم فى النار مخلَّدون .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (خالِدَيْنِ فِيها) فقال بعض نحوِّيى البصرة : نصب على الحال ، وفى النار الخبر ؛ قال : ولو كان فى الكلام لكان الرفع أجود فى « خالدين » قال : وليس قولهم : إذا جئت مرّتين[1] فهو نصب لشىء ، إنما فيها توكيد جئت بها ، أو لم تجئ بها ، فهوسواء ، إلا أن العرب كثيرا ما تجعله حالا إذا كان فيها للتوكيد وما أشبهه فى غير مكان ؛ قال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها) . وقال بعض نحوِّيى الكوفة : فى قراءة عبد الله بن مسعود (فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فى النَّارِ خَالِدَيْنِ فى النَّارِ) ؛ قال : وفى أنهما فى النار خالدين فيها نصب ؛ قال : ولا أشتهى الرفع وإن كان يجوز ، فإذا رأيت الفعل بين صفتين قد عادت إحداهما على موضع الأخرى نصبت ، فهذا من ذلك . قال : ومثله فى الكلام قولك : مررت برجل على نابِه متحملا به ؛ ومثله قول الشاعر :

والزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِها شَرِقاً بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ[2]

---

(١) تحرر هذه العبارة فإن فيها من التحريف والتصحيف ما لا يخفى .

(٢) البيت فى (اللسان : ترب) : غير منسوب . والرواية فيه « شرق » بالرفع . والمؤلف أورده منصوبا ، وأعربه حالا . والزعفران : مما يستعمله العرب فى الطيب وزينة النساء . والترائب : موضع القلادة من الصدر . واللبات : جمع لبة ، وهى موضع النحر . والثغرة ثغرة النحر ، وهى الهزمة بين الترقوتين . وقال : « والزعفران . . . البيت » . والبيت من شواهد الفراء فى معانى =

لأن الترائب هى اللبات هاهنا ، فعادت الصفة باسمها الذى وقعت عليه ، فإذا اختلفت الصفتان جاز الرفع والنصب على حُسْن ، من ذلك قولك : عبد الله فى الدار راغب فيك ، ألا ترى أن (فى) التى فى الدار مخالفة لفى التى تكون فى الرغبة ؛ قال : والحجة ما يُعرف به النصب من الرفع أن لا ترى الصفة الآخرة تتقدّم قبل الأولى ؛ ألا ترى أنك تقول : هذا أخوك فى يده درهم قابضا عليه ، فلو قلت : « هذا أخوك قابضا عليه فى يده درهم » لم يجز ، ألا ترى أنك تقول : هذا رجل قائم إلى زيد فى يده درهم ، فهذا يدلّ على أن المنصوب إذا امتنع تقديم الآخر ، ويدلّ على الرفع إذا سهل تقديم الآخر .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ووحدوه ، اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقوله (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يقول : ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال ، أمن الصالحات التى تنجيه أم من السيئات التى توبقه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) : ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها كغد ، وغدٌ يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) : يعنى يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ) يعنى يوم القيامة الخير والشرّ ؛ قال : والأمس فى الدنيا ، وغدٌ فى الآخرة ، وقرأ (كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ) قال : كأن لم تكن فى الدنيا .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ) يقول : وخافوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : إن الله ذو خبرة وعلم بأعمالكم خيرها وشرّها ، لا يخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميعها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ولا تكونوا كالذين تركوا أداء حقّ الله الذى أوجبه عليهم (فأنْساهُمْ أنْفُسَهُمْ) يقول : فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات .

=القرآن (الورقة ٣٣٠) قال عند قوله تعالى : « فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها » : وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود « خالدان فى النار » ، وفى قراءتنا « خالدين فيها » نصب ، ولا أشتهى الرفع وإن كان يجوز . وقد نقل المؤلف كلام الفراء كله فى توضيح المسألة ، على مذهب أهل الكوفة ، فنكتفى بهذه الإشارة هنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (نَسُوا اللهَ فأنْساهُمْ أنْفُسَهُمْ) قال : نَسُوا حقّ الله ، فأنساهم أنفسهم ؛ قال : حَظّ أنفسهم .

وقوله : (أُولَئِكَ هُمُ الفاسقون) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين نسوا الله ، هم الفاسقون ، يعنى الخارجون من طاعة الله إلى معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا يَسْتَوِى أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ، أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : لايعتدل أهل النار وأهل الجنة ، أهل الجنة هم الفائزون ، يعنى أنهم المُدركون ما طلبوا وأرادوا ، والناجون مما حذروا .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ، وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)

وقوله (لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) : يقول جلّ ثناؤه : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ، وهو حجر ، لرأيته يامحمد خاشعا : يقول : متذللا ، متصدّعا من خشية الله على قساوته ، حذرا من أن لايؤدّى حقّ الله المفترض عليه فى تعظيم القرآن ، وقد أنزل على ابن آدم ، وهو بحقه مستخفٌّ ، وعنه عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرِض ، كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ على جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) قال : يقول : لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حمّلته إياه ، تصدّع وخشع من ثقله ، ومن خشية الله ، فأمر الله عزّ وجلّ الناس إذا أنزل عليهم القرآن ، أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ، قال : (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأمْثَالَ لِلنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ أنْزَلْنا هَذَا القُرآنَ عَلى جَبَلٍ لرأيْتَهُ خاشِعا مُتَصَدّعا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ) . . . الآية ، يعذر الله الجبلَ الأصمّ ، ولم يعذر شقىّ ابن آدم ، هل رأيتم أحدا قطّ تصدّعت جوانحه من خشية الله ، (وَتِلكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها للنّاسِ) يقول

تعالى ذكره : وهذه الأشياء نشبهها للناس ، وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيما لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يقول : يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها ، فينيبوا وينقادوا للحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ، هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : الذى يتصدّع من خشيته الجبل أيها الناس ، هو المعبود الذى لاتنبغى العبادة والألوهية إلا له ، عالم غيب السموات والأرض ، وشاهد ما فيها مما يرى ويحسّ . (هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) يقول : هو رحمن الدنيا والآخرة ، رحيم بأهل الإيمان به .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ، سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : هو المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، الملك الذى لاملك فوقه ، ولا شىء إلا دونه ، القدّوس ، قيل : هو المبارك .

وقد بيّنت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهده ، وذكرت اختلاف المختلفين فيه ، بما أغنى عن إعادته.

ذكر من قال : عُنِى به المبارك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (القُدُّوسُ) : أى المبارك .

وقوله (السَّلامُ) يقول : هو الذى يسلم خلقه من ظلمه ، وهو اسم من أسمائه .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (السَّلامُ) : الله السلام .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكِىّ ، عن جابر بن زيد قوله (السَّلامُ) قال : هو الله ، وقد ذكرت الرواية فيما مضى ، وبيّنت معناه بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته . وقوله (المُؤْمِنُ) يعنى بالمؤمن : الذى يؤمن خلقه من ظلمه .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (المُؤْمِنُ) أمن بقوله أنه حقّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (المُؤْمِنُ) أمن بقوله أنه حقّ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُوَيبر عن الضحاك (المُؤْمِنُ) قال : المصدق

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (المُؤْمِنُ) قال : المؤمن :

المصدّق الموقن ، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين ، وآمن الربّ الكريم لهم بإيمانهم : صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم .

وقوله (المُهَيْمِنُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : المهيمن : الشهيد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (المُهَيْمِنُ) قال : الشهيد ، وقال مرّة أخرى : الأمين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (المُهَيْمِنُ) قال : الشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (المُهَيْمِنُ) قال : أنزل الله عزّ وجلّ كتابا فشهد عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (المُهَيْمِنُ) قال : الشهيد عليه .

وقال آخرون : المهيمن : الأمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُويبر ، عن الضحاك (المُهَيْمِنُ) الأمين .

وقال آخرون : (المُهَيْمِنُ) : المصدّق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (المُهَيْمِنُ) قال : المصدّق لكلّ ما حدث ، وقرأ (وَمُهَيْمِنا عَلَيْهِ) قال : فالقرآن مصدّق على ما قبله من الكتب ، والله مصدّق فى كلّ ما حدّث عما مضى من الدنيا ، وما بقى ، وما حدّث عن الآخرة .

وقد بيّنت أولى هذه الأقوال بالصواب فيما مضى قبل فى سورة المائدة ، بالعلل الدالة على صحته ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (العَزِيزُ) : الشديد فى انتقامه ممن انتقم من أعدائه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (العَزِيزُ) : أى فى نقمته اذا انتقم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (العَزِيزُ) فى نقمته إذا انتقم .

وقوله (الجبَّارُ) يعنى : المصلح أمورَ خلقه ، المصرفهم فيما فيه صلاحهم . وكان قتادة يقول : جَبَر خلقه على ما يشاء من أمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الجَبَّارُ) قال : جَبَر خلقه على ما يشاء

وقوله (المُتَكَبِّرُ) قيل : عُنِى به أنه تكبر عن كلّ شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (المُتَكَبِّرُ) قال : تكبر عن كلّ شرّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : ثنى رجل ، عن جابر ابن زيد ، قال : إن اسم الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع يقول : (هُوَ اللهُ الَّذِى لاإلَهَ إلاَّ هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللهُ الَّذِى لاإلَهَ إلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ ، سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول : تنزيها لله وتبرئة له عن شرك المشركين به .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤) .

⁂ يقول تعالى ذكره : هو المعبود الخالق ، الذى لامعبود تصلح له العبادة غيره ، ولا خالق سواه ، البارئ الذى برأ الخلق ، فأوجدهم بقدرته ، المصوّر خلقه كيف شاء ، وكيف يشاء .

وقوله (لَهُ الأسْماءُ الْحُسْنَى) يقول تعالى ذكره : لله الأسماء الحسنى ، وهى هذه الأسماء التى سمى الله بها نفسه ، التى ذكرها فى هاتين الآيتين (يُسَبِّحُ لَهُ ما فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : يسبح له جميع ما فى السموات والأرض ، ويسجد له طوعا وكرها (وَهُوَ العَزِيزُ) يقول : وهو الشديد الانتقام من أعدائه . (الْحَكِيمُ) : فى تدبيره خلقه ، وصرفهم فيما فيه صلاحهم .

آخر تفسير سورة الحشر

تفسير سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ، تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ ، وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ، تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ، وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ، وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّى) من المشركين (وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) يعنى : أنصارا .

وقوله (تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ) يقول جلّ ثناؤه : تلقون إليهم مودّتكم إياهم ، ودخول الباء فى قوله (بالمَوَدَّةِ) وسقوطها سواء ، نظير قول القائل : أريد بأن تذهبَ ، وأريد أن تذهبَ سواء ، وكقوله (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلْحادٍ بِظُلْمٍ) والمعنى : ومن يرد فيه إلحادا بظلم ؛ ومن ذلك قولُ الشاعر :

فَلَمَّا رَجَتْ بالشُّرْبِ هَزَّ لَهَا العَصَا شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الإزَاءِ نَهِيمُ [١]

بمعنى : فلما رجت الشرب .

(وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جاءَكُمْ مِنَ الحَقّ) يقول : وقد كفر هؤلاء المشركون الذين نهيتكم أن تتخذوهم أولياء بما جاءكم من عند الله من الحقّ ، وذلك كفرهم بالله ورسوله ، وكتابه الذى أنزله على رسوله .

وقوله (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإيَّاكُمْ ، أنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : يخرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياكم ، بمعنى : ويخرجونكم أيضا من دياركم وأرضكم ، وذلك إخراج مشركى قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة .

وقوله (أنْ تُؤْمِنُوا باللهِ رَبِّكُمْ) يقول جلّ ثناؤه : يخرجون الرسول وإياكم من دياركم ، لأن آمنتم بالله .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٣٠) عند قوله تعالى « تلقون إليهم بالمودة » . قال : دخول الباء فى مودة وسقوطها سواء ، هذا بمنزلة أظن أنك قائم ، وبأنك قائم ، وأريد أن تذهب ، وأريد بأن تقوم . وقد قال الله : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم » فأدخل الباء . والمعنى : ومن يرد فيه إلحادا ، أنشدنى أبو الجراح : « فلما رجت بالشرب . . . البيت » : معناه : فلما رجت أن تشرب . اهـ . والإزاء : الحوض الذى تشرب منه الإبل . والنهيم صوت زجر وتوعد . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى سورة الحج عند قوله تعالى « ومن يرد فيه بإلحاد » الجزء (١٧ : ١٣٩) . ووقع فى متن البيت هناك « الأداء » فى موضع « الإزاء » هنا ، خطأ مطبعيا ، فلتصلح الكلمة كما هنا « الإزاء » وهو الحوض .

وقوله (إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضَاتِي) من المؤخر الذى معناه التقديم ، ووجه الكلام : يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة ، وقَدْ كفروا بما جاءكم من الحقّ إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى ، وابتغاء مرضاتى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) . ويعنى بقوله تعالى ذكره : (إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهادًا فِي سَبِيلِي) : إن كنتم خرجتم من دياركم ، فهاجرتم منها إلى مهاجَركم للجهاد فى طريقى الذى شرعته لكم ، ودينى الذى أمرتكم به ، والتماس مرضاتى .

وقوله (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ)يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسرّون أيها المؤمنون بالمودّة إلى المشركين بالله (وَأنا أعْلَمُ بِمَا أخْفَيْتُمْ) يقول : وأنا أعلم منكم بما أخفى بعضكم من بعض ، فأسره منه (وَما أعْلَنْتُمْ) يقول : وأعلم أيضا منكم ما أعلنه بعضكم لبعض (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) : يقول جلّ ثناؤه : ومن يسر منكم إلى المشركين بالمودّة أيها المؤمنون فقد ضلّ : يقول : فقد جار عن قصد السبيل التى جعلها الله طريقا إلى الجنة ومحجة إليها .

وذُكر أن هذه الآيات من أوّل هذه السورة نزلت فى شأن حاطب بن أبى بَلتعة ، وكان كتب إلى قُريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم ، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عُبيد بن إسماعيل الهباريّ ، والفضل بن الصباح قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن حسن بن محمد بن علىّ ، أخبرنى عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقول : «بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزُّبيرُ بن العوّام والمِقداد ، قال الفضل ، قال سفيان : نفر من المهاجرين ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها ؛ فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا ، حتى انتهينا إلى الروضة ، فوجدنا امرأة ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، قالت : ليس معى كتاب ، قلنا : لتُخْرِجِنّ الكتاب ، أو لنُلْقِينّ الثياب ، فأخرجته من عِقاصها ، وأخذنا الكتاب ؛ فانطلقنا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطِبُ ما هَذَا ؟ قال : يا رسول الله لاتعجل علىّ ، كنت امرأ مُلْصَقا فى قريش ، ولم يكن لى فيهم قرابة ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات ، يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب ، أن أتخذ فيها يدا يَحْمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عله وسلم : قَدْ صَدَقَكُم فقال عمر : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنَّه قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فقال : اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » زاد الفضل

فى حديثه ، قال سفيان : ونزلت فيه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (حَتَّى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَهُ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سِنان سعيد بن سنان ، عن عمرو بن مرّة الجَمَلىّ ، عن أبى البخترىّ الطائىّ ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه قال : «لما أراد النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يأتى مكة ، أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبى بلتعة ، وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر ، فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم يريدكم ، قال : فبعثنى النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبا مَرْثَد ، وليس منا رجل إلا وعنده فرس ، فقال : ائتوا روضة خاخ ، فإنكم ستلقون بها امْرأةً وَمَعَها كِتاب ، فَخُذُوهُ مِنْها ؛ فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : هاتى الكتاب ، فقالت : ما معى كتاب ، فوضعنا متاعها وفتشنا ، فلم نجده فى متاعها ، فقال أبو مَرْثد : لعله أن لايكون معها ، فقلت : ما كَذَبَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا كُذِب ، فقلنا : أخرجى الكتاب ، وإلا عريناك ، قال عمرو بن مرّة ، فأخرجته من حجزتها ، وقال حبيب : أخرجته من قُبلها ، فأتينا به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة ، إلى أهل مكة ، فقام عمر فقال : خان الله ورسوله ، ائذن لى أضربْ عنقه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ؟ قال : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَلَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ ، ففاضت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم ، فأرسل إلى حاطب ، فقال : ما حملك على ماصنعت ؟ فقال : يا نبىّ الله ، إنى كنت امرأ ملصَقا فى قريش ، وكان لى بها أهل ومال ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم ، فذلك ، والله يانبى الله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ حاطِبُ بْنُ أبى بَلْتَعَةَ ، فَلا تَقُولُوا لِحاطِبٍ إلاَّ خَيْرًا ، فقال حبيب بن أبى ثابت : فأنزل الله عزّ وجلّ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، «قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ) . . . إلى آخر الآية ، نزلت فى رجل كان مع النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة من قريش ، كتب إلى أهله وعشيرته بمكة ، يخبرهم ويندرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر إليهم ، فَأُخْبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحيفته ، فبعث إليها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأتاه بها» .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مُزَينة ، وزعم غيره أنها سارَةُ مولاة لبعض بنى عبد المطلب

وجعل لها جُعْلا ، على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علىّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امْرأةً قَدْ كَتَبَ مَعَها حاطِبٌ بِكتابٍ إلى قُرَيْشٍ ، يُحَذِّرُهُمْ ما قَدِ اجْتَمَعْنا لَهُ فِى أمْرِهِمْ ، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة ، حليفة ابن أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : إنى أحلف بالله ما كُذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا ، ولتخرجِنّ إلىّ هذا الكتاب ، أو لنكشفنك ؛ فلما رأت الجدّ منه قالت : أعرض عنى ، فأعرض عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : ياحاطب ما حَمَلَكَ على هَذَا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأ فى القوم ليس لى أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد ، فصانعتهم عليه ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يا رسول الله ، فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَما يُدْرِيكَ يا عُمَرُ ؟ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ على أصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَقالَ : اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى حاطب (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (وَإلَيْكَ أنَبْنا) . . . إلى آخر القصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة قال : لما أنزلت : (يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) فى حاطب بن أبى بلتعة ، كتب إلى كفار قريش كتابا ينصح لهم فيه ، فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك ، فأرسل عليا والزُّبير ، فقال : اذْهَبا فإنَّكُما ستَجِدانِ امْرأةً بِمَكانِ كَذَا وكَذَا ، فأتيا بكتابٍ مَعَها . فانطلقا حتى أدركاها ، فقالا : الكتابَ الذى معك ، قالت : ليس معى كتاب ، فقالا : والله لاندع معك شيئا إلا فتّشناه ، أو تخرجيه ، قالت : أولستم مسلمين ؟ قالا : بلى ، ولكن النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن معك كتابا قد أيقنت أنفسنا أنه معك ؛ فلما رأت جدّهما أخرجت كتابا من بين قرونها ، فذهبا به إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى كفار قريش ، فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الكِتابَ ؟ قال : نعم ، قال : ما حَمَلَكَ على ذَلكَ ؟ قال : أما والله ما ارتبت فى الله منذ أسلمت . ولكنى كنت امرأ غريبا فيكم أيها الحىّ من قريش ، وكان لى بمكة مال وبنون ، فأردت أن أدفع بذلك عنهم . فقال عمر رضى الله عنه : ائذن لى يا رسول الله فأضربَ عنقه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَهْلاً يا بْنَ الخَطَّابِ ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ إلى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ : اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فإنِّى غافِرٌ لَكُمْ ، قال الزهرىّ : فيه نزلت حتى (غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أوْلِياءَ) . . . إلى قوله (بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فى مكاتبة حاطب بن أبى بلتعة ، ومن معه كفارَ قريش يحذّرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) . . . حتى بلغ (سَوَاءَ السَّبِيلِ) . «ذكر لنا أن حاطبا كتب إلى أهل مكة يخبرهم سيرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم إليهم زمنَ الحديبية ، فأطلع الله عزّوجلّ نبيه عليه الصلاة والسلام على ذلك . وذُكِر لنا أنهم وجدوا الكتابَ مع امرأة فى قرن من رأسها ، فدعاه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما حَمَلَكَ على الَّذِى صَنَعْتَ؟ قال : وَالله مَا شَكَكْتُ فى أمر الله ، ولا ارتَدَدْتُ فيه ، وَلكنّ لى هناك أهلا ومالا ، فأردتُ مصانعةَ قريشٍ على أهلِى ومَالِى . وذُكِر لنا أنه كان حليفا لقريش ، لم يكن من أنفسهم ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك القرآن ، فقال : (إنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أعْداءً وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ ، وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : إن يَثقفْكم هؤلاء الذين تسرّون أيها المؤمنون إليهم بالمودّة ، يكونوا لكم حربا وأعداء (وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ) بالقتال (وألْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ) .

وقوله (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) يقول : وتمنّوا لكم أن تكفروا بربكم ، فتكونوا على مثل الذى هم عليه .

وقوله (لَنْ تَنْفَعَكُمْ أرْحامُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : لايدعُوَنّكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله ، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون إليهم بالمودّة ، فإنه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة ، فتدفع عنكم عذاب الله يومئذ ، إن أنتم عصيتموه فى الدنيا ، وكفرتم به .

وقوله (يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ)يقول جلّ ثناؤه : يفصل ربكم أيها المؤمنون بينكم يوم القيامة ، بأن يدخل أهل طاعته الجنةَ ، وأهل معاصيه والكفر به النارَ .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة (يُفْصَل بَيْنَكُمْ) بضم الياء وتخفيف الصاد وفتحها ، على ما لم يسمّ فاعله . وقرأه عامة قرّاء الكوفة خلا عاصم بضم الياء وتشديد الصاد

وكسرها [1] بمعنى : يفصل الله بينكم أيها القوم . وقرأه عاصم بفتح الياء وتخفيف الصاد وكسرها ، بمعنى يفصل الله بينكم . وقرأ بعض قرّاء الشام (يُفَصَّلُ) بضم الياء وفتح الصاد وتشديدها على وجه ما لم يسمّ فاعله . وهذه القراءات متقاربات المعانى صحيحات فى الإعراب ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر ، لا يخفى عليه منها شىء ، هو بجميعها محيط ، وهو مجازيكم بها ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا ، فاتقوا الله فى أنفسكم واحذروه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ، إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ ، رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كان لكم أيها المؤمنون أُسوة حسنة : يقول : قدوة حسنة فى إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله عزّ وجلّ (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) قال : الذين معه الأنبياء .

وقوله (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله ، وعبدوا الطاغوت : أيها القوم إنا برآء منكم ، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد .

وقوله (كَفَرْنَا بِكُمْ ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة : كفرنا بكم ، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله ، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا على كفركم بالله ، وعبادتكم ماسواه ، ولا صلح بيننا ولا هوادة ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، يقول : حتى تصدّقوا بالله وحده ، فتوحدوه ، وتفردوه بالعبادة .

وقوله (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) : يقول تعالى ذكره : قد كانت لكم أُسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه فى هذه الأمور التى ذكرناها ، من مباينة الكفار ومعاداتهم ، وترك موالاتهم ، إلا فى قول إبراهيم لأبيه (لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فإنه لا أسوة لكم فيه

(١) فى الأصل : وضمها ، وهو خطأ من الناسخ .

فى ذلك ، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه ، قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله ؛ فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه . يقول تعالى ذكره : فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله ، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به ، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ، ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ) قال : نُهُوا أن يتأسَّوْا باستغفار إبراهيم لأبيه ، فيستغفروا للمشركين .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى جعفر ، عن مُطَرِّف الحارثىّ ، عن مجاهد : (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ) . . . إلى قوله (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) يقول : فى كلّ أمره أسوة ، إلا الاستغفار لأبيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ) . . . الآية ، ائتسوا به فى كلّ شىء ، ما خلا قوله لأبيه (لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) ، فلا تأتسوا بذلك منه ، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إلا قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ) يقول : لاتأسوا بذلك ، فإنه كان عليه موعدا ، وتأسَّوا بأمره كله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) . . . إلى قوله (إلاَّ قَوْلَ إبْرَاهِيمَ لأبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) قال : يقول : ليس لكم فى هذا أُسوة .

ويعنى بقوله (وَما أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ) يقول : وما أدفع عنك من الله من عقوبة ، إن الله عاقبك على كفرك به ، ولا أُغْنِى عنك منه شيئا .

وقوله (رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم : (رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا ، وَإلَيْكَ أنَبْنا) يعنى : وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره ، إلى ما تحبّ وترضى . (وَإلَيْكَ المَصِيرُ) يقول : وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا ، وتحشرنا فى القيامة إلى موقف العَرْض .

القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ، وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم خليله والذين معه : يا ربّنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا بك ، فجحدوا وحدانيتك ، وعبدوا غيرك ، بأن تسلطهم علينا ، فيروا أنهم على حقّ ، وأنّا على باطل ، فتجعلنا بذلك فتنة لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال : لاتعذّبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنا لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) قال : يقول : لاتظهرهم علينا ، فيَفْتَتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقّ هم عليه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاَ تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : لاتسلّطهم علينا فيفتنونا .

وقوله (وَاغْفِرْ لَنا رَبَّنا) يقول : واستر علينا ذنوبنا ، بعفوك لنا عنها يا ربنا ، (إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعنى الشديد الانتقام ممن انتقم منه ، الحكيم : يقول الحكيم فى تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما فيه صلاحهم .

وقوله (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يقول تعالى ذكره : لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة حسنة فى الذين ذكرهم إبراهيم ، والذين معه من الأنبياء صلوات الله عليهم والرسل (لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ) يقول : لمن كان منكم يرجو لقاء الله ، وثواب الله ، والنجاة فى اليوم الآخر .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَلَّ فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِىّ الْحَمِيدُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتولّ عما أمره الله به ، وندبه إليه منكم ومن غيركم ، فأعرض عنه وأدبر مستكبرا ، ووالى أعداء الله ، وألقى إليهم بالمودّة ، فإن الله هو الغنىّ عن إيمانه به ، وطاعته إياه ، وعن جميع خلقه ، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه ، وآلائه عندهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

* عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ، وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائى من مشركى قريش مودّة ، ففعل الله ذلك بهم ، بأن أسلم كثير منهم ، فصاروا لهم أولياء وأحزابا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَسَى اللهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَينَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) قال : هؤلاء المشركون قد فعل ، قد أدخلهم فى السلم ، وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين الفتح .

وقوله (وَاللهُ قَدِيرٌ) يقول : والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودّة . (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها ، رحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَسَى اللهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَينَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللهُ قَدِيرٌ)على ذلك (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يغفر الذنوب الكثيرة ، رحيم بعباده .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ) من أهل مكة (وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ ، وَتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ)يقول : وتعدلوا فيهم ، بإحسانكم إليهم ، وبرّكم بهم .

واختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عُنِى بها الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا ، فأذن الله للمؤمنين ببرّهم والإحسان إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ) أن تستغفروا لهم ، وتَبَرّوهم ، وتقسطوا إليهم ؛ قال : وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا .

وقال آخرون : عُنِى بها من غير أهل مكة مَنْ لم يهاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إبراهيم الأنماطىّ ، قال : ثنا هارون بن معروف ، قال : ثنا بشر بن السرىّ ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : نزلت فى أسماء بنت أبى بكر ، وكانت لها أمّ فى الجاهلية يقال لها قُتَيلة ابنة عبد العُزّى ، فأتتها بهدايا وصناب وأقِط وسَمْن ، فقالت : لاأقبل لك هدية ، ولا تدخلى علىّ حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (لايَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ) . . . إلى قوله (المُقْسِطِينَ) .

قال : ثنا إبراهيم بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قَدِمت قُتَيلة بنت عبد العُزّى بن سعد من بنى مالك بن حِسْل ، على ابنتها أسماء بنت أبى بكر ، فذكر نحوه .

وقال آخرون : بل عُنِى بها من مشركى مكة من لم يقاتل المؤمنين ، ولم يخرجوهم من ديارهم ؛ قال : ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (لايَنْهاكُمُ اللهُ) . . . الآية ، فقال : هذا قد نسخ ، نَسَخه القتال ، أُمِروا أن يرجعوا إليهم بالسيوف ، ويجاهدوهم بها يضربونهم ، وضرب الله لهم أجلَ أربعة أشهر ، إما المذابحة ، وإما الإسلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لايَنْهاكُمُ اللهُ) . . . الآية ، قال : نسختها (اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عُنِى بذلك : لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، من جميع أصناف الملل والأديان ، أن تَبرُّوهم وتصلوهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله (الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ) جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصُص به بعضا دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لاقرابة بينه وبينه ولا نسب ، غير محرَّم ولا منهىّ عنه ، إذا لم يكن فى ذلك دلالة له ، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح . وقد بين صحة ما قلنا فى ذلك الخبر الذى ذكرناه عن ابن الزبير فى قصة أسماء وأمها .

وقوله (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس ، ويُعْطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم ، فيبرّون من بَرَّهم ، ويُحْسنون إلى من أحسن إليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ) أيها المؤمنون (عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) من كفار أهل مكة (وأخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ، وَظاهَرُوا على إخْرَاجِكُمْ ، أنْ تَوَلَّوْهُمْ) يقول : وعاونوا مَنْ أخرجكم من دياركم على إخراجكم ، أن تولوهم ، فتكونوا لهم أولياء ونصراء. (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ) يقول : ومن يجعلهم منكم أو من غيركم أولياء (فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول : فأولئك هم الذين تَوَلَّوا غير الذى يجوز لهم أن يتولوهم ، ووضعوا ولايتهم فى غير موضعها ، وخالفوا أمر الله فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ) قال : كفار أهل مكة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ) النساء (المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) من دار الكفر إلى دار الإسلام (فامْتَحِنُوهُنَّ) ، وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهن إذا قَدِمن مهاجرات .

كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبى نصر الأسدىّ ، قال : سُئل ابن عباس : كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ؟ قال : كان يمتحنهنّ بالله : ما خرجتِ من بغض زوج ، وبالله ماخرجتِ رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ماخرجتِ التماس دنيا ، وبالله ما خرجتِ إلا حبا لله ورسوله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، عن قيس ، قال : أخبرنا الأغرّ بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس فى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : كانت المرأة إذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ماخرجت . . . ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن عائشة قالت : «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن المؤمنات إلا بالآية ، قال الله (إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ على أنْ لايُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئا) ولا ، ولا » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عُرْوة بن الزبير ، أن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم قالت : « كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُمْتحنّ بقول الله (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ) . . . إلى آخر الآية ، قالت عائشة : فمن أقرّ بهذا من المؤمنات ، فقد أقرّ بالمحبة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ : انطلقن فقد بايعتكنّ ، ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قطّ ، غير أنه يبايعهنّ بالكلام ؛ قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قطّ ، إلا بما أمره الله عزّ وجلّ ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهنّ قد بايعتكنّ ، كلاما» .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) ... إلى قوله (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : سَلُوهنّ ما جاء بهنّ ، فإن كان جاء بهنّ ، غضبٌ على أزواجهنّ ، أو سخطةٌ ، أو غيرُه ، ولم يؤمنّ ، فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فامْتَحِنُوهُنَّ) كانت محنتهنّ أن يستحلفن بالله ما أخرجكنّ النشوز ، وما أخرجكنّ إلا حبّ الإسلام وأهله ، وحرص عليه ، فإذا قلن ذلك قُبل ذلك منهنّ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : يحلفن ما خرجن إلا رغبة فى الإسلام ، وحبا لله ورسوله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه أو عكرمة (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) قال : يقال : ما جاء بكِ إلا حبّ الله ، ولا جاء بكِ عشق رجل منا ، ولا فرارا من زوجك ، فذلك قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : «كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها ، وكان بينه وبينها كلام ، قالت : والله لأهاجرنّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) إن كان الغضب أتى بها فردّوها ، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردّوها » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، قال : كان امتحانهنّ : إنه لم يخرجك إلا الدين .

وقوله (اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ) يقول : الله أعلم بإيمان من جاء من النساء مهاجرات إليكم .

وقوله (فإنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنّ إلى الكُفّارِ) يقول : فإن أقررن عند المحنة بما يصحّ به عقد الإيمان لهنّ ، والدخول فى الإسلام ، فلا تردّوهنّ عند ذلك إلى الكفار . وإنما قيل ذلك للمؤمنين ، لأن العهد كان جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركى قريش فى صلح الحديبية أن يردّ المسلمون إلى المشركين من جاءهم مسلما ، فأبطل ذلك الشرط فى النساء إذا جئن مؤمنات مهاجرات فامتحنّ ، فوجدهنّ المسلمون مؤمنات ، وصحّ ذلك عندهم مما قد ذكرنا قبل ، وأُمِروا أن لا يردّوهنّ إلى المشركين إذا علِم أنهنّ مؤمنات ، وقال جلّ ثناؤه لهم (فَإنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنّ إلى الكُفّارِ ، لا هُنّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلّونَ لَهُنّ) يقول : لا المؤمنات حلّ للكفار ، ولا الكفار يحلون للمؤمنات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار .

ذكر بعض ماروى فى ذلك من الأثر

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : « دخلت على عُرْوة بن الزُّبير ، وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هُنيد صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) .. إلى قوله (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ، وكتب إليه عُرْوة ابن الزُّبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا عام الحديبية ، على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين ، إذا هنّ امتحنّ محنة الإسلام ، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ، وَسْئَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا مَآ أَنفَقُواْ ، ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)

وقوله (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) يقول جلّ ثناؤه : وأعطوا المشركين الذين جاءكم نساؤهم مؤمنات إذا علمتموهنّ مؤمنات ، فلم ترجعوهنّ إليهم ، ما أنفقوا فى نكاحهم إياهنّ من الصداق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) ... إلى قوله (عَلِيمٌ حَكِيمٌ) قال : كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا علموا أن ذلك حقّ منهنّ لم يرجعوهنّ إلى الكفار ، وأُعْطِى بعلها من الكفار الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صداقه الذى أصدقها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) وآتوا أزواجهنّ صدقاتهن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ) حتى بلغ (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) هذا حكم حكمه الله عزّ وجلّ بين أهل الهدى وأهل الضلالة ، كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد ، إلى أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فتزوّجوهنّ ، بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين ، الذين بينهم وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عهد ، وإذا فررن من أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، إلى المشركين الذين بينهم وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ ، من أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : نزلتُ عليه وهو بأسفل الحُديبية ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم صالحهم أنه من أتاه منهم ردّه إليهم ؛ فلما جاءه النساء نزلت عليه هذه الآية ، وأمره أن يردّ الصداق إلى أزواجهنّ ، حكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين ، أن يردّوا الصداق إلى أزواجهنّ ، فقال : (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ) « كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب ، فعاهدهم وعاهدوه ، وكان فى الشرط أن يردّوا الأموال والنساء ، فكان نبىّ الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين ، فلحق بالمعاهِدَة تاركا لدينه مختارا للشرك ، ردّ على زوجها ما أنفق عليها ، وإذا لحق بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم أحد من أزواج المشركين ، امتحنها نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها ما أخرجك من قومك ، فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّ على زوجها ما أنفق عليها ، وإن وجدها فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة ، وهى متمسكة بالشرك ، ردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها من المشركين » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) . . . الآية كلها ، قال : « لما هادن رسول

الله صلى الله عليه وسلم المشركين « كان فى الشرط الذى شرط أن ترد إلينا من أتاك منا ، ونردّ إليك من أتانا منكم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أتانا مِنْكُمْ فَنَرُدُّهُ إلَيْكُمْ ، وَمَنْ أتاكُمْ مِنَّا فاخْتارَ الكُفْرَ على الإيمَانِ فَلا حاجَةَ لَنا فِيهِمْ ، قال : فأبى الله ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى النساء ، ولم يأبه للرجال ، فقال الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ) . . . إلى قوله (وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا) : أزواجُهنّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشجّ ، قال « كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء ، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها ، وكان المسلمون يفعلون ، وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذى ذهبت امرأته نفقتها » .

وقوله (وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا حرج عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا هؤلاء المهاجرات اللاتى لحقن بكم من دار الحرب مفارقات لأزواجهنّ ، وإن كان لهنّ أزواج فى دار الحرب إذا علمتموهنّ مؤمنات ، إذا أنتم أعطيتموهنّ أجورهنّ ويعنى بالأجور : الصَّدُقات . وكان قتادة يقول : كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عهد ، إلى أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فتزوّجوهنّ ، بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين ، الذين بينهم وبين أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم عهد .

حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، وكان الزهرىّ يقول : إنما أمر الله بردّ صداقهنّ إليهم إذا حُبِسن عنهم ، إن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم .

حدثنا بذلك ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ولها زوج ، ثمّ ، لأنه فرق بينهما الإسلام إذا استبرأتن أرحامهنّ .

وقوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتمسكوا أيها المؤمنون بحبال النساء الكوافر وأسبابهنّ ، والكوافر : جمع كافرة ، والعِصَم : جمع عصمة ، وهى ما اعتصم به من العقد والسبب ، وهذا نهى من الله للمؤمنين عن الإقدام على نكاح النساء المشركات من أهل الأوثان ، وأمر لهم بفراقهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم جاءه نِسْوة مؤمنات ، بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش ، فأنزل الله (يا أيُّها الَّذِينَ

آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) حتى بلغ (بعِصَمِ الكَوَافِرِ) فطلق عُمَر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : « بلغنا أن آية المحنة التى مادّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش ، من أجل العهد الذى كان بين كفار قريش وبين النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يَرُدّ إلى كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللاتى يُسْلمن ويهاجرن ، وبعولتهنّ كفار للعهد الذى كان بين النبىّ صلى الله عليه وسلم وبينهم ، ولو كانوا حربا ليست بينهم وبين النبىّ صلى الله عليه وسلم مدّة ، وعقد لم يردّ عليهم شيئا مما أنفقوا ، وحكم الله للمؤمنين على أهل المدّة من الكفار بمثل ذلك ، قال الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ) حتى بلغ (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كلّ امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم ، فطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأته ابنة أبى أُمية بن المغيرة من بنى مخزوم ، فتزوّجها معاوية بن أبى سفيان ، وابنة جَرْول من خزاعة ، فتزوّجها أبو جهم بن حُذافة العَدَوِىّ ، وجعل الله ذلك حكما حكم به بين المؤمنين والمشركين ، فى هذه المدة التى كانت » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وقال الزهرىّ : « لما نزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ) ... إلى قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) كان ممن طلّق عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأته قُرَيبة بنة أبى أمية بن المغيرة ، فتزوّجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم ابنة جَرْول الخزاعية ، أم عبد الله بن عمر ، فتزوّجها أبو جهم ابن حُذافة بن غانم رجل من قومه ، وهما على شركهما ؛ وطلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمىّ كانت عنده أرْوَى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصَم الكوافر ، وكان طلحة قد هاجر وهى بمكة على دين قومها ، ثم تزوّجها فى الإسلام بعد طلحة خالد ابن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس ، وكان ممن فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار ، ممن لم يكن بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فحبسها وزوّجها رجلا من المسلمين ، أميمةُ بنت بشر الأنصارية ، ثم إحدى نساء بنى أمية بن زيد من أوس الله ، كانت عند ثابت بن الدَّحداحة ، ففرّت منه ، وهو يومئذ كافر ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل بن حُنَيف ، أحد بنى عمرو بن عوف ، فولدت عبد الله بن سهل » .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعمر ، عن الزهرىّ ، قال الله : (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) قال الزهرىّ : فطلق عُمَر امرأتين كانتا له بمكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) قال : أصحاب محمد أُمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة ، فعدن مع الكفار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) مشركات العرب اللاتى يأبين الإسلام ، أُمِرَ أن يُخَلَّى سبيلُهن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ) إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها ، خَلُّوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلا تُمْسِكُوا) فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة والكوفة والشأم ، (وَلا تُمْسِكُوا) بتخفيف السين . وقرأ ذلك أبو عمرو (وَلا تُمَسِّكُوا) بتشديدها ، وذكر أنها قراءة الحسن ، واعتبر من قرأ ذلك بالتخفيف : « وإمساك بمعروف » .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، محكىّ عن العرب أمسكت به ، ومَسَكت ، وتمسَّكت به .

وقوله (وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا) يقول تعالى ذكره لأزواج اللواتى لحقن من المؤمنين من دار الإسلام بالمشركين إلى مكة من كفار قريش : واسئلوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم ، فلحقن بالمشركين ، ما أنفقتم على أزواجكم اللواتى لحقن بهم من الصداق ، مَنْ تزوّجهن منهم ، وليسئلكم المشركون منهم الذين لحق بكم أزواجهم مؤمنات ، إذا تزوّجن فيكم ، مَنْ تزوّجها منكم ، ما أنفقوا عليهنّ من الصداق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أقرّ المؤمنون بحكم الله ، وأدّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين ، التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا) قال : ماذهب من أزواج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ، فليعطهم الكفار صَدُقاتهنّ ، وليمسكوهن ، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فمثل ذلك فى صلح كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

وقوله (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الحكم الذى حكمت بينكم من أمركم أيها المؤمنون ، بمسألة المشركين ما أنفقتم على أزواجكم اللاتى لحقن بهم ، وأمرهم بمسألتكم مثل ذلك فى أزواجهنّ اللاتى لحقن بكم ، حكم الله بينكم فلا تعتدوه ، فإنه الحقّ الذى لايسمع غيره ، فانتهى المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر إلى أمر الله و حكمه ، وامتنع المشركون منه

وطلبوا الوفاء بالشروط التى كانوا شارطوها بينهم فى ذلك الصلح ، وبذلك جاءت الآثار والأخبار عن أهل السِّير وغيرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله ، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا ، فأنزل الله عزّ وجلّ (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) . . . الآية .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : « قال الله : ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، وردّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله أن يسأل من صَدُقات النساء من حبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم ، ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ، كما ردّ الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يومُ الحديبية ، أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقا ، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد » قوله (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : والله ذو علم بما يُصْلِحُ خلقه وغير ذلك من الأمور ، حكيم فى تدبيره إياهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ، وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (١١)

⁂ يقول جلّ ثناؤه للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَإِنْ فَاتَكُم) أيها المؤمنون (شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) فلحق بهم .

⁂ واختلف أهل التأويل فى الكفار الذين عُنُوا بقوله (إلى الكُفَّارِ) مَنْ هم؟ فقال بعضهم : هم الكفار الذين لم يكن بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، قالوا : ومعنى الكلام : وإن فاتكم شىء من أزواجكم ، إلى من ليس بينكم وبينهم عهد من الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) الذين ليس بينكم وبينهم عهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) إذا فرّ من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن مجاهد (وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) قال : لم يكن بينهم عهد .

وقال آخرون : بل هم كفار قريش الذين كانوا أهل هدنة ، وذلك قول الزهرىّ .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس عنه .

وقوله (فَعاقَبْتُمْ) : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَعاقَبْتُمْ) بالألف على مثال فاعلتم ، بمعنى : أصبتم منهم عقبى . وقرأه حميد الأعرج فيما ذُكر عنه (فَعَقَّبْتُمْ) على مثال فعّلتم مشددة القاف ، وهما فى اختلاف الألفاظ بهما نظير قوله (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ) وَتُصَاعِرْ مع تقارب معانيهما .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب فى ذلك : قراءة من قرأه (فَعاقَبْتُمْ) بالألف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا) يقول : فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار ، مثلَ ما أنفقوا عليهنّ من الصداق .

واختلف أهل التأويل فى المال الذى أمر أن يُعْطى منه الذى ذهبت زوجته إلى المشركين ، فقال بعضهم : أُمروا أن يعطوهم صداق من لحق بهم من نساء المشركين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن الزهرىّ ، قال : أقرّ المؤمنون بحكم الله ، وأدّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين ، التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله ، فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين : (وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ، ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العَقْب الذى بأيديهم ، الذى أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم ، اللاتى آمنّ وهاجرن ، ثم ردّوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعَقْب : ما كان بأيدى المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : أنزل الله (وَإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا) فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج ، أن يردّ إليه المسلمون صداق امرأته ، من صداق إن كان فى أيديهم مما أمروا أن يردّوا إلى المشركين .

وقال آخرون : بل أُمروا أن يعطوه من الغنيمة أو الفىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا ، واتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يعنى : إن لحقت امرأةُ رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، إنهم كانوا أُمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة . وكان مجاهد يقرأ (فَعاقَبْتُمْ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَعاقَبْتُمْ) يقول : أصبتم مغنما من قريش أو غيرهم (فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) صدقاتهنّ عوضا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن مجاهد (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) قال : من لم يكن بينهم وبينهم عهد ، فذهبت امرأة إلى المشركين فيدفع إلى زوجها مهر مثلها (فَعاقَبْتُمْ) فأصبتم غنيمة (فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) وَاتَّقُوا اللهَ ، قال : مهر مثلها يُدفع إلى زوجها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ) كنّ إذا فررن من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبىّ الله عهد ، فأصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة ، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة ، ثم يقتسمون غنيمتهم .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائىّ يخبر عن زائدة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق أنه قرأها (فَعاقَبْتُمْ) وفسّرها فغنمتم .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (فَعاقَبْتُمْ) قال : غنمتم .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألنا الزهرىّ ، عن هذه الآية وقول الله فيها (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ) . الآية ، قال : يقول : إن فات أحدا منكم أهلُه إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوه مِن فىء إن أصبتموه .

وقال آخرون فى ذلك : ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ) قال : خرجت امرأة من أهل الإسلام إلى المشركين ، ولم يخرج غيرها ، قال : فأتت امرأة من المشركين ، فقال القوم : هذه عُقْبتكم قد أتتكم ، فقال الله (وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ) : أمسكتم الذى جاءكم منهم من أجل

الذى لكم عندهم (فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا) ثم أخبرهم الله أنه لاجناح عليهم إذا فعلوا الذى فعلوا، أن ينكحوهنّ إذا استبرئ رحمها ، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذهبت امرأته إلى الكفار ، فقال لهذه التى أتت من عند المشركين : هذا زوج التى ذهبت أزوجكه، فقالت : يارسول الله، عذر الله زوجة هذا أن تفرّ منه ، لاوالله مالى به حاجة ، فدعا البخترىّ رجلا جسيما ، قال : هذا ؟ قالت : نعم ، وهى ممن جاء من مكة .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: أن يقال : أمر الله عزّ وجلّ فى هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبى ، إما بغنيمة يصيبونها منهم ، أو بلحاق نساء بعضهم بهم ، مثل الذى أنفقوا على الفارّة منهم إليهم ، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال ، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التى ذكرناها .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) يقول : وخافوا الله الذى أنتم به مصدّقون أيها المؤمنون ، فاتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ، إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ) بالله (يُبايِعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ بالله شَيْئا ، وَلا يَسْرِقْنَ ، وَلا يَزْنِينَ ، وَلا يَقْتُلْنَ أوْلادَهنَّ ، وَلا يأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْدِيهِنَّ وأرْجُلِهِنَّ) يقول : ولا يأتين بكذب يكذبنه فى مولود يوجد بين أيديهنّ وأرجلهنّ . وإنما معنى الكلام : ولا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أيْدِيهِنَّ وأرْجُلِهِنَّ) يقول :لايُلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم .

وقوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) يقول : ولا يعصينك يامحمد فى معروف من أمر الله عزّ وجلّ تأمرهنّ به . وذُكر أن ذلك المعروف الذى شرط عليهنّ أن لايعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، هو النياحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) يقول : لاينُحْن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، (وَلاَ يَعْصِينَكَ فى مَعْرُوفٍ) ، قال : النوح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، مثله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ، مثله .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : فى نياحة .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لايخدشن وجها ، ولا يشققن جيبا ، ولا يدعُون ويلا ، ولا ينشدن شعرا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : « كانت محنة النساء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : قل لهنّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكنّ على أن لاتشركن بالله شيئا ، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة رحمة الله عليه متنكرة فى النساء ، فقالت : إنى إن أتكلم يعرفنى ، وإن عرفنى قتلنى ، وإنما تنكرت فرَقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكت النسوة اللاتى مع هند ، وأبين أن يتكلمن ، قالت هند وهى متنكرة : كيف يَقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال ، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر : قُلْ لَهُنَّ وَلا يَسْرِقْنَ ، قالت هند : والله إنى لأصيب من أبى سفيان الهَنَات [1] ما أدرى أيحلهنّ لى أم لا ، قال أبو سفيان : ما أصبت من شىء مضى ، أو قد بقى ، فهو لك حلال ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها ، فدعاها فأتته ، فأخذت بيده ، فعاذت به ، فقال : أنْتِ هِنْدٌ ، فقالت : عفا الله عما سلف ، فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (وَلا يَزْنِينَ) فقالت : يا رسول الله ، وهل تزنى الحرّة ؟ قال : لا والله ما تَزْنِي الحُرَّةُ ؛ قال : (وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ) قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر ، فأنت وهم أبصر ؛ : (قال وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَينَ أَيْدِيهِنَّ وأَرْجُلِهِنَّ ، وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) ؛ قال : منعهنّ أن ينُحْن ، وكان أهل الجاهلية يمزّقن الثياب ، وَيخْدِشْن الوجوه ، ويقطّعن الشعور ، ويدعون بالثُّبور واه يل » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا جاءَكَ المُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ) حتى بلغ (فَبايِعْهُنَّ) « ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهنّ يومئذ النياحة ،

(١) فى ابن كثير (٦ : ٢٠٧) : الهنة ، بالإفراد ، والهنة الشىء اليسير . وجمعها : هنات وهنوات .

ولا تحدّثن الرجال ، إلا رجلا منكنّ مَحْرَما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا نبىّ الله إن لنا أضيافا ، وإنا نغيب عن نسائنا ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : هو النوح أُخِذ عليهنّ ، لاينحن ، ولا يخلونّ بحديث الرجال إلا مع ذى مَحْرم ؛ قال : فقال عبد الرحمن ابن عوف : إنا نغيب ويكون لنا أضياف ؛ قال : ليس أولئك عنيت » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : أخبرنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فى مَعْرُوفٍ) قال : لايحدثن رجلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن عياش ، عن سليمان بن سليمان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : « جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام ، فقال لها النبىّ صلى الله عليه وسلم : أُبايِعُكِ على أنْ لاتشْرِكى بالله شَيْئا ، وَلا تَسْرِقى ، وَلا تَزْنِى ، وَلا تَقْتُلِى وَلَدَكِ ، وَلا تَأْتى بِبُهْتانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ ، وَلا تَنُوحى وَلا تبرَّجى تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى » .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، قالت : « جاءت نسوة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يبايعنه ، فقال : فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبى وشعيب بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن ابن أبى هلال ، عن ابن المنكدر ، أن أُمَيمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة ، فقلن : يارسول الله ابسط يدك نصافحك ، فقال : إنّى لاأُصافِحُ النِّساءَ ، وَلَكِنْ سآخُذُ عَلَيْكُنَّ ، فأخذ علينا حتى بلغ (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) فقال : فِيما أطَقْتُنَّ وَاسْتَطَعْتُنَّ فقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن ابن سيرين ، عن أمّ عطية الأنصارية ، قالت : « كان فيما اشترط علينا من المعروف حين بايعنا : أن لاننوح ، فقالت امرأة من بنى فلان : إن بنى فلان أسعدونى ، فلا حتى أجزيهم ، فانطلقت فأسعدتهم ، ثم جاءت فبايعت ؛ قال : فما وفى منهنّ غيرها وغير أمّ سليم ابنة ملحان ، أمّ أنس بن مالك » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا عمرو بن فروخ القتات ، قال : ثنا مصعب بن نوح الأنصارىّ ، قال : « أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فأتيته لأبايعه ، فأخذ علينا فيما أخذ : ولا تنُحْن ، فقالت عجوز : يا نبىّ الله إن ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسعدهم ؛ قال : فانْطَلِقى فَكافِئِيهِمْ ، ثم إنها أتت فبايعته ، قال : هو المعروف الذى قال الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن يزيد ، مولى الصهباء ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : النوح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة التيمية ، قالت : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من المسلمين ، فقلنا له : جئناك يارسول الله نبايعك على أن لانشركَ بالله شيئا ، ولا نسرقَ ، ولا نزنىَ ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأتىَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك فى معروف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، فقلنا : بايعنا يارسول الله ، فقال : اذْهَبْنَ فَقَدْ بايَعْتُكُنَّ ، إنَّمَا قَوْلى لِمِئَةِ امْرأةٍ كَقَوْلى لامْرأةٍ وَاحِدَةٍ ، وما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أحدا » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عيسى بن عبد الله التميمى ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة خالة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعتها تقول : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ علينا أن لانشرك بالله شيئا » فذكر مثل حديث محمد بن إسحاق » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، قالت : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء نبايعه ، قالت : فأخذ علينا النبىّ صلى الله عليه وسلم بما فى القرآن (أنْ لايُشْرِكْنَ بالله شَيْئا) . . . الآية ، ثم قال : فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتُنَّ ، فقلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ فقال : إنّى لاأُصافِحُ النِّساءَ ، ما قَوْلى لامْرأةٍ وَاحِدَةٍ إلاّ كَقَوْلى لِمِئَةِ امْرأةٍ » .

حدثنا ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن زُهير ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن أُميمة بنت رقيقة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حُدِّثت ، عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) والمعروف : ما اشترط عليهنّ فى البيعة أن يتبعن أمره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه وخيرته من خلقه ، ثم لم يستحلّ له أمور أمر[1] إلا بشرط لم يقل ولا يعصينك ويترك ، حتى قال فى معروف : فكيف ينبغى لأحد أن يُطاع فى غير معروف وقد اشترط الله هذا على نبيه ، قال : فالمعروف كلّ معروف أمرهنّ به فى الأمور كلها ، وينبغى لهنّ أن لايعصين .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، ثنا إسحاق بن إدريس ، ثنا إسحاق بن عثمان بن يعقوب ، قال : ثنى إسماعيل ابن عبد الرحمن بن عطية ، عن جدته أمّ عطية ، قالت : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جمع بين نساء الأنصار فى بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ، فقام على الباب فسلم علينا ، فرددن ، أو فرددنا

(١) كذا فى الأصل ، ولعله أمر رعيته أمرا إلا بشرط الخ .

عليه ، ثم قال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكنّ ، قالت : فقلنا مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرسول رسول الله ، فقال : تبايعن على أن لاتشركن بالله شيئا ، ولا تسرقن ، ولا تزنين ، قالت : قلنا نعم ؛ قال : فمدّ يده من خارج الباب أو البيت ، ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : اللهمّ اشهد ؛ قالت : وأمرنا فى العيدين أن نُخرج فيه الحُيَّضَ والعواتق ، ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنازة » قال إسماعيل : فسألت جدتى عن قول الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قالت : النياحة .

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير ، فى قول الله (وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) قال : لايخلو الرجل بامرأة .

وقوله (فَبَايِعْهُنَّ) يقول جلّ ثناؤه : إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على هذه الشروط ، فبايعهنّ ، (وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ) يقول : سل لهنّ الله أن يصفح عن ذنوبهنّ ، ويسترَها عليهنّ ، بعفوه لهنّ عنها ، (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو ستر على ذنوب من تاب إليه من ذنوبه ، أن يعذّبه عليها بعد توبته منها .

القول فى تأويل قول تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ (١٣) .

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) من اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ ، كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصحَابِ القُبُورِ) فقال بعضهم : معنى ذلك : قد يئس هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم من اليهود ، من ثواب الله فى الآخرة ، وأن يُبعثوا ، كما يئس الكفار الأحياء من أمواتهم الذين هم فى القبور ، أن يرجعوا إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ) . . . الآية ، يعنى من مات من الذين كفروا ، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسين ، أنه قال فى هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنَ أصحَابِ القُبُورِ) قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) يقول : يئسوا أن يُبعثوا ، كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَوَلَّوْا قَوْما غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ، الكافر لايرجو لقاء ميته ولاأجره.

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصْحَابِ القُبُورِ) يقول : من مات من الذين كفروا ، فقد يئس الأحياء منهم ، أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قد يئسوا من الآخرة أن يرحمهم الله فيها ، ويغفر لهم ، كما يئس الكفار الذين هم أصحاب قبور قد ماتوا ، وصاروا إلى القبور ، من رحمة الله وعفوه عنهم فى الآخرة ، لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصْحَابِ القُبُورِ) قال : أصحاب القبور : الذين فى القبور قد يئسوا من الآخرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكفَّارُ مِنْ أصْحَابِ الْقُبُورِ) قال : من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهم ، وعاينوا النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال فى هذه الآية (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ، قال : أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الكلبى : قد يئسوا من الآخرة ، يعنى اليهود والنصارى ، يقول : قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها ، كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم فى القبور ، من الجنة حين رأوا مَقْعَدهم من النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (لاتَتَوَلَّوْا قَوْما) . . . الآية ، قال : قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة ، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين فى القبور ، من أن تكون لهم آخرة ، لما عاينوا من أمر الآخرة ، فكما يئس أولئك الكفار ، كذلك يئس هؤلاء الكفار ؛ قال : والقوم الذين غضب الله عليهم ، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة ، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور ، لأنهم قد علموا كتاب الله ، وأقاموا على الكفر به ، وما صنعوا وقد علموا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، فى قوله (يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ) . . . الآية ،

قال : قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة ، كما يئس من فى القبور من الكفار من الخير ، حين عاينوا العذاب والهوان .

⁂ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود ، من ثواب الله لهم فى الآخرة وكرامته ، لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، على علم منهم بأنه لله نبىّ ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا ، فصاروا أصحاب القبور ، وهم على مثل الذى هؤلاء عليه ، من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل ، من ثواب الله وكرامته إياهم .

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بتأويل الآية ، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا ، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة ، المؤمنون والكفار ، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار ، وقد شَرِكهم فى الإياس من ذلك المؤمنون .

آخر تفسير سورة الممتحنة

تفسير سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)

⁂ يقول جلّ ثناؤه : (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ) السبع (وَما فِي الأَرْضِ) من الخلق ، مُذعنين له بالألوهة والربوبية (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى نقمته ممن عصاه منهم ، فكفر به ، وخالف أمره (الْحَكِيمُ) فى تدبيره إياهم .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله ، لم تقولون القول الذى لا تصدّقونه بالعمل ، فأعمالكم مخالفة أقوالكم (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ) يقول : عظُم مقتا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون .

⁂ واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أُنزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : أُنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين ، تمنّوا معرفة أفضل الأعمال ، فعرّفهم الله إياه ، فلما عرفوا قصروا ، فعوتبوا بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ) قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يُفرض الجهاد يقولون :

لودِدنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه ، فنعمل به ؛ فأخبر الله نبيه أن أحبّ الأعمال إليه إيمان بالله لاشكّ فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به ؛ فلما نزل الجهاد ، كره ذلك أُناس من المؤمنين ، وشقّ عليهم أمره ، فقال الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتفْعَلُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ) قال : كان قوم يقولون : والله لو أنا نعلم ما أحبُّ الأعمال إلى الله لعملناه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتا) . . . إلى قوله (بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) ، فدلهم على أحبّ الأعمال إليه .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن جحادة ، عن أبى صالح ، قال : قالوا لو كنا نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليمٍ) فكرهوا ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتفْعَلُونَ) ؟

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ؟) . . . إلى قوله (مَرْصُوصٌ) فيما بين ذلك فى نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا فى مجلس : لو نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله ، لعملنا بها حتى نموت ، فأنزل الله هذا فيهم ، فقال عبد الله بن رواحة : لاأزال حبيسا فى سبيل الله حتى أموت ، فقُتل شهيدا .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى توبيخ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التى لم يفعلها ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) قال : بلغنى أنها كانت فى الجهاد ، كان الرجل يقول : قاتلت وفعلت ، ولم يكن فعل ، فوعظهم الله فى ذلك أشدّ الموعظة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) يؤذنهم ويعلمهم كما تسمعون (كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ اللهِ) وكانت رجال تخبر فى القتال بشىء لم يفعلوه ولم يبلغوه ، فوعظهم الله فى ذلك موعظة بليغة ، فقال (يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) . . . إلى قوله (كأنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) أنزل الله هذا فى الرجل يقول فى القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل ، قال الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ) .

وقال آخرون : بل هذا توبيخ من الله لقوم من المنافقين ، كانوا يَعِدُون المؤمنين النصر وهم كاذبون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ) يقولون للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه : لو خرجتم خرجنا معكم ، وكنا فى نصركم ، وفى ، وفى ؛ فأخبرهم أنه (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لاتفْعَلُونَ) .

⁂ وأولى هذه الأقوال بتأويل ، الآية قول من قال : عُنِى بها الذين قالوا : لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به ، ثم قصّروا فى العمل بعد ما عرفوا .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بها ، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين ، فقال : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) ، ولو كانت نزلت فى المنافقين لم يُسَمِّهِمْ ، ولم يوصفوا بالإيمان ، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه ، كانوا قد تعمدوا قِيل الكذب ، ولم يكن ذلك صفة القوم ، ولكنهم عندى أمّلوا بقولهم : لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عملناه ، أنهم لو علموا بذلك عملوه ؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم ، عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم ، وقوى آخرون فقاموا به ، وكان لهم الفضل والشرف .

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك ، وفى وجه نصب قوله (كَبُرَ مَقْتًا) فقال بعض نحويّ البصرة : قال (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ) : أى كبر مقتكم مقتا ، ثم قال (أنْ تَقُولُوا ما لاتَفْعَلُونَ) : أذى قولكم . وقال بعض نحويّ الكوفة : قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ ؟) كان المسلمون يقولون : لو نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى الله لأتيناه ، ولو ذهبت فيه أنفسنا وأموالنا ؛ فلما كان يوم أُحد ، نزلوا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى شُجّ ، وكُسرت رَبَاعيته ، فقال (لِمَ تَقُولُونَ ما لاتَفْعَلُونَ) ثم قال : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ) كبر ذلك مقتا : أى فأن فى موضع رفع ، لأن كُبر كقوله : بئس رجلا أخوك .

وقوله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) أُضْمِر فى كَبُرَ اسم يكون مرفوعا .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله (مَقْتًا) منصوب على التفسير ، كقول القائل : كبرُ قولا هذا القول .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره للقائلين : لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه حتى نموت : (إنَّ اللهَ) أيها القوم

(يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ) كأنهم ، يعنى فى طريقه ودينه الذى دعا إليه (صَفًّا) يعنى بذلك أنهم يقاتلون أعداء الله مصطفين .

وقوله (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) يقول : يقاتلون فى سبيل الله صفا مصطفا ، كأنهم فى اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رُصّ ، فأحكم وأتقن ، فلا يغادر منه شيئا ، وكان بعضهم يقول : بُنى بالرَّصاص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لايحبّ أن يختلف بنيانه ، كذلك تبارك وتعالى لايختلف أمره ، وإن الله وصف المؤمنين فى قتالهم وصفهم فى صلاتهم ، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : والذين صدّقوا قولهم بأعمالهم هؤلاء ؛ قال : وهؤلاء لم يصدّقوا قولهم بالأعمال ، لما خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم نكصوا عنه وتخلّفوا . وكان بعض أهل العلم يقول : إنما قال الله (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) ليدلّ على أن القتال راجلا أحبّ إليه من القتال فارسا ، لأن الفُرسان لايصطفون ، وإنما تصطفّ الرجالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن أبى بكر بن أبى مَرْيم ، عن يحيى بن جابر الطائىّ ، عن أبى بحرية ، قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، لقول الله (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) قال : وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتمونى التفتّ فى الصفّ ، فجئُوا فى لحيى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ، فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد (إِذْ قَالَ مُوسَى) بن عمران (لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ) حقا (أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ) .

وقوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم : يقول : أمال الله قلوبهم عنه .

وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، قال : ثنا أبو غالب ، عن

أبى أُمامة فى قوله (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ) قال : هم الخوارج (وَاللهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الفَاسِقِينَ) يقول : والله لا يوفّق لإصابة الحقّ القوم الذين اختاروا الكفر على الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم، مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ، قَالُوا۟ : هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)

يقول تعالى ذكره : واذكر أيضا يا محمد (إذْ قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ) لقومه من بنى إسرائيل (يا بَنِى إسْرائِيلَ إنّى رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ) التى أُنزلت على موسى (وَمُبَشِّرًا) أبشركم (بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أحْمَدُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمىّ ، عن عِرباض بن سارية ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّى عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ ، وسأُخْبِرُكُمْ بأوَّلِ ذَلِكَ ، دَعْوَةُ أبِى إبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِى ، وَالرُّؤْيا التى رأتْ أُمِّى ، وكَذَلِكَ أُمَّهاتُ النَّبِيِّينَ ، يَرَيْنَ أنَّها رأتْ حِينَ وَضَعَتْنِى أنَّهُ خَرَجَ مِنْها نُورٌ أضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » (فَلَمَّا جاءَهُمْ بالْبَيِّناتِ) يقول : فلما جاءهم أحمد بالبينات ، وهى الدلالات التى آتاه الله حججا على نبوّته (قالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) يقول : ما أتى به غير أننى ساحر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره : ومن أشدّ ظلما وعدوانا ممن اختلق على الله الكذب ، وهو قول قائلهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم : هو ساحر ولما جاء به سحر ، فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام ، يقول : إذا دُعى إلى الدخول فى الإسلام ، قال على الله الكذب ، وافترى عليه الباطل (وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم : هذا ساحر مبين (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) يقول : يريدون ليبطلوا الحقّ الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بأفواههم يعنى بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به سحر ، (وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ) يقول : الله معلن الحقّ ، ومظهر دينه ، وناصر محمدا عليه الصلاة والسلام على من عاداه ، فذلك إتمام نوره ، وعُنِى بالنور فى هذا الموضع : الإسلام.

وكان ابن زيد يقول : عُنِى به القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) قال : نور القرآن .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله تعالى (وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مُتِمُّ نُورَهُ) بالنصب . وقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة (مُتِمُّ) بغير تنوين نوره خفضا وهما قراءتان معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا .

وقوله (وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُونَ) يقول : والله مظهر دينه ، وناصر رسوله ، ولو كره الكافرون بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره : الله الذى أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحقّ ، يعنى ببيان الحقّ ودين الحقّ يعنى : وبدين الله ، وهو الإسلام .

وقوله (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) يقول : ليظهر دينه الحقّ الذى أرسل به رسوله على كلّ دين سواه ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم ، وحين تصير الملة واحدة ، فلا يكون دين غير الإسلام .

كما حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى المقدام ثابت بن هرمز ، عن أبى هريرة (لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ) قال : خروج عيسى ابن مريم ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى قوله (لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ) ، والصوابُ عندنا من القول فى ذلك بعلله فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : ثنا الأسود بن العلاء ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ والنَّهارُ حتى تُعْبَدَ اللاَّتُ والعُزَّى ، فقالت عائشة : والله يا رسول الله إن كنتُ لأظنّ حين أنزل الله (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ) . . . الآية ، أن ذلك سيكون تاما ، فقال : إنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذلكَ ما شاءَ اللهُ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحا طَيِّبَةً ، فَيَتَوَفَّى مَنْ كانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ ، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبائِهِمْ .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ .

يقول تعالى ذكره : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) موجع ، وذلك عذاب جهنم ؛ ثم بين لنا جلّ ثناؤه ما تلك التجارة التى تنجينا من العذاب الأليم ؟ فقال : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم .

فإن قال قائل : وكيف قيل : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ) ، وقد قيل لهم : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) بوصفهم بالإيمان ؟ فإن الجواب فى ذلك نظير جوابنا فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) آمنوا بالله ، وقد مضى البيان عن ذلك فى موضعه ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله (وتُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ) يقول تعالى ذكره : وتجاهدون فى دين الله ، وطريقه الذى شرعه لكم ، بأموالكم وأنفسكم (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : إيمانكم بالله ورسوله ، وجهادكم فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم خيرٌ لكم ، من تضييع ذلك والتفريط (إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مضارّ الأشياء ومنافعها . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (آمِنُوا باللهِ) على وجه الأمر ، وبيَّنت التجارة من قوله (هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ) وفُسرت بقوله (تُؤْمِنُونَ باللهِ) ولم يقل : أن تؤمنوا ، لأن العرب إذا فسرت الاسم بفعل تثبت فى تفسيره أنْ أحيانا ، وتطرحها أحيانا ، فتقول للرجل : هل لك فى خير تقوم بنا إلى فلان فنعوده ؟ هل لك فى خير أن تقوم إلى فلان فنعوده ، بأن وبطرحها . ومما جاء فى الوجهين على الوجهين جميعا قوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ أنَّا) وإنا فالفتح فى أنا لغة من أدخل فى يقوم أن من قولهم : هل لك فى خير أن تقوم ، والكسر فيها لغة من يُلقى أن من تقوم ؛ ومنه قوله (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنَّا دَمَّرْناهُمْ) وإنا دمرناهم ، على ما بيَّنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ) . . . الآية ، فلولا أن الله بينها ، ودلّ عليها المؤمنين ، لتلهَّف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها ، حتى يضنوا بها [1] ، وقد دلكم الله عليها ، وأعلمكم إياها فقال : (تُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ ، وتُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بأمْوَالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ

(١) الذى فى الدر « حتى يطلبوها » .

تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ : تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ) قال : الحمد لله الذى بينها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)

يقول تعالى ذكره : يستر عليكم ربكم ذنوبكم إذا أنتم فعلتم ذلك ، فيصفح عنكم ويعفو (وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) يقول : ويُدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً) يقول : ويُدخلكم أيضا مساكن طيبة (فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) يعنى فى بساتين إقامة ، لاظعن عنها . وقوله (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ ، فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) .

اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله (وأُخْرَى) فقال بعض نحويّ البصرة : معنى ذلك : وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون أخرى فى موضع خفض ، عطفا به على قوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء . وكان بعض نحوِيِّي الكوفة يقول : هى فى موضع رفع : أى ولكم أخرى فى العاجل ، مع ثواب الآخرة ، ثم قال : نصر من الله مفسرا للأخرى .

والصواب من القول فى ذلك عندى القول الثانى ، وهو أنه معنىّ به : ولكم أخرى تحبونها ، لأن قوله (نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) مبين عن أن قوله (وأُخْرَى) فى موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضا ، حسن أن يجعل قوله (وأُخْرَى) عطفا على قوله (تِجَارَةٍ) ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرئ ذلك خفضا ، وعلى خلة أخرى تحبونها ، فمعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ولكم خلة أخرى سوى ذلك فى الدنيا تحبونها : نصر من الله لكم على أعدائكم ، وفتح قريب يعجله لكم .

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وبشر يا محمد المؤمنين بنصر الله إياهم على عدوّهم ، وفتح عاجل لهم .

وقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللهِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (كُونُوا أنْصَارَ اللهِ) بتنوين الأنصار . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بإضافة الأنصار إلى الله .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، ومعنى الكلام : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : مَنْ أنصارى إلى الله ، يعنى من أنصارى منكم إلى نصرة الله لى .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنى به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أنْصَارَ اللهِ ، كما قالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ ؟ قالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أنْصَارُ اللهِ) قال : « قد كانت لله أنصار من هذه الأمة ، تجاهد على كتابه وحقه . وذُكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلا من الأنصار ، ذُكر لنا أن بعضهم قال : هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلموا . ذُكر لنا أن رجلا قال : يا نبىّ الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، قال : أشترط لربى أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم ؛ قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبىّ الله ؟ قال : لكم النصر فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة ، ففعلوا ، ففعل الله » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (كُونُوا أنْصَارَ اللهِ كَمَا قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ) قال : قد كان ذلك بحمد الله ، جاءه سبعون رجلا ، فبايعوه عند العقبة ، فنصروه وآوَوْه حتى أظهر الله دينه ؛ قالوا : ولم يسمّ حىّ من السماء اسما لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أن الحواريين كلهم من قريش : أبو بكر ، وعمر ، وعلىّ ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عُبيدة ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوّام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (مَنْ أنْصَارِى إلى اللهِ ؟) : قال : من يتبعنى إلى الله ؟

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : سئل ابن عباس عن الحواريين ، قال : سُمُّوا لبياض ثيابهم ، كانوا صيادى السمك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

الحواريون : هم الغسالون بالنبطية ؛ يقال للغسال : حوارى ، وقد تقدم بياننا فى معنى الحوارى بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى ، فأغنى عن إعادته .

وقوله (قالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) يقول : قالوا : نحن أنصار الله على ما بعث به أنبياءه من الحقّ . وقوله (فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ وكَفَرَتْ طائِفَةٌ) يقول جلّ ثناؤه : فآمنت طائفة من بنى إسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة منهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء ؛ قال : فقال : إن منكم من سيكفر بى اثنتى عشرة مرّة بعد أن آمن بى ؛ قال : ثم قال : أيكم يُلْقَى عليه شبهى فيقتل مكانى ، ويكون معى فى درجتى ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا ، قال : فقال أنا ، فقال له : اجلس ؛ ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال أنا ؛ قال : نعم أنت ذاك ؛ قال : فأُلقى عليه شبه عيسى ، ورُفع عيسى من رَوْزَنة فى البيت إلى السماء ؛ قال : وجاء الطلب من اليهود ، وأخذوا شبهه ، فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرّة بعد أن آمن به ، فتفرّقوا ثلاث فرَق : فقالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء ، وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء الله ، ثم رفعه إليه ، وهؤلاء النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فآمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة ، يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى ، والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم ، فأصبحوا ظاهرين فى إظهار محمد دينهم على دين الكفار ، فأصبحوا ظاهرين » .

وقوله (فأيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا على عَدُوِّهِمْ) يقول : فقوّينا الذين آمنوا من الطائفتين من بنى إسرائيل على عدوّهم ، الذين كفروا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لتصديقه إياهم ، أن عيسى عبد الله ورسوله ، وتكذيبه من قال هو إله ، ومن قال : هو ابن الله تعالى ذكره ، فأصبحوا ظاهرين ، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على عدوّهم الكافرين منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله الهلالى ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فأيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا على عَدُوِّهِمْ) قال : قوّينا .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم (فآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ

بنى إسرائيل وكفرت طائفة) قال : لما بعث الله محمدا ، ونزل تصديق من آمن بعيسى ، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة .

قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، فى قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) قال : أيدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فصدقهم ، وأخبر بحجتهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (فأصبحوا ظاهرين) قال : أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم كلمة الله وروحه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فأصبحوا ظاهرين) من آمن مع عيسى صلى الله عليه و سلم .

آخر تفسير سورة الصفّ

تفسير سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١)

يقول تعالى ذكره : يسبح لله كلّ ما فى السموات السبع ، وكلّ ما فى الأرضين من خلقه ، ويعظمه طوعا وكرها (الملك القدّوس) الذى له ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما ، النافذ أمره فى السموات والأرض وما فيهما ، القدّوس : وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به ، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك (العزيز) يعنى الشديد فى انتقامه من أعدائه (الحكيم) فى تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما هو أعلم به من مصالحهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢)

يقول تعالى ذكره : الله الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، فقوله هو كناية من اسم الله ، والأميون : هم العرب . وقد بيّنا فيما مضى المعنى الذى من أجله قيل للأمىّ أمىّ .

وبنحو الذى قلنا فى الأميين فى هذا الموضع قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : العرب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثورىّ يحدّث لاأعلمه إلا عن مجاهد، أنه قال : (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ) : العرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : كان هذا الحىّ من العرب أمة أمِّيَّة ، ليس فيها كتاب يقرءونه ،فبعث الله نبيه محمدا . رحمة وهدى يهديهم به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ،عن قتادة (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : كانت هذه الأمة أمِّيَّة لايقرءون كتابا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) قال : إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأميين ، لأنه لم ينزل عليهم كتابا ؛ وقال جلّ ثناؤه (رَسُولاً مِنْهُمْ) يعنى من الأميين ، وإنما قال منهم ، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أمِّيًّا ، وظهر من العرب .

وقوله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ) يقول جلّ ثناؤه: يقرأ على هؤلاء الأميين آيات الله التى أنزلها عليه. (وَيُزَكِّيهِمْ) يقول : ويطهرهم من دَنَس الكفر .

وقوله (وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ)يقول : ويعلمهم كتاب الله ، وما فيه من أمر الله ونهيه ، وشرائع دينه (وَالْحِكْمَةَ) يعنى بالحكمة : السنَنَ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ) : أى السنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال (وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالْحِكْمَةَ) أيضا، كما علم هؤلاء، يزكيهم بالكتاب والأعمال الصالحة ، ويعلمهم الكتاب والحكمة كما صنع بالأوّلين ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسانٍ) ممن بقى من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة ، قال : وقد جعل الله فيهم سابقين ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ) ، وقال : (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ) فثلة من الأوّلين سابقون ، وقليل السابقون من الآخرين ، وقرأ (وأَصْحَابُ اليَمِينِ ما أَصْحَابُ اليَمِينِ) . . . حتى بلغ (ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ ، وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ) أيضا ، قال :

والسابقون من الأوّلين أكثر ، وهم من الآخرين قليل ، وقرأ (وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإِيمَانِ) . . . الآية ، قال : هؤلاء من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة .

وقوله (وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : وقد كان هؤلاء الأميون من قبل أن يبعث الله فيهم رسولا منهم فى جَوْرٍ عن قصد السبيل ، وأخذ على غير هدى مبين ، يقول : يبين لمن تأمله أنه ضلال وجَوْر عن الحقّ وطريق الرشد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : وهو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، وفى آخرين منهم لما يلحقوا بهم ، فآخرون فى موضع خفض عطفا على الأميين .

وقد اختلف فى الذين عُنوا بقوله (وآخَرِينَ مِنْهُمْ) ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك العجم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن طلحة ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله : (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هم الأعاجم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثورىّ لا أعلمه إلا عن مجاهد : (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : العجم .

حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن ابن عمر ، أنه قال له : أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم ، فى قتلكم الكذاب ، ثم قرأ (يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فى السَّمَوَاتِ وما فى الأَرْضِ) حتى بلغ (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : فأنتم هم .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : الأعاجم .

حدثني محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا عبد العزيز ؛ وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني سليمان بن بلال جميعا ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، قال : « كنا جلوسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال رجل من هؤلاء : يا رسول الله ؟ قال : فلم يراجعه النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرّة أو مرّتين أو ثلاثا ، قال : وفينا سلمان الفارسيّ ، فوضع النبيّ صلى الله عليه وسلم يده على سلمان فقال : لَوْ كانَ الإيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنالَهُ رِجالٌ مِنْ هَؤُلاءِ » .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا سليمان بن بلال المدنيّ ، عن ثور بن زيد ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، قال : « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه » .

وقال آخرون : إنما عُنِي بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كائنا من كان إلى يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : من ردف الإسلام من الناس كلهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله عزّ وجلّ (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) قال : هؤلاء كلّ من كان بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، كلّ من دخل في الإسلام من العرب والعجم .

☆ وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي : قول من قال : عُنِي بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ صلى الله عليه وسلم في إسلامهم من أيّ الأجناس ، لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله (وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) كلّ لاحق بهم من آخرين ، ولم يخصص منهم نوعا دون نوع ، فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأوّلين ، الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله وقوله (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول : لم يجيئوا بعد وسيجيئون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يقول : لم يأتوا بعد .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : والله العزيز في انتقامه ممن كفر به منهم ، الحكيم في تدبيره خلقه .

وقوله (ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى فعل تعالى ذكره من بعثته فى الأميين من العرب ، وفى آخرين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويفعل سائر ما وصف فضلُ الله ، تفضل به على هؤلاء دون غيرهم ، يؤتيه من يشاء ، يقول : يؤتى فضلَه ذلك من يشاء من خلقه ، لايستحقّ الذمّ ممن حرمه الله إياه ، لأنه لم يمنعه حقا كان له قبله ، ولا ظلمه فى صرفه عنه إلى غيره ، ولكنه علم من هوله أهل ، فأودعه إياه ، وجعله عنده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى (ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ) قال : الفضل : الدين (واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) يقول : والله ذو الفضل على عباده ، المحسن منهم والمسىء ، والذين بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم ، العظيم الذى يقلّ فضل كلّ ذى فضل عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ، بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره : مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى ، فحُملوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها) يقول : ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذّبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا بالإيمان به فيها ، واتباعه والتصديق به (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم ، لاينتفع بها ، ولا يعقل ما فيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراةُ التى فيها بيانُ أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، مثلُهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كمثل الحمار الذى يحمل أسفارا فيها علم ، فهو لايعقلها ولا ينتفع بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يَحْمِلُ أَسْفارًا) قال : يحمل كتبا لايدرى ما فيها ، ولا يعقلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها ، كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) قال : يحمل كتابا لايدرى ماذا عليه ، ولا ماذا فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) قال : كمثل الحمار الذى يحمل كتبا ، لايدرى ما على ظهره .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) كتبا ، والكتاب بالنبطية يسمى سِفْرا ، ضرب الله هذا مثلا للذين أُعطوا التوراة ثم كفروا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً) الأسفار الكتب ، فجعل الله مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يتبعُ ما فيه ، كمثل الحمار يحمل كتاب الله الثقيل ، لايدرى ما فيه ، ثم قال (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ) . . . الآية .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) قال : الأسفارُ : التوراة يحملها الحمارُ على ظهره ، كما تُحْمَلُ المصاحف على الدوابّ ، كمثل الرجل يسافرُ فيحملُ مصحفَه ، قال : فلا ينتفع الحمار بها حين يحملها على ظهره ، كذلك لم ينتفع هؤلاء بها حين لم يعملوا بها وقد أوتوها ، كما لم ينتفع بها هذا وهى على ظهره .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا) يقول : كتبا ، والأسفار : جمع سفر ، وهى الكتب العظام .

وقوله (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ) يقول : بئس هذا المثل ، مثل القوم الذين كذّبوا بآيات الله ، يعنى بأدلته وحججه (واللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بآيات ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لليهود (يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ) سواكم (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى قيلكم ، أنكم أولياء لله من دون الناس ، فإن الله لا يعذّب أولياءه ، بل يكرمهم وينعمهم ، وإن كنتم محقين فيما تقولون ، فتمنوا الموت لتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغمومها ، وتصيروا إلى روح الجنان ونعيمها بالموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا) قل يا أيها الذين تابوا ، لليهود ، قال موسى (إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ) : إنا تبنا إليك .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا) يقول : ولا يتمنى اليهود الموت أبدا (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يعنى : بما اكتسبوا فى هذه الدنيا من الآثام ، واجترحوا من السيئات (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) يقول : والله ذو علم بمن ظلم من خلقه نفسه ، فأوبقها بكفره بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لليهود (إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ) فتكرهونه ، وتأبون أن تتمنوه (فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) ونازل بكم (ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) ثم يردّكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة ، عالم غيب السموات والأرض ؛ والشهادة : يعنى وما شهد فظهر لرأى العين ، ولم يغب عن أبصار الناظرين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) فقال : إن الله أذلّ ابن آدم بالموت ، لا أعلمه إلا رفعه (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فيخبركم حينئذ ما كنتم فى الدنيا تعملون من الأعمال ، سيئها وحسنها ، لأنه محيط بجميعها ، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه ، والمسىء بما هو أهله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) وذلك هو النداء ، ينادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة ؛ ومعنى الكلام : إذا نودى للصلاة من صلاة يوم الجمعة (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) يقول : فامضوا إلى ذكر الله ، واعملوا له ؛ وأصل السعى فى هذا الموضع العمل ، وقد ذكرنا الشواهد على ذلك فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، عن شُرَحْبيل بن مسلم الخَوْلانىّ ، فى قول الله : (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : فاسعوا فى العمل ، وليس السعى فى المشى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِيَ

للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) والسعى يا بن آدم أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المضىّ إليها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، قال : أخبرنى مغيرة ، عن إبراهيم أنه قيل لعمر رضى الله عنه : إن أبيًّا يقرؤها (فاسْعَوْا) قال : أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ ، وإنما هى فامضوا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن الزهرىّ ، عن سالم ، عن أبيه ، قال : ما سمعت عمر يقرؤها قطّ ألا فامضوا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا حنظلة ، عن سالم بن عبد الله ، قال : كان عمر رضى الله عنه يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حنظلة ، عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قرأها : فامضوا .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة بن أبى سفيان الجمحىّ ، أنه سمع سالم بن عبد الله يحدّث ، عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأ (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى سالم بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله قال : لقد توفى الله عمر رضى الله عنه ، وما يقرأ هذه الآية التى ذكر الله فيها الجمعة : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) ألا فامضوا إلى ذكر الله .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عبد الله يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) ويقول : لو قرأتها فاسعوا ، لسعيت حتى يسقط ردائى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله لو كان السعى لسعيت حتى يسقط ردائى ، قال : ولكنها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : هكذا كان يقرؤها .

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن يمان الأزدى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع عن أبى العالية أنه كان يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، أنه قرأها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : هى للأحرار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور عن رجل ، عن مسروق ، قال : عند الوقت .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن مسروق (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ) قال : عند الوقت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : هو عند العزمة عند الخطبة ، عند الذكر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال : النداء عند الذكر عزيمة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن المُغيرة والأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ، قال : لو قرأتها (فاسْعَوْا) لسعيت حتى يسقط ردائى ، وكان يقرؤها (فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبىّ ، عن ابن مسعود قال : قرأها (فامْضُوا) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى حيان ، عن عكرمة (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : السعى : العمل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : إذا سمعتم الداعى الأوّل ، فأجيبوا إلى ذلك وأسرعوا ولا تبطئوا ؛ قال : ولم يكن فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم أذان إلا أذانان : أذان حين يجلس على المنبر ، وأذان حين تُقام الصلاة ؛ قال : وهذا الآخر شىء أحدثه الناس بعد ؛ قال : ولا يحلّ له البيع إذا سمع النداء الذى يكون بين يدى الإمام إذا قعد على المنبر وقرأ (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ) قال : ولم يأمرهم يذرون شيئا غيره حرّم البيع ، ثم أذن لهم فيه إذا فرغوا من الصلاة ، قال : والسعى أن يُسرع إليها ، أن يُقبل إليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أن فى حرف ابن مسعود (إذَا نُودِىَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) السعى : هو العمل ، قال الله (إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) .

وقوله (وَذَرُوا البَيْعَ) يقول : ودعوا البيع والشراء إذا نودى للصلاة عند الخطبة .

وكان الضحاك يقول فى ذلك ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك (إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : كان قوم يجلسون فى بقيع الزبير ، فيشترون ويبيعون إذا نودى للصلاة يوم الجمعة ، ولا يقومون ، فنزلت (إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) وأما الذكر الذى أمر الله تبارك وتعالى بالسعى إليه عباده المؤمنين ، فإنه موعظة الإمام فى خطبته فيما قيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال : العزمة عند الذكر عند الخطبة .

حدثنا عبد الله بن محمد الحنفىّ ، قال : ثنا عَبدان ، قال : أخبرنا عبد الله ، قال : أخبرنا منصور رجل من أهل الكوفة ، عن موسى بن أبى كثير ، أنه سمع سعيد بن المسيب يقول (إذَا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ) قال : فهى موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد .

وقوله (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول : سعيكم إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله ، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء فى ذلك الوقت ، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارّها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (الجُمُعَةِ) بضم الميم والجيم ، خلا الأعمش فإنه قرأها بتخفيف الميم .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : فإذا قُضيت صلاة الجمعة يوم الجمعة ، فانتشروا فى الأرض إن شئتم ذلك ، رخصة من الله لكم فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَين ، عن مجاهد ، أنه قال : هى رخصة ، يعنى قوله (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله :

(فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ) قال : هذا إذن من الله، فمن شاء خرج ، ومن شاء جلس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد : أَذِن الله لهم إذا فرغوا من الصلاة ، (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) فقد أحللته لكم .

وقوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) . ذُكر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى تأويل ذلك ما حدثنى العباس ابن أبى طالب ، قال : ثنا علىّ بن المعافى بن يعقوب الموصلىّ ، قال: ثنا أبو عامر الصائغ من الموصل ، عن أبى خلف ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى قوله (فإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) قال : لَيْسَ لِطَلَبِ دُنْيا ، وَلَكِنْ عِيادَةُ مَرِيضٍ ، وَحُضُورُ جَنازَةٍ ، وَزِيارَةُ أخٍ فِي اللهِ » .

وقد يحتمل قوله (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) أن يكون معنيا به : والتمسوا من فضل الله الذى بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم .

وقوله (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول : واذكروا الله بالحمد له ، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه ، لتفلحوا ، فتدركوا طلباتكم عند ربكم ، وتصلوا إلى الخلد فى جنانه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١) .

يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المؤمنون عير تجارة أو لهوا (انْفَضُّوا إلَيْها) يعنى أسرعوا إلى التجارة (وَتَرَكُوكَ قائما) يقول للنبىّ صلى الله عليه وسلم : وتركوك يامحمد قائما على المنبر ، وذلك أن التجارة التى رأوها فانفضّ القوم إليها، وتركوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قائما، كانت زيتا قدم به دحية بن خليفة من الشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشُوا أن يسبقوا إليه ، قال : فنزلت (وَإذَا رأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائما) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن قرة (إذَا نُودِىَ

للصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ) قال: « جاء دحية الكلبي بتجارة والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم في الصلاة يوم الجمعة ، فتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه ، فنزلت (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِما) حتى ختم السورة » .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال: « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة ، فمرّت عير تحمل الطعام ، قال : فخرج الناس إلا اثني عشر رجلا ، فنزلت آية الجمعة» .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر ، فقدمت عير والنبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فسمعوا بها ، فخرجوا والنبيّ صلى الله عليه وسلم قائم ، كما قال الله عزّ وجلّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِما) قال : جاءت تجارة فانصرفوا إليها ، وتركوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما وإذا رأوا لهوا ولعبا (قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ ، وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها) قال : رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة: « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدّوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم ؛ قال سفيان : ولا أعلم إلا أن في حديثه : ويعظهم ويذكرهم ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت عصابة ، فقال كم أنتم ؟ فعدّوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ؛ ثم قام في الجمعة الثالثة ، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة ، فقال : كم أنتم ؟ فعدّوا أنفسهم ، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة ، فقال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ لالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الوَادِي نارًا ، وأنزل الله عزّ وجلّ : (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِما) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة « في قوله (انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِما) قال : لو اتبع آخرهم أوّلهم لالتهب عليهم الوادي نارا » .

قال : ثنا ابن ثور ، قال معمر ، قال قتادة : لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا اثنا عشر رجلا وامرأة معهم .

حدثنا محمد بن عمارة الرازيّ ، قال : ثنا محمد بن الصباح ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ،

عن سالم وأبي سفيان ، عن جابر ، في قوله (وَتَرَكُوكَ قائما) قال : قدمت عير ، فانفضّوا إليها ، ولم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُليّ ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن سالم ، عن جابر « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عير من الشام ، فانفتل الناس إليها ، حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا ، قال : فنزلت هذه الآية في الجمعة (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِما) » وأما اللهو ، فإنه اختُلِف من أيّ أجناس اللهو كان ، فقال بعضهم : كان كَبَرًا[1] ومزامير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله ، قال [2] كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكَبَر والمزامير ، ويتركون النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ، وينفضون إليها ، فأنزل الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها) .

وقال آخرون : كان طَبْلا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، قال : ذكر عبد الله بن أبي نجيح ، عن إبراهيم ابن أبي بكر ، عن مجاهد : أن اللهو : هو الطبل .

⁂ والذي هو أولى بالصواب في ذلك : الخبر الذي رويناه عن جابر ، لأنه قد أدرك أمر القوم ومشاهدهم .

وقوله (قُلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد الذي عند الله من الثواب ، لمن جلس مستمعا خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموعظته يوم الجمعة إلى أن يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، خير له من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها . (وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : والله خير رازق ، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم ، وإياه فاسألوا أن يوسّع عليكم من فضله ، دون غيره .

آخر تفسير سورة الجمعة

---

(١) الكبر بالتحريك : الطبل . أو الطبل ذو الرأسين . أو الطبل الذي له وجه واحد ، بلغة أهل الكوفة . أو الطبل الصغير . (التاج : كبر) .

(٢) الذي في الدر عن جابر « فإذا كان نكاح لعب أهله وعزفوا ومروا باللهو على المسجد » وما هنا بمعناه . وليست العبارة بمحررة .

تفسير سورة المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ، وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ) يامحمد (قالُوا) بألسنتهم : (نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لرَسُولُهُ) قال المنافقون ذلك أو لم يقولوه (وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) يقول : والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فى إخبارهم عن أنفسهم أنها تشهد إنك لرسول الله ، وذلك أنها لاتعتقدذلك ولا تؤمن به ، فهم كاذبون فى خبرهم عنها بذلك .

وكان بعض أهل العربية يقول فى قوله (وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ) إنما كذب ضميرهم لأنهم أضمروا النفاق ، فكما لم يقبل إيمانهم وقد أظهروه ، فكذلك جعلهم كاذبين ، لأنهم أضمروا غير ما أظهروا .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ، إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)

يقول تعالى ذكره : اتخذ المنافقون أيمانهم جُنّة ، وهى حلفهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اتَّخَذُوا أيمانَهُمْ جُنَّةً) : أى حَلِفَهم جُنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً) قال : يجتنون بها ، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (اتَّخَذُوا أيمانَهُمْ جُنَّةً) يقول : حَلِفُهم بالله إنهم لمنكم جُنّة .

وقوله (جُنَّةً) : سُتْرة يسترون بها ، كما يستتر المستجنّ بجُنته فى حرب وقتال ، فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ، ويدفعون بها عنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنَّةً) ليعصموا بها دماءهم وأموالهم .

وقوله (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول : فأعرضوا عن دين الله الذى بَعَثَ به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وشريعته التى شرعها لخلقه (إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إن هؤلاء المنافقين الذين اتخذوا أيمانهم جنة ، ساء ما كانوا يعملون فى اتخاذهم أيمانهم جُنة ، لكذبهم ونفاقهم ، وغير ذلك من أمورهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ، فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)

يقول تعالى ذكره : إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جُنة ، من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله ، ثم كفروا بشكهم فى ذلك ، وتكذيبهم به .

وقوله (فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : فجعل الله على قلوبهم خَتْما بالكفر عن الإيمان ، وقد بيّنا فى موضع غير هذا ، صفة الطبع على القلب بشواهدها ، وأقوال أهل العلم ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) يقول تعالى ذكره : فهم لا يفقهون صوابا من خطأ ، وحقا من باطل ، لطبع الله على قلوبهم .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ على قُلُوبِهِمْ ، فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) أقرّوا بلا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى

* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللهُ ، أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم ، لاستواء خلقها ، وحسن صورها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : وإن يتكلموا تسمع كلامهم ، يشبه منطقهم منطق الناس (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) يقول : كأن هؤلاء المنافقين خُشُب مسنَّدة ، لا خير عندهم ، ولا فقه لهم ولا علم ، وإنما هم صور بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول .

وقوله (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من خُبْثهم وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم ، كلّ صيحة عليهم ، لأنهم على وَجَل أن يُنْزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم

ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك ، كلما نزل بهم من الله وحى على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعَطَبهم . يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : هم العدوّ يامحمد فاحذرهم ، فإن ألسنتهم إذا لَقُوكم معكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم .

وقوله (قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول : أخزاهم الله ، إلى أىّ وجه يصرفون عن الحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسمعته يقول فى قول الله (وَإِذَا رأيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسامُهُمْ) . . . الآية ، قال : هؤلاء المنافقون .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة خلا الأعمش والكسائى (خُشُبٌ) بضم الخاء والشين ، كأنهم وجهوا ذلك إلى جمع الجمع ، جمعوا الخشبة خِشَابا ، ثم جمعوا الخِشاب خُشُبا ، كما جمعت الثَّمرَة ثِمارا ، ثم ثُمُرا ؛ وقد يجوز أن يكون الخُشُب بضم الخاء والشين إلى أنها جمع خَشَبَة ، فتضمّ الشين منها مرّة ، وتسكن أخرى ، كما جمعوا الأكمة أُكُما وأُكْما ، بضم الألف والكاف مرّة ، وتسكين الكاف منها مرّة ، وكما قيل : البُدُن والبُدْن ، بضم الدال وتسكينها لجمع البَدَنة ، وقرأ ذلك الأعمش والكسائى (خُشْبٌ) بضم الخاء ، وسكون الشين .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وتسكين الأوسط فيما جاء من جمع فُعُلة على فُعْل فى الأسماء ، على ألسن العرب أكثر ، وذلك كجمعهم البَدَنة بُدْناً ، والأجمة أُجْما .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين : تعالَوا إلى رسول الله يستغفر لكم ، لوّوا رءوسهم ، يقول : حرّكوها وهزّوها ، استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وباستغفاره ، وبتشديد الواو من «لوّوا» قرأت القرّاء ، على وجه الخبر عنهم ، أنهم كرّروا هزّ رءوسهم وتحريكها وأكثروا ، إلاّ نافعا ، فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو « لَوَوْا » على وجه أنهم فعلوا ذلك مرّة واحدة .

والصواب من القول فى ذلك : قراءة من شدّد الواو ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (ورأيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يقول تعالى ذكره : ورأيتهم يُعْرِضون عما دُعوا إليه بوجوههم (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم ليستغفر لهم . وإنما عُنِى بهذه الآيات كلها ، فيما ذُكر ، عبدُ الله بن أُبىّ ابن سَلُول ، وذلك أنه قال

لأصحابه : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا ، وقال (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) فسمع بذلك زيد بن أرقم ، فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عما أُخبِر به عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لوأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يَلْوِى رأسه ، ويحرّكه استهزاء ، ويَعْنِى بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه السورة ، من أوّلها إلى آخرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الأخبار .

ذكر الرواية التى جاءت بذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : « خرجت مع عمى فى غَزَاة ، فسمعت عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول يقول لأصحابه : لاتنفِقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ . قال : فذكرت ذلك لعمى ، فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلىّ ، فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله عليّا رضى الله عنه وأصحابه ، فحلَفوا ماقالوا ، قال : فكذّبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابنى همّ لم يصبنى مثله قطّ ؛ فدخلت البيت ، فقال لى عمى : ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَقَتك ، قال : حتى أنزل الله عزّ وجلّ (إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ) ، قال : فبعث إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأها ، ثم قال : إن الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ صَدَّقَكَ يا زيد » .

حدثنا أبو كُرَيب والقاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا يحيى بن بُكير ، قال : ثنا شعبة ، قال الحكم : أخبرنى ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظىّ قال : سمعت زيد بن أرقم قال : « لما قال عبد الله بن أُبىّ ابن سَلُول ما قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا ، وقال : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ) قال : سمعته ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك ، فلامنى ناس من الأنصار ، قال : وجاء هو ، فحلف ما قال ذلك ، فرجعت إلى المنزل فنمت ، قال : فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بَلَغنى ، فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى قَدْ صدَّقَكَ وَعَذَرَكَ ، قال : فنزلت الآية (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا هاشم أبو النضر ، عن شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : سمعت زيد بن أرقم يحدّث بهذا الحديث .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن زيد بن أرقم ، قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فقال عبد الله بن أُبىّ ابن سلول (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : فأتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فحلف عبد الله بن أُبىّ إنه لم يكن شىء من ذلك ، قال : فلامنى قومى وقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال : فانطلقت فنمت كئيبا ، أو حزينا ، قال : فأرسل إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، أو أتيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنَّ اللهَ قَدْ أنْزَلَ عُذْرَكَ وَصَدَّقَكَ ، قال : ونزلت هذه الآية ، هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) . . . حتى بلغ (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، قال : أخبرنى ابن عَون ، عن محمد، قال: «سمعها زيد ابن أرقم ، فرفعها إلى وَالِيه ، قال: فرفعها وليه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، قال : فقيل لزيد : وَفَتْ أذنك » .

حدثنا أحمد بن منصور الرّمادىّ ، قال : ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى بشير بن مسلم : «أنه قيل لعبد الله بن أُبىّ ابن سلول : يا أبا حُباب ، إنه قد أنزل فيك آىٌ شِداد ، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك ، فلوى رأسه وقال : أمرتمونى أن أومن فآمنت ، وأمرتمونى أن أن أعطىَ زكاة مالى فأعطيت ، فما بقى إلا أن أسجد لمحمد » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا) . . . الآية كلها قرأها إلى (الفاسقينَ) أنزلت فى عبد الله بن أُبىّ ، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدّثه بحديث عنه ، وأمر شديد ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام ، فلاموه وعَذَلوه ، وقيل لعبد الله : لو أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يَلْوِى رأسه : أى لستُ فاعلا ، وكذب علىّ ، فأنزل الله ما تسمعون » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « فى قوله (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) : قال عبد الله بن أُبىّ ، قيل له تعالَ ليستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلوى رأسه وقال : ماذا قلت ؟ »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال له قومه : لو أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فاستغفر لك ، فجعل يلوى رأسه ، فنزلت فيه (وَإذَا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سواء يا محمد على هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم تعالوا

يستغفر لكم رسول الله (أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) ذنوبهم (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) : يقول : لن يصفح الله لهم عن ذنوبهم ، بل يعاقبهم عليها (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الفاسِقِينَ) يقول : إن الله لايوفّق للإيمان القوم الكاذبين عليه ، الكافرين به ، الخارجين عن طاعته .

وقد حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) قال : نزلت هذه الآية بعد الآية التى فى سورة التوبة (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على سبعين مرّة ، فأنزل الله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ، وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) يعنى المنافقين الذين يقولون لأصحابهم (لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) من أصحابه المهاجرين (حتى يَنْفَضُّوا) يقول : حتى يتفرّقوا عنه .

وقوله (وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يقول : ولله جميع ما فى السموات والأرض من شىء ، وبيده مفاتيح خزائن ذلك ، لايقدر أحد أن يعطى أحدا شيئا إلا بمشيئته (وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لايَفْقَهُونَ) أن ذلك كذلك ، فلذلك يقولون : لاتنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضُّوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) قال : لاتطعموا محمدا وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة ، فيتركوا نبيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) قرأها إلى آخر الآية . وهذا قول عبد الله بن أُبىّ لأصحابه المنافقين : لاتنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه ، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وَأَجَلَوْا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) : إن عبد الله بن أُبىّ ابن سلول قال لأصحابه ، لاتنفقوا على من عند رسول الله ، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) يعنى الرِّفد والمعونة ، وليس يعنى الزكاة المفروضة ، والذين قالوا هذا هم المنافقون .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما قال ابن أُبىّ ما قال ، أخبرت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فجاء فحلف ، فجعل الناس يقولون لى : تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب ؟ حتى جلست فى البيت ، مخافة إذا رأونى قالوا : هذا الذى يكذب ، حتى أُنزل (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ، وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم قبل : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) فيها ، ويعنى بالأعزّ : الأشدّ والأقوى ، قال الله جلّ ثناؤه (وللهِ العِزَّةُ) يعنى : الشدّة والقوّة (ولِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) بالله (وَلَكِنَّ المُنافِقِينَ لايعْلَمُونَ) ذلك .

وذُكر أن سبب قيلِ ذلك عبدُ الله بن أُبىّ ، كان من أجل أن رجلا من المهاجرين كَسَعَ رجلا من الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا زَمْعة ، عن عمرو ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، قال : إن الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين ، ثم إن المهاجرين كَثُرُوا ، فخرجوا فى غزوة لهم ، فكَسَع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فكان بينهما قتال إلى أن صَرَخ : يا معشر الأنصار ! وصرخ المهاجر : يا معشر المهاجرين ! قال : فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال ما لَكُمْ وَلِدَعْوَةِ الجاهِلِيَّةِ ؟ فقالوا : كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوها فإنها مُنْتِنَةٌ ، قال : فقال عبد الله بن أُبى ابن سلول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرِجَنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعنى فأقتلَه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايَتَحَدَّثِ النَّاسُ أنَّ رَسُولَ اللهِ يَقْتُلُ أصْحَابَهُ » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ) . . . إلى (وَلِلهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ) قال: قال ذلك: عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول الأنصارىّ رأس المنافقين ، وناس معه من المنافقين .

حدثنى أحمد بن منصور الرَّمادىّ، قال : ثنا إبراهيم بن الحكم ، قال: ثنى أبى ، عن عكرِمة : « أن عبد الله ابن أُبَيّ بن سَلول كان له ابن يقال له حُبَاب، فسماه رسول الله صلى الله عله وسلم عبد الله، فقال: يا رسول الله، إن والدى يؤذى الله ورسوله ، فذرنى حتى أقتلَه ، فقال له رسول الله صلى الله عله وسلم : لاتَقْتُلْ أباكَ عَبْدَ اللهِ . ثم جاء أيضا فقال : يا رسول الله إن والدى يؤذى الله ورسوله ، فذرنى حتى أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتَقْتُلْ أباكَ ، فقال: يا رسول الله، فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك، لعلّ قلبه أن يلين ، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه ، فذهب به إلى أبيه فسقاه ، ثم قال له : هل تدرى ما سقيتك؟ فقال له والده: نعم ، سقيتنى بول أمك ، فقال له ابنه : لا والله ، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال عكرِمة : وكان عبد الله بن أُبَيّ عظيم الشأن فيهم . وفيهم أنزلت هذه الآية فى المنافقين : (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتى يَنْفَضُّوا) وهو الذى قال: (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ، أخذ ابنُه السيف، ثم قال لوالده : أنت تزعم « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ » ، فوالله لاتدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى لله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله « أن رجلا من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار برجله ، وذلك فى أهل اليمن شديد ، فنادى يا للمهاجرين ، يا للأنصار ؛ قال: والمهاجرون يومئذ أكثر من الأنصار ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: دَعُوها فإنّها مُنْتِنَةٌ ، فقال عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول : (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) » .

حدثنى عمران بن بكار الكَلاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا علىّ بن سليمان ، قال : ثنا أبو إسحاق « أن زيد بن أرقم ، أخبره أن عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول قال (لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتى يَنْفَضُّوا) وقال: (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ)، قال: فحدثنى زيد أنه أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول عبد الله بن أُبَيّ ، قال : فجاء فحلف عبد الله ابن أُبَيّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك ؛ قال أبو إسحاق : فقال لى زيد ، فجلست فى بيتى ، حتى أنزل الله تصديق زيد ، وتكذيب عبد الله فى إذا جاءك المنافقون » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قرأ الآية كلَّها إلى (لايَعْلَمُونَ) قال : قد قالها منافق عظيم النفاق فى رجلين اقتتلا : أحدهما غفارىّ، والآخر جُهَنِىّ . فظهر الغفارىّ على الجُهنىّ، وكان بين جُهينة والأنصار حِلْف ، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أُبَيّ: يا بنى الأوس، يا بنى الخزرج ، عليكم صاحبَكم وحليفكم،

ثم قال : والله ما مثلُنا ومثَلُ محمد إلا كما قال القائل : « سَمِّن كلبك يأكلك » ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فسعى بها بعضهم إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : يا نبيّ الله مُر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق ، فقال : لايتحدّثُ النّاسُ أنّ مُحمّدًا يَقْتُلُ أصحابَهُ ».

ذُكر لنا أنه كان أُكْثِر على رجل من المنافقين عنده ، فقال : هل يصلى ؟ فقال : نعم ، ولا خير فى صلاته ، فقال : نُهيت عن المصلين ، نُهيت عن المصلين » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : «اقتتل رجلان ، أحدهما من جُهينة ، والآخر من غفار ، وكانت جهينة حليفَ الأنصار ، فظهر عليه الغفاريّ ، فقال رجل منهم عظيم النفاق : عليكم صاحبَكم ، عليكم صاحبَكم ، فوالله ما مثَلُنا ومثَل محمد إلا كما قال القائل : « سَمِّن كلبك يأكلك » ، أماّ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، وهم فى سفر ؛ فجاء رجل ممن سمعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ذلك ، فقال عمر : مُر معاذا يضرب عنقه ، فقال : والله لايتحدّثُ النّاسُ أنّ مُحمّدًا يقتُلُ أصحابَهُ ، فنزلت فيهم (هُمُ الّذين يَقُولُونَ لاتُنْفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ) » .

وقوله (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن « أن غلاما جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنى سمعت عبد الله بن أُبىّ يقول كذا وكذا ؛ قال : فلَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ ، قال : لا . والله لقد سمعته يقوله ؛ قال : فلَعَلَّكَ أخْطأَ سَمْعُكَ ؟ قال : لا والله يا نبيّ الله ، لقد سمعته يقوله ، قال : فلَعَلَّهُ شُبِّهَ عَلَيْكَ ، قال : لا والله ، قال : فأنزل الله تصديقا للغلام (لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام ، فقال : وَفَتْ أُذُنُكَ ، وَفَتْ أُذُنُكَ يا غُلامُ » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ) قال : كان المنافقون يسمون المهاجرين : الجلابيب ؛ وقال : قال ابن أُبىّ : قد أمرتكم فى هؤلاء الجلابيب أمرى ، قال : قال هذا بين أَمَجٍ وعُسْفان على الكَدِيد تنازعوا على الماء ، وكان المهاجرون قد غلبوا على الماء ؛ قال : وقال ابن أُبىّ أيضا : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، لقد قلت لكم : لاتنفقوا عليهم ، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون ، ويخرجوا ويهربوا . فأتى عمر بن الخطاب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أُبىّ ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبره وقال : دعنى أضرب عنقه ، يا رسول الله ، قال : إذاً تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِبَ ، قال عمر : فإن كرهت يارسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين ، فمر به سعد بن مُعاذ ، ومحمد بن مَسلمة فيقتلانه ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنّى أكْرَهُ أنْ يَتَحَدَّثَ النّاسُ أنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أصحابَهُ ، ادْعُوا لى عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ، فدعاه ، فقال : أَلا تَرَى ما يَقُولُ أبُوكَ ؟

قال : وما يقول بأبى أنت وأمى؟ قال : يَقُولُ : لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ : فقال : فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الأعزّ وهو الأذلّ ، أما والله لقد قَدِمتَ المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ منى ، ولئن كان يُرضى الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتِيَنَّهما به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ؛ فلما قَدِموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله بن أُبىّ على بابها بالسيف لأبيه ؛ ثم قال : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، أما والله لتعرِفنّ العزّةُ لك أولرسول الله ، والله لايأويك ظلّه ، ولا تأويه أبدا إلا بإذن من الله ورسوله ؛ فقال : يا للخزرج ابنى يمنعنى بيتى ، يا للخزرج ابنى يمنعنى بيتى ، فقال : والله لاتأويه أبدا إلا بإذن منه ؛ فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لايدخله إلا بإذن من الله ورسوله ، فأتوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : اذْهَبُوا إلَيْهِ ، فَقُولُوا لَهُ خَلِّهِ ومَسْكَنَهُ ؛ فأتوه ، فقال : أما إذا جاء أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم فنعم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سَلَمة وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر ، وعن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : كلّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : « بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار أبوجُوَيرية بنت الحارث زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم ، يقال له المريسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناس فاقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم الله عليه ، وقد أصيب رجل من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له هشام بن صبابة . أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ ، فبينا الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غِفار ، يقال له جَهْجاه بن سعيد [1] يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجاه وسنان الجُهَنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجُهَنىّ : يا معشر الأنصار ، وصرخ جَهجاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أُبىّ ابن سَلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ، غلام حديث السنّ ، فقال : قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أَعَدْنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : « سَمِّن كلبك يأكلك » ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ، لتحوّلوا إلى غير بلادكم ، فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غزوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يارسول الله مُر به عَبَّاد بن بشر بن وَقْش فليقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَكَيْفَ يا عُمَرُ إذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أنَّ

(١) الذى فى سيرة ابن هشام ابن مسعود .

مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ، لا ، وَلَكِنْ أَذِّنَ بالرَّحِيلِ ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبَىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلَّغه ماسمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ، ولاتكلمت به ؛ وكان عبد الله بن أُبَىّ فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أَوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبا على عبد الله بن أُبَىّ ، ودفعا عنه ؛ فلما استقلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضَير ، فحياه بتحية النبوّة ، وسلم عليه ، ثم قال : يا رسول الله ، لقد رُحتَ فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَ ما بَلَغَكَ ما قالَ صَاحِبُكُمْ ؟ قال : فأىّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىٍّ ، قال : وما قال ؟ قال : زَعَمَ أنَّه إنْ رَجَعَ إلى المَدِينَةِ أخْرَجَ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ ؛ قال أسيد : فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ارفُق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا . ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبَىّ ، ثم راح بالناس ، وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز فُويق النَّقيع ، يقال له نَقْعاء ؛ فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبَّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتَخافُوا فإنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الكُفَّارِ ؛ فلما قَدِموا المدينة وجدوا رفاعةَ بن زيد بن التابوت أحد بنى قَينُقاع وكان من عظماء يهود ، وكَهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ، فنزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أُبَىّ بن سلول ، ومن كان معه على مثل أمره ، فقال (إذَا جاءَكَ المُنافِقُونَ) ، فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد فقال : هَذَا الَّذِى أوْفَى اللهَ بأُذُنِهِ ، وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَىّ الذى كان من أبيه » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة « أن عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا ، فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيره فيقتله ، فلا تَدَعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَىّ يمشى فى الناس فأقتلَه ، فأقتلَ مؤمنا بكافر ، فأُدخَلَ النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلْ نَرْفُقُ بِهِ ، ونُحْسِنُ صُحْبَتَهُ ما بَقِىَ مَعَنا ، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويُعَنِّفونه ويتوعدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ ، أما وَاللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أمَرْتَنِى

بقتله لأرعدت له آنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال : فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى » .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ) يقول : لا توجب لكم أموالكم (وَلا أَوْلادُكُمْ) اللهو (عَنْ ذِكْرِ اللهِ) وهو من ألهيته عن كذا وكذا ، فلها هو يلهو لهوا ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ (١)

وقيل : عُنِى بذكر الله جلّ ثناؤه فى هذا الموضع : الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) قال : الصلوات الخمس .

وقوله (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ) يقول : ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله (فأُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ) يقول : هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) .

يقول تعالى ذكره : وأنفقوا أيها المؤمنون بالله ورسوله من الأموال التى رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول إذا نزل به الموت : يا ربّ هلا أخرتنى فتُمهِلَ لى فى الأجل إلى أجل قريب . فأصدّق : يقول : فأزكى مالى (وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : وأعملَ بطاعتك ، وأؤدّىَ فرائضك .

وقيل : عنى بقوله (وأكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) وأحجّ بيتك الحرام .

---

(١) البيت لأمرئ القيس . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (١٧ : ١١٤) وشرحناه هناك شرحا مفصلا ، فراجعه . وموضع الشاهد فيه هنا قوله « فألهيتها » وأصله من اللهو ، وهو ماهوت به ولعبت به وشغلك . من هوى وطرب ونحوهما ، يقال : لهوت بالشىء ألهو به لهوا ، وتلهيت به : إذا لعبت به وتشاغلت ، وغفلت به عن غيره . وتقول : ألها فى فلان عن كذا : أى شغلنى وأنسانى ، وكأن الهمزة فيه للسلب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس وسعيد بن الربيع ، قال سعيد ، ثنا سفيان ، وقال يونس : أخبرنا سفيان ، عن أبى جناب عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، قال : ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ ، « إلا سأل الكرّة ، فقالوا : يا أبا عباس لاتزال تأتينا بالشىء لانعرفه ؛ قال : فأنا أقرأ عليكم فى كتاب الله (وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) قال : أؤدّى زكاة مالى (وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : أحجّ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن رجل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : ما يمنع أحدَكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكى ، وإذا أطاق الحجّ أن يَحُجّ من قبل أن يأتيه الموت ، فيسأل ربه الكرّة فلا يُعطاها ، فقال رجل : أما تتقى الله ، يسأل المؤمنُ الكرّة؟ قال : نعم ، أقرأ عليكم قرآنا ، فقرأ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) فقال الرجل : فما الذى يوجب علىّ الحجّ ، قال : راحلة تحمله ، ونفقة تبلغه » .

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدىّ وفضالة بن الفضل ، قال عباد : أخبرنا يزيد أبو حازم مولى الضحاك .

وقال فضالة : ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم فى قوله (لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) قال : فأتصدّق بزكاة مالى (وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : الحجّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) إلى آخر السورة : هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه ، ولم يحجّ منه ، ولم يعط منه حق الله ، يسأل الرجعة عند الموت فيزكى ماله ، قال الله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « قوله (لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) . . . إلى قوله (وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) قال : هو الرجل المؤمن إذا نزل به الموت وله مال لم يزكه ولم يحجّ منه ، ولم يعط حقّ الله فيه ، فيسأل الرجعة عند الموت ليتصدّق من ماله ويزكى ، قال الله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : الزكاة والحج .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير ابن محيصن وأبى عمرو : وأكن ، جزما عطفا بها على تأويل قوله (فأَصَّدَّقَ) لو لم تكن فيه الفاء ، وذلك أن قوله (فأَصَّدَّقَ) لو لم تكن فيه الفاء كان جزما ؛ وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو (وأَكُونَ) بإثبات الواو

ونصب (وأكونَ) عطفا به على قوله (فأصَّدَّقَ) فنصب قوله (وأكُونَ) إذ كان قوله (فأصَّدَّقَ) نصبا والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسا إذَا جاءَ أجَلُها) يقول : لن يؤخر الله فى أجل أحد فيمدّ له فيه إذا حضر أجله ، ولكن يحترمه (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول : والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده ، هو بجميعها محيط ، لايخفى عليه شىء ، وهو مجازيهم بها ، المحسنَ بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته .

آخر تفسير سورة المنافقين

تفسير سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)

يقول تعالى ذكره : يسجد له ما فى السموات السبع وما فى الأرض من خلقه ويعظمه .

وقوله (لَهُ المُلْكُ) يقول تعالى ذكره : له ملك السموات والأرض ، وسلطانه ماض قضاؤه فى ذلك ، نافذ فيه أمره .

وقوله (وَلَهُ الْحَمْدُ) يقول : وله حمد كلّ ما فيها من خلق ، لأن جميع من فى ذلك من الخلق لايعرفون الخير إلا منه ، وليس لهم رازق سواه ، فله حمد جميعهم (وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على كلّ شىء ذو قدرة ، يقول : يخلق ما يشاء ، ويميت من يشاء ، ويغنى من أراد ، ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء ، ويذلّ من يشاء ، لايتعذّر عليه شىء أراده ، لأنه ذو القدرة التامة التى لايُعْجزه معها شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)

يقول تعالى ذكره : الله (الَّذِى خَلَقَكُمْ) أيها الناس ، وهو من ذكر اسم الله (فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) يقول : فمنكم كافر بخالقه وأنه خلقه ؛ ومنكم مؤمن : يقول : ومنكم مصدّق به موقن أنه خالقه أو بارئه (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول : والله الذى خلقكم بصير بأعمالكم عالم بها ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم بها ، فاتقوه أن تخالفوه فى أمره أو نهيه ، فيسطوَ بكم .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا حسن بن موسى الأشيب ، قال : ثنا ابن لَهِيعة ، قال : ثنا بكر بن سوادة ، عن أبى تميم الجيشانىّ ، عن أبى ذرّ : « إن المَنِىّ إذا مكث فى الرحم أربعين ليلة ، أتى ملك

النفوس ، فعرج به إلى الجبار فى راحته ، فقال : أى ربّ عبدك هذا ذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله إليه ماهو قاض ، ثم يقول : أى ربّ أشقىّ أم سعيد ؟ فيكتب ما هولاق . قال : وقرأ أبوذرّ فاتحة التغابن خمس آيات »

القول فى تأويل قوله تعالى

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ، وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣)

⁂ يقول تعالى ذكره : خلق السموات السبع والأرض بالعدل والإنصاف ، وصوّركم : يقول : ومثلكم فأحسن مثلكم . وقيل : إنه عُنِى بذلك تصويره آدم ، وخلقه إياه بيده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بالحَقّ ، وَصَوَّرَكُمْ فأحْسَنَ صُوَرَكُمْ) يعنى آدم خلقه بيده .

وقوله (وَإلَيْهِ المَصِيرُ) يقول : وإلى الله مرجع جميعكم أيها الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : يعلم ربكم أيها الناس ما فى السموات السبع والأرض من شىء ، لايخفى عليه من ذلك خافية (وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ) أيها الناس بينكم من قول وعمل (وَما تُعْلِنُونَ) من ذلك فتظهرونه (وَاللهُ عَلِيمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ) يقول جلّ ثناؤه : والله ذوعلم بضمائر صدور عباده ، وما تنطوى عليه نفوسهم ، الذى هو أخفى من السرّ ، لايعزُب عنه شىء من ذلك ، يقول تعالى ذكره لعباده : احذَروا أن تسرّوا غير الذى تعلنون ، أو تضمروا فى أنفسكم غير ما تُبدونه ، فإن ربكم لايخفى عليه من ذلك شىء ، وهو مُحْصٍ جميعه ، وحافظ عليكم كله .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ، فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ، فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ، وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش : ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم ، وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط (فَذَاقُوا وَبَالَ أمْرِهِمْ) فسمّهم عذاب الله إياهم على كفرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم عذاب مؤلم موجع يوم القيامة فى نار جهنم ، مع الذى أذاقهم الله فى الدنيا وبال كفرهم

وقوله (ذلكَ بأنَّهُ كانَتْ تأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ) يقول جلّ ثناؤه : هذا الذى نال الذين كفروا من قبل هؤلاء المشركين من وبال كفرهم ، والذى أعدّ لهم ربهم يوم القيامة من العذاب ، من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ، الذين أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة ، والإعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه ، فقالوا لهم : أبشر يهدوننا ، استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم ، واستكبارا عن اتباع الحقّ ، من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه ، وجمع الخبر عن البشر ، فقيل : يهدوننا ، ولم يقل : يهدينا ، لأن البشر ، وإن كان فى لفظ الواحد ، فإنه بمعنى الجميع .

وقوله (فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) يقول : فكفروا بالله ، وجحدوا رسالة رسله الذين بعثهم الله إليه استكبارا. (وتَوَلَّوا) : يقول : وأدبروا عن الحقّ فلم يقبلوه ، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم (واسْتَغْنَى اللهُ) يقول : واستغنى الله عنهم ، وعن إيمانهم به وبرسله ، ولم تكن به إلى ذلك منهم حاجة . (وَاللهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ) يقول : والله غنىّ عن جميع خلقه ، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم ، وكريم فعاله فيهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره : زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم. وكان ابن عمر يقول : زعم كنية الكذب .

حدثنى بذلك محمد بن نافع البصرىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن سفيان ، عن بعض أصحابه ، عن ابن عمر .

وقوله (قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ) : يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : بلى وربى لتبعثنّ من قبوركم (ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) يقول : ثم لتخبرُنّ باعمالكم التى عملتموها فى الدنيا ، (وَذلكَ على اللهِ يَسِيرٌ) يقول : وبعثكم من قبوركم من بعد مماتكم على الله سهل هين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ، وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : فصدّقوا بالله ورسوله أيها المشركون المكذّبون بالبعث ، وبإخباره إياكم أنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، وأنكم من بعد بلائكم تُنْشَرون من قبوركم (والنُّورِ الَّذِى أنْزَلْنا) : يقول : وآمنوا بالنور الذى أنزلنا ، وهو هذا القرآن الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله بأعمالكم أيها الناس ذو خبرة ، محيط بها ، محصٍ جميعها ، لا يخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيكم على جميعها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ، ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ، ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره : والله بما تعملون خبير (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ) الخلائق للعَرْض (ذلكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) يقول : الجمع يوم غَبْن أهل الجنة أهلَ النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ذَلك يَوْمُ التَّغابُنِ) قال : هو غَبْنُ أهل الجنة أهلَ النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ) هو يوم القيامة ، وهو يوم التغابن : يوم غَبَن أهلِ الجنة أهلَ النار .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذلكَ يَوْمُ التَّغابُنِ) من أسماء يوم القيامة ، عظَّمه وحذّره عباده .

وقوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحا) يقول تعالى ذكره : ومن يصدّقْ بالله ، ويعمل بطاعته ، وينته إلى أمره ونهيه (يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ) يقول : يمحُ عنه ذنوبه (وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : ويُدخله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار .

وقوله (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) يقول : لابثين فيها أبدا ، لايموتون ، ولا يخرجون منها .

وقوله (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : خلودهم فى الجنات التى وصفنا النجاءُ العظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

يقول تعالى ذكره : والذين جحدوا وحدانية الله ، وكذّبوا بأدلته وحججه وآى كتابه الذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (أُولَئِكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ) يقول : ماكثين فيها أبدا ، لايموتون فيها ، ولا يخرجون منها (وَبِئْسَ المَصِيرُ) يقول : وبئس الشىء الذى يُصَار إليه جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : لم يصب أحدا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يقول : ومن يصدّق بالله فيعلم أنه لاأحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله ، بذلك يهد قلبه . يقول : يوفّق الله قلبه بالتسليم لأمره ، والرضا بقضائه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يعنى : يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الوشّاء الأودىّ ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيان : قال : كنا عند علقمة ، فقرئ عنده هذه الآية (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) فسئل عن ذلك ، فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيسلم ذلك ويرضى .

حدثنى عيسى بن عثمان الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبيان ، قال : كنت عند علقمة وهو يعرض المصاحف ، فمرّ بهذه الآية (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل . . . ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن علقمة ، فى قوله (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) قال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضَى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن مهدىّ ، عن الثورىّ ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن علقمة مثله ، غير أنه قال فى حديثه : فيعلم أنها من قضاء الله ، فيرضَى بها ويسلم .

وقوله (وَاللهُ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله بكلّ شىء ذو علم ، بما كان ويكون : ومما هو كائن من قبل أن يكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٢) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (وَأَطِيعُوا اللهَ) أيها الناس فى أمره ونهيه ، (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) صلى الله عليه وسلم

(فإن تولّيتم) فإن أدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله ، مستكبرين عنها ، فلم تطيعوا الله ولا رسوله (فَلَيْسَ عَلَى رَسُولِنَا) محمد (إلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ) أنه بلاغ إليكم لما أرسلته به ، يقول جلّ ثناؤه : فقد أعذر إليكم بالإبلاغ ، والله ولىّ الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره ، وتولّى عنه (اللهُ لا إلهَ إلاَّ هو) يقول جلّ ثناؤه : معبودكم أيها الناس معبود واحد ، لاتصلح العبادة لغيره ، ولا معبود لكم سواه .

(وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدّقون بوحدانيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ، وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوا لَكُمْ) يصدّونكم عن سبيل الله ، ويثبطونكم عن طاعة الله (فاحْذَرُوهُمْ) أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به من ترك طاعة الله .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى قوم كانوا أرادوا الإسلام والهجرة ، فثبّطهم عن ذلك أزواجهم وأولادهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، وعبيدُ الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : سأله رجل عن هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : هؤلاء رجال أسلموا ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجُهم وأولادهم أن يدَعوهم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأوا الناس قد فقهوا فى الدين ، هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله جلّ ثناؤه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ) . . . الآية .

حدثنا هَنّاد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سِماك ، عن عكرِمة ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : كان الرجل يريد أن يأتى النبىّ صلى الله عله وسلم ، فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا ؟ قال : وإذا أسلم وفَقِه ، قال : لأرجعنّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر ، فلأفعلنّ ولأفعلنّ ، فأنزل الله جلّ ثناؤه (وَإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) : كان الرجل

إذا أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة تمنعه زوجته وولده ، ولم يألُوا يثبطوه عن ذلك ، فقال الله : إنهم عدوّ لكم فاحذروهم ، واسمعوا وأطيعوا ، وامضُوا لشأنكم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا مُنِع وثُبط مرّ بأهله وأقسم ، والقسم يمين ، ليفعلنّ وليعاقبنّ أهله فى ذلك ، فقال الله جلّ ثناؤه (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا ، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة التغابن كلها بمكة ، إلا هؤلاء الآيات (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) نزلت فى عوف بن مالك الأشجعىّ ، كان ذا أهل وولد ، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه ، فقالوا : إلى من تَدَعنا ؟ فيرقّ ويقيم ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) . . . الآية كلها بالمدينة فى عوف بن مالك ، وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : إنهما يحملانه على قطيعة رحمه ، وعلى معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) . . الآية ، قال : منهم من لا يأمر بطاعة الله ، ولا ينهى عن معصيته ، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الجهاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ) قال : يَنهون عن الإسلام ، ويُبَطِّئون عنه ، وهم من الكفار ، فاحذروهم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُمْ وأوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) . . . الآية ، قال : هذا فى أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحىّ ، فيخرجون من عشائرهم ، ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم ، عامدين إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم ، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم ، ولا يؤثروا عليهم غيرهم ، فمنهم من يَرِقّ ويرجع إليهم ، ومنهم من يمضى حتى يلحق بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن ناجية وزيد بن حباب ، قالا : ثنا يحيى بن واضح جميعا ، عن

الحسين بن واقد ، قال : ثنى عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذهما فرفعهما ، فوضعهما فى حجْره ، ثم قال : صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، رأيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ ، ثم أخذ فى خطبته » اللفظ لأبى كريب ، عن زيد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) قال : يقول : عدوّا لكم فى دينكم ، فاحذروهم على دينكم .

حدثنى محمد بن عمر وبن علىّ المقدمىّ ، قال : ثنا أشعث بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، فى قوله (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) قال : كان الرجل يسلم ، فيلومه أهله وبنوه ، فنزلت (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوا لَكُمْ) .

وقوله (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا) يقول : وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدّهم إياكم عن الإسلام والهجرة ، وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك ، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب (فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ) لكم لمن تاب من عباده من ذنوبكم (رَحِيمٌ) بكم أن يعاقبكم عليها من بعد توبتكم منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة ، يعنى بلاء عليكم فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) يقول : بلاء .

وقوله (وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول : والله عنده ثواب لكم عظيم ، إذا أنتم خالفتم أولادكم وأزواجكم فى طاعة الله ربكم ، وأطعتم الله عزّ وجلّ ، وأدّيتم حقّ الله فى أموالكم ، والأجر العظيم الذى عند الله : الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) ، وهى الجنة .

وقوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) يقول تعالى ذكره : واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا عقابه ، وتجنبوا عذابه ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، والعمل بما يقرّب إليه ما أطقتم ، وبلغه وسعكم .

وذُكر أن قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) نزل بعد قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) تخفيفا عن المسلمين ، وأن قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) ناسخ قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسْمَعُوا وأطِيعُوا) هذه رخصة من الله ، والله رحيم بعباده ، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى ، ثم خفّف الله تعالى ذكره عن عباده ، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال : فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا فيما استطعتم يا بن آدم ، عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) قال : نسختها (اتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) .

وقد تقدم بياننا عن معنى الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وليس فى قوله (فاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ) دلالة واضحة على أنه لقوله (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ) ناسخ ، إذ كان محتملا قوله اتقوا الله حقّ تقاته فيما استطعتم ، ولم يكن بأنه له ناسخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب استعمالهما جميعا على مايحتملان من وجوه الصحة .

وقوله (واسْمَعُوا وأطِيعُوا) يقول : واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأطيعوه فيما أمركم به ، ونهاكم عنه (وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأنْفُسِكُمْ) يقول : وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم ، تستنقذوها من عذاب الله ، والخير فى هذا الموضع المال .

وقوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول تعالى ذكره : ومن يَقِه الله شُحّ نفسه ، وذلك اتباع هواها فيما نهى الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى أبومعاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) يقول : هوى نفسه حيث يتبع هواه ولم يقبل الإيمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن ابن مسعود (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال : أن يعمد إلى مال غيره فيأكله .

وقوله (فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : فهؤلاء الذين وُقُوا شحّ أنفسهم ، المُنْجِحُون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) .

يقول تعالى ذكره : وإن تنفقوا فى سبيل الله ، فتحسنوا فيها النفقة ، وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب يضاعف ذلك لكم ربكم ، فيجعل لكم مكان الواحد سبع مئة ضعف إلى أكثر من ذلك مما يشاء من التضعيف (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فيصفح لكم عن عقوبتكم عليها مع تضعيفه نفقتكم التى تنفقون فى سبيله (وَاللهُ شَكُورٌ) يقول : والله ذو شكر لأهل الإنفاق فى سبيله ، بحسن الجزاء لهم على ما أنفقوا فى الدنيا فى سبيله (حَلِيمٌ) يقول : حليم عن أهل معاصيه ، بترك معاجلتهم بعقوبته (عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) يقول : عالم ما لا تراه أعين عباده ، ويغيب عن أبصارهم ، وما يشاهدونه فيرونه بأبصارهم (العَزِيزُ) يعنى الشديد فى انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ونهيه (الْحَكِيمُ) فى تدبيره خلقه ، وصرفه إياهم فيما يصلحهم .

آخر تفسير سورة التغابن

تفسير سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ، وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ، وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ، لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ، لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ، وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ، ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ، وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ، إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ، قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا (٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) : يقول : إذا

طلقتم نساءكم فطلقوهن لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن ، طاهرا من غير جماع ، ولا تطلقوهن بحيضهن الذى لايعتددن به من قرئهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : الطلاق للعدة : طاهرا من غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : بالطُّهر فى غير جماع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : إذا طلقتم قال : الطهر فى غير جماع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا من غير جماع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن داود بن حُصَين ، عن عكرمة عن ابن عباس ، أنه كان يرى طلاق السنة طاهرا من غير جماع ، وفى كل طُهْر ، وهى العدة التى أمر الله بها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، أن رجلا سأل ابن عباس ، فقال : إنه طلق امرأته مئة ، فقال : عَصَيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، ولم تتق الله ، فيجعل لك مخرجا ، وقرأ هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) ، وقال (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِى قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس بنحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، قال : ثنا أيوب ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فجاءه رجل ، فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فسكت حتى ظننا أنه رادّها عليه ، ثم قال : ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ، ثم يقول : يابن عباس يابن عباس ، وإن الله عزّ وجلّ قال : (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) وإنك لم تتق الله ، فلا أجدُ لك مخرجا ، عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك ، قال الله (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِى قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت مجاهدا يحدّث عن ابن عباس فى هذه الآية (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال ابن عباس : فى قُبُل عدتهن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أُمية ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، أنه قرأ (فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ) .

حدثنا العباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا فى غير جماع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، فى قوله (فَطَلِّقوهنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا من غير حيض ، أو حاملا قد استبان حملها .

قال : ثنا هارون ، عن عيسى بن يزيد بن دَأْب ، عن عمرو ، عن الحسن وابن سيرين ، فيمن أراد أن يطلِّق ثلاث تطليقات جميعا فى كلمة واحدة ، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها فى قُبُل عدتها ، كما أمره الله ، وكانا يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة ، أو تطليقتين ، أو ثلاثا ، إذا كان بغير العدّة التى ذكرها الله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، أنه قال فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : يطلقها وهى طاهر من غير جماع ، أو حبَل يستبين حملها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) : قال : لطهرهنّ .

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قول الله : (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : العِدّة : القُرْء ، والقُرْء : الحيض والطاهر : الطاهر من غير جماع ، ثم تستقبل ثلاث حيَض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) والعدة : أن يطلقها طاهرا من غير جماع ، تطليقة واحدة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : إذا طَهُرت من الحيض فى غير جماع ، قلت : كيف ؟ قال : إذا طهرت فطلِّقها من قبل أن تمسها ، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى ، تركتها حتى تحيض حيضة أخرى ، ثم طلقها إذا طهرت الثانية ، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض ، فإذا طَهُرت طلقها الثالثة ، ثم تعتدّ حَيْضة واحدة ، ثم تنكح إن شاءت .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وقال ابن طاوس : إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر ، قبل أن تمسها ، تطليقة واحدة ، لا ينبغى لك أن تزيد عليها ، حتى تخلوَ ثلاثة قروء ، فإن واحدة تبينها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : طلِّقها طاهرا من غير جماع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)

قال : إذا طلقتها للعدّة كان مِلكُها بيدك ، مَن طلق للعدة جعل الله له فى ذلك فسحة ، وجعل له مِلْكا : إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضى العدة ارتجع .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طاهرا فى غير جماع ، فإن كانت لاتحيض ، فعند غُرَّة كل هلال .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : طلّقت امرأتى وهى حائض ؛ قال : فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك ، فقال : مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها حتى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إنْ شاءَ طَلَّقَها قَبْلَ أنْ يُجامِعَها ، وَإنْ شاءَ أمْسَكَها ، فإنَّها العِدَّةُ التى قال اللهُ عزَّ وَجَلَّ » .

قال : ثنا ابن إدريس ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته وهى حائض ، فسأل عمرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْها ، ثُمَّ لِيُمْسِكْها حتى تَطْهُرَ ، ثُمَّ تَحِيضَ ، ثُمَّ تَطْهُرَ ، ثُمَّ إنْ شاءَ أمْسَكَها ، فَتِلْكَ العِدَّةُ التى أمَرَ اللهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر « أنه طلق امرأته حائضا ، فأتى عمرُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فأمره أن يراجعها ، ثم يتركها حتى إذا طهرت ثم حاضت طلقها ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : فَهِىَ العِدَّةُ التى أمَرَ اللهُ أنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّساءُ » : يقول : حين يطهرن .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) يقول : لايطلقها وهى حائض ، ولا فى طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة ، فإن كانت تحيض فعدتها ثلاث حِيَض ، وإن كانت لاتحيض فعدتها ثلاثة أشهر ، وإن كانت حاملا ، فعدتها أن تضع حملها .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سَلَمة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، سُئل عن قول الله : (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) قال : طلاق السنة أن يطلّق الرجل امرأته وهى فى قُبُل عِدتِها ، وهى طاهر من غير جماع ، واحدة ، ثم يدعها ، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، وإن أراد أن يطلقها ثلاثا طلقها واحدة فى قُبُل عدتها ، وهى طاهر من غير جماع ، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم يدعها ، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى ، ثم لاتحلّ له حتى تنكح زوجا غيره .

ذُكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب طلاقه حَفْصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر تطليقة ، فأنزلت هذه الآية (يا أيُّها النَّبِيُّ إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) فقيل : راجعها ، فإنها صوّامة قوّامة ، وإنها من نسائك فى الجنة .

وقوله (وأحْصُوا العِدَّةَ) يقول : وأحصُوا هذه العدّة وأقراءَها فاحفظوها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وأحْصُوا العِدَّةَ) قال : احفظوا العدّة .

وقوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) يقول : وخافوا الله أيها الناس ربكم ، فاحذروا معصيته أن تتعدّوا حدّه ، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهنّ من بيوتهنّ التى كنتم أسكنتموهنّ فيها قبل الطلاق حتى تنقضى عدتهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) ، حتى تنقضى عدتهنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : قال عطاء : إن أذن لها أن تعتدّ فى غير بيته ، فتعتدّ فى بيت أهلها ، فقد شاركها إذن فى الإثم . ثم تلا (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : قلت هذه الآية فى هذه ؟ قال : نعم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حَيْوة بن شُرَيح ، عن محمد بن عَجْلان ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر كان يقول فى هذه الآية (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها قبل انقضاء العدّة ، قال ابن عَجْلان عن زيد بن أسلم : إذا أتت بفاحشة أُخْرِجَتْ .

وحدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ ، قال : ثنا المحاربىّ ، عبد الرحمن بن محمد ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : ليس لها أن تخرج إلا بإذنه ، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت فى العدّة ، فإن خرجت فلا سُكْنَى لها ولا نفقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ) قال : هى المطلقة ، لا تخرج من بيتها ، مادام لزوجها عليها رجعة ، وكانت فى عدّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ) وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثا .

وقوله (وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) يقول جلّ ثناؤه : لاتخرجوهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة أنها فاحشة لمن عاينها أو علمها .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفاحشة التى ذكرت فى هذا الموضع ، والمعنى الذي من أجله أذن الله بإخراجهنّ فى حال كونهنّ فى العدّة من بيوتهنّ ، فقال بعضهم : الفاحشة التى ذكرها الله فى هذا الموضع هو الزنا ، والإخراج الذى أباح الله ، هو الإخراج لإقامة الحدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله : (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : الزنا ، قال : فتُخْرَج ليُقام عليها الحدّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن صالح بن مسلم ، قال : سألت عامرا ، قلت : رجل طلق امرأته تطليقة أيخرجها من بيتها ؟ قال : إن كانت زانية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : إلا أن يزنين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : قال الله جلّ ثناؤه : (وَاللاَّتِى يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ) قال : هؤلاء المحصنات ، (فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أربعةً مِنْكُمْ) . . . الآية . قال : فجعل الله سبيلهنّ الرجم ، فهى لاينبغى لها أن تخرج من بيتها إلا أن تأتى بفاحشة مبينة ، فإذا أتت بفاحشة مبينة أخرجت إلى الحدّ فرُجمت ، وكان قبل هذا للمحصنة الحبس تحبس فى البيوت لا تترك تنكح ، وكان للبِكْرين الأذى ، قال الله جلّ ثناؤه : (وَاللَّذَانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فآذُوهُما) يا زان ، يا زانية ، (فإنْ تابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُما ، إنَّ اللهَ كانَ تَوَّابا رَحِيماً) قال : ثم نُسخ هذا كله ، فجعل الرجم للمحصنة والمحصن ، وجعل جلد مئة للبِكْرين ، قال : ونسخ هذا .

وقال آخرون : الفاحشة التى عناها الله فى هذا الموضع : البَذَاء على أحمائها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن إبراهيم ، عن ابن

عباس قال الله : (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : الفاحشة المبينة أن تبذُوَ على أهلها .

وقال آخرون : بل هى كل معصية لله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) والفاحشة : هى المعصية .

وقال آخرون : بل ذلك نشوزها على زوجها ، فيطلقها على النشوز ، فيكون لها التحوّل حينئذ من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال قتادة : إلا أن يطلقها على نشوز ، فلها أن تحوّل من بيت زوجها .

وقال آخرون : الفاحشة المبينة التى ذكر الله عزّ وجلّ فى هذا الموضع : خروجها من بيتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها من بيتها فاحشة . قال بعضهم : خروجها إذا أتت بفاحشة : أن تخرج فيُقام عليها الحدّ .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا سعيد بن الحكم بن أبى مَرْيَم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : ثنى محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، فى قوله (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) قال : خروجها قبل انقضاء العِدّة فاحشة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : قول من قال : عُنِى بالفاحشة فى هذا الموضع : المعصية ، وذلك أن الفاحشة هى كلّ أمر قبيح تعدّى فيه حدّه ، فالزنا من ذلك ، والسَّرَق والبَذَاء على الأحماء ، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذى يلزمها أن تعتدّ فيه منه ، فأىّ ذلك فعلت وهى فى عدتها ، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك ، لإتيانها بالفاحشة التى ركبتها .

وقوله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : وهذه الأمور التى بينتها لكم من الطلاق للعدّة ، وإحصاء العدّة ، والأمر باتقاء الله ، وأن لا تخرج المطلقة من بيتها ، إلا أن تأتىَ بفاحشة مبينة ، حدود الله التى حدّها لكم أيها الناس فلا تعتدوها (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) يقول تعالى ذكره ، ومن يتجاوز حدود الله التى حدّها لخلقه ، فقد ظلم نفسه : يقول : فقد أكسب نفسه وِزْرا ، فصار بذلك لها ظالما ، وعليها متعدّيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، فى قول الله (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ) يقول : تلك طاعة الله ، فلا تعتدوها ، قال : يقول : من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه .

وقوله (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) يقول جلّ ثناؤه : لاتدرِى ما الذى يحدُث لعل الله يحدث بعد طلاقكم إياهنّ رجعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن الزُّهرىّ ، «أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبى حفص المخزومىّ ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم أمَّر عليا على بعض اليمن ، فخرج معه ، فبعث إليها بتطليقة كانت لها ، وأمر عياش بن أبى ربيعة المخزومىّ ، والحارث بن هشام ، أن يُنْفقا عليها ، فقالا : لا والله مالها علينا نفقة ، إلا أن تكون حاملا ، فأتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملا ، واستأذنته فى الانتقال ، فقالت : أين أنتقل يارسول الله ؟ قال : عِنْدَ ابْنِ أُمّ مَكْتُومٍ ، وكان أعمى ، تضع ثيابها عنده ، ولا يبصرها ؛ فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبىّ صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد ، حين مضت عدتها» ، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث ، فأخبرته ، فقال مروان : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة ، وسنأخذ بالعصمة التى وجدنا الناس عليها ، فقالت : فاطمة : بينى وبينكم الكتاب ، قال الله جلّ ثناؤه (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) حتى بلغ (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قالت : فأىّ أمر يحدث بعد الثلاث ، وإنما هو فى مراجعة الرجل امرأته ، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : هذا فى مراجعة الرجل امرأته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) : أى مراجعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : يراجعها فى بيتها هذا فى الواحدة والثنتين ، هو أبعد من الزنا .

قال سعيد ، وقال الحسن : هذا فى الواحدة والثنتين ، وما يحدث الله بعد الثلاث .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، قال : سمعت الحسن وعكرمة يقولان : المطلقة ثلاثا ، والمتوفّى عنها لاسكنى لها ولا نفقة ؛ قال : فقال عكرمة (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) فقال : ما يحدث بعد الثلاث .

حدثنا علىّ بن عبد الأعلى المحاربىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك فى قوله (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) يقول : لعلّ الرجل يراجعها فى عدتها .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) هذا ما كان له عليها رجعة .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لاتَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : الرجْعة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : لعلّ الله يحدث فى قلبك تراجعُ زوجتك ؛ قال : قال ومن طلق للعدّة جعل الله له فى ذلك فُسْحة ، وجعل له مِلْكا : إن أراد أن يرتجع قبل أن تنقضى العدة ارتجع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلكَ أمْرًا) قال : لعله يراجعها .

وقوله (فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : فإذا بلغ المطلقاتُ اللواتى هنّ فى عدة أجلهنّ وذلك حين قَرُب انقضاء عِدَدِهنّ (فأمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) يقول : فأمسكوهنّ برجْعة تراجعوهنّ ، إن أردتم ذلك بمعروف ، يقول : بما أمرك الله به من الإمساك ، وذلك بإعطائها الحقوق التى أوجبها الله عليها لها من النفقة والكسوة والمسكن وحُسن الصُّحْبة ، أو فارقوهنّ بمعروف ، أو اتركوهنّ حتى تنقضىَ عِدَدهنّ ، فتبين منكم بمعروف ، يعنى بإيفائها مالها من حقّ قبله ، من الصداق والمتعة ، على ما أوجب عليه لها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن عبد الأعلى ، قال : ثنى المحاربىّ عبد الرحمن بن محمد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله (فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) يقول : إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة ، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض ، يقول : فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضىَ العدّة بإمساك بمعروف ، والمعروف أن تحسن صحبتها (أوْ تَسْرِيحٌ بإحْسانٍ) والتسريح بإحسان : أن يدعها حتى تمضى عدتها ، ويعطيها مهرا إن كان لها عليه إذا طلقها ، فذلك التسريح بإحسان ، والمُتعة على قدر الميسرة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فإذَا بَلَغْنَ أجَلَهُنَّ) قال : إذا طلقها واحدة أو ثنتين ، يشاء [1] أن يمسكها بمعروف ، أو يسرّحها بإحسان .

وقوله (وأشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) وأشهدوا على الإمساك إن أمسكتموهنّ ، وذلك هو الرجعة ذَوَى عدْل منكم ، وهما اللذان يُرْضَى دينهما وأمانتهما .

وقد بيّنا فيما مضى قبل معنى العدل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وذكرنا ماقال أهل العلم فيه .

(١) كذا فى الأصل . ولعل أصل العبارة : تله بعد ذلك ما يشاء . . . الخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها ، أشهد رجلين كما قال الله (وأشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)عند الطلاق وعند المراجعة ، فإن راجعها فهى عنده على تطليقتين ، وإن لم يراجعها فإذا انقضت عدتها فقد بانت منه بواحدة ، وهى أملك بنفسها ، ثم تتزوّج من شاءت هو أو غيره .

حدثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وأشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : على الطلاق والرجعة .

وقوله (وأقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلهِ) يقول : وأشهدوا على الحقّ إذا استشهدتم ، وأدّوها على صحة إذا أنتم دُعيتم إلى أدائها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وأقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلهِ) قال : اشهدوا على الحقّ .

وقوله (ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى أمرتكم به ، وعرّفتكم من أمر الطلاق ، والواجب لبعضكم على بعض ، عند الفراق والإمساك ، عظة منا لكم ، نعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فيصدّق به .

وعُنِى بقوله (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ) من كانت صفته الإيمان بالله ، كالذى حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ) قال : يؤمن به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) : يقول تعالى ذكره : من يخف الله فيعمل بما أمره به ، ويجتنب ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجا ، بأن يعرّفه بأن ماقضى ، فلا بدّ من أن يكون ، وذلك أن المطلِّق إذا طلق ، كما ندبه الله إليه للعدّة ، ولم يراجعها فى عدتها حتى انقضت ، ثم تتبعها نفسه ، جعل الله له مخرجا فيما تتبعها نفسه ، بأن جعل له السبيل إلى خطبتها ونكاحها ، ولو طلقها ثلاثا لم يكن له إلى ذلك سبيل .

وقوله (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) : يقول : ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت بسبب عوف بن مالك الأشجعىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكُرَيب ، قال : ثنا ابن صَلْت ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق

عن عبد الله ، فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : يعلم أنه من عند الله ، وأن الله هو الذى يعطى ويمنع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه ، وإن شاء منعه ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) قال : من حيث لا يدرى .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) يقول : نجاته من كل كرب فى الدنيا والآخرة ، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن المنذر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن خثيم (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من كل شىء ضاق على الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا .

حدثنى على بن عبد الأعلى المحاربى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرا ، قال : يعنى بالمخرج واليُسر : إذا طلق واحدة ، ثم سكت عنها ، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين ، فذلك اليُسر الذى قال الله ، وإن مضت عدتها ولم يراجعها ، كان خاطبا من الخُطّاب ، وهذا الذى أمر الله به ، وهكذا طلاق السنة ؛ فأما من طلق عند كل حيضة ، فقد أخطأ السنة ، وعصى الربّ ، وأخذ بالعسر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى « فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : يطلق للسُّنّة ، ويراجع للسُّنّة ، زعم أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له عوف الأشجعى ، كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، فكان أبوه يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيشكو إليه مكان ابنه ، وحالته التى هو بها ، وحاجته ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له : إن الله سيجعل له مخرجا ، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا إذ انفلت ابنه من أيدى العدو ، فمرّ بغنم من أغنام العدو فاستاقها ، فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنى قد أصابه من الغنم ، فنزلت هذه الآية (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عمار بن أبى معاوية الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد : « (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) قال : نزلت فى رجل من أشجع جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مجهود ، فسأله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ ، قال : قد فعلت ، فأتى قومه ،

فقالوا : ماذا قال لك ؟ قال : قال اتق الله واصبر ، فقلت : قد فعلت ، حتى قال ذلك ثلاثا ، فرجع ، فإذا هو بابنه كان أسيرا فى بنى فلان من العرب ، فجاء معه بأعنز ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال إن ابنى كان أسيرا فى بنى فلان ، وإنه جاء بأعنز ، فطابت لنا ؟ قال : نعم » .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن عمار الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد « فى قوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : نزلت فى رجل من أشجع أصابه الجهد ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال له : اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ ، فرجع فوجد ابنا له كان أسيرا ، قد فكه الله من أيديهم ، وأصاب أعنزا ، فجاء ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تطيبُ لى يا رسول الله ؟ قال : نَعَمْ . »

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن المنذر الثورىّ ، عن أبيه ، عن الربيع بن خثيم : (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من كلّ شىء ضاق على الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : يعلم أن الله إن شاء منعه ، وإن شاء أعطاه . (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) يقول : من حيث لايدرى .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة (يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا) قال : من شُبُهات الأمور ، والكرب عند الموت (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) : من حيث لايرجو ولا يؤمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) لايأمل ولا يرجو .

وقوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) يقول تعالى ذكره : ومن يتق الله فى أموره ، ويفوّضها إليه فهو كافيه .

وقوله (إنَّ اللهَ بالِغُ أمْرِهِ) منقطع عن قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ومعنى ذلك : إن الله بالغ أمره بكل حال : توكل عليه العبد ، أو لم يتوكل عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إنَّ اللهَ بالِغُ أمْرِهِ) : توكل عليه ، أو لم يتوكل عليه ، غير أن المتوكل يكفِّرْ عنه سيئاته ، ويُعْظِم له أجرا .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت عن قيس ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال : ليس بمتوكل الذى قد قُضِيت حاجته ، وجعل فضل من توكل عليه على من لم توكل ، أن يكفرَ عنه سيئاته ، ويُعْظَمَ له أجرا .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبيّ ، قال : تجالس شُتير بن شكل ومسروق ، فقال شُتير : إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك ، وإما أن أحدث فتصدّقني ؟ قال مسروق : لا ، بل حدّث فأصدّقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية فى القرآن تفوّضا [١] (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) قال مسروق : صدقت .

وقوله (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) يقول تعالى ذكره : قد جعل الله لكلّ شىء من الطلاق والعدّة ، وغير ذلك حدّا وأجلا وقدرا ينتهى إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : أجَلا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : منتهى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) قال : الحيض فى الأجل والعدّة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

يقول تعالى ذكره : والنساء اللاتى قد ارتفع طمعهنّ عن المحيض ، فلا يرجون أن يحضن من نسائكم إن ارتبتم .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إنِ ارْتَبْتُمْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن ارتبتم بالدم الذى يظهر منها لكبرها ، أمن الحيض هو ، أم من الاستحاضة ؟ فعِدّتهنّ ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنِ ارْتَبْتُمْ) إن لم تعلموا التى قعدت عن الحيضة ، والتى لم تحض ، فعدتهنّ ثلاثة أشهر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ (إنِ ارْتَبْتُمْ) قال : فى كبرها

(١) كذا فى الأصل ، ولم أجد فى المعاجم هذا المصدر ولا فعله ، ولعله محرف عن « التفويض » ، وهو رد الأمر كله إلى الله ، وهو المفهوم من معنى هديث ابن مسعود هذا .

أن يكون ذلك من الكبر ، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر ؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهى شابة ، فإنه يتأنى بها حتى ينظر : حامل هى ، أم غير حامل ؟ فإن استبان حملها ، فأجلها أن تضع حملها ، فإن لم يستبن حملها ، فحتى يستبين بها ، وأقصى ذلك سنة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَاللاَّئِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ) قال : إن ارتبت أنها لاتحيض وقد ارتفعت حيضتها ، أو ارتاب الرجال ، أو قالت : هى تركتنى الحيضة ، فعدتهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب ، فلو كان الحمل انتَظر الحمل حتى تنقضى تسعة أشهر ، فخاف وارتاب هو ، وهى أن تكون الحيضة قد انقطعت ، فلا ينبغى لمسلمة أن تحبس ، فاعتدت ثلاثة أشهر ، وجعل الله جلّ ثناؤه أيضا للتى لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر .

حدثنا ابن عبد الرحيم البَرْقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : أخبرنا أبو معبد ، قال : سُئل سليمان عن المرتابة ، قال : هى المرتابة التى قد قعدت من الولد تُطَلَّقُ ، فتحيض حيضة ، فيأتى إبّانُ حيضتها الثانية ، فلا تحيض ؛ قال : تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ؛ قال : فإن حاضت حيضتين ، ثم جاء إبّانُ الثالثة فلم تحض ، اعتدّت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة ، ولم يعتدّ بما مضى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن ارتبتم بحكمهنّ ، فلم تدروا ما الحكم فى عدتهنّ ، فإن عدتهنّ ثلاثة أشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم ، قال : قال أبىّ بن كعب : « يا رسول الله إن عِددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب الصغار والكبار ، وأولات الأحمال ، فأنزل الله (وَاللاَّئِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِى لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم ، فلم تدروا أدم حيض ، أم دم مستحاضة ، من كبر كان ذلك أو علة ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرِمة ، قال : إن من الريبة : المرأة المستحاضة ، والتى لايستقيم لها الحيض ، تحيض فى الشهر مرارا ، وفى الأشهر مرّة ، فعدتها ثلاثة أشهر ، وهو قول قتادة .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : قول من قال : عُنِى بذلك : إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال : إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض ، أو استحاضة ، لقيل : إن ارتبتنّ ، لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ ، فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لاغيرهنّ ، وفى قوله (إِنِ ارْتَبْتُمْ)

وخطابه الرجال بذلك دون النساء، الدليل الواضح على صحة ما قلنا، من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهنّ؛ وأخرى، وهو أنه جلّ ثناؤه قال (وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ): واليائسة من المحيض هى التى لاترجو محيضا للكبر، ومحال أن يقال: واللائى يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهنّ، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء، والمرتاب بيأسها مرجوّ لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده فى وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول فى ذلك ماقلنا، فبيّن أن تأويل الآية: واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ، وفى عددهنّ، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهنّ إذا طلقن، وهنّ ممن دخل بهنّ أزواجهنّ، فعدتهنّ ثلاثة أشهر (وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) يقول: وكذلك عدد اللائى لم يحضن من الجوارى لصغر، إذا طلقهنّ أزواجهنّ بعد الدخول.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ فى قوله (واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) يقول: التى قد ارتفع حيضها، فعدتها ثلاثة أشهر (واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ) قال: الجوارى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ) وهنّ اللواتى قعدن من المحيض فلا يحضن، واللائى لم يحضن هنّ الأبكار التى لم يحضن، فعدتهنّ ثلاثة أشهر.

حُدّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ) .. الآية، قال: القواعد من النساء (واللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ): لم يبلغن المحيض وقد مُسِسْن، عدتهنّ ثلاثة.

وقوله (وَأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فى انقضاء عدتهنّ أن يضعن حملهنّ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم فى المطلقة الحامل، فأما فى المتوفى عنها ففيها اختلاف بين أهل العلم.

وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى من كتابنا هذا، وسنذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك.

ذكر من قال حكم قوله (وَأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ): عام فى المطلّقات والمتوفى عنهنّ.

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ، قال: ثنا سعيد بن أبى مَرْيم، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنى ابن شُبرمة الكوفىّ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن قيس، أن ابن مسعود قال: من شاء لاعنته، مانزلت (وَأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها، وإذا وضعت المتوفى عنها فقد حلّت، يريد بآية المتوفىّ عنها (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا).

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك، يعنى ابن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن أيوب، عن ابن سيرين،

عن أبي عطية قال : سمعت ابن مسعود يقول : من شاء قاسمته ، نزلت سورة النساء القُصْرَى بعدها ، يعنى بعد أربعة أشهر وعشرا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : لقيت أبا عطية مالك بن عامر ، فسالته عن ذلك ، يعنى عن المتوَّفى عنها زوجها إذا وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر ، فأخذ يحدثنى بحديث سُبيعة ، قلت : لا ، هل سمعت من عبد الله فى ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، ذكرت ذات يوم أو ذات ليلة عند عبد الله ، فقال : أرأيت إن مضت الأربعة الأشهر والعشر ولم تضع ، أقد أحلَّت ؟ قالوا : لا ، قال : أفتجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون لها الرُّخْصة ، فوالله لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الطُّولَى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قال الشعبىّ : من شاء حالفته لأنزلت النساء القُصْرَى بعد الأربعة الأشهر والعشر ، التى فى سورة البقرة .

حدثنى أحمد بن منيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ ، قال : ذكر عبد الله بن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله ، إن هذه الآية التى أنزلت فى النساء القُصْرَى نزلت بعد الأربعة الأشهر ، ثم قال : أجل الحامل : أن تضع ما فى بطنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، قال : قلت للشعبى : ما أصدّق أن عليا رضى الله عنه كان يقول : آخر الأجلين : أن لاتتزوّج المتوفى عنها زوجها حتى يمضى آخر الأجلين ؛ قال الشعبىّ : بلى وصدق أشدّ ما صدّقت بشىء قط ؛ وقال علىّ رضى الله عنه : إنما قوله (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) المطلقات ، ثم قال : إن عليا رضى الله عنه وعبد الله كانا يقولان فى الطلاق بحلول أجلها إذا وضعت حملها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : « لما نزلت هذه الآية (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : قلت : يا رسول الله ، المتوَّفى عنها زوجها والمطلقة ؟ قال : نَعَمْ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبى المُخارق ، يحدّث عن أُبىّ بن كعب ، قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (أُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : أجَلْ كُلّ حامِلٍ أنْ تَضَعَ ما فِى بَطْنِها » .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : للمرأة الحُبْلَى التى يطلقها زوجها وهى حامل ، فعدتها أن تضع حملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فإذا وضعت ما فى رحمها فقد انقضت عدتها ، ليس المحيض من أمرها فى شىء إذا كانت حاملا .

وقال آخرون : ذلك خاصّ فى المطلقات ، وأما المتوفى عنها فإن عدّتها آخر الأجلين ، وذلك قول مروىّ عن علىّ وابن عباس رضى الله عنهما .

وقد ذكرنا الرواية بذلك عنهما فيما مضى قبل .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أنه عامّ فى المطلقات والمتوفىّ عنهنّ ، لأن الله جلّ وعزّ ، عمّ بقوله بذلك ، فقال : (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) ولم يخصُصْ بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها ، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال . إن ظنّ ظانّ أن قوله (وأُولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) فى سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهنّ ، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ ، وعن المتوفى عنهنّ ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن ذلك وإن كان فى سياق الخبر عن أحكام المطلقات ، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات ، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال : المطلقات منهنّ وغير المطلقات ، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض ، من خبر ولا عقل ، فهو على عمومه لما بيّنا .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أمْرِهِ يُسْرًا) يقول جلّ ثناؤه : ومن يخف الله فرهبه ، فاجتنب معاصيه ، وأدّى فرائضه ، ولم يخالف إذنه فى طلاق امرأته ، فإنه يجعل الله له من طلاقه ذلك يسرا ، وهو أن يسهل عليه إن أراد الرخصة ، لاتباع نفسه إياها الرجعة ما دامت فى عدتها ؛ وإن انقضت عدتها ، ثم دعته نفسه إليها قدر على خطبتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : هذا الذى بيّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة ، أمر الله الذى أمركم به ، أنزله إليكم أيها الناس ، لتأتمروا له ، وتعملوا به .

وقوله (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ) يقول : ومن يخف الله فيتقه ، باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله (وَيُعْظِمْ لَهُ أجْرًا) يقول : ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه ، ومن إعظامه له الأجر عليه ، أن يُدخله جنته ، فيخلده فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ، وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ، وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَاهُ اللهُ ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَاهَا .

يقول تعالى ذكره : أسكنوا مطلقات نسائكم من الموضع الذى سكنتم (من وجدكم) : يقول : من سعتكم التى تجدون . وإنما أمر الرجال أن يعطوهنّ مسكنا يسكنه مما يجدونه ، حتى يقضين عِدَدهنّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) يقول : من سعتكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من سعتكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) فإن لم تجد إلا ناحية بيتك ، فأسكنها فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : المرأة يطلقها ، فعليه أن يسكنها ، وينفق عليها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من مقدرتك حيث تقدِر ، فإن كنت لاتجد شيئا ، وكنت فى مسكن ليس لك ، فجاء أمر أخرجك من المسكن ، وليس لك مسكن تسكن فيه ، وليس تجد فذاك ، وإذا كان به قوّة على الكراء فذاك وُجْدُه ، لايخرجها من منزلها ، وإذا لم يجد وقال صاحب المسكن : لاأُنزل هذه فى بيتى فلا ، وإذا كان يجد ، كان ذلك عليه .

وقوله (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) يقول جلّ ثناؤه : ولا تضارّوهنّ فى المسكن الذى تسكنونهنّ فيه ، وأنتم تجدون سعة من المنازل ، أن تطلبوا التضييق عليهنّ ، فذلك قوله (لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) : يعنى : لتضيقوا عليهنّ فى المسكن مع وجودكم السعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : فى المسكن .

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (مِنْ وُجْدِكُمْ) قال : من ملككم ، من مقدرتكم .

وفى قوله (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : : لتضيقوا عليهن مساكنهن ، حتى يخرجن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) قال : ليس ينبغى له أن يضارّها ، ويضيق عليها مكانها ، حتى يضعن حملهن ؛ هذا لمن يملك الرجعة ، ولمن لا يملك الرجعة .

وقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : وإن كان نساؤكم المطلقات أولات حمل ، وكنّ بائنات منكم ، فأنفقوا عليهن فى عدتهن منكم ، حتى يضعن حملهن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) : فهذه المرأة يطلقها زوجها ، فيبت طلاقها وهى حامل ، فيأمره الله أن يسكنها ، وينفق عليها حتى تضع ، وإن أرضعت فحتى تفطم ، وإن أبان طلاقها ، وليس بها حبل ، فلها السكنى حتى تنقضى عدتها ولا نفقة ، وكذلك المرأة يموت عنها زوجها ، فإن كانت حاملا أنفق عليها من نصيب ذى بطنها إذا كان ميراث ، وإن لم يكن ميراث أنفق عليها الوارث ، حتى تضع وتفطم ولدها ، كما قال الله عز وجل (وَعلى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلكَ) ، فإن لم تكن حاملا ، فإن نفقتها كانت من مالها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) قال : يُنفق على الحبلى إذا كانت حاملا ، حتى تضع حملها .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) كل مطلقة ملك زوجُها رجعتها أو لم يملك .

وممن قال ذلك : عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما .

ذكر الرواية عنهما بذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كان عمر وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثا : السكنى ، والنفقة ، والمتعة . وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد فى غير بيت زوجها ، قال : ما كنا لنجيز فى ديننا شهادة امرأة .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِى ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم ، عن عيسى بن قرطاس ، قال : سمعت على بن الحسين يقول فى المطلقة ثلاثا : لها السكنى ، والنفقة ، والمتعة ، فإن خرجت من بيتها ، فلا سكنى ، ولا نفقة ، ولا متعة .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : للمطلقة ثلاثا السكنى والنفقة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : إذا طلق الرجل ثلاثا ، فإن لها السكنى والنفقة .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن لانفقة للمبتوتة ، إلا أن تكون حاملا ؛ لأن الله جلّ ثناؤه جعل النفقة بقوله (وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ) للحوامل دون غيرهنّ من البائنات من أزواجهن ، ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل فى الواجب لهنّ من النفقة على أزواجهنّ سواء ، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر فى هذا الموضع وجه مفهوم ، إذ هنّ وغيرهنّ فى ذلك سواء ، وفى خصوصهن بالذكر دون غيرهنّ ، أدلّ الدليل على أن لانفقة لبائن ، إلا أن تكون حاملا .

وبالذى قلنا فى ذلك صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعىّ ، قال : ثنا يحيى بن أبى كثير ، قال : ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : « حدثتنى فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس أنّ أبا عمرو المخزومىّ ، طلقها ثلاثا ، فأمر لها بنفقة ، فاستقلتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه نحو اليمن ، فانطلق خالد بن الوليد فى نفر من بنى مخزوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند ميمونة ، فقال : يا رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثا ، فهل لها من نفقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ ، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انتقلى إلى بيت أمّ شريك ، وأرسل إليها أن لاتسبقينى بنفسك ، ثم أرسل إليها أنّ أمّ شريك يأتيها المهاجرون الأوّلون ، فانتقلى إلى ابن أمّ مكتوم ، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد » .

وقوله (فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) يقول جلّ ثناؤه : فإن أرضع لكم نساؤكم البوائن منكم أولادهنّ الأطفال منكم بأجرة ، فآتوهنّ أجورهنّ على رضاعهنّ إياهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك أنه قال فى الرضاع : إذا قام على شىء فأمّ الصبىّ أحقّ به ، فإن شاءت أرضعته ، وإن شاءت تركته ، إلا أن لايقبل من غيرها ، فإذا كان كذلك أُجْبِرت على رضاعه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) هى أحقّ بولدها ، أن تأخذه بما كنتَ مسترضِعا به غيرَها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فإنْ أرْضَعْنَ لَكُمْ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) قال : ما تراضوا عليه ، على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى الصبىّ إذا قام على ثمن ، فأمه أحقّ أن ترضعه ، فإن لم يجد له من يرضعه ، أجبرت الأم على الرضاع .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) قال : إن أرضعت لك بأجر فهى أحقّ من غيرها ، وإن هى أبت أن ترضعه ولم تواتك فيما بينك وبينها ، عاسرتك فى الأجر ، فاسترضع له أخرى .

وقوله (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) يقول تعالى ذكره : وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضا من معروف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) قال : اصنعوا المعروف فيما بينكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) : حثّ بعضهم على بعض .

وقوله (وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى) يقول : وإن تعاسر الرجل والمرأة فى رضاع ولدها منه ، فامتنعت من رضاعه ، فلا سبيل له عليها ، وليس له إكراهها على إرضاعه ، ولكنه يستأجر للصبىّ مرضعة غير أمه البائنة منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى) قال : إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى ، الأمّ أحقّ إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها ، فلا ينبغى له أن ينتزع منها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : إن هى أبت أن ترضعه ، ولم تواتك فيما بينها وبينك ، عاسرتك فى الأجر ، فاسترضِعْ له أخرى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ، لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) قال : فرض لها من قدر ما يجد ، فقالت : لا أرضى هذا ؛ قال : وهذا بعد الفراق ، فأما وهى زوجته فإنها ترضع لها طائعة ومكرهة ، إن شاءت وإن أبت ، فقال لها : ليس لى زيادة على هذا ، إن أحببت أن ترضعى بهذا فأرضعى ، وإن كرهت استرضعت ولدى ، فهذا قوله (وَإِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى) .

وقوله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) : يقول تعالى ذكره : لينفق الذى بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال ، وغنى من سعة ماله وغناه ، على امرأته البائنة ، فى أجر رضاع ولده منها ، وعلى ولده الصغير (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) يقول : ومن ضيق عليه رزقه ، فلم يوسع عليه ، فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله ، وما أعطى منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) قال : من سعة موجده ، قال (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) قال : من قتر عليه رزقه .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لِيُنْفِقْ ذُوسَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) يقول : من طاقته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) قال : فرض لها من قدر ما يجد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) قال : على المطلقة إذا أرضعت له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى سنان ، قال : سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن أبى عُبيدة ، فقيل له : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع إذا هو أخذها ، فما لبث أن لبس ألين الثياب ، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره ، فقال رحمه الله : تأوّل هذه الآية (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللهُ) .

وقوله (لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها) يقول : لايكلف الله أحدا من النفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه ، إن كان ذا سعة فمن سعته ، وإن كان مقدورا عليه رزقه فمما رزقه الله، على قدر طاقته ، لايكلف الفقير نفقة الغنىّ ، ولا أحد من خلقه إلا فرضه الذى أوجبه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها) قال : يقول : لايكلف الفقير مثل ما يكلف الغنىّ .

حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، عن هشيم (لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها) قال : إلا ما افترض عليها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها) يقول : إلا ما أطاقت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إلاّ ما آتاها) قال : لايكلفه الله أن يتصدّق وليس عنده ما يتصدّق به ، ولا يكلفه الله أن يزكى وليس عنده ما يزكى .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ، وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)

يقول تعالى ذكره : (سَيَجْعَلُ اللَّهُ) للمقلّ من المال المقدور عليه رزقه . (بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) يقول : من بعد شدّة رخاء ، ومن بعد ضيق سعة ، ومن بعد فقر غنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) بعد الشدة الرخاء .

وقوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) يقول تعالى ذكره : وكأين من أهل قرية طَغَوا عن أمر ربهم وخالفوه ، وعن أمر رسل ربهم ، فتمادوا فى طغيانهم وعتوّهم ، ولَجُّوا فى كفرهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ ، فى قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) قال : غيّرت وعصَت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) قال : العتوّ هاهنا الكفر والمعصية ، عُتوّا : كفرا ، وعتت عن أمر ربها : تركته ولم تقبله . وقيل : إنهم كانوا قوما خالفوا أمر ربهم فى الطلاق ، فتوعد الله بالخبر عنهم هذه الأمة ، أن يفعل بهم فعله بهم إن خالفوا أمره فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان يقول فى قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ) قال : قرية عذّبت فى الطلاق .

وقوله (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) يقول : فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها ، حسابا شديدا ، يقول : حسابا استقصينا فيه عليهم ، لم نعف لهم فيه عن شىء ، ولم نتجاوز فيه عنهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) قال : لم نعف عنها الحساب الشديد الذى ليس فيه من العفو شىء .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا) يقول : لم نرحم .

وقوله (وَعَذَّبْناها عَذَابا نُكْرًا) يقول : وعذّبناها عذابا عظيما منكرا ، وذلك عذاب جهنم .

وقوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) يقول : فذاقت هذه القرية التى عتت عن أمر ربها ورسله ، عاقبة ما عملت وأتت من معاصى الله والكفر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) قال : عقوبة أمرها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) قال : ذاقت عاقبة ما عملت من الشرّ . الوبال : العاقبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) يقول : عاقبة أمرها .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) قال : جزاء أمرها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِها) يعنى بوبال أمرها : جزاء أمرها الذى قد حلّ .

وقوله (وكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الذى أعقب أمرهم ، وذلك كفرهم بالله وعصيانهم إياه ، خسرا : يعنى غَبْنا ، لأنهم باعوا نعيم الآخرة ، بخسيس من الدنيا قليل ، وآثروا اتباع أهوائهم ، على اتباع أمر الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ

⁂ يقول تعالى ذكره : أعدّ الله لهؤلاء القوم الذين عَتَوا عن أمر ربهم ورسله عذابا شديدا ، وذلك عذاب النار الذى أعدّه لهم فى القيامة (فاتَّقُوا اللهَ يا أُولى الألباب) يقول تعالى ذكره : فخافوا الله ، واحذروا سخطه ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، يا أولى العقول .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاتَّقُوا اللهَ يا أُولى الألْبابِ) قال : يا أولى العقول .

وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : الذين صدّقوا الله ورسله .

وقوله (قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً) اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالذكر والرسول فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الذكر هو القرآن ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً) قال : الذكر : القرآن ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله عزّ وجلّ (قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً) قال : القرآن روح من الله ، وقرأ (وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحا مِنْ أَمْرِنا) إلى آخر الآية ، وقرأ (قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً) قال : القرآن ، وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ) قال : بالقرآن ، وقرأ (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ) قال : القرآن ، قال : وهو الذكر ، وهو الروح .

وقال آخرون : الذكر : هو الرسول .

⁂ والصواب من القول فى ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر ، وذلك نصب ، لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة .

فتأويل الكلام إذن : قد أنزل الله إليكم يا أولى الألباب ذكرا من الله لكم يذكركم به ، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، رسولا يتلو عليكم آيات الله التى أنزلها عليه (مُبَيِّناتٍ) يقول : مبينات لمن سمعها وتدبرها أنها من عند الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : قد أنزل الله إليكم أيها الناس ذكرا رسولا ، يتلو عليكم آيات الله مبينات ، كى يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه . (مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) يعنى من الكفر ، وهى الظلمات ، إلى النور : يعنى إلى الإيمان .

وقوله (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صالِحا) يقول : ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنهارُ) يقول : يُدخله بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها أَبَدًا) يقول : ماكثين مقيمين فى البساتين التى تجرى من تحتها الأنهار أبدا ، لايموتون ، ولا يخرجون منها أبدا .

وقوله (قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً) يقول : قد وسع الله له فى الجنات رزقا ، يعنى بالرزق : ما رزقه فيها من المطاعم والمشارب ، وسائر ما أعدّ لأوليائه فيها ، فطيبه لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (١٢) .

⁂ يقول تعالى ذكره : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) لاما يعبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لاتقدر على خلق شىء .

وقوله (وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يقول : وخلق من الأرض مثلهنّ ، لما فى كلّ واحدة منهن مثل ما فى السموات من الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن على ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس ، قال فى هذه الآية (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال عمرو : قال فى كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى : فى كلّ سماء إبراهيم .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكُفركم تكذيبكم بها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله ، قال : خلق الله سبع سموات غلظ كلّ واحدة مسيرة خمس مئة عام ، وبين كلّ واحدة منهنّ خمس مئة عام ، وفوق السبع السموات الماء ، والله جلّ ثناؤه فوق الماء ، لايخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم . والأرض سبع ، بين كلّ أرضين خمس مئة عام ، وغلظ كلّ أرض خمس مئة عام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمّىّ الأشعرىّ ، عن جعفر بن أبى المُغيرة الخزاعى ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال رجل لابن عباس (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . . . الآية ، فقال ابن عباس : ما يُؤْمنك أن أخبرك بها فتكفر .

قال : ثنا عباس ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هذه الأرض إلى تلك مثل الفُسْطاط ضربتَه فى فلاة ، وهذه السماء إلى تلك السماء ، مثل حلقة رميتَ بها فى أرض فلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : السماء أوّلها موج

مكفوف ؛ والثانية صخرة ؛ والثالثة حديد ؛ والرابعة نحاس ؛ والخامسة فضة ؛ والسادسة ذهب ، والسابعة ياقوتة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : ثنى حميد بن قيس ، عن مجاهد ، قال : هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتا ، فى كل سماء بيت ، كل بيت منها حذو صاحبه ، لو وقع وقع عليه ، وإن هذا الحرم حرمى بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) خلق سبع سموات وسبع أرضين فى كلّ سماء من سمائه ، وأرض من أرضه ، خلق من خلقه ، وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « بينا النبىّ صلى الله عليه وسلم جالس مرّة مع أصحابه ، إذ مرّت سحابة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أتَدْرُونَ ما هَذَا ؟ هَذِهِ العَنَانُ ، هَذِهِ رَوَايَا الأَرْضِ ، يَسُوقُهَا اللهُ إلى قَوْمٍ لا يَعْبُدُونَهُ ؛ قال : أتَدْرُونَ ما هَذِهِ السَّمَاءُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذه السَّماءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ ؛ ثم قال : أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فَوْقَ ذلكَ سَمَاءٌ أُخْرَى ، حتى عدّ سبع سموات وهو يقول : أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما ، خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ ؛ ثم قال : أتَدْرُونَ ما فَوْقَ ذلكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فَوْقَ ذلكَ العَرْشُ ، قال : أتَدْرُونَ ما بَيْنَهُما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : بَيْنَهُما خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ ؛ ثم قال : أتدرون ما هَذِهِ الأَرْضُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : تَحْتَ ذلكَ أَرْضٌ ، قال : أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُما ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ ، حتى عدّ سبع أرضين ، ثم قال : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ دُلِّىَ رَجُلٌ بِحَبْلٍ حتى يَبْلُغَ أَسْفَلَ الأَرَضِينَ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ على اللهِ ؛ ثم قال : هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلنى ربى من السماء السابعة ، وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من الأرض السابعة وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من المشرق وتركته ؛ ثم قال الآخر : أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثمّ » .

وقوله (يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) يقول تعالى ذكره : يتنزّل أمر الله بين السماء السابعة والأرض السابعة .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ) قال : بين الأرض السابعة ، إلى السماء السابعة .

وقوله (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : ينزل قضاء الله وأمره بين ذلك، كى تعلموا أيها الناس كنه قدرته وسلطانه ، وأنه لايتعذّر عليه شىء أراده ، ولا يمتنع عليه أمر شاءه، ولكنه على ما يشاء قدير (وأنَّ اللهَ قَدْ أحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ عِلْما) يقول جلّ ثناؤه : ولتعلموا أيها الناس أن الله بكل شىء من خلقه محيط علما ، لايعزُب عنه مثقالُ ذرّة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : يقول جلّ ثناؤه : فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته، فإنه لايمنعه من عقوبتكم مانع ، وهو على ذلك قادر ، ومحيط أيضا بأعمالكم ، فلا يخفى عليه منها خاف ، وهو محصيها عليكم ، ليجازيكم بها ، يوم تجزى كلّ نفس ما كسبت .

آخر تفسير سورة الطلاق

تفسير سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ، وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبىّ المحرّم على نفسه ما أحلّ الله له ، يبتغى بذلك مرضاة أزواجه ، لم تحرّم على نفسك الحلال الذى أحله الله لك ، تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك .

واختلف أهل العلم فى الحلال الذى كان الله جلّ ثناؤه أحله لرسوله ، فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه ، فقال بعضهم : كان ذلك مارية مملوكته القبطية ، حرّمها على نفسه بيمين أنه لايقربها ، طلبا بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته ، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يومها وفى حجرتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنى ابن أبى مَرْيم ، قال : ثنا أبوغسان ، قال : ثنى زيد بن أسلم « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أمّ إبراهيم فى بيت بعض نسائه ؛ قال : فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ؟ فجعلها عليه حراما ؛ فقالت : يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لايصيبها، فأنزل الله عزّ وجلّ (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزْوَاجِكَ) » قال زيد : فقوله أنت علىّ حرام لغو .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى ابن عُلَيَة ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، قال : قال مسروق « إن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، وآلى منها ، فجعل الحلال حراما ، وقال فى اليمين : (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانِكُمْ) » .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان ، عن داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، قال : « آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّم ، فعُوتب فى التحريم ، وأُمر بالكفارة فى اليمين » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، قال لها : أنت علىّ حرام ، ووالله لأطؤك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزْوَاجِكَ) قال : كان الشعبىّ يقول : حرّمها عليه ، وحلف لايقربها ، فعوتب فى التحريم ، وجاءت الكفارة فى اليمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعامر الشعبىّ ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته . قال الشعبىّ : حلف بيمين مع التحريم ، فعاتبه الله فى التحريم ، وجعل له كفارة اليمين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) قال : « إنه وَجَدَتِ امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مع جاريته فى بيتها ، فقالت : يا رسول الله ، أنى كان هذا الأمر ، وكنتُ أهونهنّ عليك ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسْكُتى لاتَذْكُرِى هَذَا لأحَدٍ ، هِىَ عَلَىَّ حَرَامٌ إنْ قَرَبْتُها بَعْدَ هَذَا أبَدًا ، فقالت : يا رسول الله ، وكيف تحرّم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول : هى علىّ حرام أبدا ؟ فقال : وَاللهِ لاآتِيها أبَدًا ، فقال الله : (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . الآية ، قد غفرت هذا لك ، وقولك والله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاكُمْ ، وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : « (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتاة ، فغشيها ، فبصُرت به حفصة ، وكان اليوم يوم عائشة ، وكانتا متظاهرتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكْتُمِى عَلَىَّ ، وَلا تَذْكُرِى لِعائِشَةَ ما رأيْتِ ، فذكرت حفصة لعائشة ، فغضبت عائشة ، فلم تزل بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى حلف أن لايقربها أبدا ، فأنزل الله هذه الآية ، وأمره أن يكفر يمينه ، ويأتى جاريته » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عامر « فى قول الله (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ

لَكَ) فى جارية أتاها ، فاطلعت عليه حفصة ، فقال : هى علىّ حرام ، فاكتمى ذلك ، ولا تخبرى به أحدا فذكرت ذلك » .

وقال آخرون : بل حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، فجعل الله عزّ وجلّ تحريمه إياها بمنزلة اليمين ، فأوجب فيها من الكفارة ، مثلَ ما أوجب فى اليمين إذا حنث فيها صاحبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس « فى قوله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمَانِكُمْ) أمر الله النبىّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، إذا حرّموا شيئا مما أحلّ الله لهم أن يكفروا أيمانهم ، بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، وليس يدخل ذلك فى طلاق » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . إلى قوله (وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) قال : كانت حفصة وعائشة متحابتين ، وكانتا زوجتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذهبت حفصة إلى أبيها ، فتحدثت عنده ، فأرسل النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى جاريته ، فظلت معه فى بيت حفصة ، وكان اليوم الذى يأتى فيه عائشة ، فرجعت حفصة ، فوجدتهما فى بيتها ، فجعلت تنتظر خروجها ، وغارت غيرة شديدة ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ، ودخلت حفصة فقالت : قد رأيتُ من كان عندك ، والله لقد سُؤْتَنِى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : والله لأُرْضِيَنَّكِ فإنى مُسِرٌّ إلَيْكِ سِرًّا فاحْفَظِيهِ ؛ قالت : ما هو؟ قال : إنى أُشْهِدُكِ أنَّ سُرِّيَّتِى هَذِهِ عَلَىَّ حَرَامٌ رِضَا لَكِ ، وكانت حفصة وعائشة تَظَاهَرَان على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت حفصة إلى عائشة ، فأسرّت إليها أن أبشرى ، إن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فَتاتَه ، فلما أخبرت بسرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أظهر الله عزّ وجلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزْوَاجِكَ) . . . إلى قوله (وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا هشام الدستوائىّ ، قال : كتب إلىّ يحيى يحدّث عن يَعْلَى بن حكيم ، عن سعيد بن جُبير ، أن ابن عباس كان يقول : فى الحرام يمين تكفرها . وقال ابن عباس (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) يعنى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّم جاريته ، فقال الله جلّ ثناؤه : (يا أيُّها النَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . إلى قوله (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمَانِكُمْ) فكفر يمينه ، فصيّر الحرام يمينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : أنبأنا أبو عثمان « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل بيت حفصة ، فإذا هى ليست ثَمّ ، فجاءته فتاته ، وألقى عليها سِتْرا ، فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ، فقالت : والله لقد سُؤْتَنِى ، جامعتها فى بيتى ، أو كما قالت ؛ قال : وحرّمها النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أو كما قال .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ) . . . الآية ، قال : كان حرّم فتاتَه القبطية أمّ ولده إبراهيم، يقال لها مارية فى يوم حفصة، وأسرّ ذلك إليها ، فأطلعت عليه عائشة ، وكانتا تَظَاهران على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأحلّ الله له ما حرّم على نفسه ، فأمر أن يكفر عن يمينه ، وعُوتب فى ذلك ، فقال (قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلاكُمْ ، وَهُوَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ) قال قتادة : وكان الحسن يقول حرّمها عليه ، فجعل الله فيها كفارة يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حرّمها ، يعنى جاريتَه ، فكانت يمينا .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، قال : « قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : مَنِ المرأتان ؟ قال : عائشة ، وحفصة . وكان بدء الحديث فى شأن أمّ إبراهيم القبطية ، أصابها النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة فى يومها ، فوجدته حفصة ، فقالت : يا نبىّ الله لقد جئت إلىّ شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله فى يومى ، وفى دورى ، وعلى فراشى ؛ قال : ألا تَرْضَيْنَ أنْ أُحَرِّمَها ، فَلا أقْرَبَها ؟ قالت : بلى ، فحرّمها ، وقال : لاتَذْكُرِى ذلكَ لأحَدٍ ، فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه ، فأنزل الله (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ ، تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزْوَاجِكَ) . . . الآيات كلها ، فبلغنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كفّر يمينَه ، وأصاب جاريتَه » .

وقال آخرون : كان ذلك شرابا يشربه ، كان يعجبه ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد ابن الهاد ، قال : نزلت هذه الآية فى شراب (يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزْوَاجِكَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو قطن البغدادى عمرو بن الهيثم ، قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن عبد الله بن شدّاد مثله .

قال : ثنا أبو قطن ، قال : ثنا يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبى مليكة ، قال : نزلت فى شراب .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : كان الذى حرّمه النبىّ صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا كان الله قد أحله له ، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون كان شرابا من الأشربة ، وجائز أن يكون كان غير ذلك ، غير أنه أىّ ذلك كان ، فإنه كان تحريم شىء كان له حلالا ، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله ، وبين له تحلة يمينه ، فى يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه .

فإن قال قائل : وما برهانك على أنه صلى الله عليه وسلم كان حلف مع تحريمه ما حرم ، فقد علمت

قول من قال : لم يكن من النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك غير التحريم ، وأن التحريم هو اليمين ؟ قيل : البرهان على ذلك واضح ، وهو أنه لايعقل فى لغة عربية ولا عجمية ، أن قول القائل لجاريته ، أو لطعام أو شراب ، هذا علىّ حرام يمين ، فإذا كان ذلك غير معقول ، فمعلوم أن اليمين غير قول القائل للشىء الحلال له : هو علىّ حرام . وإذا كان ذلك كذلك صحّ ماقلنا ، وفسد ما خالفه ، وبعد ، فجائز أن يكون تحريم النبيّ صلى الله عليه وسلم ما حرّم على نفسه من الحلال الذى كان الله تعالى ذكره أحله له بيمين ، فيكون قوله (لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ) معناه : لم تحلف على الشىء الذى قد أحله الله أن لاتقربه ، فتحرّمه على نفسك باليمين ؟ .

وإنما قلنا : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم ذلك ، وحلف مع تحريمه ، كما حدثنى الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبيّ ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرّم ، فأُمِرَ فى الإيلاء بكفارة ، وقيل له فى التحريم (لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ) ؟ »

وقوله (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره : والله غفور يامحمد لذنوب التائبين من عباده من ذنوبهم ، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحله الله لك ، رحيم بعباده أن يعاقبهم على ما قد تابوا منه من الذنوب بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ، وَاللهُ مَوْلَاكُمْ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)

يقول تعالى ذكره : قد بين الله عزّ وجلّ لكم تحلة أيمانكم ، وحدّها لكم أيها الناس (وَاللهُ مَوْلَاكُمْ) : يتولاكم بنصره أيها المؤمنون (وَهُوَ العَلِيمُ) بمصالحكم (الْحَكِيمُ) فى تدبيره إياكم ، وصرفكم فيما هو أعلم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ، فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ : مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)

يقول تعالى ذكره (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ) محمد صلى الله عليه وسلم (إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) ، وهو فى قول ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد والشعبى والضحاك بن مزاحم : حَفْصة . وقد ذكرنا الرواية فى ذلك قبل .

وقوله (حَدِيثا) والحديث الذى أسرّ إليها فى قول هؤلاء ، هو قوله لمن أسرّ إليه ذلك من أزواجه ، تحريمُ فتاته ، أو ما حرّم على نفسه ، مما كان الله جلّ ثناؤه قد أحله له ، وحلفه على ذلك وقوله (لاتَذْكُرِى ذَلِكَ لأَحَد) .

وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) يقول تعالى ذكره : فلما أخبرت بالحديث الذى أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبتَها (وأظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ) يقول : وأظهر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على أنها قد أنبأت بذلك صاحبتَها .

وقوله (عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير الكسائىّ (عَرَّفَ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرّف النبىّ صلى الله عليه وسلم حفصةَ بعضَ ذلك الحديثَ ، وأخبرها به . وكان الكسائىّ يذكر عن الحسن البصرىّ وأبى عبد الرحمن السُّلَمى وقتادة ، أنهم قرءوا ذلك (عَرَفَ) بتخفيف الراء ، بمعنى : عرف لحفصة بعضَ ذلك الفعلَ الذى فعلته من إفشائها سرّه ، وقد استكتمها إياه : أى غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجازاها عليه ، من قول القائل لمن أساء إليه : لأعرفنّ لك يافلان ما فعلت ، بمعنى : لأجازينك عليه ؛ قالوا : وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه (عَرَّفَ بَعْضَهُ) بتشديد الراء ، بمعنى : عرّف النبىّ صلى الله عليه وسلم حفصة ، يعنى ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتَها ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) يقول : وترك أن يخبرَها ببعض .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذْ أسَرَّ النَّبِىُّ إلى بَعْضِ أزْوَاجِهِ حَدِيثا) قوله لها : لا تذكريه (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، عَرَّفَ بَعْضَهُ ، وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) وكان كريما صلى الله عليه وسلم .

وقوله (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) يقول : فلما خبّر حفصةَ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم بما أظهره الله عليه من إفشائها ، سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عائشة ، قالت : (مَنْ أنْبَأَكَ هَذَا ؟) يقول : قالت حفصة لرسول الله : من أنبأك هذا الخبرَ وأخبرك به (قالَ نَبَّأنِىَ العَلِيمُ الخَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : قال محمد نبىّ الله لحفصة : خبّرنى به العليم بسرائر عباده ، وضمائر قلوبهم ، الخبير بأمورهم ، الذى لايخفى عنه شىء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا نَبَّأها بِهِ قالَتْ مَنْ أنْبَأكَ هَذَا ؟) ولم تشكّ أن صاحبتها أخبرت عنها (قالَ نَبَّأنِىَ العَلِيمُ الخَبِيرُ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ، وَإِنْ تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤)

يقول تعالى ذكره : إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان، فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته ، وتحريمها على نفسه ، أو تحريم ما كان له حلالا مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) يقول : زاغت قلوبكما ، يقول : قد أثِمَت قلوبكما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن طلحة ، عن زبيد ، عن مجاهد ، قال كنا نرى أن قوله (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) شىء هيّن ، حتى سمعت قراءة ابن مسعود (إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُما) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) : أى مالت قلوبكما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن قتادة (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) أى مالت قلوبكما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) يقول : زاغت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : زاغت قلوبكما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله عزّ وجلّ (إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : سرّهما أن يجتنب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريتَه ، وذلك لهما موافق (صَغَتْ قُلُوبُكُما) إلى أن سرّهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَإنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ) يقول تعالى ذكره للتى أسرّ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثَه ، والتى أفشت إليها حديثَه ، وهما عائشة وحفصة رضى الله عنهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن ابن عباس قال : « لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللتين قال الله جلّ ثناؤه (إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) قال : فحجّ عمر ، وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر ، وعدلت معه بإداوة ، ثم أتانى فسكبت على يده وتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما (إنْ تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) ؟ قال عمر : واعجبا لك يا بن عباس ، قال الزهرىّ : وكره والله ما سأله

ولم يكتم ، قال : هى حفصة وعائشة ؛ قال : ثم أخذ يسوق الحديث ، فقال : كنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة » . . . ثم ذكر الحديث بطوله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن أشهب ، عن مالك ، عن أبى النضر ، عن علىّ بن حسين ، عن ابن عباس ، أنه سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المتظاهرتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : عائشة وحفصة .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول : « مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين ، فما أجد له موضعا أسأله فيه ، حتى خرج حاجا ، وصحبته حتى إذا كان بمرّ الظّهران ذهب لحاجته ، وقال : أدركنى بإداوة من ماء ؛ فلما قضى حاجته ورجع ، أتيته بالإداوة أصبها عليه ، فرأيت موضعا ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما قضيت كلامى حتى قال : عائشة وحفصة ، رضى الله عنهما » .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عمر بن يونس ، قال : ثنا عكرمة بن عمار ، قال : ثنا سماك أبو زميل ، قال : ثنى عبد الله بن عباس ، قال : ثنى عمر بن الخطاب ، قال : « لما اعتزل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، دخلت عليه وأنا أرى فى وجهه الغضب ، فقلت : يا رسول الله ما شقّ عليك من شأن النساء ، فلئن كنت طلقتهنّ فإن الله معك وملائكته ، وجبرائيل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر معك ، وقلّما تكلمت وأحمد الله بكلام ، إلا رجوت أن يكون الله مصدّق قولى ، فنزلت هذه الآية ، آية التخيير : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) ، (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ ، وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) . . . الآية ، وكانت عائشة بنة أبى بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) يقول : على معصية النبىّ صلى الله عليه وسلم وأذاه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال ابن عباس لعمر : « يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أسألك عن أمر ، وإنى لأهابك ، قال : لا تهبنى ، فقال : من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة » .

وقوله (فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) يقول : فإن الله هو وليه وناصره ، وصالح المؤمنين : وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره .

وقيل : عُنِى بصالح المؤمنين فى هذا الموضع : أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدى ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عبد الوهاب ، عن مجاهد ، فى قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال : خيار المؤمنين أبو بكر الصدّيق وعمر .

حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، قال : ثنا الفضل بن موسى السينانى ، من قرية بمرو ، يقال لها سينان ، عن عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال : أبو بكر وعمر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) يقول : خيار المؤمنين .

وقال آخرون : عُنِى بصالح المؤمنين : الأنبياء صلوات الله عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال : هم الأنبياء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال الأنبياء .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن قوله (وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو بمعنى قوله (إنَّ الإنْسانَ لَفِى خُسْرٍ) فالإنسان وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه بمعنى الجميع ، وهو نظير قول الرجل : لاتَقْرِيَنَّ إلا قارئَ القرآن ، يقال : قارئُ القرآن ، وإن كان فى اللفظ واحدا ، فمعناه الجمع ، لأنه قد أذن لكلّ قارئ القرآن أن يقريه ، واحدا كان أو جماعة .

وقوله (وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلكَ ظَهِيرٌ) يقول : والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعوان على من آذاه ، وأراد مَساءتَه . والظهير فى هذا الموضع بلفظ واحد فى معنى جمع ، ولو أُخرج بلفظ الجميع لقيل : والملائكة بعد ذلك ظُهراء .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإنْ تَظاهَرَا عَلَيْهِ ، فإنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) قال : وبدأ بصالح المؤمنين هاهنا قبل الملائكة ، قال (وَالمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلكَ ظَهِيرٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

⁂ يقول تعالى ذكره : عسى ربّ محمد إن طلقكنّ يا معشر أزواج محمد صلى الله عليه وسلم أن يبدله منكنّ أزواجا خيرا منكن .

وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحذيرا من الله نساءه ، لما اجتمعن عليه فى الغَيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغَيرة ، فقلت لهنّ : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكنّ ، قال : فنزل كذلك » .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن حميد ، عن أنس ، عن عمر ، قال : « بلغنى عن بعض أمهاتنا ، أمهات المؤمنين شدّةٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذاهنّ إياه ، فاستقريتُهنّ امرأةً امرأةً ، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقول : إن أبيتُنّ أبدله الله خيرا منكنّ ، حتى أتيت ، حسبت أنه قال على زينب ، فقالت : يا بن الخطاب ، أما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايعظ نساءه ، حتى تعظهنّ أنت ؟ فأمسكت ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : « بلغنى عن أمهات المؤمنين شىء ، فاستقريتُهن أقول : لتكفُفْن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ليُبدلنّه الله أزواجا خيرا منكنّ ، حتى أتيت على إحدى أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر ، أما فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايعظ نساءه ، حتى تعظهنّ أنت ؟ فكففتُ ، فأنزل الله (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ) . . . الآية » .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَنْ يُبَدِّلَهُ) فقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والمدينة والبصرة ، بتشديد الدال ، يبدّله أزواجا من التبديل . وقرأه عامة قرّاء الكوفة « يُبْدِل » بتخفف الدال من الإبدال .

والصواب من القول : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (مُسْلِمَاتٍ) يقول : خاضعات لله بالطاعة (مُؤْمِنَاتٍ) يعنى مصدّقات بالله ورسوله .

وقوله (قَانِتَاتٍ) يقول : مطيعات لله .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (قَانِتَاتٍ) قال : مطيعات .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قَانِتَاتٍ) قال مطيعات .

وقوله (تَائِبَاتٍ) يقول : راجعات إلى ما يحبه الله منهنّ من طاعته عما يكرهه منهنّ .

(عَابِدَاتٍ) يقول : متذللات لله بطاعته .

وقوله (سَائِحَاتٍ) يقول : صائمات .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (سَائِحَاتٍ) فقال بعضهم : معنى ذلك : صائمات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَائِحَاتٍ) قال : صائمات .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَائِحَاتٍ) قال : صائمات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : (السَّائِحَات) : الصائمات .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (سائحاتٍ) يعنى : صائمات .

وقال آخرون : السائحات : المهاجرات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردىّ ، عن زيد بن أسلم ، قال : السائحات : المهاجرات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سائحاتٍ) قال : مهاجرات ليس فى القرآن ، ولا فى أمة محمد سياحة إلا الهجرة ، وهى التى قال الله (السَّائِحُونَ) .

وقد بيَّنا الصواب من القول فى معنى السائحين ، فيما مضى قبلُ بشواهده ، مع ذكرنا أقوالَ المختلفين فيه ، وكرهنا إعادته .

وكان بعض أهل العربية يقول : نرى أن الصائم إنما سمى سائحا ، لأن السائح لازاد معه ، وإنما يأكل حيث يجد الطعام ، فكأنه أُخذ من ذلك .

وقوله (ثَيِّبَاتٍ) وهنّ اللواتى قد افْتُرِعن وذهبت عُذْرتهنّ (وأبْكارًا) وهنّ اللواتى لم يجامَعْنَ ، ولم يفترعن .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (قُوا أنْفُسَكُمْ) يقول : علِّموا بعضكم بعضا ، ما تقون به مَنْ تعلمونه النارَ ، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله ، واعملوا بطاعة الله .

وقوله (وأهْلِيكُمْ نارًا) يقول : وعلِّموا أهليكم من العمل بطاعة الله ، ما يقون به أنفسَهم من النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُها النَّاسُ والْحِجارَةُ) قال : علِّموهم ، أدّبوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن رجل ، عن علىّ (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا) يقول : أدّبوهم ، علّموهم .

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا سعيد بن خثيم ، عن محمد بن خالد الضبىّ ، عن الحكَم ، عن علىّ بمثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا) يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصىَ الله ، ومروا أهليكم بالذكر ، ينْجيكم الله من النار .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا) قال : اتقوا الله ، وأوْصوا أهليكم بتقوى الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُها النّاسُ والْحِجارَةُ) قال : قال يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ، ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نارًا) قال : مُرُوهم بطاعة الله ، وانهَوْهم عن معصيته .

وقوله (وَقُودُها النّاسُ) يقول : حطبها الذى يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت .

وقوله (عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ) يقول : على هذه النار ملائكة من ملائكة الله ، غلاظ على أهل النار ، شداد عليهم (لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ) يقول : لا يخالفون الله فى أمره الذى يأمرهم به . (وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) يقول : وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)

⁂ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة ، للذين جحدوا وحدانيته فى الدنيا (يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : يقال لهم : إنما تثابون اليوم ، وذلك يومُ القيامة ، وتعطون جزاء أعمالكم التى كنتم فى الدنيا تعملون ، فلا تطلبوا المعاذير منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ، يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله (تُوبُوا إلى اللهِ) يقول : ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله ، وإلى مايرضيه عنكم (تَوْبَةً نَصُوحاً) يقول : رجوعا لاتعودون فيها أبدا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (نَصُوحاً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سُئل عمر عن التوبة النصوح ، قال : التوبة النصوح : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ، ثم لايعود إليه أبدا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر ، قال : التوبة النصوح : أن تتوب من الذنب ثم لاتعود فيه ، أو لاتريد أن تعود .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : (يأيها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال يذنب الذنب ثم لايرجع فيه .

حدثنا حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سألت عمر عن قوله (تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا) قال : هو العبد يتوب من الذنب ثم لايعود فيه أبدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب فلا يعود .

حدثنا به ابن حميد مرّة أخرى ، قال : أخبرنى عن عمر بهذا الإسناد ، فقال : التوبة النصوح : الذى يذنب ثم لايريد أن يعود .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله (تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : يتوب ثم لايعود .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله قال : التوبة النصوح : الرجل يذنب الذنب ثم لايعود فيه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) أن لايعود صاحبها لذلك الذنب الذى يتوب منه ، ويقال : توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : يستغفرون ثم لايعودون .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودىّ ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (تَوْبةً نَصُوحاً) قال : النصوح : أن تحول عن الذنب ثم لاتعود له أبدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : هى الصادقة الناصحة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) قال : التوبة النصوح الصادقة ، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته ، وحبّ الرجوع إلى طاعته ، فهذا النصوح .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا عاصم (نَصُوحا) بفتح النون على أنه من نعت التوبة وصفتها . وذُكر عن عاصم أنه قرأه (نُصُوحاً) بضمّ النون ، بمعنى المصدر من قولهم : نصح فلان لفلان نُصُوحا .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك : قراءة من قرأه بفتح النون على الصفة للتوبة ، لإجماع الحجة على ذلك .

وقوله (عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) يقول : عسى ربكم أيها المؤمنون أن يمحو سيئات أعمالكم التى سلفت منكم (وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ) يقول : وأن يدخلكم بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار (يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ) محمدا صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أيْدِيهِمْ) يقول : يسعى نورهم أمامهم (وبأيمَانِهِمْ) يقول : وبأيمانهم كتابهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) . . . إلى قوله (وَبأيمَانِهِمْ) يأخذون كتابهم فيه البشرى (يَقُولُونَ رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا ، وَاغْفِرْ لَنا) يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل المؤمنين يوم القيامة : يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ، يسألون ربهم أن يبقى لهم نورهم ، فلا يطفئه حتى يجوزوا الصراط ، وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَبَّنا أتْمِمْ لَنا نُورَنا) قال : قول المؤمنين حين يُطْفأ نور المنافقين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن الحسن ، قال : ليس أحدا لا يُعْطَى نورا يوم القيامة ، يُعطَى المؤمن والمنافق ، فيطفأ نور المنافق ، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره ، فذلك قوله (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ، قال : كان يذكرنا ويبكى ، ويصدّق قوله فعله ، يقول : يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عزّ وجلّ بأسمائكم وسيماكم ومجالسكم ونجواكم وخلائكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يافلان بن فلان ، هاك نورك ، ويافلان بن فلان ، لانور لك .

وقوله (وَاغْفِرْ لَنَا) يقول : واستر علينا ذنوبنا ، ولا تفضحنا بها ، بعقوبتك إيانا عليها (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : إنك على إتمام نورنا لنا ، وغفران ذنوبنا ، وغير ذلك من الأشياء ، ذو قدرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ) بالسيف (وَالمُنافِقِينَ) بالوعيد واللسان .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمُنافِقِينَ) قال : أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين بالحدود (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) يقول : واشدد عليهم فى ذات الله (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول : ومكثهم جهنم ، ومصيرهم الذى يصيرون إليه نار جهنم (وَبِئْسَ المَصِيرُ) قال : وبئس الموضع الذى يصيرون إليه جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : مَثَّل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا ، وهما نوح ولوط فخانتاهما .

ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة ، وكانت تقول للناس : إنه مجنون . وأن خيانة امرأة لوط لوطا ، ن لوطا كان يُسِرّ الضيف ، وتَدُلّ عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن

قيس ، عن ابن عباس ، قوله (فَخانَتاهُما) قال : كانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تَدُلّ على الضيف .

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا إسماعيل بن عمر ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قيس ، قال : سمعت ابن عباس قال فى هذه الآية : أما امرأة نوح ، فكانت تخبر أنه مجنون ؛ وأما خيانة امرأة لوط ، فكانت تَدُلّ على لوط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى عامر الهمدانىّ ، عن الضحاك (كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ) قال : ما بغت امرأة نبىّ قط (فَخانَتا هُما) قال : فى الدين خانتاهما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ، كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما) قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، فكان ذلك من أمرها ؛ وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطا أحد خبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء (فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئا) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن أبى سعيد ، أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية (فَخانَتاهُما) قال : فى الدين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما) قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (فَخانَتاهُما) قال : كانتا مخالفتين دين النبىّ صلى الله عليه وسلم كافرتين بالله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، قال : سألت سعيد بن جبير : ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح ؟ فقال : أما امرأة لوط ، فإنها كانت تدلّ على الأضياف ؛ وأما امرأة نوح فلا علم لى بها .

وقوله (فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيْئا) يقول : فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئا ، ولم ينفعهما أن كانت أزواجهما أنبياء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ) . . . الآية ، هاتان زوجتا نبيّ الله لما عصتا ربهما ، لم تغن أزواجهما عنهما من الله شيئا .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ) . . . الآية ، قال : يقول الله : لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئا ، وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون .

وقوله (وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) قال الله لهما يوم القيامة : ادخلا أيتها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ، وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ، وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلا للذين صدّقوا الله ووحدوه ، امرأة فرعون التى آمنت بالله ووحّدته ، وصدّقت رسوله موسى ، وهى تحت عدوّ من أعداء الله كافر ، فلم يضرّها كفر زوجها ، إذ كانت مؤمنة بالله ، وكان من قضاء الله فى خلقه أن لاتزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكلّ نفس ما كسبت ، إذ قالت : (رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَكَ بَيْتًا فى الجَنَّةِ) فاستجاب الله لها ، فبنى لها بيتا فى الجنة .

كما حدثنى إسماعيل بن حفص الأُبُلّى (١) ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها فى الجنة .

حدثنا محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى عثمان ، قال : قال سلمان : كانت امرأة فرعون ، فذكر نحوه .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائىّ ، قال : ثنا القاسم بن أبى بَزّة ، قال : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون ، فتقول : آمنت بربّ موسى وهارون ؛ فأرسل إليها فرعون ، فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها ، فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهى امرأته ؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء ، فأبصرت بيتها فى السماء ، فمضت على قولها ، فانتزع الله روحها ، وأُلقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) وكان أعتى أهل الأرض على الله ، وأبعده من الله ، فوالله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها . لتعلموا أن الله حكم عدل ، لايؤاخذ عبده إلا بذنبه .

وقوله (وَنَجِّنِى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتقول : وأنقذنى من عذاب فرعون ، ومن أن أعمل عمله ، وذلك كفره بالله .

(١) بهمزة ، ثم موحدة مضمومتين ، نسبة إلى الأبلة .

وقوله (وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) تقول : وأخلصنى وأنقذنى من عمل القوم الكافرين بك ، ومن عذابهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢) .

يقول تعالى ذكره : (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمنوا) (مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) يقول : التى منعت جيب درعها جبريل عليه السلام ، وكلّ ما كان فى الدرع من خَرْق أو فتق ، فإنه يسمى فَرْجا ، وكذلك كلّ صدع وشقّ فى حائط ، أو فرج سقف فهو فرج .

وقوله (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) يقول : فنفخنا فيه فى جيب درعها ، وذلك فرجها ، من روحنا من جبرئيل ، وهو الروح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنا) فنفخنا فى جيبها من روحنا (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها) يقول : آمنت بعيسى ، وهو كلمة الله (وكُتُبِهِ) يعنى التوراة والإنجيل (وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ) يقول : وكانت من القوم المطيعين .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنَ القانِتِينَ) من المطيعين .

آخر تفسير سورة التحريم

تمّ الجزء الثامن والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرىّ ،

ويليه الجزء التاسع والعشرون

وأوله : تفسير سورة الملك

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES